

الكتاب: جواهر التاريخ
المؤلف: الشيخ علي الكوراني العاملي
الجزء: ١
الوفاة: معاصر
المجموعة: مصادر سيرة النبي والائمة
تحقيق:
الطبعة: الأولى
سنة الطبع: ١٤٢٥ - ٢٠٠٤ م
المطبعة: شريعت - قم
الناشر: دار الهدى للطباعة والنشر
ردمك: ٩٦٤-٨٢٢٢-٨٣-٥
ملاحظات:

جواهر التاريخ
بقلم
علي الكوراني العاملي
المجلد الأول
الطبعة الأولى ١٤٢٥ - ٢٠٠٤

جواهر التاريخ
المؤلف: علي الكوراني العاملي
الناشر: دار الهدى
الطبعة: الأولى ٢٠٠٤ - ١٤٢٥
المطبعة: شريعت
العدد: ٢٠٠٠ نسخة
ISBN: ٩٤٤ - ٨٢٢٢ - ٨٣ - ٥

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ونبينا
محمد وآله الطيبين الطاهرين
فجائع.. على هامش عاشوراء

هزت وجدان العالم مشاهد مفعجة بثتها الفضائيات يوم عاشوراء، من مدينتي كربلاء
والكاظمية في العراق، ومدينة كويته في باكستان، وأثارت في القلوب ألوانا من مشاعر
التعجب والحزن! فقد رأى الناس حالة عدوان قام أصحابها بإلقاء متفجرات وسط
ملايين المؤمنين الذين جاؤوا إلى كربلاء لزيارة قبر حفيد نبيهم صلى الله عليه وآله،
وهم ما بين دموع الحزن وأناشيد الولاء!
لقد سمع الناس خبر شخص يلقي متفجرة في أماكن العبادة، فيقتل العشرات عشوائيا!
لكن الجديد عليهم هذا الشخص العامي الذي عبأ مشايخه (الأتقياء) بالعدوان، ودفعوه
لأن يلف نفسه بمتفجرات ويفجر نفسه في وسط المحتشدين في مراسم دينية، فيقتل
معه عشرين أو خمسين منهم، كبارا وصغارا، نساء وأطفالا، لا ذنب لهم إلا أنهم
جاؤوا للمشاركة في هذه المناسبة الدينية!!

ومن جهة ثانية، أثارت هذه المشاهد مشاعر التعجب والإكبار لنبل الشيعة وتصرفهم تجاهها، فقد سجل مراسل والفضائيات دهشتهم من أمرين: الأول، السرعة التي انتهى فيها ذعر الناس في مكان تفجيرات كربلاء ومناظرها المرعبة، فقد بادر متطوعون منهم في مكان الحادث إلى نقل الجرحى وجمع الجثامين والأشلاء، بينما واصل ملايينهم حتى الذين كانوا قرب المكان عملهم المقدس الأهم، وهو أداء مراسمهم في عزاء الإمام الحسين عليه السلام، في مواكبهم الذاهبة إلى حرمة المقدس أو العائدة منه، بدموعها الحرى على سيد الشهداء عليه السلام، ولطمها الحزين على الصدور، أو ضربها المفجع للهامات وأناشيدها!

وقد حدثني شخص كان على بعد أمتار من تفجيرات كربلاء قائلاً: لقد تعجبت من زوار الإمام الحسين عليه السلام، فما هي إلا دقائق حتى واصلوا مواكبهم بهتافهم المشهور: أبد والله ما ننسى حسيناً، وبعضهم أضافوا إلى هتافهم: أبد والله بالتفجير ما ننسى حسيناً.. واستمروا في مراسمهم وكأن شيئاً لم يحدث!!

والثاني، قرار الصبر والعض على الجراح، الذي اتضح بسرعة، وظهر منه أن الشيعة قد تبنوا عليه فيما بينهم، واتخذوا موقفاً مسبقاً حازماً بعدم الإنجرار إلى الفتنة الطائفية، بإجماع مراجعهم وزعمائهم، وملايينهم الكربلائية!

جذور الظلّامة

يبقى الأمر الأهم الذي أثارته هذه الفواجع: التأمل في سببها وجذورها الفكرية والتاريخية، التي جعلت قتل المسلم الشيعي (ديناً) يربي المتطرفون عوامهم عليه، ويقنعونهم بأن الشيعي مشرك مهذور الدم، وأن عليهم أن يتقربوا إلى الله تعالى بإراقة دمه، ونهب ماله، وهتك عرضه!

فمتى بدأت هذه الحالة في تاريخنا الإسلامي، وكيف تطورت، وإلى أين

وصلت في عصرنا الحاضر؟!
إن الموجة المعاصرة التي نشهدها ممن يكفروننا ويستحلون دماءنا، تعود جذورها إلى المتوكل العباسي! فهذا (الخليفة) هو الذي تبنى مذهب مجسمة الحنابلة المتعصبين ضد الشيعة، وشكل (ميليشيا) في بغداد لمهاجمة مجالس عاشوراء ومنع الشيعة من إقامتها! وسمى حزبه: أهل الحديث، والمحدثين، وأهل السنة، وأهل السنة والجماعة، بينما سماهم المسلمون: مجسمة الحنابلة، والنواصب.
ومما يدل على ذلك أن الذهبي روى سخرية البغوي الإمام المعروف، من هذه التسمية التي خص المتوكل بها حزبه، فقال في سير أعلام النبلاء: ١٤ / ٤٤٩:
(اجتاز أبو القاسم البغوي بنهر طابق على باب مسجد، فسمع صوت مستمل فقال: من هذا؟ فقالوا: ابن صاعد. قال: ذاك الصبي؟! قالوا: نعم. قال: والله لا أبرح حتى أملي هاهنا، فصعد دكة وجلس، وراه أصحاب الحديث فقاموا وتركوا ابن صاعد. ثم قال: حدثنا أحمد بن حنبل قبل أن يولد المحدثون! وحدثنا طالوت قبل أن يولد المحدثون! وحدثنا أبو نصر التمار.. فأملى ستة عشر حديثا، عن ستة عشر شيخا، ما بقي من يروي عنهم سواه!! انتهى.
ومعنى قول البغوي: (ذاك الصبي.. حدثنا أحمد بن حنبل قبل أن يولد المحدثون!) أن هؤلاء الصبيان المتسمين بالمحدثين، إنما هم أحداث جمعهم المتوكل حول أحمد بن حنبل، وجعله إماما لهم!
فالمتوكل هو الذي حنبلهم، أي اتخذ لهم أحمد بن حنبل المروي أو الرازي أي الطهراني، مولى بني ذهل، إماما، فصار اسمه: الإمام أحمد، ودعاه إلى سامراء وأقام له مراسم احترام وتجليل، وأشاع الإعتقاد في العوام بكراماته! وذات مرة مرضت جارية المتوكل المفضلة عنده من بين أربعة آلاف جارية،

فأرسلها إلى بغداد ليقرأ عليها الإمام أحمد بن حنبل دعاءه فشفيت ببركته! وانتشر الخبر بكرامة حصلت لجارية الخليفة ببركة إمام أهل الحديث! والمتوكل هو الذي كتب مرسوماً بنشر أحاديث التحسيم والنصب، وبالغ في احترام (المحدثين) الذين يروونها ويتحمسون لها، وأغدق عليهم، وأقام لهم المجالس الرسمية الكبيرة، وحشد الناس لحضورها، وحضرها بنفسه! والمتوكل هو الذي بخرهم، أي جعل لهم محمد بن إسماعيل بن برد زبه، الفارسي أو السلجوقي، إماماً، فصار اسمه الإمام البخاري، وجعل كتابه: صحيح البخاري إمام مصادر السنة النبوية.

والمتوكل هو الذي شجع التحسيم وجاهر بالنصب، وبغض علي وأهل البيت النبوي صلوات الله عليه وعليهم، وكان يعقد مجالس في دار الخلافة بسامراء لإهانة علي بن أبي طالب عليه السلام وسبه! ويأتي بشخص (كوميدي) يمثل شخصية علي عليه السلام فيسخر منه ويضحك، ويأمر المغنين والمغنيات أن يغنوا بسبه، وهو يشرب الخمر على الغناء بشتم علي عليه السلام!

والمتوكل هو الذي اضطهد شيعة علي عليه السلام وتبعهم أينما كانوا في دولته، واضطهد الأئمة المعصومين من العترة النبوية الطاهرة، ففرض على الإمام علي الهادي عليه السلام الإقامة الجبرية في سامراء، ثم حبسه، ثم قتله بالسم، ثم حبس ولده الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وعمل بكل جهده لإطفاء نور أهل بيت النبوة عليهم السلام!

والمتوكل هو صاحب العقدة من قبر الإمام الحسين عليه السلام، ومن احتشاد المسلمين لزيارته في كربلاء، فمنعهم واضطهد من يزوره بوحشية! ولما عجز عن منعهم بالكامل، أرسل فرقة جيش بقيادة يهودي اسمه (زيرج)، ومعه (ميليشيا السلفيين) لهدم قبر الحسين عليه السلام وحرث أرضه! فهدموه وأجروا عليه فرعا من نهر الفرات،

فلما وصل الماء إلى القبر حار حوله، وشكل دائرة سميت: الحائر الحسيني الشريف! لقد هلك المتوكل ولقي جزاء عمله، حيث ثار عليه بعض قادة جيشه من المحبين لأهل البيت الطاهرين عليهم السلام فقتلوه ومعهم ابنه المنتصر، الذي اعترض عليه يوماً لإهانتته علياً عليه السلام فأمر المتوكل المغنيات أن يغنين بسب ولده وأمه!

قال ابن الأثير في تاريخه: ٦ / ١٠٨: (في هذه السنة (٢٣٦ هجرية) أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي وهدم ما حوله من المنازل والدور، وأن يبذر ويسقى موضع قبره، وأن يمنع الناس من إتيانه، فنادى بالناس في تلك الناحية من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة حبسناه في المطبق، فهرب الناس وتركوا زيارته، وخرب وزرع!

وكان المتوكل شديد البغض لعلي بن أبي طالب ولأهل بيته، وكان يقصد من يبلغه عنه أنه يتولى علياً وأهله بأخذ المال والدم! وكان من جملة ندمائه عبادة المخنث وكان يشد على بطنه تحت ثيابه مخدة ويكشف رأسه وهو أصلع ويرقص بين يدي المتوكل، والمغنون يغنون قد أقبل الأصلع البدين، خليفة المسلمين! يحكي بذلك علياً، والمتوكل يشرب ويضحك! ففعل ذلك يوماً والمنتصر حاضر فأوماً إلى عبادة يتهدده فسكت خوفاً منه فقال المتوكل ما حالك فقام وأخبره فقال المنتصر: يا أمير المؤمنين إن الذي يحكيه هذا الكلب ويضحك منه الناس هو ابن عمك وشيخ أهل بيتك وبه فخرك! فكل أنت لحمه إذا شئت، ولا تطعم هذا الكلب وأمثاله منه! فقال المتوكل للمغنين: غنوا جميعاً:

غار الفتى لابن عمه * رأس الفتى في حر أمه
فكان هذا من الأسباب التي استحل بها المنتصر قتل المتوكل). انتهى.
وقال العصامي في سمت النجوم العوالي ص ١١٦٨: (وذكر ابن خلكان: كان المتوكل يبغض علياً فذكر يوماً علياً عنده فغض منه، فتمعر وجه ابنه المنتصر

لذلك، فشتمه أبوه المتوكل وأنشد مواجهها له... الخ.)
وفي مآثر الإنافة للقلقشندي: ١ / ٢٢٨: (العاشر من خلفاء بني العباس... وحظي في زمانه أهل الأدب إلا أنه كان شديد البغض لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ولأهل بيته، على خلاف ما كان عليه المأمون...) وذكر القصة وغيرها.
أقول: مع أن المتوكل صاحب الخطة مات، إلا أن خطته وحزبه بقيا بلاء على الأمة، وامتحانا للمسلمين عامة وللشيعة خاصة! وعرفوا باسم مجسمة الحنابلة.
ومع أن الخلفاء العباسيين بعد المتوكل لم يتبنوهم رسمياً، لكنهم كانوا يستفيدون منهم كحزب عنيف في بغداد، فيدفعونهم للحد من نفوذ الشيعة، الذين كان لهم جمهورهم وثقلهم في بغداد والأقطار الإسلامية.
كانت حكومة بغداد تدفع مجسمة الحنابلة لضرب الشيعة وتساندهم، فإذا زاد طغيان المجسمة بتقديرهم حلوا بينهم وبين الشيعة، وربما ساعدوا الشيعة عليهم! لذلك لم يعدم الطرفان أنصاراً في وزراء الخليفة، بل في أمراء جيشه وقادته الأتراك، الذين كانت لهم كلمة الفصل العسكري في قضايا الدولة.*

ثم جاءت ثورة البويهيين في مطلع القرن الرابع فكانت متنفساً للشيعة، حيث توقف نزفهم المتواصل تقريباً من زمن المتوكل، وضمّدوا أكثر جراحهم.
فقد احتل البويهيون، أو آل بويه، وهم فرس من شمال إيران، احتلوا إيران وأطراف العراق، ثم احتلوا بغداد، وفرضوا أنفسهم على الخليفة بدل الأتراك، وأجبروه أن يرسم كبيرهم سلطاناً باسم وزير، ويأمر الخطباء بالدعاء له بعد الخليفة، فورثوا الأتراك في التسلط على مقدرات الدولة وكانوا هم الذين ينصبون الخليفة، ويجرون له مرتباً شهرياً، وقد يعزلونه بإهانة!
وفي عهدهم الذي استمر أكثر من قرن (٣٣٤ - ٤٤٧ هجرية)، ضعف مجسمة

الحنابلة لكنهم لم ينتهوا، فالبويهون قبل تشيعهم كانوا سياسيين همهم السلطة، ولذا قلدوا الأتراك في تبني لعبة الموازنة بين الشيعة و
مجسمة الحنابلة، فربما اختاروا الحياد في نزاعاتهم، وربما رجحوا كفة الشيعة، أو كفة
الحنابلة!
* *

واستمر الأمر على هذه الحال حتى جاءت ثورة السلاجقة الأتراك، وهم بدو من بر
مدينة بخارى إلى جهة الصين، فاحتلوا إيران والعراق، وقضوا على بني بويه، وسيطروا
على الخلافة العباسية (٤٤٧ - ٥٨١ هجرية) وتبنوا مجسمة الحنابلة أو حزب
المتوكل، وشنوا على الشيعة موجة اضطهاد قاسية، استباحوا فيها أحياءهم في بغداد
قتلا ونهباً وحرقة، خاصة منطقة الكرخ مركز ثقل الشيعة التاريخي، وبدوا هجومهم
بإحراق خزانة كتب الكرخ العالمية التي أسسها البويهيون! وقتلوا الألوف المؤلفة من
الشيعة، فاضطر أكثرهم إلى الاختفاء أو الهجرة، وكان ممن نجا منهم مرجع الشيعة
الشيخ الطوسي قدس سره الذي فر إلى النجف الأشرف سنة ٤٤٨، أي في السنة الثانية
لاستيلاء السلاجقة، وأسس الحوزة العلمية ورسخها ونماها، حتى توفي سنة ٤٦٠
هجريه رحمه الله.
* *

نشط مجسمة الحنابلة في عصر السلاجقة، ووجدوا منهم التأييد والمساعدة في كثير
من الأحيان، لكنهم ظلوا فئة متطرفة تراوح مكانها في بغداد، لم تستطع أن تمتد في
العالم الإسلامي، بسبب نفوذ الشيعة، وقوة التيار السني المخالف لهم.
وأخيراً انحسر دعم الأمراء السلاجقة لهم بسبب سوء تصرفهم، فكانت حكومة بغداد
تضطر أحياناً إلى تأديبهم لإرضاء العامة الشاكين من عنفهم!
وبسقوط دولة قبيلة قزل، آخر قبيلة سلجوقية حاكمة، وملكهم بهلوان آخر سلاطين
السلاجقة، سنة ٥٨٢ هجرية (سير أعلام النبلاء: ٢١ / ٤٥)، سقط معهم نجم

مجسمة الحنابلة، وغلب على بغداد جو الاعتدال السني والميل إلى التشيع، ولم نعد نسمع بذكر علماء الحنابلة المتطرفين وجمهورهم العنيف، لعدة قرون! كما لم يظهر لهم في هذه القرون أي وجود في أي بلد من بلاد المسلمين، حتى جاء القرن الثامن فظهروا في ظل المماليك الشراكسة، كحزب صغير في الشام، بزعامة شخص متوتر هو الشيخ أحمد عبد الحليم بن تيمية، الذي رعاه بعض الأمراء الشراكسة، وعينه لمدة قصيرة في منصب شيخ الإسلام في بلاد الشام، ثم عزلوه وسجنوه وحاكموه، نزولا عند حكم علماء المذاهب الأربعة في مصر والشام، وأبقوه في السجن حتى مات. وبموته تلاشى حزبه، وغابت أفكاره التي هي نفس أفكار حزب المتوكل أو مجسمة الحنابلة، فلم يذكر التاريخ لهم وجودا في بلاد الشام أو غيرها، إلا بعد خمسة قرون، على يد الشيخ محمد عبد الوهاب النجدي!

كلمتان في منهج الدراسة
الكلمة الأولى: أنا لا نتوقع من التاريخ الذي كتب بحبر الحكام، أن يكون منصفاً في بيان ظلامة المعارضة! فالحكومات تؤرخ لنفسها وتعظم أشخاص الحكام، وتجعلهم في مصاف المصلحين والأولياء وإن كانوا فاسدين مفسدين!
كما يتفنن المؤرخون الحكوميون في التعقيم على المعارضة، فيصرون لك أنها لم تكن موجودة أصلاً، وإن اضطروا للاعتراف بها تعمدوا تهميشها وتشويهها! وهذا هو دأب كل الحكومات التي كتبت تاريخنا، وأملى مصادر حديثنا وتفسيرنا وفقهنا! لا فرق فيها بين الأموية والعباسية والشركية والعثمانية والحديثة، ولا بين مذاهبها.
لذلك كان لا بد لنا لفهم تأريخ الظلم والاضطهاد على أهل البيت الأطهار عليهم السلام

وشيعتهم الأبرار، والتي كانت أطول ظلاماً لأطول معارضة في التاريخ الإسلامي أن نسمع إلى كلام الشيعة أنفسهم، ونقرأ ما كتبه مصادرهم. وإني لأعجب من الباحث الذي يدعي الموضوعية، ويريد أن يفهم حوادث التاريخ الإسلامي أو يفهمها للناس، دون أن يسأل الذاكرة الشيعية، وهو يعرف أن ذاكرة الضحية أدق، وفهمها أعمق!

ورغم هذه الحقيقة، تراني اعتمدت في البحث على نصوص من مصادر الحكومات وأتباعها المخالفين للشيعة لأنها أقوى في الحجة، وإن اخترتها من ذاكرة التاريخ الشيعي أيدتها غالباً بنصوص من مصادر غيرهم!

والكلمة الثانية: أن تصور موجات الظلم على الشيعة لا يكتمل إلا بمعرفة سياقها التاريخي، والأرضية التي كانت سبباً في نشوء كل موجة، ثم بمعرفة ردة الفعل من العترة النبوية عليهم السلام وشيعتهم عليها. لكن استيفاء الأسباب والنتائج وردود الأفعال، يعني أن نكتب تاريخاً جديداً من وجهة نظر المظلومين، بدل التاريخ الذي كتبه الحكام، وهو ما لا يتسع له كتابنا!

لهذا، تراني اختصرت في عرض بعض الأحداث، وتوسعت في بعضها، من أجل تكميل السياق وتوضيح الصورة.

أسأل الله تعالى أن يصلي على أهل بيت نبيه الأطهار المعصومين المظلومين، وأن يتقبل هذا الكتاب في أعمال الدفاع عنهم. فهو ولي التوفيق والقبول.

حرره بقم المشرفة في الخامس عشر من محرم الحرام ١٤٢٥
علي الكوراني العاملي

تمهيد

في القوانين والسنن الإلهية في الهداية والضلال
إن استيعاب الظلام التي وقعت على أهل البيت النبوي عليهم السلام وشيعتهم بعد النبي
عليهم السلام، على يد زعماء قريش، يتوقف على فهم عدد من القوانين والسنن الإلهية
في هداية البشر وضلالهم، بينها الله تعالى في كتابه، وبينها النبي عليهم السلام للأمة في
أحاديثه وخطبه وعمله، وحذر الأمة منها. وفيما يلي موجز لها، وقد بحثناها في كتاب
مستقل باسم: قوانين الهداية والضلال، وهي:

- ١ - قانون تقارن كل نبوة مع مضلين!
- ٢ - قانون الضلال.
- ٣ - قانون الإضلال.
- ٤ - قانون الإحباط.
- ٥ - قانون الفتنة الفردية والاجتماعية.
- ٦ - قانون الابتلاء والاختبار.
- ٧ - سنة الله في اقتتال الأمم بعد رسلها!
- ٨ - التحذير من انقلاب الأمة على أعقابها بعد رسولها!
- ٩ - فتنة هذه الأمة بالأئمة المضلين على سنة من قبلها!
- ١٠ - فتنة هذه الأمة بالشجرة الملعونة في القرآن!
- ١١ - ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا غلب أهل باطلها على أهل حقها!

١ - قانون: اقتران كل نبوة بأئمة مضلين!
ومنطق هذا القانون: أن المطلوب في حياة الإنسان على الأرض أن تبقى قدرته على
الاهتداء وقدرته على الضلال متساويتين، فبذلك وحده يتحقق اختياره للهداية بإرادته
الحرّة، فيستحق الجزاء الإلهي والجنة، ويتحقق اختياره للضلال بإرادته الحرّة، فيستحق
النار.

وقد رتب الله تعالى تكوين الإنسان وظروف حياته على الأرض على هذا التساوي،
فألهمه الفجور، وألهمه التقوى، وهداه النجدين، وجعل للشيطان منفذا إلى نفسه،
وجعل سيئته بواحدة وحسنه بعشرة.. الخ.
ولما كانت النبوة دفعة هداية قوية، كان لابد أن يرافقها وجود مضلين مع النبي، ليبقى
التعادل ويحتاج المهتدون إلى بذل جهد فكري وعملي في مقاومة الفتنة، والثبات على
الهدى.

وقد نصت آيات كثيرة على هذا القانون بالعموم ونصت عليه آيتان بخصوصه:
فالأية الأولى، قررت ضرورة وجود عوامل ضلال مع كل نبوة: (وكذلك جعلنا لكل
نبي عدوا شياطين الأنس والجن). (الأنعام: ١١٢ - ١١٣).
ومعناها أن فعالية شياطين الأنس والجن في الوسوسة عند هداية كل نبي، إنما هي
عوامل ضلال ضرورية يجب أن تبقى فاعلة!

والآية الثانية، صورة صارخة لصحابيين للرسول صلى الله عليه وآله، أحدهما كافر
يخطط لإضلال الناس، والثاني مطيع له يدفعه صاحبه إلى معصية الرسول صلى الله عليه
وآله وهجر القرآن، فيضلان ويضلان الناس! ويوم القيامة يعرض الظالم الأصلي منهما
يديه ندما لإطاعته لصاحبه! أما الآخر فمصيبته أعظم من أن يعرض على يديه، لأنه لم
يكن مع الرسول صلى الله عليه وآله ولا لحظة! بل كان مجرما كامنا للإسلام ورسوله
صلى الله عليه وآله!

قال تعالى: (ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا. يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلانا خليلا. لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا. وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا. وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا). (الفرقان: ٢٧ - ٣١).
وقوله تعالى: (وكفى بربك هاديا ونصيرا) جواب على سؤال مقدر يقول: ما دام القانون الإلهي أن الله تعالى يجعل عدوا مضلا مع النبي العادي من مجموع المئة وأربع وعشرين ألف نبي عليهم السلام، فقد يعني ذلك أن يكون مع نبينا صلى الله عليه وآله عشرة أعداء مجرمين! فكيف يهتدي الناس، وكيف ينتصر الرسول صلى الله عليه وآله؟! وآله؟!

فكان الجواب الإلهي: هذا ليس من شأنكم بل من شأن الله تعالى: وكفى بربك هاديا ونصيرا، فالتعادل محفوظ مع وجود المضلين بقدر يحقق الهداية لقسم من الناس، ويحقق النصر الآني أو المستقبلي للأنبياء عليهم السلام، حسب الخطة الحكيمة!
**

٢ - قانون الضلال

ومنطق هذا القانون: أنه يوجد واقع موضوعي في كل القضايا النظرية والعملية، وأن كل فعاليات الإنسان إما أن تصيب ذلك الواقع فتكون على حق، أو تخطئه عمداً أو سهواً أو جهلاً، فتكون على ضلال.

فالضلال عدم إصابة الأمر الصحيح في علم الله تعالى لأي سبب، حتى لو كان لا إرادياً كالنسيان: (أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى) (البقرة: ٢٨٢).

فمفهوم الضلال نسبي، ولذا كانت استعمالاته وأنواعه في القرآن عديدة:

أولاً: أنواعه بحسب ذاته، من الضلال المبين وغير المبين، أي الشديد الوضوح والأقل وضوحاً، حتى يصل إلى الضلال الخفي الذي لا يعلمه إلا القلة، أو الذي لا يعلمه إلا الله تعالى. وقد ورد الضلال المبين في القرآن ١٩ مرة.

والضلال البعيد والأقل بعداً، حتى يصل إلى الأقرب إلى الصراط المستقيم. وقد ورد الضلال البعيد في القرآن ١٠ مرات، والكبير وغير الكبير مرة واحدة. الخ.

ثانياً: أنواع الضلال بحسب موضوعه، من قضايا وأفكار وأعمال. وهو بهذا الاعتبار أنواع ورد ذكرها بنحو وآخر في القرآن، كالضلال العقلي، والنفسي والسلوكي والعقائدي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي والحضاري.

أو: الضلال عن الفطرة، والضلال عن الدين، أو عن التفكير المنطقي. الخ.

ثالثاً: أنواعه بحسب موضوعه من الأشخاص، مثل: ضلال الظالمين، وضلال المجرمين، وضلال المسرفين المرتابين، والفاسقين، والكافرين.. الخ.

رابعاً: أنواعه بحسب لزومه وقابليته للزوال: فمن الضلال ما يصبح ثابتاً كالذين حقت عليهم الضلالة (الأعراف: ٣٠ والنحل: ٣٦)، أو الذين استحقوا أن يضلهم الله تعالى: ومن يضل الله فما له من هاد. (الرعد: ٣٣)، وبمعناها آيات عديدة.

ومنه قابل للزوال بسرعة أو ببطء: (ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون). (الأنعام: ١٢٥) خامساً: أنواعه بحسب علته وفاعله. فمنه ما يكون بفعل الشخص مباشرة باتباع الهوى: (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) (سورة صاد: ٢٦). ومنه ما يكون بفعل الشيطان: (كتب عليه أنه من تولاه فإنه يضلّه ويهديه إلى عذاب السعير). (الحج: ٤)، ومنه ما يكون بفعل الرؤساء والشخصيات: (وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلاً). (الأحزاب: ٦٧)، أو غيرهم من الناس: (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون). (الأنعام: ١١٦). ومنه ما يكون بتأثير الأصنام والمجسمات المعبودة: (رب إنهن أضللن كثيراً من الناس). (إبراهيم: ٣٦)

سادساً: أنواعه بحسب تأثيره على صاحبه وعلى المجتمع. وقد ذكر القرآن عدة تأثيرات لأنواع الضلال، روحية وفكرية وعملية، فردية، واجتماعية.. الخ. سابعاً: أنواعه بحسب الصراط المضلول عنه. كالضلال عن (سبيل الله) حيث ورد في القرآن ست مرات، وورد ست مرات مضافاً إلى ضمير الغائب (سبيله) ومرة واحدة إلى ضمير المخاطب (سبيلك). والضلال عن (سواء السبيل) ورد ٥ مرات. والضلال عن السبيل، ٤ مرات. والضلال عن الذكر، مرة واحدة. وضلال الأعمال عن الصراط المستقيم، أو ضلالها وإضلالها عن الهدف منها.. الخ. * *

ومن الواضح أن قانون الضلال بأصوله وفروعه، بقي فعالاً في أمة النبي صلى الله عليه وآله بعد وفاته، فلم يرد نص واحد يدل على استثنائها منه، إلا التأمين الذي عرضه رسول الله صلى الله عليه وآله على أمته في مرض وفاته، فرفضه الحزب القرشي!

ففي البخاري: ١ / ٣٦: (عن ابن عباس قال: لما اشتد بالنبي (ص) وجعه قال: إئتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده. قال عمر: إن النبي (ص) غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا! فاختلفوا وكثر اللغط! قال (ص): قوموا عني، ولا ينبغي عندي التنازع!! فخرج ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية، ما حال بين رسول الله (ص) وبين كتابه!!

وقال البخاري: ٥ / ١٣٧: (لما حضر رسول الله (ص) وفي البيت رجال فقال النبي (ص): هلموا أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده. فقال بعضهم: إن رسول الله (ص) قد غلبه الوجع وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله! فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده ومنهم من يقول غير ذلك! فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله: قوموا).

وقال البخاري: ٧ / ٩: (باب قول المريض قوموا عني... عن ابن عباس قال: لما حضر رسول الله (ص) وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب... ورواه البخاري أيضا: ٨ / ١٦٠....

وفي مسلم: ٥ / ٧٥: (عن ابن عباس أنه قال: يوم الخميس وما يوم الخميس! ثم جعل تسيل دموعه حتى رأيت على خديه كأنها نظام اللؤلؤ! قال قال رسول الله (ص): إئتوني بالكتف والدواة أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا، فقالوا: إن رسول الله (ص) يهجر!! ثم روى عن ابن عباس قال: لما حضر رسول الله (ص) وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب فقال النبي (ص): هلم أكتب لكم كتابا لا تضلون بعده! فقال عمر: إن رسول الله (ص) قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله... الخ).

وفي مسند أحمد: ٣ / ٣٤٦: (عن جابر أن النبي (ص) دعا عند موته بصحيفة ليكتب فيها كتابا لا يضلون بعده، قال فخالف عليها عمر بن الخطاب حتى رفضها!) (ورواه أحمد: ١ / ٣٢٤ و ٣٣٦ و ٣٢٤)

وفي مجمع الزوائد: ٩ / ٣٣: (عن عمر بن الخطاب قال: لما مرض النبي (ص) قال: ادعوا لي بصحيفة ودواة أكتب كتابا لا تضلون بعدي أبدا، فكرهنا ذلك أشد الكراهة!! ثم قال: ادعوا لي بصحيفة أكتب لكم كتابا لا تضلون بعده أبدا! فقال النسوة من وراء الستر: ألا تسمعون ما يقول رسول الله؟! فقلت: إنكن صواحبات يوسف إذا مرض رسول الله (ص) عصرتن أعينكن، وإذا صح ركبتن رقبتن. فقال رسول الله: دعوهن فإنهن خير منكم!) انتهى.

ومعنى هذا أن الأمة برفضها كتاب التأمين النبوي من الضلال، قد وضعت نفسها في معرض أنواع الضلال، بل دخلت في أول نوع منها!

**

٣ - قانون الإضلال

ومنطق هذا القانون: أنه يوجد نوع من الضالين يشكلون خطرا على السالكين في الطريق المستقيم، وخطرا إضافيا على الضالين التائهين، لذلك وضع الله قانونا إضافيا يجزيهم بإضلالهم، لمنع خطرهم أو الحد منه، أو لمساعدة أهل الطريق المستقيم عليهم، أو لامتحان الناس بهم.. وغيرها من الحكم التي يعلمها سبحانه. وقانون الإضلال أيضا أقسام، فمنه قانون الإضلال العام، ويشمل أعمال الكافرين والمنافقين. ومنه قوانين إضلال خاصة ببعض أعمالهم، أو بأعمال بعض أصنافهم، وقد نصت عليها آيات القرآن، وخلاصتها ما يلي:

إضلال الكافرين وإضلال أعمالهم: (سورة محمد: ١ و ٨ والفرقان: ٤٤، والجمعة: ٢٣)

إضلال المنافقين: (النساء: ١٤٣، والنساء: ٨٨)

إضلال الظالمين: (نوح: ٢٤، وإبراهيم: ٢٧)

إضلال الفاسقين: (البقرة: ٢٦)

إضلال المسرفين المرتابين: (غافر: ٣٢ - ٣٤)

الذين حقت عليهم الضلالة: (النحل: ٣٦، والأعراف: ٣٠، ومريم: ٧٥ - ٧٦)

إضلال أعمال الكافرين والمنافقين في الدنيا: (الرعد: ٣٣ - ٣٤، والأنعام: ١٠٨،

وآيات تزيين أعمال بعض الفئات الضالة من الكافرين والمنافقين والمجرمين).

إضلال أعمالهم عن بلوغ أهدافها النهائية: (النور: ٣٩ - ٤٠، وإبراهيم: ١٨)

لا هادي لمن أضله الله ولا ناصر: (الإسراء: ٩٧، والأعراف: ١٧٧ - ١٧٨، والزمر: ٢٣)

٤ - قانون الإحباط

العمل المحبط هو العمل الذي يتراكم فيفسد ولا يؤدي إلى نتيجته المطلوبة ويضر بصاحبه. واسمه مأخوذ من (الحبط) وهو حالة تصيب الدابة التي تكثر الأكل فيفسد في معدتها وينتفخ بطنها وتصاب بالإمساك. وفي الحديث النبوي (إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً أو يلم). فالإضلال يأخذ العمل من زاوية سيره وضلاله عن إصابة الهدف، والإحباط من زاوية تراكمه المفسد له، والبطلان من زاوية نتيجته التي تتلاشى. وقد يجتمع الإضلال والإحباط والبطلان في عمل واحد، وقد ينفرد بعضها. وهذه أهم أقسام الإحباط في القرآن:

إحباط عمل المرتدين: (البقرة: ٢١٧).

إحباط عمل قتلة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام والأميرين بالقسط: (آل عمران: ١٢ - ٢٢)

إحباط عمل المنافقين والمنافقات: (التوبة: ٦٨ - ٦٩، والأحزاب: ١٨ - ١٩، ومحمد: ٢٧ - ٢٨)

إحباط عمل مرضى القلوب المرتبطين بالكفار: (المائدة: ٥١ - ٥٣)

إحباط عمل أنواع من المتكبرين والكافرين والمشركين: (الأعراف: ١٤، وهود: ١٥ - ١٦، ومحمد: ٣١ - ٣٣، والتوبة: ١٧ - ١٨، والكهف: ١٠٣ - ١٠٥، والأعراف: ١٤٦ - ١٤٧، المائدة: ٥)

تحذير الأنبياء من إحباط أعمالهم: الأنعام: ٨٣ - ٨٨، و (الزمر: ٦٥) البداوة في التعامل مع المعصومين تحبط العمل: (الحجرات: ٢ - ٣).

ومن الواضح أن قانون إحباط الأعمال بقي جارياً في الأمة بعد النبي صلى الله عليه وآله، وأن شرط كل أعمالهم التي مدحهم القرآن لأجلها أن لا يشملها قانون الإحباط! **

٥ - قانون الفتنة الفردية والاجتماعية

منطق هذا القانون: أن الإنسان مخلوق لا يمكن أن يتكامل إلا بالصراع في داخل نفسه بين الخير والشر، والفجور والتقوى. فعناصر الخير والشر ضرورة لحياته، لأنها الجو الوحيد الذي يتم فيه صهر جوهر النفس البشرية لتتفق كوامنها وتخرج على حقيقتها! وكلما كانت هذه العناصر أكثر وأقوى، كان صهرها للنفس أشد، وكانت الصفات الإنسانية التي تنتج عنها أعلى وأجود! ولذلك قال الله تعالى: (ألم. أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون. ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين). (العنكبوت: ٢ - ٣).

وفي حديث الإمام الرضا عليه السلام في الكافي: ١ / ٣٧٠: عن معمر بن خلاد قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: ألم. أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، ثم قال لي: ما الفتنة؟ قلت: جعلت فداك الذي عندنا الفتنة في الدين، فقال: يفتنون كما يفتن الذهب! ثم قال: يخلصون كما يخلص الذهب!

وفي لسان العرب: ١٣ / ٣١٧: (معنى الفتنة الابتلاء والامتحان والاختبار، وأصلها مأخوذ من قولك فتنت الفضة والذهب إذا أذبتهما بالنار لتمييز الرديء من الجيد، وفي الصحاح: إذا أدخلته النار لتنظر ما جودته، ودينار مفتون. والفتن: الإحراق، ومن هذا قوله عز وجل: يوم هم على النار يفتنون، أي يحرقون بالنار. ويسمى الصائغ الفتان، وكذلك الشيطان، ومن هذا قيل للحجارة السود التي كأنها أحرقت بالنار: الفتين). والفتنة في القرآن متنوعة، سواء في مادة الفتنة، وفي المبتلين بها، وفي آثارها.. ونكتفي بإيراد الآيات في أهم أنواعها التي تتصل بالأمة:

لا بد من فتنة الأمة الإسلامية بعد نبينا صلى الله عليه وآله: (العنكبوت: ٣)
المنافقون أسرع الناس إلى الفتنة: (الأحزاب: ١٣ - ١٤).
فتنة الذين لا يطيعون النبي صلى الله عليه وآله: (النور: ٦٣)

صهر شخصية نبي الله موسى عليه السلام بالفتنة: (طه: ٤٠).
فتنة الناس بأن الأنبياء والأوصياء عليهم السلام من نوعهم: (الفرقان: ٢٠).
المتشابه في القرآن فتنة، وأهل الزيغ يتبعون ما تشابه منه: (آل عمران: ٧ - ٨)
من المؤمنين فئة مرتبطة باليهود تستحق الإضلال والفتنة: (المائدة: ٤١ - ٤٢)
تمييز المسلمين بين الكفار في الولاء فتنة: (الأنفال: ٢٧ - ٧٣)
الفتنة بجعل الناس فئات وطبقات: (الأنعام: ٥٢ - ٥٣)
تحذير المسلمين من الفتنة: (الأنفال: ٢٤ - ٢٨)
الفتنة السنوية للمنافقين والذين في قلوبهم مرض: (التوبة: ١٢٤ - ١٢٦)
مكانة المؤمنين الذين تعرضوا للفتنة: (النحل: ١١٠)
بعض الأزواج والأولاد فتنة: (التغابن: ١٤ - ١٥)
النعمة فتنة: (الجن: ١٦ - ١٧)
فتنة الأمة بعد نبيها بالشجرة الملعونة: (الإسراء: ٦٠).
وسياتي ذكرها مع الأئمة المضلين في الفتن الخاصة في الأمة.
**

٦ - قانون الابتلاء والاختبار

الابتلاء هو الاختبار، وهو يعني جعل الله تعالى للإنسان تكويناً أو تشريعاً، في وضع أو تكليف فيه نوع من المشقة العملية أو النفسية، الظاهرة أو الخفية.

وهو عرفاً ضد العافية والسلامة، لكنهما قد يكونان منه. وهو أعم من الفتنة مطلقاً، إذ قد يكون الابتلاء بالضراء والسراء: (النمل: ٤٠، والأعراف: ١٦٨).

وهو أقسام كثيرة أيضاً، فمنه الابتلاء بالمرض والفقر والموت والناس، وبالحالات النفسية. ومنه ابتلاء فردي واجتماعي.. الخ. وبما أن الفتنة نوع منه، فكل آيات الفتنة تعني الابتلاء والاختبار. وهذه أهم آيات ابتلاء الأمة:

الوعد الإلهي للأمة بالابتلاء والفتنة: (البقرة: ١٥٥، وآل عمران: ١٨٦).
ابتلاء الأمة بما آتاه الله تعالى: (المائدة: ٤٨).

لا بد أن يبلو الله المؤمنين ويبلو أخبارهم: (محمد: ٢٩ - ٣١).
وهذه بعض أحاديث فتنة الأمة وابتلائها:

في الكافي: ٢ / ٥٢، عن فضيل بن يسار، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأوصياء، ثم الأمثال فالأمثال).

وفي حلية الأولياء: ٥ / ١١٩، بسنده عن أبي عبيدة بن الجراح، عن عمر بن الخطاب

قال: أخذ رسول الله (ص) بلحيتي وأنا أعرف الحزن في وجهه فقال: إنا لله وإنا إليه

راجعون! أتاني جبريل أنفاً فقال لي: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقلت: أجل إنا لله وإنا

إليه راجعون، فمم ذاك يا جبريل؟ فقال: إن أمتك مفتتنة بعدك بقليل من دهر غير كثير!

فقلت فتنة كفر أو فتنة ضلالة؟ فقال: كل سيكون! فقلت: ومن أين وأنا تارك فيهم

كتاب الله؟ قال: فبكتاب الله يفتنون وذلك من قبل أمرائهم وقرائهم، يمنع الناس الأمراء

الحقوق فيظلمون حقوقهم ولا يعطونها فيقتتلون ويفتنون، ويتبع

القراء أهواء الأمراء فيمدونهم في الغي ثم لا يقصرون! فقلت كيف يسلم من سلم منهم؟ قال بالكف والصبر، إن أعطوا الذي لهم أخذوه وإن منعوه تركوه). انتهى. ورواه الحكيم الترمذي، والسيوطي في الدر المنثور: ٣ / ٥٥، وفي نصهما: أتاني رسول الله وأنا أعرف الحزن في وجهه، فأخذ بلحيتي فقال إنا لله وإنا إليه راجعون.. الخ). انتهى. وفيه دلالات بليغة، ولا يتسع المجال لشرحه!
**

٧ - سنة الله في اقتتال الأمم بعد رسلها عليهم السلام
(تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات، وآتينا
عيسى ابن مريم البيئات وأيدناه بروح القدس، ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من
بعد ما جاءتهم البيئات، ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر، ولو شاء الله ما
اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد). (البقرة: ٢٥٣) والآية صريحة في أن السنة الإلهية
جارية في اختلاف الأمم بعد الرسل عليهم السلام إلى عيسى عليه السلام وإلى نبينا
صلى الله عليه وآله وأن سببها بعض صحابة الرسول الذين يبغون على أهل الحق
ويظلمونهم عن علم وعمد، طمعا في السلطة، فتنقسم الأمة إلى مؤمن وكافر، بالمعنى
الأعم للإيمان والكفر!

في الكافي: ٨ / ٢٧٠: (عن عمرو بن أبي المقدام، عن أبيه قال: قلت لأبي جعفر عليه
السلام: إن العامة يزعمون أن بيعة أبي بكر حيث اجتمع الناس كانت رضا لله جل
ذكره، وما كان الله ليفتن أمة محمد صلى الله عليه وآله من بعده؟
فقال أبو جعفر عليه السلام: أو ما يقرؤون كتاب الله أو ليس الله يقول: (وما محمد إلا
رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على
عقبه فلن يضرب الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين)؟

قال: فقلت له: إنهم يفسرون على وجه آخر. فقال: أوليس قد أخبر الله عز وجل عن
الذين من قبلهم من الأمم أنهم قد اختلفوا من بعدما جاءتهم البيئات، حيث قال: وآتينا
عيسى ابن مريم البيئات وأيدناه بروح القدس، ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من
بعد ما جاءتهم البيئات، ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر، ولو شاء الله ما
اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد).

وقال الكليني تعليقا عليه: (وفي هذا ما يستدل له على أن أصحاب محمد صلى الله عليه
وآله قد اختلفوا من بعده، فمنهم من آمن ومنهم من كفر). انتهى.

وبهذا تستطيع أن تفسر الحديث الصحيح عن أهل البيت عليهم السلام: (ارتد الناس إلا ثلاثة)! ففي الكافي: ٢ / ٢٤٤، عن حمran بن أعين قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك ما أقلنا، لو اجتمعنا على شاة ما أفيناها! فقال: ألا أحدثك بأعجب من ذلك، المهاجرون والأنصار ذهبوا إلا - وأشار بيده - ثلاثة! قال حمran: فقلت: جعلت فداك ما حال عمار؟ قال: رحم الله عمارا أبا اليقظان، بايع وقتل شهيدا، فقلت: في نفسي ما شيء أفضل من الشهادة! فنظر إلي فقال: لعلك ترى أنه مثل الثلاثة! أيها أهيات! انتهي.

والكفر هنا ليس بمعنى الحكم بخروجهم عن الملة، لأن أمير المؤمنين عليه السلام الذي استشهد بهذه الآية واستحل بها قتال البغاة، عاملهم معاملة المسلمين.

**

٨ - آية انقلاب الأمة على أعقابها بعد رسولها صلى الله عليه وآله!
قال الله تعالى في سورة آل عمران صلوات الله على نبينا وآله وعليهم: (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَم الصَّابِرِينَ. وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمْنُونَ الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون.
وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين). (آل عمران: ١٤٣ - ١٤٤).

وهاتان آيتان من أربعين آية نزلت في معركة أحد (آل عمران ١٣٩ - ١٧٩) يوم افتضح الصحابة وهربوا! بعضهم عدوا متسلقين جبل أحد، وبعضهم ركضا إلى المدينة! تاركين النبي صلى الله عليه وآله لسيوف قريش ورماحها! ولم يثبت معه صلى الله عليه وآله إلا علي عليه السلام وأبو دجانة الأنصاري، ونسيبة بنت كعب! ثم اشتد الوطيس فاستشهد أبو دجانة رحمه الله وجرحت نسيبة، فلم يبق معه إلا علي عليه السلام وحده!

وفي ذلك الوقت العصيب جاءت فاطمة الزهراء عليها السلام من المدينة راكضة إلى المعركة كالصقر المنقض، تواسي رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسها، وتضمد جراحه!

واغتنمت قريش فرصة فرار الصحابة! فركزت حملاتها لقتل النبي صلى الله عليه وآله، وعلي عليه السلام يردها الواحدة تلو الأخرى! وقد قاتل النبي صلى الله عليه وآله في أول الأمر قتالا شديدا، رميا بالقوس وضربا بالسيف وطعنا بالرمح، ثم عمل بأمر ربه فانتهى (إلى صخرة فاستتر بها ليتقي بها من السهام المشركين، فلم يلبث أبو دجانة إلا يسيرا حتى أثنخ جراحة فتحامل حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فجلس إلى جنبه وهو مثخن لا حراك به. وعلي لا يبارز فارسا ولا راجلا إلا قتله الله على يديه حتى انقطع سيفه) (البحار: ٢٠ / ١٠٤، عن تفسير فرات). فأعطاه رسول الله ذا الفقار، وكانت تأتي الحملة وأمامها فوج الرماح، أو

الفرسان، فيحمل عليهم علي عليه السلام ويشق صفوفهم ويقتل قائدهم فينهزمون، ثم تعود كتيبة أخرى بقائد جديد وطمع جديد أن يقتلوا محمدا وعلياً!
كان جيش المسلمين في معركة أحد نحو ألف مقاتل، والمشركون نحو ثلاثة آلاف، وقد انتصر المسلمون أول الأمر، لكنهم عصوا النبي صلى الله عليه وآله وتركوا مواضعهم وركضوا ليجمعوا الغنائم، فاغتنم الفرصة خالد بن الوليد وباغت المسلمين فالتف عليهم من خلفهم، وحمل ابن قميئة على النبي صلى الله عليه وآله ووصل إليه بضربة خفيفة فتخيل أنه قتله، وصاح المشركون وإبليسهم: قتل محمد! فانهزم الصحابة وصدقوا الخبر! وظهر نفاق بعضهم فنادى: ألا إن محمدا قد قتل فارجعوا إلى دينكم الأول! واجتمع الفارون على الجبل عند صخرة، وقرروا أن يوسطوا رئيس المنافقين في المدينة، فيأخذ لهم الأمان من أبي سفيان!
وقد حاول علي عليه السلام أن يردهم قبل صعودهم الجبل لكن دون فائدة، فوبخهم! قال أبو واثلة يصف توبيخ علي عليه السلام للفارين كما في تفسير القمي: ١ / ١١٤:
(فأريت عليا كالليث يتقي الدر، وإذا قد حمل كفا من حصي فرمى به في وجوهنا ثم قال: شأهت الوجوه وقطت وبطت ولطت، إلى أين تفرون إلى النار؟! فلم نرجع ثم كر علينا الثانية ويده صفيحة يقطر منها الموت فقال: بايعتم ثم نكثتم، فوالله لأنتم أولى بالقتل ممن قتل (أقتل)! فنظرت إلى عينيه كأنهما سليطان يتوقدان نارا أو كالقدحين المملوين دما، فما ظننت إلا ويأتي علينا كلنا، فبادرت أنا إليه من بين أصحابي فقلت: يا أبا الحسن، الله الله، فإن العرب تكرر وتفر وإن الكرة تنفي الفرقة، فكأنه استحيا فولى بوجهه عني، فما زلت أسكن روعة فؤادي، فوالله ما خرج ذلك الرعب من قلبي حتى الساعة. ونظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى رجل من كبار المهاجرين قد ألقى ترسه خلف ظهره وهو في الهزيمة، فناداه: يا صاحب

الترس ألق ترسك ومر إلى النار! فرمى بترسه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا نسيبة خذي الترس فأخذت الترس وكانت تقاتل المشركين، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمقام نسيبة أفضل من مقام فلان وفلان! وسمعوا مناديا ينادي من السماء: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي، فنزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: هذه والله المواساة يا محمد! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لأني منه وهو مني. وقال جبرئيل: وأنا منكما). انتهى. *

ونلاحظ في أحاديث أحد كثرة الكذب من رواة الخلافة، للدفاع عنمن يحبونهم من الهاريين، وتعسفهم في إثبات مناقب مكذوبة لهم! من ذلك: أنهم ادعوا أن عمر هو الذي أجاب أبا سفيان بعد المعركة، عندما افتخر أبو سفيان بهزيمة المسلمين وقال: أعل هبل! مع أن المعركة جرت في وادي أحد، وكان أبو سفيان في أدنى الجبل قرب المعركة، أما عمر فكان باعترافه بعيدا يتسلق الجبل وينزو كالأروى أو الأروية، أي العنزة الجبلية! (تاج العروس: ١٠ / ١٥٩)! وقد وصفهم الله تعالى بقوله: إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم، فاستعمل فعل أصعد الرباعي، الذي يدل على الإبعاد في الصعود! فكيف سمع عمر كلام أبي سفيان، وصار ناطقا باسم الإسلام والنبى صلى الله عليه وآله، وقد كان فارا لا يلوي على شئ، ولا يسمع كلام النبي صلى الله عليه وآله وهو يناديه ويأمره بالرجوع! وقد صحت عندهم الرواية أنه كان من المصدقين بقتل النبي صلى الله عليه وآله، وكان يتشاور مع طلحة وأبي بكر وغيرهم من القرشيين كيف يقنعون أبا سفيان بتوبتهم من الإسلام ورجوعهم إلى دينهم الأول! أما الذي أجاب أبا سفيان فكان عليا عليه السلام وليس عمر: (فقال أبو سفيان وهو على الجبل: أعل هبل! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام قل له: الله أعلى وأجل).

فقال: يا علي إنه قد أنعم علينا! فقال علي عليه السلام: بل الله أنعم علينا. ثم قال أبو سفيان: يا علي أسألك بالللات والعزى هل قتل محمدا؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: لعنك الله ولعن الله اللات والعزى معك! والله ما قتل محمد صلى الله عليه وآله وهو يسمع كلامك! فقال: أنت أصدق، لعن الله ابن قميئه زعم أنه قتل محمدا! (تفسير علي بن إبراهيم: ١ / ١١٧).

ويرد روايتهم أيضا، ما رواه البخاري عن مداواة فاطمة عليها السلام لجرح النبي صلى الله عليه وآله وأن عمر وحزبه كانوا غائبين عن مكان النبي صلى الله عليه وآله!

* *

ومن ذلك: ما ادعته عائشة لابن عمها طلحة التيمي، أنه ثبت مع النبي صلى الله عليه وآله ودافع عنه ولم يهرب، وأنه أصيب ببضعة وستين جراحة، كما أصيب علي عليه السلام!

راجع ابن كثير في النهاية: ٤ / ٣٣! مع أن طلحة كان في الفارين ولم يرجع لا هو ولا أبو بكر ولا عمر لأنهم لم يحضروا صلاة النبي صلى الله عليه وآله على شهداء أحد! وقد بلغ بهم الغلو في الدفاع عن الفارين أنهم اتهموا رسول الله صلى الله عليه وآله بأنه فر معهم! ففي صحيح ابن حبان: ١٥ / ٤٣٦: (عن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: خرجنا مع رسول الله (ص) مصعدين في أحد، فذهب رسول الله (ص) على ظهره لينهض على صخرة فلم يستطع، فبرك طلحة بن عبيد الله تحته فصعد رسول الله (ص) على ظهره حتى جلس على الصخرة! قال الزبير فسمعت رسول الله (ص) يقول: أوجب طلحة). انتهى. أي استحق طلحة الجنة، لأنه ساعد النبي صلى الله عليه وآله في فراره معهم بزعمهم!

وفي رواية البخاري في تاريخه: ٨ / ١٦٢ (وتبطنه طلحة يومئذ فحملة)! وذكر المقرئ في إمتاع الأسماع: ١ / ١٦٩: أن النبي صلى الله عليه وآله كان بديننا وقد لبس يومها درعين! (وقد حملة طلحة حين انتهى إلى الصخرة حتى ارتفع عليها)! وقال البخاري: ٤ / ٢١٢: (رأيت يد طلحة التي وقى بها النبي (ص) قد شلت)!!

وبهذا اخترعت مصادر الخلافة قضية اسمها: أوجب طلحة الجنة! (راجع من باب
المثال: مسند أحمد: ١ / ١٦٥، والترمذي: ٣ / ١١٩، و: ٥ / ٣٠٧، والحاكم: ٣ /
٢٥)!!

وكل ذلك مناقض لما رووه أنفسهم وصححوه عن أنس بن النضر أنه (انتهى إلى عمر
وطلحة في رجال من المهاجرين قد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يحبسكم. قالوا: قتل النبي!
قال: فما تصنعون بالحياة بعده)؟! (النهاية: ٤ / ٣٩، وغيرها)!

وما رووه في صمود النبي صلى الله عليه وآله في ساحة المعركة، كما في سيرة ابن
هشام: ٣ / ٣٧٠، و ٦٠٣ عن ابن عباس (قال: إن رسول الله (ص) لم يبلغ الدرجة
المبنية في الشعب). انتهى. والدرجة تقع في آخر الوادي للصاعد إلى الجبل!!
فالنبي صلى الله عليه وآله لم يترك موضعه في ساحة المعركة في وادي أحد قرب
المهراس، ولا صعد على صخرة ولا شجرة! والصحابة هم الذين فروا مصعدين في
الجبل كما وصفهم الله تعالى، أو هارين إلى المدينة!

قال الإمام الصادق عليه السلام: (فلما دنت فاطمة عليها السلام من رسول الله صلى الله
عليه وآله ورأته قد شج في وجهه وأدمي فوه إدماء، صاحت وجعلت تمسح الدم
وتقول: اشتد غضب الله على من أدمي وجه رسول الله! وكان رسول الله يتناول في
يده ما يسيل من الدم فيرميه في الهواء فلا يتراجع منه شيء!)

قال الصادق عليه السلام: والله لو سقط منه شيء على الأرض لنزل العذاب.
قال أبان بن عثمان: حدثني بذلك عنه الصباح بن سيابة، قال قلت: كسرت رباعيته
كما يقوله هؤلاء؟ قال: لا والله ما قبضه الله إلا سليما، ولكنه شج في وجهه. قلت:
فالغار في أحد الذي يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله صار إليه؟ قال: والله ما
برح مكانه، وقيل له: ألا تدعو عليهم؟ قال: اللهم اهد قومي). انتهى. (إعلام الوري: ١ /
١٧٩، والبحار: ٢٠ / ٩٦).

من جهة أخرى، حاول رواة قريش طمس دور علي عليه السلام في أحد، فلم يشيدوا

بمجيء فاطمة الزهراء عليها السلام إلى المعركة! ويظهر ذلك من تتبع نصوصهم ومقارنتها بما روته مصادر أهل البيت عليهم السلام. قال البخاري: ٣ / ٢٢٧: (لما كسرت بيضة النبي (ص) على رأسه، وأدمي وجهه وكسرت رباعيته، كان علي يختلف بالماء في المجن، وكانت فاطمة تغسله، فلما رأت الدم يزيد على الماء كثرة عمدت إلى حصير فأحرقتها، وألصقتها على جرحه (يعني رمادها) فرقأ الدم). انتهى.

فغاية ما ذكره عن مجيء فاطمة عليها السلام كيف غسلت جرح النبي صلى الله عليه وآله في وجهه وداوته، لكن في حدود ما سمح به البخاري فقط!

قال القمي في تفسيره: ١ / ١٢٤: (وخرجت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله تعذو على قدميها، حتى وافت رسول الله صلى الله عليه وآله وقعدت بين يديه، فكان إذا بكى رسول الله صلى الله عليه وآله بكى لبكائه وإذا انتحب انتحبت، ونادى أبو سفيان موعدا وموعداكم في عام قابل فتقبل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي المؤمنين عليه السلام قل: نعم). انتهى.

وينبغي الإشارة إلى أن بكاء النبي صلى الله عليه وآله آنذاك كان حبا وشكرا لفاطمة عليها السلام وكان بكاؤها أثرا لوحدة النبي صلى الله عليه وآله وجراحه!

أما علي عليه السلام فقد غمطوه حقه، بل لم يسلم من ذمهم! فقد زعموا أنه أعطى سيفه إلى فاطمة عليهما السلام لتغسله من الدم مفتخرا بنفسه، فوبخه النبي صلى الله عليه وآله وقال له لست أحسن من غيرك! وروى بعضهم أنه أعطها سيفه في أحد فاعترف أن فاطمة كانت هناك، وبعضهم زعم أنه أعطها إياه عندما رجع إلى المدينة!

**

ثلاث مسائل في تفسير آية الانقلاب
المسألة الأولى: في أقسام المسلمين في الآيات وأهم صفاتهم
القسم الأول: الطيبون، المجاهدون، المقاتلون، الثابتون، المحسنون، الربيون، الذين هم
الأعلون، لا يهنون ولا يحزنون.

والقسم الثاني: المنافقون، الذين تخلفوا عن المعركة بقيادة عبد الله بن سلول. (الذين
قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا....)

والقسم الثالث: المؤمنون أصحاب الذنوب، الذين استزلهم الشيطان ببعض ذنوبهم
فهربوا وتركوا النبي صلى الله عليه وآله لسيوف قريش! (إن الذين تولوا منكم يوم التقى
الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور
حلِيم).

وهؤلاء قسمان: فطائفة منهم مؤمنون حقيقيون، لكنهم ضعفوا وارتكبوا معصية الفرار
بسبب ذنوبهم، ثم وفق الله الكثير منهم للتوبة من فرارهم، وهم الذين أصابهم الغم من
عملهم، وأنزل الله عليهم النعاس رحمة بهم: (إذ تصعدون ولا تلوون على أحد
والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غما بغم لكي لا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما
أصابكم والله خبير بما تعملون. ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة نعاسا يغشى طائفة
منكم. وطائفة قد أهمتهم أنفسهم....)

والقسم الرابع: طائفة الفارين المنافقين الذين لم يگتموا لفرارهم، ولم ينزل الله عليهم
النعاس: (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا
من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو
كان لنا من الأمر شيء ما قتلناها هنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم
القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله

عليهم بذات الصدور). وهؤلاء هم المعنيون بأية الانقلاب، وقد ذكر الله تعالى لهم خمس صفات وهي غير الصفات السلبية التي تفهم من مقارنتهم بالمؤمنين:

١ - أنهم طائفة مستقلة في مقابل طائفة المؤمنين، وإن اشتركوا معهم في الفرار.

٢ - أن ظنهم بالله تعالى ظن جاهلي، لأن نظرهم إلى الله تعالى وعقيدتهم به ما زالت جاهلية، أو أقرب إلى الجاهلية منها إلى الإسلام، فهم يتعاملون مع الله تعالى بمعادلات النفع الدنيوي، كما يتعامل المشركون مع أصنامهم، وكما يتعامل اليهود مع معبودهم! ولا يعتقدون بهيمنتهم وقدرته وحكمته وإدارته لرسوله صلى الله عليه وآله للوصول به إلى الهدف الصحيح كما يعتقد الرسول صلى الله عليه وآله والمؤمنون!

٣ - أنهم يرون أن قيادتهم هم أفضل من قيادة النبي صلى الله عليه وآله وقيادة الله تعالى، فبمجرد أن رأوا رجحان كفة المشركين في المعركة، أنحوا باللائمة على النبي صلى الله عليه وآله وعلى ربه سبحانه! (يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلناها هنا)

٤ - أنهم منافقون يظهرون للنبي صلى الله عليه وآله أنهم مؤمنون بالله وبرسوله صلى الله عليه وآله، ولكنهم كذابون فهم لا يسلمون بالأمر لله ورسوله، بل يريدون أن يكون الأمر لهم أو تكون لهم شراكة فيه! يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلناها هنا! وقصدهم بقولهم: ما قتلناها هنا، أي ما قتل من قتل من المسلمين في أحد! فهم مع نفاقهم يتكلمون باسم المسلمين!

وكلامهم هذا قد يكون في الجبل أو في الطريق، أو بعد رجوعهم إلى المدينة وفي غياب النبي صلى الله عليه وآله وهو محاولة خبيثة لتحريك المسلمين ضد النبي صلى الله عليه وآله وتحميله مسؤولية هزيمة أحد وقتل من قتل فيها، ومطلبهم أن يكون لهم من الأمر شيء، فلا يتصرف النبي صلى الله عليه وآله في المواجهات القادمة بمفرده، بل تكون القيادة جماعية! وهم في منطقتهم هذا يتناغمون مع منطلق ابن سلول وحزبه

الذين تخلفوا عن أحد، مما يشير إلى أن لهم علاقة معهم!

٥ - أن مشكلتهم عبادة ذواتهم واهتمامهم بها، وعدم الاهتمام بأمر الإسلام والمسلمين! وطائفة قد أهتمهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق... صدقوا شائعة قتل النبي صلى الله عليه وآله واستعدوا لإعلان توبتهم لأبي سفيان! ولا بد أن يكونوا هم الذين ذكرهم المحدثون والمؤرخون بأنهم انقلبوا على أعقابهم، وقرروا أن يعلنوا توبتهم من الإسلام ويرجعوا إلى دينهم الأول، وهو عبادة الأصنام، ولكن الرواة غطوا عليهم فلم يسموهم!

قال الطبري في تفسيره: ٤ / ١٥١: (سمعت الضحاك يقول في قوله: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل.. الآية: ناس من أهل الإرتياب والمرض والنفاق، قالوا يوم فر الناس عن نبي الله (ص) وشج فوق حاجبه وكسرت رباعيته: قتل محمد فالحقوا بدينكم الأول! فذلك قوله: أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم! قال ابن زيد...: ما بينكم وبين أن تدعوا الإسلام وتنقلبوا على أعقابكم، إلا أن يموت محمد أو يقتل، فسوف يكون أحد هذين، فسوف يموت أو يقتل!!)

وقال الرازي في تفسيره: ٩ / ٢٢: (المسألة الثالثة: قوله: انقلبتم على أعقابكم، أي صرتم كفارا بعد إيمانكم، يقال لكل من عاد إلى ما كان عليه: رجع وراءه وانقلب على عقبه، ونكص على عقبيه، وذلك أن المنافقين قالوا لضعفة المسلمين: إن كان محمد قتل فالحقوا بدينكم، فقال بعض الأنصار: إن كان محمد قتل، فإن رب محمد لم يقتل، فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد). انتهى.

لكن الرازي وغيره لم يبينوا متى صدر منهم هذا الكفر، وأين، ومن قاله؟! ولا نجد لكلامهم وقتا إلا بعد هزيمة المسلمين، وقبل انسحاب أبي سفيان عن المدينة، فلم ينقل أحد هذا الكلام إلا عن هذه الطائفة الذين أهتمهم أنفسهم،

ولم يشملهم النعاس، بل آووا في الجبل إلى صخرة، وتشاوروا فيمن يرسلون ليأخذ لهم الأمان من أبي سفيان!

قال الطبري في تاريخه: ٢ / ٢٠١: (وفشا في الناس أن رسول الله (ص) قد قتل، فقال بعض أصحاب الصخرة: ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبي فيأخذ لنا أمانة من أبي سفيان! يا قوم إن محمدا قد قتل فارجعوا إلى قومكم، قبل أن يأتوكم فيقتلوكم! قال أنس ابن النضر: يا قوم إن كان محمد قد قتل فإن رب محمد لم يقتل فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد! اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء! ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل). انتهى صاحوا في أحد داعين إلى الردة والاستسلام!!

وتفاجؤك نصوص خطيرة تنص على أن مجموعة صحابة (مهاجرين) قرشيين، دعوا الناس إلى الردة والكفر علنا، بمجرد أن شاعت شائعة قتل النبي صلى الله عليه وآله! وذلك بعد جولة القتال الأولى، عندما التف المشركون على المسلمين وفاجؤوهم من ورائهم وقتلوا منهم، وأشاعوا أنهم قتلوا النبي صلى الله عليه وآله!

وينص بعضها على أن أحدهم وقف على تل يدعو المنهزمين إلى الرجوع إلى دينهم الأول والتسليم لأبي سفيان قبل أن يأتي القرشيون ويقتلوهم! وأنه عقب كلامه هذا بقوله: (إنهم لعشائرننا وإخواننا)! فمن يكون هذا المنادي إلا رئيس الطائفة الذين قال الله تعالى عنهم: (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق) والناطق الرسمي بإسمهم! فمن هو هذا الصحابي القرشي الصارخ على التل بالدعوة إلى الكفر؟! وهل لقصة أنس بن النضر وبراءته منهم علاقة بالموضوع؟!!

طبيعي أنك لا تنتظر من رواية خلافة قريش أن يبينوا اسمه! لكنك بالتأمل في نصوصهم تعرف من هم الصحابة أبطال هذه القصة الذين رووا أقوالهم بدون

ذكر أسمائهم فقالوا: نادى مناد يوم أحد حين هزم أصحاب محمد: ألا إن محمدا قد قتل، فارجعوا إلى دينكم الأول.. وقالوا: لو أن محمدا كان حيا لم يهزم، ولكنه قد قتل! وقال أناس منهم: لو كان نبيا ما قتل!! قال أهل المرض والارتياب والنفاق حين فر الناس عن النبي (ص): قد قتل محمد، فالحقوا بدينكم الأول!

قال السيوطي في الدر المنثور: ٢ / ٨٠: (وأخرج ابن جرير عن الضحاك قال: نادى مناد يوم أحد حين هزم أصحاب محمد: ألا إن محمدا قد قتل، فارجعوا إلى دينكم الأول، فأنزل الله: وما محمد إلا رسول.. الآية. وأخرج ابن جرير من طريق العوفي، عن ابن عباس أن رسول الله (ص) اعتزل هو وعصابة معه يومئذ على أكمة والناس يفرون، ورجل قائم على الطريق يسألهم ما فعل رسول الله؟ وجعل كلما مروا عليه يسألهم فيقولون: والله ما ندري ما فعل. فقال: والذي نفسي بيده لئن كان قتل النبي لنعطينهم بأيدينا، إنهم لعشائرننا وإخواننا! وقالوا: لو أن محمدا كان نبيا لم يهزم ولكنه قد قتل! فترخصوا في الفرار حينئذ! فأنزل الله: وما محمد إلا رسول.. الآية كلها.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن الربيع في الآية قال: ذلك يوم أحد حين أصابهم من القتل والقرح وتداعوا نبي الله، قالوا قد قتل، وقال أناس منهم لو كان نبيا ما قتل، وقال أناس من علية أصحاب النبي (ص): قاتلوا على ما قاتل عليه نبيكم حتى يفتح الله عليكم أو تلحقوا به. وذكر لنا أن رجلا من المهاجرين مر على رجل من الأنصار وهو يتشحط في دمه فقال: يا فلان أشعرت أن محمدا قد قتل؟ فقال الأنصاري: إن كان محمد قد قتل فقد بلغ، فقاتلوا عن دينكم!

وأخرج ابن جرير، عن ابن جريج قال: قال أهل المرض والارتياب والنفاق حين فر الناس عن النبي (ص): قد قتل محمد، فالحقوا بدينكم الأول! فنزلت هذه الآية: وما محمد إلا رسول.. الآية....).

وفي سيرة ابن هشام: ٣ / ٦٠٠: (قال ابن إسحاق: وحدثني القاسم بن عبد الرحمن

بن رافع، أخو بني عدي بن النجار قال: انتهى أنس بن النضر، عم أنس بن مالك، إلى عمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيد الله، في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قتل رسول الله! قال: فماذا تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله، ثم استقبل القوم، فقاتل حتى قتل). (ورواه ابن كثير في سيرته: ٣ / ٦٨، وكثيرون. راجع أيضا: النهاية: ٤ / ٣٥، وعيون الأثر: ١ / ٤١٧). وهي نصوص صارخة تكفي لمعرفة من هم الصحابة الذين نكصوا على أعقابهم، وصرخ صارخهم يدعو المسلمين إلى الكفر! ووصفهم ابن جريح بأنهم: (أهل المرض والارتياب والنفاق)!

**

المسألة الثانية: الصحابة المنقلبون في معركة الخندق وحجة الوداع
نلاحظ أن صفات المنقلبين في أحد في السنة الثانية للهجرة، بقيت ثابتة لهم في معركة
الأحزاب في السنة الخامسة للهجرة، وكذلك في حجة الوداع في السنة العاشرة
لهجرة! ففي الآية العاشرة حتى السابعة عشرة من سورة الأحزاب تجد وحدة الخيوط
وأقسام المسلمين! فالثابتون المحسنون الربانيون قلة، والضعفاء كثرة، والمنافقون
ناشطون، ولا نقصد بهم حزب ابن سلول، بل المنافقين المهاجرين المخلوطين
بالمؤمنين! فالذين قال الله عنهم في معركة أحد: (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون
بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء!) هم أنفسهم الذين قال
الله عنهم في معركة الأحزاب: (وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون
بالله الظنونا).

ومرضى القلوب في أحد، الذين فروا إلى الجبل وقالوا: (لو كان نبيا ما قتل)!
هم المنافقون الذين قال الله عنهم في سورة الأحزاب: (وإذ يقول المنافقون والذين في
قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا).
والذين قال الله تعالى لهم في أحد: (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد
رأيتموه وأنتم تنظرون).

هم الذين قال الله عنهم هنا: (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان
عهد الله مستولا. أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتمهم ينظرون إليك تدور أعينهم
كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على
الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا).
والذين ثبتوا في أحد فقال الله عنهم: (وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا
لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين).

هم الذين قال الله عنهم هنا: (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا. ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفورا رحيمًا).
ونفس الخيوط والخطوط والشخصيات تجدها في السنة العاشرة للهجرة، في سورة المائدة، سورة حجة الوداع، وهي آخر سورة نزلت من القرآن!
وهذا يدلنا على أن مشكلة الإسلام هي هؤلاء المنافقون، الذين يكمن فيهم الانقلاب على الأعقاب، ومنتظر أن يغمض الرسول صلى الله عليه وآله عينيه!
إن سورة المائدة تتضمن خارطة للأخطار على الأمة، وطريقة معالجتها، ونكتفي منها بآيات تتعلق بآية الانقلاب:

المسارعون في الكفر هم المسارعون في الانقلاب! (المائدة: ٤١)
أنهم عباد أنفسهم وأهوائهم يطمعون بالتأثير على النبي صلى الله عليه وآله: (المائدة: ٤٨)
أن خطر ارتباطهم باليهود والنصارى سيستمر بعد النبي صلى الله عليه وآله: (المائدة: ٥٢).

أن خطر الانقلاب أو خطر الردة ما زال قائما: (المائدة: ٥٤ - ٥٦)
أن عملية تمييز الخبيث من الطيب طويلة الأمد: (المائدة: ٩٩ - ١٠٠)
أن عذاب الصحابة المنقلبين لا يشبهه عذاب أحد من العالمين: (المائدة: ١١١ - ١١٥)
**

المسألة الثالثة: هل أن آية الانقلاب تحذير أم إخبار بوقوعه؟
تقول الآية: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين)؟
وقد يقال: إن الآية ليست أكثر من استفهام إنكاري، فهي جملة شرطية استفهامية، لا تدل على وقوع شرطها وجزائها!
فيقال: نعم هي جملة فرضية، لكن المتكلم هو الله تعالى والفرض منه له دلالة وهو يدل هنا على أن انقلابهم محتمل الوقوع، أما وقوعه بالفعل فقد تكفلت به السنة والتاريخ! على أن في الآية دلالة أكثر من الشرطية في قوله تعالى: (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين)، حيث قسم الأمة بعد النبي صلى الله عليه وآله إلى منقلبين على أعقابهم، وشاكرين على ما أصابهم!
وقد يجاب: إن احتمال الوقوع احتمال عقلي مجرد كاحتمال أن يكفر الأنبياء والرسل عليهم السلام في قوله تعالى: (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين). (الزمر: ٦٥)، فتحذيرات الأنبياء عليهم السلام لا تدل على وقوع الشرط منهم، فكذلك تحذيرات المؤمنين من الردة.
والجواب: أن الدليل الخارجي دل على أن هذا الاحتمال في الأنبياء عليهم السلام لن يتحقق لنبوتهم وعصمتهم، أما في حق غيرهم فيبقى احتمالا عاديا! ولذا لم يكتف بفرضية الانقلاب في الآية، بل قسم الأمة إلى منقلبين على أعقابهم، وشاكرين، وواعد الشاكرين بجزاء جميل!
(ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين).
قد يقال: لو سلمنا أن بعض الصحابة قد انقلب على عقبيه في أحد ودعا إلى

الكفر، فقد كانت فلتة وقى الله المسلمين شرها، والصحابة الذين انقلبوا أو كادوا، تابوا ثم شاركوا في حروب النبي صلى الله عليه وآله، وقد يكونون فروا من معارك أخرى وتابوا أيضا، ولم نسمع أن النبي صلى الله عليه وآله عنفهم، فالملاك حسن العاقبة، وأن النبي صلى الله عليه وآله مات وهو عنهم راض، ولم يخبر أنهم سينقلبون بعد موته ويكفرون!

والجواب: أن وقوع الانقلاب والردة في أحد من بعض الصحابة معلوم برواية أتباعهم، فضلا عن رواياتنا، أما توبتهم منه فلم يروها أحد.

ولا بد أن النبي صلى الله عليه وآله وبخهم بعد أحد، وقال لهم في أنفسهم قولاً بليغاً، حيث لم يصل إلينا كل ما قاله وما فعله النبي صلى الله عليه وآله! والسنة التي سمحت الخلافة القرشية بتدوينها بعد قرن ونصف، لا تغطي إلا القليل من سيرته وأقواله وأفعاله صلى الله عليه وآله!

على أنهم رروا طرفاً من توبيخه صلى الله عليه وآله لبعضهم عندما اعترض عليه عمر في صلح الحديبية، قال السيوطي في الدر المنثور: ٦ / ٦٨: (وأخرج البيهقي عن عروة قال: أقبل رسول الله (ص) من الحديبية راجعاً، فقال رجل من أصحاب رسول الله: والله ما هذا بفتح، لقد صددنا عن البيت، وصد هدينا، وعكف رسول الله بالحديبية، ورد رجلين من المسلمين خرجاً! فبلغ رسول الله (ص) قول رجال من أصحابه إن هذا ليس بفتح فقال: بئس الكلام هذا أعظم الفتح لقد رضي المشركون أن يدفعوكم بالراح عن بلادهم ويسألوكم القضية، ويرغبون إليكم في الإياب، وقد كرهوا منكم ما كرهوا وقد أظفركم الله عليهم وردكم سالمين غانمين مأجورين، فهذا أعظم الفتح! أنسيتم يوم أحد، إذ تصعدون ولا تلوون على أحد وأنا أدعوكم في أخراكم! أنسيتم يوم الأحزاب، إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم، وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنون). انتهى.

ولا شك أن هذا بعض أحداث الحديبية، ومثله ما روي عن أحد والخندق!

وأما القول بأن الملاك حسن العاقبة وأن النبي صلى الله عليه وآله مات وهو راض عنهم.

فجوابه: إن أصح كتاب عند أتباع الصحابة بعد كتاب الله تعالى، هو البخاري وقد روى عدة أحاديث ترسم مشهدا كارثيا للصحابة في الآخرة وأنهم يدخلون جهنم، ويمنعون حتى من مواجهة النبي صلى الله عليه وآله! وأنه ينكشف يومها للناس أنهم كانوا مجرمين كبارا انقلبوا على أعقابهم، وأوقعوا الأمة في أعظم كارثة!

بل روى البخاري أنه لا ينجو منهم من جهنم إلا قلة قليلة، مثل الغنم المنفردة عن القطيع! فقطيع الصحابة هالك، ولا يسلم إلا المعارضون المنفردون عنه!

قال البخاري: ٧ / ٢٠٨: (عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال: بينا أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم، فقلت أين؟ قال إلى النار والله! قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري! ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم! قلت: أين؟ قال: إلى النار والله! قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري! فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم!) انتهى.

وقد صرحت الرواية الآتية للبخاري بأن هؤلاء المطرودين عن الحوض من الصحابة، وفسرها شراحه بالصحابة! فقد روى البخاري: ٢ / ٩٧٥: (يرد على الحوض رجال من أصحابي فيحلّون عنه فأقول يا رب أصحابي! فيقول: فإنه لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أعقابهم القهقري!) وشيها به في: ٨ / ٨٦. و: ٧ / ١٩٥ و ٢٠٧ - ٢١٠ وص ٨٤ و ٨٧ و: ٨ / ٨٦ و ٨٧، ونحوه مسلم: ١ / ١٥٠ و: ٧ / ٦٦ وابن ماجه: ٢ / ١٤٤٠ وأحمد: ٢ / ٢٥ و ٤٠٨ و: ٣ / ٢٨ و: ٥ / ٢١ و ٢٤ و ٥٠ و: ٦ / ١٦، والبيهقي في سننه: ٤ / ١٤، وغيرهم، وفي بعضها تفاصيل مهمة، ذكرنا بعضها في المسألة ٦٩ من كتاب: (ألف سؤال وإشكال على المخالفين).
**

٩ - فتنة هذه الأمة بالأئمة المضلين، على سنن من قبلها!
شهدت عامة المصادر كالبخاري ومسلم أن النبي صلى الله عليه وآله حذر المسلمين
مرارا وتكرارا من الانحراف بعده، وفي نفس الوقت أخبرهم بأن ذلك سيكون، فقال:
(لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا شبرا وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب
تبعتموهم! قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟!).
وقال لهم في مناسبة أخرى: (والذي نفسي بيده لتتبعن سنن الذين من قبلكم، شبرا
بشبر، وذراعا بذراع، وباعا فباعا، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه! قالوا ومن هم
يا رسول الله، أهل الكتاب؟ قال: فمه؟!).
وقال في مناسبة أخرى: (لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي مأخذ الأمم والقرون قبلها
شبرا بشبر وذراعا بذراع، قالوا: يا رسول الله كما فعلت فارس والروم؟ قال: وهل
الناس إلا أولئك؟!). (روت ذلك عامة المصادر كالبخاري: ٩ / ١٢٦ و: ٨ / ١٥١،
ومسلم: ٤ / ٢٠٥٤ عن أبي سعيد الخدري، ونحوه ص ٢٠٥٥، وأحمد: ٢ / ٣٢٧
و ٣٢٥ و ٤٥٠، ونحوه ص ٣٣٦ و ٣٦٧ و ٥٢٧ و: ٣ / ٨٤ و ٩ و ٩٤ و: ٤ /
١٢٥، والرويانى: ح ١٠٨٥ عن سهل بن سعد، والبعوي في المصابيح: ٣ / ٤٥٨،
من صحاحه، عن أبي سعيد، كما في رواية البخاري الثانية، وجامع الأصول: ١٠ /
٤٠٩ ح ٧٤٧٢، و ٧٤٧٣، وجمع الجوامع: ١ / ٩٠٢، والجامع الصغير: ٢ / ٤٠١
ح ٧٢٢٤، وجمع الزوائد: ٧ / ٢٦١، وفيض القدير: ٥ / ٢٦١، ومسنند ابن الجعد
ص ٤٩١، والديباج على مسلم: ٦ / ٣٣ و ٣٤، ومصنف عبد الرزاق: ١١ / ٣٦٩،
وكنز العمال: ١٤ / ٢٠٧).
ورواه في الكنى والأسماء: ٢ / ٣٠ وفيه: عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه
وآله قال: ولتركين سنن من كان قبلكم شبرا حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب
دخلكم، وحتى لو أن أحدهم ضاجع أمه بالطريق لفعلتم!
والحاكم: ١ / ٣٧ و ٤ / ٤٥٥ وصححه وفيه: حتى لو أن أحدهم جامع امرأته
بالطريق لفعلتموه.
ومصنف ابن أبي شيبة: ٨ / ٦٣٤، وفيه: (أنتم أشبه الناس سمنا وهديا ببني إسرائيل
لتسلكن طريقهم حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل). قال عبد الله: إن من البيان سحرا.

وقال في هامشه: القذة ريش السهم، وللسهم ثلاث قذذ متقاربة الواحدة بجانب الأخرى، ويقال حذو القذة بالقذة للشبيئين يستويان ولا يتفاوتان). وفي شرح النووي: ١٦ / ٢١٩: (السنن بفتح السين والنون هو الطريق، والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب: التمثيل بشدة الموافقة لهم).

وفي فتح الباري: ١٣ / ٢٥٥: (قال عياض: الشبر والذراع والطريق ودخول الجحر، تمثيل للاقتداء بهم في كل شئ مما نهى الشرع عنه وذمه.... وقد أخرج الطبراني من حديث المستورد بن شداد رفعه: لا تترك هذه الأمة شيئاً من سنن الأولين حتى تأتية.... وحيث قيل اليهود والنصارى كان هناك قرينة تتعلق بأمر الديانات أصولها وفروعها.... وأخرج ابن أبي خيثمة من طريق مكحول عن أنس، قيل: يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال: إذا ظهر فيكم ما ظهر في بني إسرائيل، إذا ظهر الإدهان في خياركم، والفحش في شراركم، والملك في صغاركم، والفقه في رذالكم). انتهى.

وفي مناسبة أخرى قال النبي صلى الله عليه وآله: (لتنقض عرى الإسلام عروة عروة، كلما نقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، فأولهن نقضا الحكم، وآخرهن الصلاة). (رواه من مصادرنا: الشيخ الطوسي رحمه الله وغيره، قال في الأمالي ص ١٨٦: أخبرنا محمد بن محمد قال: أخبرني أبو محمد الحسن بن محمد العطشي قال: حدثنا أبو علي محمد بن همام الإسكافي قال: حدثنا حمزة بن أبي جمعة الجرجاني الكاتب قال: حدثنا أبو الحارث شريح قال: حدثنا الوليد بن مسلم، عن عبد العزيز بن سليمان، عن سليمان بن حبيب، عن أبي أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وآله. ورواه من مصادرهم: أحمد: ٥ / ٢٥١، والبخاري في تاريخه: ٨ / ٣٣٣ ح ٣٢١٤، وابن حبان: ٨ / ٢٥٣ ح ٦٦٨٠، عن أبي أمامة. والطبراني الكبير: ٨ / ١١٦، والجامع الصغير: ٢ / ٤٠٣ ح ٧٢٣٢، وص ٤٧٣، والحاكم: ٤ / ٩٢، وقال: والإسناد كله صحيح ولم يخرجاه. ومجمع الزوائد: ٧ / ٢٨١، وقال: رواه أحمد والطبراني، ورجالهما رجال الصحيح). وفي هذه الأحاديث نقاط مهمة تعرضنا لها في (ألف سؤال وإشكال) خلاصتها:

أولاً، أن معناها أن النبي صلى الله عليه وآله نعى الأمة إلى نفسها، وأنها ستتحرف بعده، وهي حقيقة مرة وخطيرة لكنها قطعية!
ثانياً، أن مقصوده صلى الله عليه وآله انحراف غالبية الأمة، وليس فئة صغيرة منها، وإلا لقال: ليتبعن فئة من أمتي، أو مارقة من أمتي سنن من كان قبلهم. ولم يصح أن يوجه خطابه إلى جميع الأمة فيقول صلى الله عليه وآله: لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا شبرا... والذي نفسي بيده لتتبعن سنن الذين من قبلكم.. ولتركن سنن من كان قبلكم...

ثالثاً، أن الانحراف الموعود يشمل العقائد والشرائع والسياسة، كما حدث في بني إسرائيل، الذين شمل انحرافهم أصول عقيدتهم بالله تعالى، وطعنهم بأنبيائهم ومخالفتهم لأوصيائهم عليهم السلام واتباعهم لغيرهم! وقد نصت بعض صيغ الأحاديث على الشمول، كقوله صلى الله عليه وآله: لتنقض عرى الإسلام عروة عروة، كلما نقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، فأولهن نقضا الحكم، وآخرهن الصلاة. وسواء أراد بالحكم الخلافة، أو القضاء، فهو يدل على انحراف السلطة الحاكمة.
رابعاً، هذه الأحاديث النبوية تفسر آية الانقلاب على الأعقاب: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين) (آل عمران: ١٤٤)، وأن الشرطية والاستفهام فيها إنذار واستنكار وإخبار! وليس قضية فرضية لن تحدث!
خامساً، أين هو هذا الانحراف في الأمة، إن لم يكن ما تقوله الشيعة؟ فلو سألت بعضهم: هل تحقق ما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله واتبعت الأمة سنن اليهود والنصارى؟! لحاول أن ينفي ذلك ويثبت لك أن الأمة بعد نبينا صلى الله عليه وآله مشت على طريق الهدى، واتبعت خير أصحابه أبا بكر وعمر، وأن الذين ارتدوا قبائل قليلة تم إخضاعهم، وأن الذين انحرفوا هم فئة قليلة من أهل الأهواء والبدع، وهم الرافضة الذين رفضوا خلافة أبي بكر وعمر، وزعموا أن النبي صلى الله عليه وآله أوصى لعلي والعترة عليهم السلام!

ولو قلت له: لو كانت أغلبية الأمة مهتدية لما صح هذه الإطلاق والتعميم في كلام النبي صلى الله عليه وآله، ولكان اللازم أن يقول مثلاً: لتبعن فئة من أمتي، أو مارقة من أمتي سنن من كان قبلها؟!!

إنه لا جواب عندهم على هذا التعميم المبين المتواتر في كلام النبي صلى الله عليه وآله، إلا أن يطعن أحد في صدق النبي صلى الله عليه وآله والعياذ بالله!

سادساً، من أين يبدأ هذا الانحراف الخطير في الأمة؟

والجواب: أن النبي صلى الله عليه وآله حدد مصدر الانحراف وأساس الفتنة بأنه حكام

قريش وأئمتهم المضلون وأغيلمه قريش! ففي مجمع الزوائد: ٥ / ٢٣٩: (وعن ثوبان

قال رسول الله (ص): إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين. رواه أحمد ورجاله

ثقات... وعن سداد بن أوس قال قال رسول الله (ص): إني لا أخاف على أمتي إلا

الأئمة المضلين... رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح... قال قال عمر لكعب: إني

سائلك عن أمر فلا تكتمني. قال: والله ما أكتمك شيئاً أعلمه، قال: ما أخوف ما

تخاف على أمة محمد (ص)؟ قال: أئمة مضلين، قال عمر: صدقت قد أسر إلي

وأعلمنيه رسول الله (ص). رواه أحمد ورجاله ثقات).

وروى أحمد: ٥ / ١٤٥، عن أبي ذر قال: كنت أمشي مع رسول الله (ص) فقال: لغير

الدجال أخوفني على أمتي. قالها ثلاثاً! قال قلت يا رسول الله، ما هذا الذي غير

الدجال أخوفك على أمتك قال: أئمة مضلون! (ورواه أبو يعلى: ١ / ٣٥٩ ح ٤٦٦،

والفردوس: ٣ / ١٣١ ح ٤١٦٣ عن علي).

وفي سنن الترمذي: ٣ / ٣٤٢: (عن ثوبان قال قال رسول الله (ص): إنما أخاف على

أمتي الأئمة المضلين. لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم

حتى يأتي أمر الله. هذا حديث صحيح). وقال في شرحه في تحفة الأحوذى: ٦ /

:٤٠١

(باب ما جاء في الأئمة المضلين: قوله: إنما أخاف على أمتي أئمة مضلين، أي داعين إلى البيع والفسق والفجور.... قوله (هذا حديث صحيح)، وأخرجه مسلم وابن ماجه بدون ذكر إنما أخاف على أمتي أئمة مضلين. وأخرجه أبو داود مطولاً). انتهى. وروى ابن أبي شيبة في المصنف: ١٥ / ١٤٢: (عن علي قال: كنا عند النبي (ص) جلوساً وهو نائم، فذكرنا الدجال فاستيقظ محمراً وجهه فقال: غير الدجال أخوف عليكم عندي من الدجال: أئمة مضلون). انتهى. *

أما من طرق أهل البيت عليهم السلام فقد روى الطوسي في أماليه: ٢ / ١٢٦ حديث ابن أبي شيبة بدون حذف فقال: (عن عبد الله بن يحيى الحضرمي قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وآله وهو نائم ورأسه في حجرني فتذاكرنا الدجال، فاستيقظ النبي محمراً وجهه فقال: غير الدجال أخوف عليكم من الدجال، الأئمة المضلون، وسفك دماء عترتي من بعدي، أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم).

وفي كمال الدين للصدوق ص ٢٨١: (عن سعيد بن غزوان عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله عز وجل اختار من الأيام الجمعة، ومن الشهور شهر رمضان، ومن الليالي ليلة القدر، واختارني على جميع الأنبياء، واختار مني علياً وفضله على جميع الأوصياء، واختار من علي الحسن والحسين، واختار من الحسين الأوصياء من ولده، ينفون عن التنزيل تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل المضلين، تأسعهم قائمهم). انتهى.
ونختم بما رواه في الكافي: ١ / ٦٢، وتفسير العياشي: ١ / ١٤، بسند صحيح عن سليم بن قيس الهلالي، قال قلت لأمير المؤمنين عليه السلام: إني سمعت من سلمان والمقداد وأبي ذر شيئاً

من تفسير القرآن وأحاديث عن نبي الله صلى الله عليه وآله غير ما في أيدي الناس، ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم، ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الأحاديث عن نبي الله صلى الله عليه وآله أنتم تخالفونهم فيها، وتزعمون أن ذلك كله باطل، أفترى الناس يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدين؟ ويفسرون القرآن بأرائهم؟ قال: فأقبل علي فقال:

قد سألت فافهم الجواب. إن في أيدي الناس حقا وباطلا، وصدقا وكذبا، وناسخا ومنسوخا، وعاما وخاصا، ومحكما ومتشابهها، وحفظا ووهما، وقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله على عهده حتى قام خطيبا فقال: أيها الناس قد كثرت علي الكذابة، فمن كذب علي متعمدا فليتبوء مقعده من النار! ثم كذب عليه من بعده! وإنما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس: رجل منافق يظهر الإيمان، متصنع بالإسلام لا يتأثم ولا يتحرج أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدا، فلو علم الناس أنه منافق كذاب لم يقبلوا منه ولم يصدقوه، ولكنهم قالوا هذا قد صحب رسول الله صلى الله عليه وآله وراه وسمع منه، وأخذوا عنه، وهم لا يعرفون حاله، وقد أخبر الله عن المنافقين بما أخبره ووصفهم بما وصفهم فقال عز وجل: وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم. ثم بقوا بعده فتقربوا إلى أئمة الضلالة والدعاة إلى النار بالزور والكذب والبهتان فولوهم الأعمال، وحملوهم على رقاب الناس، وأكلوا بهم الدنيا! وإنما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم الله، فهذا أحد الأربعة.

ورجل سمع من رسول الله شيئا لم يحمله على وجهه ووهم فيه ولم يتعمد كذبا فهو في يده يقول به ويعمل به ويرويه فيقول: أنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله فلو علم المسلمون أنه وهم لم يقبلوه، ولو علم هو أنه وهم لرفضه.

ورجل ثالث سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا أمر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم، أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم، فحفظ منسوخه ولم يحفظ الناسخ، ولو علم أنه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه. وآخر رابع لم يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله، مبغض للكذب خوفا من الله وتعظيما لرسول الله صلى الله عليه وآله، لم ينسه بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به كما سمع لم يزد فيه

ولم ينقص منه، وعلم الناسخ من المنسوخ، فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ فإن أمر النبي صلى الله عليه وآله مثل القرآن ناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه، قد كان يكون من رسول الله صلى الله عليه وآله الكلام له وجهان: كلام عام وكلام خاص مثل القرآن، وقال الله عز وجل في كتابه: وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا. فيشتبه علي من لم يعرف ولم يدر ما عنى الله به ورسوله صلى الله عليه وآله. وليس كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كان يسأله عن الشيء فيفهم! وكان منهم من يسأله ولا يستفهمه حتى أن كانوا ليحبون أن يجيء الأعرابي والطارئ فيسأل رسول الله صلى الله عليه وآله حتى يسمعوا. وقد كنت أدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله كل يوم دخلة وكل ليلة دخلة فيخيلني فيها أدور معه حيث دار، وقد علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري، فربما كان في بيتي يأتيني رسول الله صلى الله عليه وآله أكثر ذلك في بيتي، وكنت إذا دخلت عليه بعض منازل أخلاقي وأقام عني نسائه، فلا يبقى عنده غيري، وإذا أتاني للخلوة معي في منزلي لم تقم عني فاطمة، ولا أحد من بني، وكنت إذا سألته أجنبي، وإذا سكت عنه وفنيت مسألتي ابتدأني، فما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها علي فكتبتها بخطي، وعلمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامها، ودعا الله أن يعطيني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله ولا علما أملاه علي وكتبته منذ دعا الله لي بما دعا، وما ترك شيئاً علمه الله من حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهي كان أو يكون، ولا كتاب منزل على أحد قبله من طاعة أو معصية إلا علمنيه وحفظته، فلم أنس حرفاً واحداً، ثم وضع يده على صدري ودعا الله لي أن يملأ قلبي علماً وفهماً وحكماً ونوراً، فقلت: يا نبي الله بأبي أنت وأمي منذ دعوت الله لي بما دعوت لم أنس شيئاً ولم يفتني شيء لم أكتبه، أفتتخوف علي النسيان فيما بعد؟ فقال: لا، لست أتخوف عليك النسيان والجهل. وقد أخبرني ربي أنه قد استجاب لي فيك وفي شركائك الذين يكونون من بعدك. فقلت: يا رسول الله ومن

شركائي من بعدي؟ قال: الذين قرنهم الله بنفسه وبني. فقال: الأوصياء مني إلى أن يردوا علي الحوض، كلهم هاد مهتد لا يضرهم من خذلهم، هم مع القرآن والقرآن معهم، لا يفارقهم ولا يفارقونه، بهم تنصر أمتي وبهم يمطرون، وبهم يدفع عنهم، وبهم استجاب دعاءهم. فقلت: يا رسول الله سمهم لي فقال: ابني هذا، ووضع يده على رأس الحسن، ثم ابني هذا ووضع يده على رأس الحسين، ثم ابن له يقال له علي، وسيولد في حياتك فقرأه مني السلام، ثم تكلمة اثني عشر من ولد محمد. فقلت له: بأبي أنت وأمي فسمهم لي، فسماهم رجلا رجلا فيهم والله يا أبا بني هلال مهدي أمة محمد صلى الله عليه وآله الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما، والله إني لأعرف من يبایعه بين الركن والمقام وأعرف أسماء آبائهم وقبائلهم). (ورواه النعماني / ٧٥، والطبري الشيعي في المسترشد / ٢٩، والصدوق في كمال الدين: ١ / ٢٨٤، والخصال: ١ / ٢٥٥، والحراني في تحف العقول / ١٩٣، والطبرسي في الإحتجاج: ١ / ٢٦٤، وابن ميثم البحراني في شرح النهج: ٤ / ١٩، والحر العاملي في إثبات الهداة: ١ / ٦٦٤، والمجلسي في البحار: ٢ / ٢٢٨، و: ٣٦ / ٢٧٣ و ٢٧٦، و: ٩ / ٩٨. ويوجد قسم منه في نهج البلاغة، شرح صبحي الصالح، خطبة ٢١٠، وشرح محمد عبده: / ٢١٤. وروى ابن الجوزي قسما منه في تذكرة الخواص ص ١٤٣، مرسلا عن كميل بن زياد).

**

١٠ - فتنة هذه الأمة بالشجرة الملعونة في القرآن
تكشف آية الشجرة الملعونة في القرآن وأحاديثها، قوانين صعبة التعقل في إدارة الله
تعالى للبشر، وحقائق صعبة التحمل عن مستقبل الأمة الإسلامية!
قال الله تعالى: (وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا
كان ذلك في الكتاب مسطورا. وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون
وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا. وإذ قلنا لك إن ربك
أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن
ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا. وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا
إبليس قال اسجد لمن خلقت طينا. قال أرأيتك هذا الذي كرمت على لئن أخرتن إلى
يوم القيامة لاحتنكن ذريته إلا قليلا. قال اذهب فممن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم
جزاء موفورا. واستفز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك
وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا. إن عبادي ليس
لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا). (الإسراء: ٥٨ - ٦٥)
وخلاصة تفسيرها: أن سنة الله تعالى أنه سيهلك الدول والحضارات التي يقيمها البشر
على غير هداه أو يعذبها قبل يوم القيامة، وذلك عندما يأتي الوقت لإقامة دولة العدل
الإلهي. وسيمهل هذه الأمة الآخرة ولن يعاجلها بآيات العقوبة كبعض الأمم السابقة،
وأنها سوف تقيم دولا وحضارة على غير هدى الله، وقد أرى الله تعالى رسوله صلى
الله عليه وآله في منامه دولة الشجرة الملعونة التي ستتسلط على أمته وصور له قادتها
وهم ينزون نزو القروود على منبره ويضلون أمته!
ثم بين أن مشكلة هؤلاء القروود حسدهم للنبي وآله صلى الله عليه وآله فهي مشكلة
أعداء الأنبياء عليهم السلام المزمنة بل مشكلة إبليس مع آدم عليه السلام!

وقد شرح ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فقال: في نهج البلاغة: ١ / ٨٢: (والله ما تنقم منا قريش إلا أن الله اختارنا عليهم، فأدخلناهم في حيزنا، فكانوا كما قال الأول: أدمت لعمرى شربك المحض صابحا* وأكلك بالزبد المقشرة البحرنا ونحن وهبناك العلاء ولم تكن* عليا وحطنا حولك الجرد والسمر).
وقال عليه السلام: (أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا، كذبا وبغيا علينا أن رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرّمهم، وأدخلنا وأخرجهم!
بنا يستعطي الهدى، ويستجلى العمى. إن الأئمة من قريش، غرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاية من غيرهم). (نهج البلاغة: ٢ / ٢٧).
وقال الإمام الباقر عليه السلام: في قوله تعالى: (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما): نحن الناس المحسودون على ما آتانا الله من الإمامة دون خلق الله أجمعين. فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما، يقول: جعلنا منهم الرسل والأنبياء والأئمة، فكيف يقرون به في آل إبراهيم عليه السلام وينكرونه في آل محمد صلى الله عليه وآله؟! وقال الراوي بريد العجلي: قلت: وآتيناهم ملكا عظيما؟ قال: الملك العظيم أن جعل فيهم أئمة من أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم عصى الله، فهو الملك العظيم). (الكافي: ١ / ٢٠٥)

وقد صحت الأحاديث النبوية في مصادر الجميع، في أن الشجرة الملعونة في القرآن هم بنو أمية! وأورد الأميني رحمه الله قسما منها في الغدير: ٨ / ٢٤٨ قال: (وأخرج الطبري والقرطبي وغيرهما من طريق سهل بن سعد قال: رأى رسول الله (ص) بني أمية ينزون على منبره نزو القردة فسأه ذلك! فما استجمع ضاحكا حتى مات، وأنزل الله تعالى: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا. وروى القرطبي والنيسابوري عن ابن عباس: إن الشجرة الملعونة هم بنو أمية. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمرو أن

النبي (ص) قال: رأيت ولد الحكم بن أبي العاص على المنابر كأنهم القردة فأنزل الله: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة. يعني الحكم وولده... الخ. راجع لزيادة المصادر فيما رويناه: تفسير الطبري ١٥ : ٧٧، تاريخ الطبري ١١ : ٦ : ٣٥، مستدرک الحاكم ٤ : ٤٨، تاريخ الخطيب ٨ : ٢٨ وج ٩ : ٤٤، تفسير النيسابوري هامش الطبراني ١٥ : ٥٥، تفسير القرطبي: ١٠ : ٢٨٣، ٢٨٦، النزاع والتخاصم للمقرئ ص ٥٢، أسد الغابة: ٣ / ١٤ من طريق الترمذي، تطهير الجنان لابن حجر هامش الصواعق ص ١٤٨ فقال: رجاله رجال الصحيح إلا واحدا فتنة. الخصائص الكبرى ٢ : ١١٨، الدر المنثور ٤ : ١٩١، كنز العمال ٦ : ٩٠، تفسير الخازن ٣ : ١٧٧، تفسير الشوكاني ٣ : ٢٣٠، ٢٣١، تفسير الآلوسي ١٥ : ١٠٧ وقال: ومعنى جعل ذلك فتنة للناس جعله بلاء لهم ومختبرا، وبذلك فسره ابن المسيب، وكان هذا بالنسبة إلى خلفائهم الذين فعلوا ما فعلوا، وعدلوا عن سنن الحق وما عدلوا وما بعده بالنسبة إلى ما عدا خلفاءهم منهم ممن كان عندهم عاملا وللخبائث عاملا، أو ممن كان أعوانهم كيف ما كان. ويحتمل أن يكون المراد: ما جعلنا خلافتهم وما جعلنا أنفسهم إلا فتنة، وفيه من المبالغة في ذمهم ما فيه، وجعل ضمير نخوفهم على هذا لما كان له أولادا أو شجرة باعتبار أن المراد بها بنو أمية ولعنهم لما صدر منهم من استباحة الدماء المعصومة، والفروج المحصنة، وأخذ الأموال من غير حلها، ومنع الحقوق عن أهلها، وتبديل الأحكام، والحكم بغير ما أنزل الله تبارك وتعالى على نبيه عليه الصلاة والسلام، إلى غير ذلك من القبائح العظام والمخازي الجسام التي لا تكاد تنسى ما دامت الليالي والأيام، وجاء لعنهم في القرآن إما على الخصوص كما زعمته الشيعة، أو على العموم كما نقول فقد قال سبحانه وتعالى: إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة. وقال عز وجل: فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم. أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم.. إلى آيات أخر....

وقوله صلى الله عليه وآله من طريق أبي ذر: إذا بلغت بنو أمية أربعين اتخذوا عباد الله خولا، ومال الله نحلا، وكتاب الله دغلا. وقوله صلى الله عليه وآله من طريق حمران بن جابر اليمامي: ويل لبني أمية، ثلاثا! أخرج ابن مندة كما في الإصابة ١: ٣٥٣، وحكاه عن ابن مندة وأبي نعيم السيوطي في الجامع الكبير، كما في ترتيبه ٦: ٣٩، ٩١.

وقوله صلى الله عليه وآله من طريق أبي ذر: إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله دولا، وعباد الله خولا، ودين الله دغلا. قال حلام بن جفال: فأنكر على أبي ذر فشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إني سمعت رسول الله يقول: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر، وأشهد أن رسول الله (ص) قاله. أخرج الحاكم من عدة طرق وصححه هو والذهبي كما في المستدرک ٤: ٤٨٠! وأخرجه أحمد، وابن عساکر، وأبو يعلى، والطبراني والدارقطني، من طريق أبي سعيد، وأبي ذر، وابن عباس، ومعاوية، وأبي هريرة، كما في كنز العمال ٦ / ٣٩، ٩٠.

وذكر ابن حجر في تطهير الجنان هامش الصواعق ١٤٧ بسند حسن: أن مروان دخل على معاوية في حاجة وقال: إن مؤنتي عظيمة أصبحت أبا عشرة وأخا عشرة وعم عشرة ثم ذهب، فقال معاوية لابن عباس وكان جالسا معه على سريريه: أنشدك بالله يا بن عباس أما تعلم أن رسول الله (ص) قال: إذا بلغ بنو أبي الحكم ثلاثين رجلا اتخذوا آيات الله بينهم دولا، وعباد الله خولا، وكتابه دخلا فإذا بلغوا سبعة وأربعمائة كان هلاكهم أسرع من كذا؟ قال: اللهم، نعم). انتهى.

وقال ابن الأعمش في الفتوح: ٧ / ٨٥، يصف تجهيز عبد الملك بن مروان لحرب عبد الرحمن بن الأشعث لما خرج عليه من كرمان: (ثم نزل عن المنبر ودخل إلى منزله فجعل يعطي الناس ويجهزهم إلى العراق، وبعث إلى خالد بن يزيد بن معاوية فدعاه، وكان خالد بن يزيد علامة بأيام الناس عارفا بكتب الفتن، فقال له: ويحك يا أبا هاشم، هل تتخوف علينا من الرايات السود شيئا، فإننا نجد في

الكتب أن ذهاب ملكنا على أيديهم؟ قال له خالد: وما اسم بلد هذا الرجل الذي خرج عليك يا أمير المؤمنين؟ قال: سجستان، قال خالد: الله أكبر، لا تخف يا أمير المؤمنين ما لم يأتك الأمر من قعر مرو! قال وجعل عبد الملك بن مروان لا ينام الليل من الفكر والغم، وربما هجع ثم يستيقظ كالفرع المرعوب وهو يقول: لقد تركني ابن الأشعث في هجوع!). انتهى.*

١١ - ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا غلب أهل باطلها!

نقرأ في مصادر الشيعة قول النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: (يا علي، ما بعث الله رسولا إلا وأسلم معه قوم طوعا وقوم آخرون كرها، فسلط الله الذين أسلموا كرها على الذين أسلموا طوعا فقتلوهم ليكون أعظم لأجورهم! يا علي، وإنه ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها، وإن الله قضى الفرقة والاختلاف على هذه الأمة، ولو شاء الله لجعلهم على الهدى حتى لا يختلف اثنان من خلقه ولا يتنازع في شئ من أمره، ولا يجحد المفضول ذا الفضل فضله. ولو شاء عجل النقمة فكان منه التغيير حتى يكذب الظالم، ويعلم الحق أين مصيره. ولكن جعل الدنيا دار الأعمال، وجعل الآخرة دار القرار، ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى). (كتاب سليم رحمه الله ص ١٣٧).

ورواه الطبراني في المعجم الأوسط: ٧ / ٣٧٠: (عن موسى بن عبيدة، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص): ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها. لم يرو هذا الحديث عن عبد الله بن دينار إلا موسى بن عبيدة، ولا عن موسى إلا أبو بكر بن عياش، تفرد به منصور بن أبي نويرة). ورواه السيوطي في الجامع الصغير: ٢ / ٤٨١، والهندي في كنز العمال: ١ / ١٨٣.

لكن الهيثمي ضعفه فقال في مجمع الزوائد: ١ / ١٥٧: (رواه الطبراني في الأوسط وفيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف). انتهى.

وضعه الألباني في ضعيف سنن الترمذي ص ١٣٧، قال عن حديث آخر: (هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة. وموسى بن عبيدة يضعف في الحديث من قبل حفظه وهو صدوق. وقد روى عنه شعبة والثوري).

وقال في إرواء الغليل: ٥ / ٢٢٢: (قلت: وعلته موسى بن عبيدة هذا فإنه ضعيف كما جزم الحافظ في التقريب. وقال الذهبي في الضعفاء والمتروكين: ضعفه، وقال أحمد: لا تحل الرواية عنه). انتهى.

ويطل العجب عندما تعرف أن موسى بن عبيدة شيعي، وأنهم اتهموه بالوهم وحرموا الرواية عنه، مع شهادتهم بأنه صدوق! قال في مستدركات علم رجال الحديث: ٨ / ٢١: (موسى بن عبيدة أبو حسان العجلي الكوفي: من أصحاب الصادق عليه السلام، عد مجهولا، وروى عنه صفوان الجمال. تقدم في علقمة بن محمد ما يدل على مدحه وجلالته. وما يفيد حسنه في كفاية الأثر باب ٣ و ١٦، والإكمال باب ٢١). انتهى. ومما يكشف تعصبهم في تضعيفهم لموسى بن عبيدة، أن الذهبي وغيره رووا هذا الحديث عن الشعبي وهو إمام عندهم، ولا عذر لهم بأن الشعبي لم يرفعه، لأنه لا يتكلم من عنده، بل ينقل قاعدة وسنة من سنن التاريخ لا يعرفها إلا نبي! قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: ٤ / ٣١١: (روى عطاء بن السائب، عن الشعبي قال: ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها). ورواه عن الشعبي أيضا في تذكرة الحفاظ: ١ / ٨٧ وذكر مصدره في هامشه: الحلية: ٤ / ٣١٣.

* *

ونظرا إلى خطر هذا الحديث الشريف عليهم لأنه يهدم أساس السقيفة القرشية وخلافتها، فقد حاولوا أن يعارضوه بإثبات عصمة الأمة، وأن الله تعالى ضمن لها أن يغلب فيها أهل الحق على أهل الباطل دائما، وسيأتي أن معاوية أقر بهذا الحديث لكنه استثنى منه أمة النبي صلى الله عليه وآله! ولا يتسع المجال لتفصيله هنا.

* *

الفصل الأول
الموجة الأولى من اضطهاد عترة النبي صلى الله عليه وآله وشيعتهم!

فهرس لموجات الظلم والاضطهاد على أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم! إن معرفة الجذور التاريخية للقضايا الفكرية والعقائدية، تكشف لنا حقيقة الواقع المعاصر في مجتمعاتنا الإسلامية. لذلك نحتاج إلى فهرس لأهم موجات الظلم والاضطهاد التي تعرض لها أهل بيت النبي عليهم السلام وشيعتهم الأبرار. لكن هل يمكن تلخيص تأريخ معارضة امتدت أربعة عشر قرناً في كتاب؟! وكيف نضع يدنا على جذور ظلامه أئمة وطائفة على مدى قرون، كان اضطهادهم برنامجاً ثابتاً لحكومات تفننت في تطويره والمبالغة فيه!*

وكيف نعدد موجات اضطهادهم الكبرى، ونحدد الأصلية منها والفرعية؟ والتاريخ ملئ بها طافح، ناطقة صفحاته بمآسيها وقيمها ونبيلها، حتى صار الشيعي يعني المعارضة والظلمة، وصار الحسين و كربلاء مثلاً عالمياً في ضمير كل الشعوب لظلمة الإنسان! **

اخترت تقسيم تاريخ اضطهاد أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، إلى الأقسام الخمسة عشر التالية، لأنها أشد الموجات التي شنّها علينا المخالفون، ووصل إلينا قسم من تاريخها فيما سلم من مصادرنا، وفيما تضمنته ثانياً مصادرهم.

الموجة الأولى: موجة السقيفة، والهجوم القرشي على أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله!

الموجة الثانية: ثورة قريش على إسلام علي عليه السلام، بقيادة عائشة وطلحة والزبير. الموجة الثالثة: فتنة بني أمية، وهي موجة قتل الإمام علي والإمام الحسن صلى الله عليه وآله وتسلب معاوية على أمة الرسول صلى الله عليه وآله.

الموجة الرابعة: قتل الإمام الحسين عليه السلام، وخطة الأمويين لاستئصال البيت النبوي وشيعتهم، ثم قتل الإمام زين العابدين، والإمام محمد الباقر صلى الله عليه وآله! الموجة الخامسة: موجة المنصور العباسي، أول خليفة عباسي تبنى خط بني أمية ونشر في العامة تقديس أبي بكر وعمر، واضطهد شيعة علي وأبنائه عليهم السلام، وأسس المذاهب ضدهم، وقتل الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

الموجة السادسة: فعاليات هارون الرشيد العباسي، الذي عمل لترسيخ مذهب المنصور، وقتل الإمام الكاظم عليه السلام، وقتل ابنه المأمون الإمام الرضا عليه السلام.

الموجة السابعة: فعاليات المعتصم العباسي والد المتوكل، الذي نقض قرارات أخيه المأمون المعادية لبني أمية، واللين مع أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، وقتل الإمام محمد الجواد عليه السلام.

الموجة الثامنة: فعاليات المتوكل العباسي، الذي تبنى التجسيم لبني أمية ونصبهم بأشد منهم، وخطط لإبادة التشيع والشيعة، وقتل هو ومن بعده الإمام علي الهادي عليه السلام، والإمام الحسن العسكري عليه السلام، وحاولوا قتل الإمام المهدي عليه السلام.

الموجة التاسعة: فعاليات حزب المتوكل الذين عرفوا باسم حنابلة بغداد، في تكفير الشيعة وهدر دمائهم، ومهاجمة مراسمهم في عاشوراء، وقد امتد ذلك من بعد المتوكل إلى حكم السلاجقة!

الموجة العاشرة: فعاليات السلاجقة، في مناصرة مجسمة الحنابلة حزب المتوكل، طيلة حكمهم الذي امتد نحو قرن ونصف.

الموجة الحادية عشرة: فعاليات صلاح الدين الأيوبي، في القضاء على الدولة الفاطمية في مصر وبلاد الشام، وعلى التشيع والشيعة عموماً.
الموجة الثانية عشرة: فعاليات المماليك الشركاسة، في تكريس المذاهب الأربعة واضطهاد الشيعة.

الموجة الثالثة عشرة: فعاليات العثمانيين الأتراك، في محاربة التشيع، وإبادة الشيعة.
الموجة الرابعة عشرة: فعاليات الروس والانكليز والغربيين، ضد الشيعة خاصة.
الموجة الخامسة عشرة: فعاليات أتباع ابن تيمية الجدد، الذين أحيوا حزب المتوكل، ونشروا النصب والتجسيم في المسلمين، وكفروا من خالفهم، وهدروا دمائهم، وخاصة الشيعة، وتبنوا مهاجمة مراسمهم ومشاهد أئمتهم عليهم السلام!
**

وبعض هذه الموجات طويل يمتد قروناً، أو قصير يمتد سنين، لكنني اعتبرت الميزان في وحدة الموجة أن تكون خطة واحدة يبدأ بها شخص أو دولة أو جهة ويتابعها الذين بعده، حتى لو امتدت طويلاً، ما لم تتغير خطتها.

وعلى هذا الأساس اعتبرت الموجة القرشية اثنتين: لأن أولاهما بدأت في عهد النبي صلى الله عليه وآله وكان هدفها غضب الخلافة وعزل أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله. بينما كان هدف الثانية إسقاط حكم علي عليه السلام الذي جاءت به موجة غضب شعبي قادها الصحابة والتابعون ضد ظلم الخليفة القرشي الأموي عثمان. واعتبرت الفتنة الأموية في حكم معاوية ويزيد وبني مروان، موجتين أيضاً، لأن الهدف العملي لمعاوية كان نفس الهدف القرشي، وهو إسقاط حكم علي والعترة عليهم السلام، بينما كان هدف ابنه يزيد اجتثاث البيت النبوي وإبادته وابتدائه شيعته

بالكامل! ثم لم يختلف هذا الهدف عند بني مروان إلا بقدر ما سمحت لهم به الظروف، أو لم تسمح!

ثم اعتبرت أن موجة الظلم العباسي بدأت بالمنصور الدوانيقي، لأن أخاه السفاح كان متسامحا يحمل قدرا من الروح الهاشمية، بينما كان المنصور سفاحا مسرفا في سفك الدماء! وقد ساءه أن يرى المرجعية الفكرية للأمة متمركزة في الأئمة من ذرية الحسين عليه السلام فقرر تأسيس مذهب في مقابلهم وأمر مالك بن أنس أن يكتب له كتابا موطأ ليلزم به المسلمين، وحصر الفتوى بمالك، ومنع أئمة أهل البيت عليهم السلام وفقهاء المدينة أن يفتوا ما دام مالك موجودا، حتى صار قراره مثلا: (لا يفتين أحد ومالك في المدينة)، وقام باضطهاد الإمام جعفر الصادق عليه السلام وقتله، وقتل الكثير من شيعته، وأمر المحدثين والفقهاء والولاة أن لا يرووا شيئا في فضائل علي عليه السلام، ولا شيئا يطعن بأبي بكر وعمر، وأن يفضلوهما علي عليه السلام! ثم ابتدع مدح أبي بكر وعمر في خطبة الجمعة وقال: (والله لأرغمن أنفي وأنوفهم، وأرفع عليهم بني تيم وعدي). (منهاج الكرامة ص ٦٩).

وكان السبب في عمل المنصور هذا أن شركاءهم الحسينيين اتهموهم بسرقة الثورة وثاروا ضدهم وسيطروا على الحجاز واليمن والبصرة، وكاد جيشهم أن يطيح بالمنصور في الكوفة، فانتصر عليهم ونكل بهم وقتلهم وشردهم! ثم اتخذ قراراته غيظا من أبناء علي عليه السلام كلهم، بتغيير الخط الفكري لثورة العباسيين، وإعادة الاعتبار للخلفاء القرشيين، بعد أن قامت الثورة الهاشمية على البراءة منهم، ورفعت في مقابل الأمويين شعار: يا لثارات الحسين عليه السلام، وفي مقابل قريش: الدعوة إلى الرضا من آل محمد. وقد استمرت خطة المنصور في أولاده خلفاء بني العباس، لكن هارون الرشيد اتخذ إجراءات عملية واسعة في اضطهاد

أئمة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم وقام بهدم قبر الحسين عليه السلام، وسجن الإمام الكاظم عليه السلام وقتله، ونكل بالشيعة، فجعلنا عهده موجة ظلم جديدة. ثم جاء بعده المأمون فاتبع سياسة مركبة غريبة، فكان في النظرية قريبا من مذهب أهل البيت عليهم السلام، خاصة في التنزيه ومحاربة التشبيه والتجسيم، ومحاربة النواصب لأهل البيت عليهم السلام المحبين لبني أمية! أما في التطبيق فكان عدوا لدودا لأهل البيت عليهم السلام، فقد أجبر الإمام الرضا عليه السلام على أن يكون ولي عهده، ليسكت بذلك ثورات العلويين، ويغيض بني العباس الذين أيدوا أخاه الأمين في عزله عن ولاية العهد! لكنه بعد انتصاره على أخيه الأمين وقتله، تصالح مع العباسيين وأعاد العاصمة من طوس إلى بغداد وأقدم على سم الإمام الرضا عليه السلام! لذلك اعتبرنا ظلم المأمون للعترة النبوية وشيعتهم امتدادا لسياسة أبيه الرشيد. واعتبرنا أخاه المعتصم بداية موجة جديدة، لأنه نقض قرارات أخيه المأمون وأعاد ظلم أبيه الرشيد، واضطهد الشيعة وقتل الإمام الجواد عليه السلام! واعتبرنا المتوكل بن المعتصم بداية موجة اضطهاد جديدة، لأنه بالغ في نقض مقررات عمه المأمون، وزاد على أبيه المعتصم وجده الرشيد فكون (ميليشيا) عقائدية سياسية لمعاداة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم سماهم أهل الحديث! وقتل الإمام علي الهادي عليه السلام ومنع زيارة الإمام الحسين عليه السلام وقام بهدم قبره! إلى آخر المبررات الموضوعية، التي قسمنا على أساسها اضطهاد أهل البيت الطاهرين عليهم السلام وشيعتهم الأبرار، إلى مراحل أو موجات!

* *

تاريخ البشرية قام على ثقافة الغارة والحق لمن غلب!
لا بد من الاعتراف بأن تاريخ البشرية من عصر أبينا آدم عليه السلام إلى اليوم، مليء
بنقض التعليمات الإلهية والقيم الإنسانية، وأن الخط الحاكم فيه كان وما زال: ثقافة
الغارة والقتل، وقانون: الحق لمن غلب! لافرق في ذلك بين قديم وجديد ولا شرق
وغرب، ولا عرب وعجم، وبدو وحضر!
نعم، يوجد في تاريخ البشرية ظواهر وقيم إنسانية رائعة، تجسدت في شخصيات أو
جماعات، لكنها استثناءات لا عموم لها، والعموم لضدها!
إن تاريخ الأنبياء والأوصياء عليهم السلام وكفاحهم المرير يتلخص فكريا، بأنه صراع
الهدى الإلهي مع الضلال البشري، في النظرة إلى الكون والحياة والإنسان.
ويتلخص عمليا بأنه صراع بين الهدى الإلهي الذي يريد احترام الإنسان وحقوقه، وبين
الطغيان البشري الذي يصر على هدر إنسانيته، والتشبث بثقافة الغارة والقتل وقانون
الغلبة!

وفي تاريخنا الإسلامي تمكن نبينا صلى الله عليه وآله في مدة حكمه القصيرة أن يوقف
سلوكية القتل والغارة، ويفرض بدلها (حرمة دم الإنسان وماله وعرضه، والمعتدي
يعاقب)، وأن يوقف عمليا قانون الجاهلية العالمي (الحق لمن غلب) ويفرض بدله
قانون: (الحق لصاحب الحق، والمعتدي يعاقب). وكان ما حققه صلى الله عليه وآله
إنجازا وإعجازا في مجتمعات قبلية جائعة، تقوم حياتها على الغارة والقتل والغلبة!
ولم يقتصر الإعجاز النبوي في تطبيقه مبادئ حقوق الإنسان في قوله وفعله طوال حياته
الشريفة، بل في اهتمامه الشديد بتوعية المسلمين على احترام هذه المبادئ، وترسيخ
ثقافة القرآن والوحي في أصلها وحدودها وتطبيقها.
فنحن نلاحظ في سنته وسيرته صلى الله عليه وآله تأكيدات المتواصلة على هذه المبادئ

وتوصياته بها، خاصة في خطبه الست في حجة الوداع، التي تضمنت دررا نبوية حول حقوق الإنسان، نلخص عناوينها في الأسس التالية:

- ١ - أساس المساواة الإنسانية.
- مبدأ الوحدة الإنسانية بين البشر، وإلغاء التمايز القومي.
- مبدأ حسن معاملة النساء، وعدم ظلمهن.
- ٢ - أساس وحدة الأمة الإسلامية.
- مبدأ إلغاء آثار الجاهلية ومآثرها وتشريعاتها المخالفة للإسلام.
- مبدأ الأخوة والتكافؤ بين المسلمين.
- مبدأ احترام حياة المسلم، وتحريم دماء المسلمين على بعضهم.
- مبدأ احترام عرض المسلم وكرامته، وتحريم أعراضهم على بعضهم.
- مبدأ احترام الملكية الشخصية، وتحريم أموال المسلمين على بعضهم.
- مبدأ من قال لا إله إلا الله، فقد عصم ماله ودمه.
- مبدأ ختام النبوة به صلى الله عليه وآله، وختام الأمم بأتمته.
- مبدأ شهادة النبي صلى الله عليه وآله على الأمة في الآخرة، وموافاتها له على الحوض.
- مبدأ ضرورة الدقة والحذر من محقرات الأعمال التي تجر إلى الانحراف.
- مبدأ التحذير من الكذب على النبي صلى الله عليه وآله ووجوب التحقق فيما ينقل عنه.
- ٣ - أساس وحدة الشريعة ووحدة ثقافة المسلمين.
- مبدأ أداء الأمانة.
- قوانين الإرث.
- قوانين الديات والقصاص.
- تشريعات مناسك الحج (خذوا عني مناسككم).
- ٤ - مبادئ مسيرة الدولة والحكم بعد النبي صلى الله عليه وآله.
- مبدأ البشارة بالأئمة الاثني عشر من عترته عليهم السلام.

- مبدأ التأكيد على الثقليين القرآن وأهل البيت عليهم السلام.
- مبدأ إعلان أن عليا عليه السلام ولي الأمة بعده والإمام الأول من الاثني عشر عليهم السلام.
- مبدأ أداء الفرائض، وإطاعة ولاة الأمر.
- مبدأ تخليد تعاهد قريش وكنانة على حصار بني هاشم.
- مبدأ تحذير قريش من أن تطغى بعد وفاته صلى الله عليه وآله.
- مبدأ تحذير الصحابة من الإرتداد بعده صلى الله عليه وآله والصراع على السلطة.
- ٥ - أساس عقوبة المخالفين للخط النبوي.
- مبدأ تحذير الصحابة من تسبب انهيار الأمة بصراعهم على السلطة.
- مبدأ تحذيرهم من العقوبة الإلهية، يوم يلاقون نبيهم صلى الله عليه وآله على الحوض.
- مبدأ لعن من ادعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه صلوات الله عليهم.
- وفي كل واحد من هذه المبادئ آيات وأحاديث نبوية، تشكل مع نصوص خطب الوداع منظومة في الحقوق يكمل بعضها بعضا، في وحدة عقيدية وتشريعية فريدة، من بناء صرح الإسلام الرباني.
- وقد استوعبنا نصوص الخطب النبوية في حجة الوداع في (آيات الغدير)، وغرضنا هنا أن نوضح أن أولى موجات الاضطهاد على أهل البيت النبوي عليهم السلام وشيعتهم، بدأت بعودة ثقافة الغارة والقتل وقانون الغلبة!

**

الموجة الأولى: الهجوم القرشي على بيت النبي صلى الله عليه وآله
اتفق الرواة والمؤرخون أن الذي حصل في اليوم الثاني لوفاة النبي صلى الله عليه وآله
هو أن مجموعة من الصحابة جاؤوا إلى بيت علي وفاطمة صلى الله عليه وآله، لا
لكي يعزوهم بوفاة النبي صلى الله عليه وآله، بل كانوا حاملين سيوفهم وأكدا سا من
الحطب ومشعل نار، ووضعوا الحطب على باب الدار، وأنذروا المجتمعين فيه أن
يخرجوا ويبيعوا أبا بكر، وإلا أحرقوا الدار بمن فيه! وكان في الدار فاطمة بنت رسول
الله صلى الله عليه وآله سيدة نساء أهل الجنة، وعلي عضد رسول الله وابن عمه
وصهره، والحسن والحسين سبطا رسول الله، وسيدا شباب أهل الجنة، وعدد من كبار
الصحابة، من المهاجرين والأنصار!

وكان جرمهم أنهم كانوا مشغولين بمراسم تجهيز النبي صلى الله عليه وآله ودفنه،
فتفاجؤوا بأن عددا من الصحابة الذين تركوا مراسم جنازة النبي صلى الله عليه وآله
وذهبوا خلسة عنهم واجتمعوا في سقيفة، وتحاجوا فيمن هو الأحق بوراثة سلطان
محمد، فبادر عمر وبايع صاحبه أبا بكر وبايعه بضعة أشخاص، وتجمع معهم الطلقاء
شاهرين سيوفهم يطلبون من المسلمين البيعة (بكامل اختيارهم وإرادتهم الحرة)!
فلما سمع علي عليه السلام والمشغولون بدفن النبي صلى الله عليه وآله اجتمعوا
يتداولون فيما يفعلون فاستحقوا المهاجمة والتهديد بالقتل وحرق الدار على من فيه إن
لم يبيعوا!!

معنى هذا: أنه بمجرد أن أغمض النبي صلى الله عليه وآله عينيه عاد قانون: الحق لمن
غلب وعادت ثقافة الغارة والقتل، وأسلوب حرق البيوت على من فيها من أحياء!
ولم تقف المسألة عند عودة ثقافة الغارة والقتل وقانون الغلبة! فالأفطع منها أن
الحكومات القرشية ربت أجيال المسلمين على تقديس ذلك العنف والافتخار به!

فصرت تقرأ تمجيد حادثة الهجوم على بيت علي وفاطمة صلى الله عليه وآله لشاعر
العرب حافظ إبراهيم، في قصيدته العمرية المشهورة، التي يقول فيها:
وقولة لعلي قالها عمر * أكرم بسامعها أعظم بملقيها
حرقت دارك لا أبقى عليك بها * إن لم تباع وبنت المصطفى فيها
ما كان غير أبي حفص بقائلها * أمام فارس عدنان وحاميها!
فكان ذلك تربية باسم الدين على شرعية ديكتاتورية الحاكم، وشرعية اضطهاده
للمعارضة! بل زادت ثقافة الخلافة في الطنبور نعمة، فجعلت قمع المعارضة مفخرة
دينية يرتها المسلمون شعرا ونثرا!
فلماذا نعجب إذا رأينا حكامنا لا يتحملون المعارضة، ويقمعونها بوحشية؟!
* *

الفصل الثاني
رفض قريش للعهد النبوي وترتيبها بيعة السقيفة

(٧٣)

الظلمات الهائلة في سقيفة قریش!
إن ما قام به الحزب القرشي في مرض النبي من منعه صلى الله عليه وآله أن يكتب عهداً
يؤمن به مستقبل أمته، ويضمن هدايتها وتفوقها إلى يوم القيامة!
ثم ما قام به بمجرد أن أغمض النبي عينيه صلى الله عليه وآله من إعلانه أبا بكر خليفة،
بدون مشورة المسلمين، وتهديده آل الرسول صلى الله عليه وآله بحرقهم أحياء إن لم
يباعوا!

كان عملاً تاريخياً هائلاً! تم فيه حرف سفينة الإسلام من مسارها الرباني النبوي
المشرق، إلى مسار قبلي قرشي مظلم!
وقد اعتبرناهما عملاً واحداً، لأن وقوفهم ضد كتابة العهد النبوي ومواجهتهم الخشنة
للنبي صلى الله عليه وآله يوم الخميس، ليست إلا مقدمة لسقيفتهم يوم الاثنين، بعد وفاة
النبي صلى الله عليه وآله بساعة واحدة! وغرضنا هنا تسليط ضوء على ظلامه هذا
العمل، ظلامه الإسلام، وأمته، ونبيه صلى الله عليه وآله، وعترته الطاهرين عليهم
السلام:

١ - أكبر الظلمات في السقيفة مصادرتهم لولاية الله تعالى
فالحزب القرشي عندما رفض الترتيب النبوي لوضع الأمة، ومنع النبي صلى الله عليه
وآله من كتابة عهده لتأمين مستقبلها، قد نصب نفسه ولياً على النبي صلى الله عليه
وآله!
فمن الذي أعطاه هذه الولاية على سيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله؟!
إن إيمانهم بنبوته صلى الله عليه وآله يعني إيمانهم بعصمته الشاملة، كما قال الله تعالى:
وما

ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وطلبه منهم أن يلتزموا بتنفيذ ما سيكتبه لهم، إنما هو أمر الله تعالى! فالتعارض في الحقيقة بين إرادتهم وإرادة الله تعالى ورفضهم للعرض النبوي رفض لإرادة الله تعالى وفرض لإرادتهم بدلها! فمن الذي أعطاهم هذه الولاية على الأمة ونبىها صلى الله عليه وآله وقرآنها مقابل الله تعالى؟ بل من أعطاهم الولاية على رب العالمين عز وجل؟! إن كل حجتهم على عملهم هي أن بني هاشم لا يصح أن يجمعوا بين النبوة والخلافة لأن ذلك ظلم لقبائل قريش! فهل النبوة قسمة قبائل! ومن الذي أخبرهم أن كتابة النبي صلى الله عليه وآله لعهد ظلم لقريش، بينما سقيفتهم حق وعدل لقريش وللعالمين؟! أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا

ورحمت ربك خير مما يجمعون). (الزخرف: ٣٢) في تاريخ الطبري: ٣ / ٢٨٨، عن ابن عباس، وفي شرح النهج: ٦ / ٥٠، عن عبد الله بن عمر، ولفظهما متقارب، قال: (كنت عند أبي يوما، وعنده نفر من الناس، فجرى ذكر الشعر، فقال: من أشعر العرب؟ فقالوا: فلان وفلان، فطلع عبد الله بن عباس فسلم وجلس، فقال عمر: قد جاءكم الخبير، من أشعر الناس يا عبد الله؟ قال: زهير بن أبي سلمى. قال: فأنشدني مما تستجيده له.

فقال: يا أمير المؤمنين، إنه مدح قوما من غطفان يقال لهم بنو سنان، فقال: لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا قوم أبوهم سنان حين تنسبهم * طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا إنس إذا أمنوا، جن إذا فزعوا * مرزؤون بها ليلا إذا جهدوا محسدون على ما كان من نعم * لا ينزع الله منهم ما له حسدوا فقال عمر: والله لقد أحسن، وما أرى هذا المدح يصلح إلا لهذا البيت

هاشم لقرابتهم من رسول الله (ص). فقال ابن عباس: وفقك الله يا أمير المؤمنين، فلم تزل موفقا. فقال: يا بن عباس، أتدري ما منع الناس منكم؟ قال: لا، يا أمير المؤمنين. قال: لكني أدري. قال: ما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: كرهت قريش أن تجتمع لكم النبوة والخلافة، فتجحفوا جحفا (تتكبروا تكبرا)، فنظرت قريش لنفسها فاختارت ووفقت فأصابت! فقال ابن عباس: أيميظ أمير المؤمنين عني غضبه فيسمع؟ قال: قل ما تشاء. قال: أما قول أمير المؤمنين: إن قريشا كرهت، فإن الله تعالى قال لقوم: ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم. وأما قولك: إنا كنا نجحف، فلو جحفنا بالخلافة جحفنا بالقرابة، ولكننا قوم أخلاقنا مشتقة من خلق رسول الله صلى الله عليه وآله الذي قال الله تعالى: وإنك لعلى خلق عظيم، وقال له: واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين. وأما قولك: فإن قريشا اختارت، فإن الله تعالى يقول: وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة، وقد علمت يا أمير المؤمنين أن الله اختار من خلقه لذلك من اختار، فلو نظرت قريش من حيث نظر الله لها لوفقت وأصابت قريش!!

فقال عمر: على رسلك يا ابن عباس، أبت قلوبكم يا بني هاشم إلا غشا في أمر قريش لا يزول، وحقدا عليها لا يحول! فقال ابن عباس: مهلا يا أمير المؤمنين، لا تنسب هاشما إلى الغش فإن قلوبهم من قلب رسول الله صلى الله عليه وآله الذي طهره الله وزكاه، وهم أهل البيت الذين قال الله تعالى لهم: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا. وأما قولك: حقدا فكيف لا يحقد من غصب شيئه ويراه في يد غيره! فقال عمر: أما أنت يا بن عباس فقد بلغني عنك كلام أكره أن أخبرك به فتزول منزلتك عندي. قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ أخبرني به فإن يك باطلا فمثلي أماط الباطل عن نفسه، وإن يك حقا فإن منزلتي لا تزول به. قال: بلغني أنك لا تزال تقول: أخذ هذا الأمر منكم حسدا وظلما.

قال:

أما قولك يا أمير المؤمنين: حسدا، فقد حسد إبليس آدم، فأخرجه من الجنة، فنحن بنو آدم المحسود. وأما قولك: ظلما، فأمر المؤمنين يعلم صاحب الحق من هو! ثم قال: يا أمير المؤمنين، ألم تحتج العرب على العجم بحق رسول الله صلى الله عليه وآله، واحتجت قريش على سائر العرب بحق رسول الله! فنحن أحق برسول الله من سائر قريش! فقال له عمر: قم الآن فارجع إلى منزلك! فقام، فلما ولى هتف به عمر: أيها المنصرف إني على ما كان منك لراع حقك! فالتفت ابن عباس فقال: إن لي عليك يا أمير المؤمنين وعلى كل المسلمين حقا برسول الله صلى الله عليه وآله فمن حفظه فحق نفسه حفظ، ومن أضاعه فحق نفسه أضاع، ثم مضى! فقال عمر لجلسائه: واهي لا بن عباس ما رأيته لاحي أحدا قط إلا خصمه! انتهى.

أقول: لابن عباس رحمه الله عدة محاورات مع عمر من نوع هذه المحاورة، روتها المصادر، وقد روى هذه المحاورة أو جزء منها: (جمهرة الأمثال للعسكري: ١ / ٣٣٩، والعقد الفريد ص ١٣٧٨، ونثر الدرر للآبي ص ٢٣٨، وجمهرة أشعار العرب للقرشي ص ٢٩، ونضرة الإغريض في نصرة القريض للمظفر بن الفضل ص ١٠٥. وفي هامش المراجعات للسيد شرف الدين ص ٣٩٥: (نقلناه من التاريخ الكامل لابن الأثير بعين لفظه، وقد أورده في آخر سيرة عمر من حوادث سنة ٢٣ ص ٢٤ من جزئه الثالث، وأوردها علامة المعتزلة في سيرة عمر أيضا ص ١٠٧ من المجلد الثالث من شرح نهج البلاغة. وفي هامش مواقف الشيعة للأحمدي: ١ / ١٥٤: (ابن أبي الحديد: ١٢ / ٥٢، والإيضاح ص ١٦٩، والبحار: ٨ ط الكمباني ص ٢٩٢ عن ابن الأثير وابن أبي الحديد. وفي هامش المناظرات في الإمامة ص ٧٤: شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٢ / ٥٢، تاريخ الطبري: ٤ / ٢٢٣، الكامل لابن الأثير: ٣ / ٦٢ (في حوادث سنة ٢٣)، الإيضاح لابن شاذان ص ٨٧. وفي هامش مجلة تراثنا عدد ٥٨ ص ٨٨: شرح نهج البلاغة: ١٢ / ٥، قصص العرب: ٢ / ٦، الكامل في التاريخ: ٦ / ٢٨٨).

٢ - ظلامة الإسلام في السقيفة

ونقصد بها الظلامة الفكرية للإسلام! لأن الإسلام علم بكل معنى الكلمة، بل هو علم العلوم، لأن وظيفته أن يدير حياة الإنسان بكل علومه، ويوجهها إلى هدفها المعنوي والمادي الأسمى. لذلك يتوقف تحقيق أهدافه في مجتمعه والعالم على شخص متخصص فيه يطبقه بعلم، ولا يكفي أن يقول شخص إنني سمعت النبي صلى الله عليه وآله

يبلغ كتاب ربه ووحيه، فأنا أستطيع أن أحكم بالإسلام وأطبقه! بل يحتاج الخليفة أو الإمام إلى إعداد وإلهام إلهي، ولذلك أعد الله عترة نبيه صلى الله عليه وآله لهداية الأمة بهذا العلم وأورثهم علم الكتاب الذي هو تبيان كل شيء فقال: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا. (فاطر: ٣٢). ثم أمر الصحابة والأجيال بطاعتهم لعصمتهم فقال: يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم. (النساء: ٥٩). فالذين يأمر الله الأمة بطاعتهم أناس خاصون، ومن المحال أن يأمر بطاعة كل من تغلب على الأمة وصار صاحب أمر! وقد أجمع المسلمون على تمييز علي عليه السلام في علمه، ورووا أن الله تعالى كما أقرأ الله رسوله فلا ينسى: سنقرئك فلا تنسى (الأعلى: ٦)، فقد أمره أن يعد عليا عليه السلام ويعلمه فلا ينسى! قال السيوطي في الدر المنثور: ٦ / ٢٦٠: (وأخرج سعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن مكحول قال: لما نزلت: وتعيها أذن واعية، قال رسول الله (ص): سألت ربي أن يجعلها أذن علي. قال مكحول: فكان علي يقول: ما سمعت من رسول الله شيئاً فنسيته!

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، والواحدي، وابن مردويه، وابن عساكر، وابن النجاري، عن بريدة قال: قال رسول الله (ص) لعلي: إن الله أمرني أن أدنيك

ولا أقصيك وأن أعلمك وأن تعي، وحق لك أن تعي، فنزلت هذه الآية: وتعيها أذن واعية) (الحاقة: ١٢). وأخرج أبو نعيم في الحلية عن علي قال: قال رسول الله (ص): يا علي إن الله أمرني أن أدنك وأعلمك لتعي، فأنزلت هذه الآية: وتعيها أذن واعية، فأنت أذن واعية لعلمي). انتهى.

وقد عرف الجميع علم علي عليه السلام الذي أبعده بالسقيفة، وضالة علم أبي بكر وعمر وعثمان، الذين أتوا بهم من السقيفة، ورووا أخطاءهم الفظيعة في تفسير أوليات القرآن، وجهلهم بأوليات أحكام الشريعة، كتفسير آية: وفاكهة وأبا، وآية الكلاله، وآية الربا، وآية التيمم، وإرث الجدة، وعشرات الأمثلة!

قال في فتح الباري: ٩ / ٣٢٣: (قوله: وقال علي: ألم تعلم أن القلم رفع عن ثلاثة عن المجنون حتى يفيق، وعن الصبي حتى يدرك، وعن النائم حتى يستيقظ. وصله البغوي في الجعديات عن علي بن الجعد، عن شعبة، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس، أن عمر أتى بمجنونة قد زنت وهي حبلى، فأراد أن يرحمها! فقال له علي: أما بلغك أن القلم قد وضع عن ثلاثة.. فذكره، وتابعه بن نمير، ووكيع وغير واحد، عن الأعمش، ورواه جرير بن حازم عن الأعمش فصرح فيه بالرفع. أخرجه أبو داود، وابن حبان من طريقه، وأخرجه النسائي من وجهين آخرين.... وأخذ بمقتضى هذا الحديث الجمهور!) انتهى.

فالذي حدث في السقيفة: أن أول أئمة العترة، الذي عنده علم الكتاب قد أقصي وأجبر على البيعة لشخص لا يعرف حكم العاقل من المجنون، ويأمر بقتل امرأة وجنينها بدون حق، باسم الإسلام! فأى ظلم لعلم وقانون تخصصي كالإسلام، أكبر من أن تقوم بسجن الخبير المتخصص به، وتأتي بمن يجهله ليطبقه ويحكم به؟! *

الدولة العلمانية القرشية تؤسس فصل الدين عن الدولة
كان ما تقدم كان في ظلامه الإسلام في شخص الخليفة أو رئيس الدولة الإسلامية
المكلف من الله بتطبيق أهداف الإسلام، وأحكام شريعته الربانية.
لكن الأمر في السقيفة كان أبعد من شخص الخليفة وتطبيق الإسلام! فقد جاء عملهم
نسفاً لنظام الدولة الربانية ودولة النص الرسولي، وتأسيساً لنظام دولة علمانية تدور بين
قبائل قريش، مقابلين بها جعل الله النبوة لبني هاشم!
إنه نظام حكم علماني بمنطق قبلي محض، وفعل بشري لا علاقة له بالوحي الإلهي
والنص النبوي، ولم يدع أحد من مؤسسيه استناده إلى نص النبي صلى الله عليه وآله!
وتسميته خلافة للنبي صلى الله عليه وآله وتسمية رئيسه خليفة، لا يغير منه شيئاً ولا
يجعله نظاماً دينياً! فالخليفة هنا لا تعني أكثر من البعدية الزمنية المحضة، كما تصف
شخصاً أو نظاماً بأنه خليفة لنظام سابق، ولو كان مضاداً له!
وعليه، فكل الحقوق التي افترضها القرشيون على المسلمين لخليفة نظامهم، لا أساس
لها في الإسلام! وغاية ما يمكنهم أن يثبتوه له حق الحاكم الزمني على الرأي الفقهي
القائل بوجوب طاعته في تنفيذ شريعة الإسلام، وفي حدود ما شرط الناخبون عليه.
هذا، إذا انتخبوه بمحض إرادتهم بدون إجبار!
**

٣ - ظلامه الأمة في السقيفة

حيث تم نقلها من المسار النبوي إلى المسار القبلي! فقد أنشأ النبي صلى الله عليه وآله هذه الأمة بعين ربه وتوجيهه، ووضع سفينتها في بحر العالم، وأطلق مدها الحضاري الإنساني في مسيرة البشرية، في أقصر وقت وأقل كلفة! فتم له ذلك في عشر سنوات، ولم يزد عدد القتلى في كل حروبه من المسلمين وأعدائهم على ست مئة شخص! فكانت أمته خير أمة أخرجت للناس، لأنها منشأة بوحي ربها العليم الحكيم سبحانه، وإدارة رسوله المطيع الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وآله.

وقد وضع الله تعالى لهذه الأمة برنامجا لتبقى خير أمة، بقيادة الأئمة من عتره نبيها صلى الله عليه وآله، فكان النبي صلى الله عليه وآله يكرر على أسماع المسلمين في مناسبات عديدة: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، وهو حديث متواتر عند الجميع. ولكن قريشا رفضت وصية نبيها بإمامة عترته، لنفس السبب الذي رفضت نبوته صلى الله عليه وآله! واتهم منافقوها رسول الله صلى الله عليه وآله بنفس ما اتهموه به على النبوة! فكانوا يهمسون بينهم بأن محمدا يريد أن يؤسس ملكا لبني هاشم كملك كسرى وقيصر! فاليوم ابن عمه علي ابن الثالث وثلاثين سنة، وبعده أولاد ابنته فاطمة وهم الآن دون العاشرة عليهم السلام! كانوا يقولون: إذا دخلت الخلافة في بني هاشم فلن تخرج منهم أبدا، وسينتظر بها الحبالى، ولن يصل إلى بقية القبائل شيء! وهذا ظلم لقبائل قريش ما بعده ظلم!!

نعم، لقد تبنت قريش هذا المنطق القبلي البعيد عن الدين، واتخذت قرارها بإجماع طلقائها ومن وافقهم من مهاجريها بأن بني هاشم تكفيهم النبوة، أما الخلافة فيجب أن تكون لقبائل قريش الأخرى! واتخذوا قرارا بأن على زعماء قريش بتأييد الطلقاء الذين حشدوهم في المدينة، أن يبادروا بمجرد وفاة النبي

صلى الله عليه وآله ويأخذوا خلافته، ويعزلوا عترته!
ولهذا السبب بادر الحزب القرشي بالرفض الخشن الشرس عندما جمعهم النبي صلى
الله عليه وآله في مرض وفاته، وعرض عليهم أعظم عرض قدمه نبي لأمته، أن يضمن
لهم بقاءهم على الهدى، وأن يكونوا سادة العالم إلى يوم القيامة! بشرط أن يلتزموا
بتنفيذ ما سيكتبه لهم بأمر ربه، فتصدى له عمر نيابة عن قريش ورفض كتابة العهد
بصلافة! فأطاعوه وصاحوا: القول ما قاله عمر! وهذا معناه أنا لا نريد أن تكتب لنا
عهدا، لأنك ستسمي فيه الأئمة من عترتك! ولا نريد أمانك من الضلال! وها نحن نعلن
أنه غلب عليك الوجد، فلا اعتبار لكلامك وكتابتك!!
قال البخاري: ١ / ٣٦: (عن ابن عباس قال: لما اشتد بالنبي (ص) وجعه قال: إئتوني
بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده. قال عمر: إن النبي غلبه الوجد وعندنا كتاب
الله حسبنا! فاختلفوا وكثر اللغط قال (ص): قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع! فخرج
ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية، ما حال بين رسول الله (ص) وبين كتابه!)
انتهى.

وفي مسند أحمد: ٣ / ٣٤٦: (عن جابر أن النبي (ص) دعا عند موته بصحيفة ليكتب
فيها كتابا لا يضلون بعده، قال فخالف عليها عمر بن الخطاب حتى رفضها!) انتهى.
وقال لهم النبي صلى الله عليه وآله كما في البخاري: ٤ / ٣١: (دعوني، فالذي أنا فيه
خير مما تدعوني إليه!) يعني أن ما أنا فيه من قرب لقاء ربي، خير مما تريدون أن
تجروني إليه من إعلانكم الكفر! لذلك أنهى النقاش معكم، وأمركم بالخروج من بيتي!
وقوله صلى الله عليه وآله: (خير مما تدعوني إليه) يدل على أن لهم هدفا خطيرا يعملون
له و (يدعون) النبي صلى الله عليه وآله وأن إصرار النبي صلى الله عليه وآله على
كتابة العهد سيحقق هدفهم الخطير! وأن هذا الهدف أسوأ من ترك الأمة بدون ضمانة
مستقبلها!!

ولا يمكن تفسير ذلك إلا أنهم أرادوا أن يصبر النبي صلى الله عليه وآله على كتابة الكتاب وتسمية الأئمة من بعده، فيصرون هم على أنه وحاشاه أخذ يهجر ويهذي، ويريد فرض عترته على قريش والعرب، ويعلنون الردة!!
وقد مهدوا لذلك بقولهم إنه يهجر! وخففها البخاري فقال: ٤ / ٦٦: (ماله أهجر، استفهموه)! ولعل بعضهم قال إنه يهجر، وقال بعضهم: استفهموه لتروا صحة كلامنا! فأمر الله نبيه صلى الله عليه وآله أن لا يضغط على قريش فتكفر، وكان جبرئيل حاضرا عنده، فأمره أن ينهي المجلس ويطردهم! فإنما عليه البلاغ عن ربه، وقد بلغ وأتم عليهم الحجة!!

إنها قضية واضحة كوضوح الشمس فقد اضطر النبي صلى الله عليه وآله أن يصرف النظر عن كتابة العهد ويتنازل عن تأمين مستقبل أمته، لأن ذلك أفضل مما يدعونه إليه! فكانت المعادلة عنده أن قبولهم بنبوته وقرآنه دون سنته وعترته! خير من أن تعصف عاصفتهم بالإسلام من أصله، فتعلن قريش ردتها وتطيعها بعض قبائل العرب، وتشن الحرب على آل النبي صلى الله عليه وآله ومن يبقى على الإسلام من الأنصار، وتقضي عليهم!

أما الحزب القرشي، فلم يهتم لطرده النبي صلى الله عليه وآله لهم من بيته! بل كانوا فرحين بأن النبي صلى الله عليه وآله لم يتخذ إجراء عمليا ضدهم، وبأنهم حققوا نتيجة هائلة من ذلك المجلس حيث تراجع النبي صلى الله عليه وآله أمامهم فانتزعوا منه قيادة الأمة ووضعوها في يد زعيمهم الجديد عمر! وأن عمر سيضعها في مسار قبلي يخضع لقانون الغلبة، بدل المسار الرباني وقانون النص!
وقد أثمر قانون الغلبة أنيا، أن حكم أبو بكر سنتين وشهرين، ثم نص على عمر فحكم عشر سنين، ونص عمر على عثمان فحكم اثنتي عشرة سنة!
وعندما تفاقم ظلم عثمان اضطر نفس الصحابة أن يثوروا عليه ويقتلوه،

ويختاروا عليا عليه السلام ليحكم خمس سنين، ثم لتعيد قريش قانون الغلبة فيحكم الأمة، ولا يفارقها إلى يومنا هذا!

لقد فتح قانون قريش صراعا دمويا على السلطة، لم تعرف أمة بعد نبيها أسوأ منه، ولا خلافة لنبي أكثر منه سفكا للدماء منه! فلو أحصينا حروب الأمة وصراعاتها على السلطة لبلغت المئات، وبلغ قتلاها عشرات الملايين! وخساراتها المادية والمعنوية فوق التصور!

وكانت آخر ثمار قانون الغلبة: أن خلافة قريش وصلت إلى غلمان بني أمية وبني العباس، ثم إلى غلمان الشراكسة والعثامنة، حتى ضعفت الأمة ثم انهارت بيد الغربيين، فدفنوا خلافة قريش في استانبول، بلا مراسم توديع ولا تشييع! قد يقال: إن هذه النظرة إلى تاريخ أمتنا الإسلامية خاطئة، لأنها ترى السلبيات وتنسى الإيجابيات، فالأمة الإسلامية كانت وما زالت خير أمة أخرجت للناس، وقد فتحت أكثر العالم، وأقامت أقوى دولة، ونشرت نور الإسلام وحضارته. ويقال: إن الصراع على السلطة وبعض الظلم للناس كالذي حدث لأهل البيت النبوي عليهم السلام، أمر طبيعي في حياة الأمم وتاريخها! كما أن ضعف الأمة وانهيارها سنة إلهية في الدول ونشوتها وزوالها، والأمة الإسلامية ليست بدعا من الدول، فلا عجب أن تجري عليها سنن التاريخ!

والجواب: أنا قد نقبل هذا الكلام لو لم يقل الله تعالى: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون). (التوبة: ٣٣) ولم يقل النبي صلى الله عليه وآله لصحابته: إيتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي أبدا!

أما وقد قال لهم ذلك ورفضوه! فإن مسار الأمة بدون ذلك العهد النبوي لم يعد طبيعيا، بل هو المسار إلي وضعها فيه الرافضون للتأمين النبوي، ومهما

تصورت أنهم ربحوا للأمة فهي الخاسرة!
إن مثل الأمة بعد النبي صلى الله عليه وآله كسفينة قال لركابها ربانهم الحكيم المأمون:
أعطوني عهدا بالتنفيذ لأعطيكم خريطة توصلكم إلى بر النجاة والنصر، فقال له
أصحابه: لا نريد خريطة ونحن نقودها إلى بر الأمان! فقادوها من بعده واختلفوا في
قيادتها واقتتلوا، حتى وصلت إلى صخور شاهقة وأمواج عاتية!
فهل يصح أن يقال إنهم مصيبون! وإن ركاب السفينة ربحوا ولم يخسروا!
إن المسلم المؤمن بنبوة نبيه صلى الله عليه وآله وبأنه معصوم مؤيد من ربه: (وما ينطق
عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى) يرى نفسه ملزما بالاعتقاد بأن قريشا مهما حققت
للأمة بعد نبيها صلى الله عليه وآله، فقد أوقعت بها أعظم خسارة منيت بها أمة في
التاريخ! وكيف يمكن لأحد أن يغفر لقريش أنها عصت نبيها صلى الله عليه وآله عن
سبق إصرار وصادرت منه قيادة أمته، ووضعتها في مسار الغلبة والصراع القبلي!
**

ذهول البراء بن عازب من انقلاب السقيفة

قال الجوهري في كتابه (السقيفة) ص ٤٨، وهو من أقدم الكتب في هذا الموضوع: (سمعت البراء بن عازب، يقول: لم أزل لبني هاشم محبا، فلما قبض رسول الله خفت أن تتمالأ قريش على إخراج هذا الأمر عنهم، فأخذني ما يأخذ الوالدة العجول مع ما في نفسي من الحزن لوفاة رسول الله! فكنت أتردد إلى بني هاشم وهم عند النبي في الحجرة وأنفقد وجوه قريش، فإني كذلك إذ فقدت أبا بكر وعمر وعثمان، وإذ قائل يقول: القوم في سقيفة بني ساعدة، وإذ قائل آخر يقول: قد بويع أبو بكر! فلم ألبث وإذا أنا بأبي بكر قد أقبل ومعه عمر وأبو عبيدة وجماعة من أصحاب السقيفة، وهم محتجزون بالأزر الصنعانية لا يمرون بأحد إلا خبطوه وقدموه فمدوا يده فمسحوها على يد أبي بكر يبایعه شاء ذلك أو أبى!

فأنكرت عقلي!! وخرجت أشتد حتى انتهيت إلى بني هاشم والباب مغلق، فضربت عليهم الباب ضربا عنيفا وقلت: قد بايع الناس لأبي بكر بن أبي قحافة، فقال العباس: تربت أيديكم إلى آخر الدهر، أما إني قد أمرتكم فعصيتموني!

(عندما أغمض النبي صلى الله عليه وآله عينيه قال العباس لعلي: مد يدك أبايعك ليقال عم رسول الله بايع ابن أخيه، فلم يقبل علي عليه السلام لأنه كان يعلم أن قريشا جمعت الطلقاء في المدينة وهي حاضرة أن تعلن الردة!)

فمكثت أكابد ما في نفسي، ورأيت في الليل المقداد، وسلمان، وأبا ذر، وعبادة بن الصامت، وأبا الهيثم بن التيهان، وحذيفة، وعمارا، وهم يريدون أن يعيدوا الأمر شورى بين المهاجرين! فلما كان بليل، خرجت إلى المسجد، فلما صرت فيه تذكرت أنني كنت أسمع همهمة رسول الله بالقرآن، فامتنعت من مكاني فخرجت إلى الفضاء فضاء بني قضاة، وأجد نفرا يتناجون فلما دنوت منهم سكتوا فانصرفت عنهم، فعرفوني وما أعرفهم، فأتيتهم فأجد المقداد بن

الأسود، وعبادة بن الصامت، وسلمان الفارسي، وأبا ذر، وحذيفة، وأبا الهيثم بن التيهان، وإذا حذيفة يقول لهم: والله ليكونن ما أخبرتكم به، والله ما كذبت ولا كذبت، وإذ القوم يريدون أن يعيدوا الأمر شورى بين المهاجرين! ثم قال: إئتوا أبي بن كعب فقد علم كما علمت، قال فانطلقنا إلى أبي فضربنا عليه بابه حتى صار خلف الباب فقال: من أنتم؟ فكلمه المقداد فقال: ما حاجتكم؟ فقال له: ما أنا بفاتح بابي وقد عرفت ما جئتم له كأنكم أردتم النظر في هذا العقد؟ فقلنا: نعم، فقال: أفيكم حذيفة؟ فقلنا: نعم، قال: فالقول ما قال! وبالله ما أفتح عني بابي حتى تجرى على ما هي جارية، ولما يكون بعدها شر منها، والى الله المشتكى! وبلغ الخبر أبا بكر وعمر، فأرسلا إلى أبي عبيدة والمغيرة بن شعبة، فسألاههما عن الرأي، فقال المغيرة: الرأي أن تلقوا العباس فتجعلوا له هذا الأمر نصيبا فيكون له ولعقبه، فتقطعوا به من ناحية علي، ويكون لكم حجة عند الناس على علي إذا مال معكم العباس. فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة والمغيرة، حتى دخلوا على العباس، وذلك في الليلة الثانية من وفاة رسول الله، فحمد أبو بكر الله وأثنى عليه وقال: إن الله ابتعث لكم محمدا نبيا، وللمؤمنين وليا، فمن الله عليهم بكونه بين ظهرانيتهم، حتى اختار له ما عنده، فخلى على الناس أمورهم ليختاروا لأنفسهم، متفقين غير مختلفين فاختاروني عليهم واليا ولأمورهم راعيا، فتوليت ذلك وما أخاف بعون الله وتسديده وهنا ولا حيرة ولا جبن، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب، وما انفك يبلغني عن طاعن يقول بخلاف قول عامة المسلمين، يتخذ لكم لجا فتكونوا حصنه المنيع وخطبه البديع، فإما دخلتم فيما دخل فيه الناس، أو صرفتموهم عما مالوا إليه، فقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيبا ولمن بعدك من عقبك، إذ كنت عم رسول الله،

وإن كان المسلمون قد رأوا مكانك من رسول الله ومكان أهلك، ثم عدلوا بهذا الأمر عنكم، وعلى رسلكم بني هاشم، فإن رسول الله منا ومنكم. فاعترض كلامه عمر، وخرج إلى مذهبه في الخشونة والوعيد وإتيان الأمر من أصعب جهاته فقال: إي والله وأخرى أنا لم نأتكم عن حاجة إليكم، ولكن كرهنا أن يكون الطعن فيما اجتمع عليه المسلمون منكم، فيتفاقم الخطب بكم وبهم فانظروا لأنفسكم وعامتهم، ثم سكت). انتهى.

أقول: البراء بن عازب صحابي مجمع على جلالته وبطولته في معارك الإسلام قال الذهبي في سيره: ٣ / ١٩٤: (البراء بن عازب بن الحارث، الفقيه الكبير، أبو عمارة الأنصاري الحارثي المدني، نزيل الكوفة، من أعيان الصحابة. روى حديثا كثيرا، وشهد غزوات كثيرة مع النبي (ص)). انتهى.

وتدل شهادة البراء على أمور كثيرة، من أهمها أن خلافة أبي بكر كانت بعيدة كل البعد عن النص النبوي، وعن مشورة الأمة وحريتها، وأنها كانت متزلزلة أياما، حتى غلبت فيها تهديدات قريش الطلقاء وإرهابهم، وتخاذل الأنصار! *

٤ - ظلامه النبي صلى الله عليه وآله برفضهم عهده لأمتة!
وهي أعجب ظلامه في تاريخ الأنبياء جميعا عليهم السلام وأسوأ تصرف من صحابتهم معهم!

فلو أن نبي الله موسى عليه السلام قال لليهود: (إيتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتابا لا تضلون بعدي أبدا، ولا تغلبكم أمة أبدا، بل تحكمون العالم إلى يوم القيامة). فقال له أحدهم: كلا، لا نريد عهدك (حسبنا التوراة)! ورفضوا أن يكتب لهم نبيهم عهده وعهد ربه، وفضلوا عليه شخصا من صحابته فصاحوا: القول ما قال صاحبنا وليس قولك يا موسى؟! فماذا نحكم عليهم؟!

لا بد أننا سنحكم عليهم بأشد الأحكام، لأن عملهم من أسوأ الأعمال!!
لكن المسلم المسكين، المشرب من طفولته حب عمر بن الخطاب، يخاف من محيطه أن يسأل نفسه: ما معنى رفض عمر لكتابة العهد النبوي والشعار الذي رفعه في وجه النبي صلى الله عليه وآله: حسبنا كتاب الله! ألا يعرف أن أمر النبي صلى الله عليه وآله لهم بأن يقبلوا عهده لمستقبل الأمة، واجب الإطاعة كالقرآن؟!

أو يسأل نفسه: كيف أيد أغلب (الصحابة) عمر عندما صادر حق النبي صلى الله عليه وآله في رسم مستقبل أمته، وصاحوا في وجه نبيهم: القول ما قاله عمر؟! وكيف أيدوه عندما صادر حق النبي صلى الله عليه وآله كمسلم في أن يوصي بما يريد؟!

وصادر حقه صلى الله عليه وآله كصاحب بيت علي فراش مرضه، أن يتصرف كما يريد؟!

وصادر حقه صلى الله عليه وآله في تفسير القرآن، وبيان من هم أولوا الأمر؟!
روحي فداك يا رسول الله، فما أعظم جهادك، وما أعجب ظلامتك؟!
لقد جاهدت ثلاثا وعشرين عاما في أصعب الظروف وأخطرها، وبلغت رسالة ربك على رغم قريش وعداوتها وحسدها، لك ولأسرتك بني هاشم!

وأنشأت خير أمة، على رغم قريش واليهود وعداوتهم وحسدتهم!
وبنيت دولة قوية، على رغم قريش واليهود وحرورهم ومؤامراتهم!
وكنت رحيمًا بالقريب والبعيد، والعدو والصديق..

حتى حان منك لقاء ربك وفراق أمتك، وأردت وضعها في المسار الرباني بعدك،
واجهدك طلقاًؤك من قريش، الذين مننت عليهم بالحياة قبل سنتين، فقالوا لك بقيادة
عمر: نقبل بنبوتك لكن بدون سنتك وعترتك، فنحن قبائل قريش أولى من بني هاشم،
فالدولة لنا، ومستقبل الأمة بيدنا! فإن أبيت ذلك أعلننا الردة، وأعلننا بعدك حرباً على
عترتك كحرب بدر وأحد والخندق، والنصر بعدك لنا!

فأمرك الله أن تقيم الحجة عليهم فقط، فإنما عليك البلاغ وليفعلوا ما يشاءون: ليهلك
من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم. (الأنفال: ٤٢)
هل رأيتم ظلاماً لزراع يزرع شجرة وينميها بجهد جهيد، ويدفع عنها الآفات
والحيوانات والسراق، حتى إذا كبرت وأثمرت، وحضر زارعها الأجل، جاءه شخص
وقال له: هذه الشجرة لي وإلا قطعناها من جذورها! ومعه جماعة يحملون فؤوساً
ومعاول ويقولون: القول ما قال صاحبنا!

قال عمر، وهو يروي جانباً من الجلسة الصاخبة يوم الخميس بطريقته الخاصة وهو
يهون من فداحة الأمر: (لما مرض النبي (ص) قال: ادعوا لي بصحيفة ودواة أكتب
كتاباً لا تضلون بعدي أبداً! فكرهنا ذلك أشد الكراهة! ثم قال: ادعوا لي بصحيفة
أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده أبداً! فقال النسوة من وراء الستر: ألا تسمعون ما يقول
رسول الله (ص)؟! فقلت: إنكن صواحبات يوسف إذا مرض رسول الله (ص) عصرتن
أعينكن، وإذا صح ركبتن رقبتن! فقال رسول الله: دعوهن فإنهن خير منكم!! انتهى.
(مجمع الزوائد: ٩ / ٣٣).

نعم والله إنهن خير منهم، وخيرهن أم سلمة صاحبة هذا القول رضي الله عنها.
وفي المقابل وصف الطبري عمر عند وفاة أبي بكر، ويده عصا من جريد النخل
يسكت بها الناس ويقول إسمعوا وأطيعوا يريد أن يكتب لكم كتابا!
قال الطبري في تاريخه: ٢ / ٦١٨: (عن إسماعيل، عن قيس قال: رأيت عمر بن
الخطاب وهو يجلس والناس معه، ويده جريدة وهو يقول: أيها الناس إسمعوا وأطيعوا
قول خليفة رسول الله (ص) إنه يقول إني لم آلكم نصحا! قال: ومعه مولى لأبي بكر
يقال له شديد، معه الصحيفة التي فيها استخلاف عمر!
قال أبو جعفر: وقال الواقدي: حدثني إبراهيم بن أبي النصر، عن محمد بن إبراهيم بن
الحارث قال: دعا أبو بكر عثمان خاليا، فقال له: أكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا
ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين. أما بعد، قال ثم أغمي عليه. فذهب عنه
فكتب عثمان: أما بعد فإني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيرا منه!
ثم أفاق أبو بكر فقال إقرأ علي، فقرأ عليه فكبر أبو بكر وقال: أراك خفت أن يختلف
الناس أن افتلنت نفسي في غشيتي؟! قال: نعم. قال: جزاك الله
خيرا عن الإسلام وأهله. وأقرأها أبو بكر من هذا الموضع).
لك الله يا رسول الله، فقد صدقت إذ قلت: ما أؤدي نبي بمثل ما أوديت!!
(راجع كتاب ألف سؤال وإشكال ج ٢ المسألة: ١٥٩: انقلاب الأمة على النبي صلى
الله عليه وآله في حياته)!

**

٥ - ظلامتهم للعترة النبوية عليهم السلام وأنصارهم بدأت قريش ظلمها لآل الرسول في عهده صلى الله عليه وآله! وقد زاد نشاطها ضدهم بعد أن فتح النبي صلى الله عليه وآله مكة وأجبر قريشا على خلع سلاحها، وأعلن زعماءها وجنودهم أسرى حرب له ولأهل بيته، وأعلن أنه أطلقهم وسماهم الطلقاء، ولم يعتقهم!

ثم كان الله يخبره بخطط قريش ورئيسها الجديد سهيل بن عمرو، ومن يتعاون معه من المنافقين في المدينة، ويأمره أن يتابع تبليغه عن ربه، ويبين لأمتة مقام عترته أهل بيته عليهم السلام، وأن الله فرض عليهم مودتهم وطاعتهم.

وأخبره الله تعالى أنه لا بد لقضائه أن يمضي، وأن قريش الطلقاء ستتغلب وتنحرف بالإسلام، وتظلم أهل بيته الطاهرين عليهم السلام أفدح ظلامه!

وبلغ الرسول الأمين صلى الله عليه وآله رسالات ربه في عترته، وأنهم كالقرآن أمانة الله وأمانة رسوله في الأمة: (إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي). وحدد مصطلح عترته وأهل بيته بأنهم: علي وفاطمة والحسن والحسين وتسعة من ذرية الحسين، فهؤلاء دون سواهم آله وأهل بيته وعترته الذين طهرهم الله تطهيرا، وأدار عليهم كساء للتأكيد، فسألته أم سلمة هل هي منهم، فقال: كلا!

وبلغ أمتة أن الله أكرم عترته فحرم عليهم الزكاة، وشرع لهم ميزانية خاصة في مالية الدولة الإسلامية، هي الخمس!

وبلغ أمتة، أنهم أولو القربى، الذين أمر الله الأمة بكتابه بحبهم ومودتهم. وبلغها أنهم أولو الأمر، الذين فرض الله في كتابه طاعتهم. وأنهم مع الحق لا يحيدون عنه، وإن حادت عنه الأمة!

وأن عليا أولهم، وبه يعرف المؤمن من المنافق، فلن يحبه إلا مؤمن ولن يبغضه

إلا منافق! وأنه مع الحق والحق معه، ومع القرآن والقرآن معه!
وفي حجة الوداع كان أكبر هم النبي صلى الله عليه وآله أن يركز في الأمة إمامة عترته
أهل بيته عليهم السلام من بعده، فقد خطب خمس خطب في مكة وعرفات ومنى،
وأكد في جميعها بصورة وأخرى على أن عترته هم الضمانة الوحيدة من بعده. وفي
خطبته بعرفات بشر الأمة بأن الله اختار لها بعده اثني عشر إماما ربانيا من عترته!
ثم خطب السادسة في طريق عودته إلى المدينة في غدير خم، فأمر أن يعمل له منبر
مرتفع من الأحجار وأحداج الإبل، وأصعد عليا عليه السلام معه على المنبر ورفع بيده،
وبلغ الأمة أن الولاية التي جعلها الله له على الأمة جعلها لعلي بعده! فقال: (أيها الناس:
ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. فقال: من كنت مولاه فعلي
مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله)! وجاء
في رواية صحيحة روتها مصادرهم عن أبي هريرة: (فقال عمر بن الخطاب: بخ بخ لك
يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم فأنزل الله عز وجل: اليوم أكملت
لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً). (راجع تصحيح
الحديث في كتاب آيات الغدير للمؤلف).

نعم، هذا كلام عمر وهذه تهنئته لعلي يوم الغدير حيث أمر النبي صلى الله عليه وآله
بنصب خيمة لعلي عليه السلام وأمر المسلمين أن يبايعوه فبايعوه، وأمر زوجاته فجئن
إلى خيمة علي وبايعنه، فغمس علي عليه السلام يده في سطل ماء، ثم غمسن فيه
أيديهن!

ويطول الكلام حتى لو أردنا الاكتفاء بفهرس لتبليغات النبي صلى الله عليه وآله مكانة
أهل بيته وحقهم على كافة الأمة، وقد روت ذلك مصادر الجميع!
**

في هذا الجو، نقرأ في مصادر الطرفين أن النبي صلى الله عليه وآله كان يبكي لمستقبل
أهل بيته الطاهرين، وظلامتهم الفادحة المأساوية أمته! والتي ستطول حتى يبعث الله
ولده

المهدي عليه السلام، فينهى الظلم عن أهل البيت النبوي وعن أهل الأرض! فقد بكى النبي صلى الله عليه وآله لعلي، وبكى لفاطمة، وبكى للحسن، وبكى للحسين، وبكى لبقية العترة الطاهرة، مرات عديدة! لظلامتهم الفادحة التي أخبره بها جبرئيل عن ربه عز وجل! ونقلت مصادر الشيعة والسنة على السواء أحاديثه في ذلك وصححتها، فمنها: ما رواه ابن حماد في كتاب الفتن ص ٨٤، عن عبد الله بن مسعود قال: (بينما نحن عند رسول الله (ص) إذ جاء فتية من بني هاشم فتغير لونه، قلنا: يا رسول الله، ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه! فقال: إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة لنا على الدنيا، وإن أهل بيتي هؤلاء سيلقون بعدي بلاء وتطريدا وتشريدا حتى يأتي قوم من ها هنا من نحو المشرق، أصحاب رايات سود، يسألون الحق فلا يعطونه، مرتين أو ثلاثا، فيقاتلون فينصرون، فيعطون ما سألوا فلا يقبلوه، حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي، فيملؤها عدلا كما ملؤها ظلما، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبوا على الثلج فإنه المهدي).

وفي رواية الحاكم: ٤ / ٤٦٤: (أتينا رسول الله صلى الله عليه وآله فخرج إلينا مستبشرا يعرف السرور في وجهه، فما سألناه عن شيء إلا أخبرنا به، ولا سكتنا إلا ابتدأنا، حتى مرت فتية من بني هاشم فيهم الحسن والحسين، فلما رأهم التزمهم وانهملت عيناه فقلنا... الخ).

وفي رواية دلائل الإمامة ص ٢٣٣: (كنت عند النبي صلى الله عليه وآله إذ مر فتية من بني هاشم كأن وجوههم المصاييح، فبكى النبي صلى الله عليه وآله، قلت: ما يبكيك يا رسول الله؟

قال: إنا أهل بيت قد اختار الله الآخرة على الدنيا، وإنه سيصيب أهل بيتي قتل وتطريد وتشريد في البلاد، حتى يتيح الله لنا راية تجيء من المشرق، من يهزها يهز، ومن يشاقها يشاق، ثم يخرج عليهم رجل من أهل بيتي اسمه كاسمي وخلقه كخلقي، تؤوب إليه أممي كما تؤوب الطير إلى أو كارهها، فيملا الأرض عدلا كما ملئت جورا).

وفي تفسير فرات ص ١٦٤، عن أنس بن مالك: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أتى ذات يوم ويده في يد علي بن أبي طالب ولقيه رجل إذ قال له: يا فلان لا تسبوا عليا فإنه من سبه فقد سبني ومن سبني فقد سب الله! إنه والله يا فلان لا يؤمن بما يكون من علي في آخر الزمان إلا ملك مقرب، أو عبد قد امتحن الله قلبه للإيمان! يا فلان إنه سيصيب ولد عبد المطلب بلاء شديد وإثرة وقتل وتشريد! فالله الله يا فلان في أصحابي وذريتي وذمتي، فإن لله يوما ينتصف فيه للمظلوم من الظالم!! (راجع مصادره العديدة في معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام ج ١، رقم الحديث ٢٤٥، وما بعده).

* *

هكذا كانت الإرادة الإلهية في هذه الأمة، أن يعطيها الحرية في أن تضل بعد نبينا إن شاءت، وتهتدي إن شاءت! وأخبر نبيه صلى الله عليه وآله أنها ستختار الضلال وستظلم عترته، لكن ما على الرسول إلا البلاغ، وليس له من الأمر شيء! في تفسير فرات ص ٣٩٢، بسنده عن عطاء بن أبي رباح قال: قلت لفاطمة بنت الحسين: أخبريني جعلت فداك بحديث أحدث به، وأحتج به على الناس. قالت: نعم، أخبرني أبي أن النبي صلى الله عليه وآله كان نازلا بالمدينة، وأن من أتاه من المهاجرين كانوا ينزلون عليه، فأرادوا أن يفرضوا لرسول الله صلى الله عليه وآله فريضة يستعين بها على من أتاه، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وقالوا: قد رأينا ما ينوبك من النوائب، وإنا أتيناك لتفرض فريضة تستعين بها على من أتاك. قال: فأطرق النبي طويلا، ثم رفع رأسه فقال: إني لم أؤمر أن آخذ منكم على ما جئت به شيئا، إنطلقوا فإنني لم أؤمر بشيء، وإن أمرت به أعلمتكم. قال: فنزل جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد إن ربك قد سمع مقالة قومك وما عرضوا عليك، وقد أنزل الله عليهم فريضة: قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى... قال فخرجوا وهم يقولون: ما أراد رسول الله إلا أن تذلل الأشياء وتخضع

الرقاب ما دامت السماوات والأرض لبني عبد المطلب!
قال: فبعث رسول الله إلى علي بن أبي طالب أن أصد المنبر وادع الناس إليك ثم قل:
أيها الناس من انتقص أجيرا أجره فليتبوأ مقعده من النار، ومن ادعى إلى غير مواليه
فليتبوأ مقعده من النار، ومن انتفى من والديه فليتبوأ مقعده من النار!
قال: فقام رجل وقال: يا أبا الحسن ما لهن من تأويل؟ فقال: الله ورسوله أعلم. فأتى
رسول الله فأخبره فقال رسول الله: ويل لقريش من تأويلهن! ثلاث مرات! ثم قال: يا
علي انطلق فأخبرهم أنني أنا الأجير الذي أثبت الله مودته من السماء، ثم أنا وأنت مولى
المؤمنين، وأنا وأنت أبوا المؤمنين! ثم خرج رسول الله فقال: يا معشر قريش
والمهاجرين والأنصار، فلما اجتمعوا قال: يا أيها الناس، إن عليا أولكم أيما بالله
وأقومكم بأمر الله، وأوفاكم بعهد الله، وأعلمكم بالقضية، وأقسمكم بالسوية،
وأرحمكم بالرعية، وأفضلكم عند الله منزية.
ثم قال: إن الله مثل لي أمتي في الطين، وعلمني أسماءهم كما علم آدم الأسماء كلها
ثم عرضهم فمر بي أصحاب الرايات فاستغفرت لعلي وشيعته وسألت ربي أن تستقيم
أمتي على علي من بعدي، فأبى إلا أن يضل من يشاء ويهدي من يشاء!*

إنما هذا جزء من أخبار رفض قريش للعهد النبوي، ومسارعتهم إلى أي مكان غير
مسجد النبي صلى الله عليه وآله للصفق على يد أبي بكر وإعلانه خليفة! ثم هجومهم
ومعهم حمالة الحطب والسيوف، على أهل البيت النبوي لإجبارهم على البيعة!*

الفصل الثالث
مأساة العترة النبوية عليهم السلام على يد قريش

شهادة فاطمة الزهراء عليها السلام
كانت الخلافة هي الثأر الأول الذي أخذته قريش الطلقاء من رسول الله صلى الله عليه وآله! وقد رأوا أن ثأرهم لا يكتمل إلا بالهجوم على بيت عترة النبي صلى الله عليه وآله وإجبارهم على بيعة أبي بكر! فكان هجوما قاسيا، تكرر عدة مرات!
وفي مرة منها خرجت الزهراء عليها السلام إلى الدار، وصاحت من وراء الباب: يا رسول الله ماذا لقينا من ابن أبي قحافة وابن الخطاب بعدك؟! يا عمر جئت لتحرق علينا دارنا؟! فدفعوا باب الدار بشدة وهي خلفه، فكسروا بعض أضلاعها، وسبوا إسقاط جنينها، ثم مرضها وشهادتها! صلوات الله عليها!
وطبيعي أن ينفي ذلك رواة الخلافة ويقولوا إنها مرضت بشكل طبيعي وتوفيت بعيد وفاة أبيها، مع أنها كانت سالمة في العشرينات من عمرها!
لكن أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم يؤكدون أن مرضها وشهادتها كانا بسبب ضغط الباب عليها، وهي بينه وبين الحائط، ثم بسبب ضربها! ولذا قال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: (إن فاطمة عليها السلام صديقة شهيدة). (الكافي: ١ / ٤٥٨).
الرواية الرسمية للخلافة لحادثة الهجوم على آل النبي صلى الله عليه وآله! اتفق رواة الخلافة على أن عمر حمل الحطب وقبس النار وهدد بحرق الدار بمن فيه، إذا لم يخرجوا ويبيعوا! وقد تقدم افتخار الشاعر حافظ إبراهيم بذلك!

ثم اختلفوا في وصف أحداث الهجوم ونتائجه! فبعضهم توسع قليلا، وبعضهم قال كان الهجوم مختصرا، واقتصر على كسر سيف الزبير وإجبار المعتصمين على البيعة، إلا علي عليه السلام فقد عفا عنه أبو بكر عفوا موقتا ما دامت فاطمة على قيد الحياة! وقد تبنى البخاري أن أبا بكر أمرهم بعدم إجبار علي عليه السلام على بيعته حتى تموت فاطمة! وكأنه كان يعرف قرب موتها وهي شابة!

ويمكننا اعتبار رواية ابن قتيبة التالية رواية الخلافة الرسمية، قال في كتابه الإمامة والسياسة: ١ / ٣٠: (إن أبا بكر تفقد قوما تخلفوا عن بيعته عند علي، فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار علي فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنها على من فيها! فقبل له: يا أبا حفص إن فيها فاطمة! فقال: وإن!! فخرجوا فبايعوا إلا عليا، فوقفت فاطمة على بابها فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا ولم تروا لنا حقا! فأتى عمر أبا بكر فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة؟ فقال أبو بكر لقننذ وهو مولى له: إذهب فادع لي عليا، قال فذهب إلى علي فقال له: ما حاجتك؟ فقال: يدعوك خليفة رسول الله، فقال علي: لسريع ما كذبتم على رسول الله، لا أعلم لرسول الله خليفة غيري! فرجع فأبلغ الرسالة قال: فبكى أبو بكر طويلا. فقال عمر الثانية: لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة، فقال أبو بكر لقننذ: عد إليه فقل له: خليفة رسول الله يدعوك لتبايع، فجاءه قننذ فأدى ما أمر به، فرفع علي صوته فقال: سبحان الله! لقد ادعى ما ليس له! فرجع قننذ فأبلغ الرسالة فبكى أبو بكر طويلا!

ثم قام عمر فمشى معه جماعة حتى أتوا باب فاطمة فدقوا الباب، فلما سمعت أصواتهم نادى بأعلى صوتها: يا أبت يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن

الخطاب وابن أبي قحافة! فلما سمع القوم صوتها وبكاءها، انصرفوا باكين وكادت قلوبهم تنصدع وأكبدهم تنفطر! وبقي عمر ومعه قوم فأخرجوا عليا، فمضوا به إلى أبي بكر، فقالوا له: بايع، فقال: إن أنا لم أفعل فمه؟ قالوا: إذا والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك، قال: إذن تقتلون عبد الله وأخا رسوله! قال عمر: أما عبد الله فنعم، وأما أخو رسوله فلا، وأبو بكر ساكت لا يتكلم! فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك، فقال: لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه، فلحق علي بقبر رسول الله يصيح ويبكي وينادي: ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني! فقال عمر لأبي بكر: انطلق بنا إلى فاطمة، فإننا قد أغضبناها، فانطلقا جميعا فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما، فأتيا عليا فكلماه فأدخلهما عليها، فلما قعدا عندها حولت وجهها إلى الحائط، فسلما عليها فلم ترد عليهما السلام! فتكلم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله! والله إن قرابة رسول الله أحب إلي من قرابتي، وإنك لأحب إلي من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أني مت ولا أبقى بعده، أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقك وميراثك من رسول الله، إلا أني سمعت أباك رسول الله يقول: لا نورث، ما تركنا فهو صدقة. فقالت: أرأيكما إن حدثكما حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وآله تعرفانه وتفعلان به؟ قالوا: نعم. فقالت: نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟ قالوا: نعم سمعناه من رسول الله (ص)! قالت: فإنني أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبي لأشكونكما إليه!

فقال أبو بكر: أنا عائد بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة، ثم انتحب أبو بكر يبكي حتى كادت نفسه أن تزهد، وهي تقول: والله لأدعون الله عليك في كل

صلاة أصليها! ثم خرج باكيا فاجتمع إليه الناس فقال لهم: بييت كل رجل منكم معانقا حليلته مسرورا بأهله، وتركتموني وما أنا فيه! لا حاجة لي في بيعتكم أقيلونني بيعتي!
قالوا: يا خليفة رسول الله، إن هذا الأمر لا يستقيم، وأنت أعلمنا بذلك، إنه إن كان هذا لم يقم لله دين. فقال: والله لولا ذلك وما أخافه من رخاوة هذه العروة ما بت ليلة ولي في عنق مسلم بيعة، بعدما سمعت ورأيت من فاطمة! قال: فلم يبايع علي كرم الله وجهه حتى ماتت فاطمة رضي الله عنهما، ولم تمكث بعد أبيها إلا خمسا وسبعين ليلة). انتهى.

رواية أهل البيت عليهم السلام لحادثة الهجوم على العترة!
وقد رووا أحداثا عديدة، لأكثر من هجوم:

منها: ما رواه سليم بن قيس الهلالي العامري المتوفى ٧٦ هجرية، في كتابه المعروف ب (كتاب سليم) قال ص ١٤٧: (وقال عمر لأبي بكر: أرسل إلى علي فليبايع، فإننا لسنا في شيء حتى يبايع ولو قد بايع أمناه. فأرسل إليه أبو بكر: أجب خليفة رسول الله، فأتاه الرسول فقال له ذلك. فقال له علي: سبحان الله ما أسرع ما كذبتم علي رسول الله، إنه ليعلم ويعلم الذين حوله أن الله ورسوله لم يستخلفا غيري! وذهب الرسول فأخبره بما قال له. قال: إذهب فقل له: أجب أمير المؤمنين أبا بكر، فأتاه فأخبره بما قال. فقال له علي: سبحان الله ما والله طال العهد فينسى! فوالله إنه ليعلم أن هذا الاسم لا يصلح إلا لي، ولقد أمره رسول الله وهو سابع سبعة فسلموا علي بإمرة المؤمنين! فاستفهم هو وصاحبه عمر من بين السبعة فقالا: أحق من الله ورسوله؟ فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وآله: نعم، حقا حقا من الله ورسوله، إنه أمير المؤمنين وسيد المسلمين وصاحب لواء الغر المحجلين، يقعه الله عز وجل يوم القيامة على الصراط فيدخل أوليائه الجنة وأعداءه النار!

فانطلق الرسول فأخبره بما قال. قال: فسكنوا عنه يومهم ذلك!
فلما كان الليل حمل علي فاطمة علي حمار وأخذ بيدي ابنيه الحسن والحسين فلم يدع
أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أتاه في منزله، فناشدهم الله حقه
ودعاهم إلى نصرته، فما استجاب منهم رجل غيرنا الأربعة، فإنا حلقنا رؤوسنا وبذلنا له
نصرتنا، وكان الزبير أشدنا بصيرة في نصرته! فلما رأى علي خذلان الناس إياه وتركهم
نصرتهم واجتماع كلمتهم مع أبي بكر وطاعتهم له وتعظيمهم إياه لزم بيته، فقال عمر
لأبي بكر: ما يمنعك أن تبعث إليه فيبايع، فإنه لم يبق أحد إلا وقد بايع غيره وغير
هؤلاء الأربعة!

وكان أبو بكر أرق الرجلين وأرفقهما وأدهاهما وأبعدهما غورا، والآخر أفظهما
وأغلظهما وأجفاهما، فقال أبو بكر: من نرسل إليه؟ فقال عمر: نرسل إليه قنفذا، وهو
رجل فظ غليظ جاف من الطلقاء أحد بني عدي بن كعب! فأرسله إليه وأرسل معه
أعوانا وانطلق فاستأذن علي فأبى أن يأذن لهم! فرجع أصحاب قنفذ إلى أبي بكر
وعمر وهما جالسان في المسجد والناس حولهما، فقالوا: لم يؤذن لنا. فقال عمر:
إذهبوا، فإن أذن لكم وإلا فأدخلوا عليه بغير إذن! فانطلقوا فاستأذنوا فقالت فاطمة عليها
السلام: أخرج عليكم أن تدخلوا على بيتي بغير إذن! فرجعوا وثبت قنفذ فقالوا: إن
فاطمة قالت كذا وكذا فتخرجنا أن ندخل بيتها بغير إذن! فغضب عمر وقال: ما لنا
وللنساء! ثم أمر أناسا حوله أن يحملوا الحطب فحملوا الحطب وحمل معهم عمر،
فجعلوه حول منزل علي وفاطمة وابنيهما! ثم نادى عمر حتى أسمع عليا وفاطمة: والله
لتخرجن يا علي ولتبايعن خليفة رسول الله وإلا أضرمت عليك بيتك النار! فقالت
فاطمة: يا عمر، ما لنا ولك؟ فقال: إفتحي الباب وإلا أحرقنا عليكم بيتكم! فقالت: يا
عمر أما تتقي الله

تدخل علي بيتي! فأبى أن ينصرف، ودعا عمر بالنار فأضرمها في الباب، ثم دفعه فدخل فاستقبلته فاطمة وصاحت: يا أبتاه يا رسول الله! فرفع عمر السيف وهو في غمده فوجأ به جنبها فصرخت: يا أبتاه! فرفع السوط فضرب به ذراعها فنادت: يا رسول الله، لبئس ما خلفك أبو بكر وعمر! فوثب علي فأخذ بتلابيبه ثم نثره فصرعه ووجأ أنفه ورقبته وهم بقتله، فذكر قول رسول الله صلى الله عليه وآله وما أوصاه به، فقال: والذي كرم محمدا بالنبوة يا بن صهاك لولا كتاب من الله سبق وعهد عهده إلي رسول الله لعلمت إنك لا تدخل بيتي. فأرسل عمر يستغيث، فأقبل الناس حتى دخلوا الدار وثار علي إلي سيفه، فرجع قنفذ إلي أبي بكر وهو يتخوف أن يخرج علي إليه بسيفه، لما قد عرف من بأسه وشدته، فقال أبو بكر لقنفذ: إرجع فإن خرج وإلا فاقترح عليه بيته فإن امتنع فاضرم عليهم بيتهم النار! فانطلق قنفذ فاقترحهم هو وأصحابه بغير إذن، وثار علي إلي سيفه فسبقوه إليه وكاثروه وهم كثيرون، فتناول بعضهم سيوفهم فكاثروه وضبطوه، فألقوا في عنقه حبلا وحالت بينهم وبينه فاطمة عليها السلام عند باب البيت فضربها قنفذ بالسوط! فماتت حين ماتت وإن في عضدها كمثل الدمليج من ضربته، ثم انطلقوا بعلي يعتل عتلا حتى انتهى به إلى أبي بكر، وعمر قائم بالسيف على رأسه، وخالد بن الوليد وأبو عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل والمغيرة بن شعبة وأسيد بن حضير وبشير بن سعيد وسائر الناس، جلوس حول أبي بكر عليهم السلاح! قال قلت لسلمان: أدخلوا علي فاطمة بغير إذن؟ قال: إي والله، وما عليها من خمار فنادت: وا أبتاه، والرسول الله، يا أبتاه فلبئس ما خلفك أبو بكر وعمر... قال فانتهاوا بعلي إلى أبي بكر وهو يقول: أما والله لو وقع سيفي في يدي لعلمتم أنكم لن

تصلوا إلي هذا أبدا. أما والله ما ألوم نفسي في جهادكم، ولو كنت استمكنت من الأربعة رجال لفرقت جماعتكم، ولكن لعن الله أقواما بايعوني ثم خذلوني. ولما أن بصر به أبو بكر صاح: خلوا سبيله! فقال علي: يا أبا بكر ما أسرع ما توثبتم على رسول الله! بأي حق وبأي منزلة دعوت الناس إلي بيعتك؟ ألم تبايعني بالأمس بأمر الله وأمر رسول الله؟!

وقد كان قنفذ لعنه الله ضرب فاطمة عليها السلام بالسوط حين حالت بينه وبين زوجها، وأرسل إليه عمر: إن حالت بينك وبينه فاطمة فاضربها، فألجأها قنفذ لعنه الله إلى عضادة باب بيتها ودفعها فكسر ضلعها من جنبها فألقت جنينا من بطنها! فلم تزل صاحبة فراش حتى ماتت صلى الله عليها من ذلك شهيدة.

قال: ولما انتهى بعلي إلى أبي بكر انتهره عمر وقال له: بايع ودع عنك هذه الأباطيل، فقال له: فإن لم أفعل فما أنتم صانعون؟ قالوا: نقتلك ذلا وصغارا! فقال: إذا تقتلون عبد الله وأخ رسوله. فقال أبو بكر: أما عبد الله فنعم، وأما أخو رسول الله فما نقر بهذا! قال: أتجحدون أن رسول الله أخى بيني وبينه؟! قال: نعم! فأعاد ذلك عليهم ثلاث مرات. ثم أقبل عليهم علي عليه السلام فقال: يا معشر المسلمين والمهاجرين والأنصار، أنشدكم الله أسمعتم رسول الله يقول يوم غدير خم كذا وكذا، وفي غزوة تبوك كذا وكذا؟ فلم يدع شيئا قاله فيه رسول الله علانية للعامة إلا ذكرهم إياه. قالوا: اللهم نعم! فلما تخوف أبو بكر أن ينصره الناس وأن يمنعه، بادرهم فقال له: كل ما قلت حق قد سمعناه بأذاننا وعرفناه ووعته قلوبنا، ولكن قد سمعت رسول الله يقول بعد هذا: إنا أهل بيت اصطفانا الله وأكرمنا واختار لنا الآخرة على الدنيا، وإن الله لم يكن ليجمع لنا أهل البيت النبوة والخلافة! فقال علي: هل أحد من أصحاب رسول الله شهد هذا معك؟! فقال عمر: صدق خليفة رسول الله، قد سمعته منه

كما قال. وقال أبو عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل: صدق، قد سمعنا ذلك من رسول الله! فقال لهم علي: لقد وفيتهم بصحيفتكم الملعونة التي تعاقدتم عليها في الكعبة: إن قتل الله محمدا أو مات لتزور هذا الأمر عنا أهل البيت! فقال أبو بكر: فما علمك بذلك؟ ما أطلعناك عليها؟ فقال: أنت يا زبير، وأنت يا سلمان، وأنت يا أبا ذر، وأنت يا مقداد، أسألكم بالله وبالإسلام أما سمعتم رسول الله يقول ذلك وأنتم تسمعون: إن فلانا وفلانا حتى عد هؤلاء الخمسة قد كتبوا بينهم كتابا وتعاهدوا فيه وتعاقدوا أيماننا على ما صنعوا إن قتلت أو مت؟! فقالوا: اللهم نعم، قد سمعنا رسول الله يقول ذلك لك: إنهم قد تعاهدوا وتعاقدوا على ما صنعوا، وكتبوا بينهم كتابا إن قتلت أو مت أن يتظاهروا عليك وأن يزوروا عنك هذا يا علي. قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فما تأمرني إذا كان ذلك أن أفعل؟ فقال لك: إن وجدت عليهم أعوانا فجاهدهم ونابذهم، وإن أنت لم تجد أعوانا فبايع واحقن دمك. فقال علي: أما والله لو أن أولئك الأربعة رجال الذين بايعوني وفوا لي لجاهدتك في الله، ولكن أما والله لا ينالها أحد من عقبكما إلى يوم القيامة. وفيما يكذب قولكم على رسول الله قوله تعالى: أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما، فالكتاب النبوة، والحكمة السنة، والملك الخلافة، ونحن آل إبراهيم.

فقام المقداد فقال: يا علي بم تأمرني؟ والله إن أمرتني لأضربن بسيفي وإن أمرتني كفت. فقال علي: كف يا مقداد واذكر عهد رسول الله وما أوصاك به. فقمت وقلت: والذي نفسي بيده، لو أنني أعلم أنني أدفع ضيما وأعز لله ديننا لوضعت سيفي على عنقي ثم ضربت به قدما قدما! أتثبون على أخي رسول الله ووصيه وخليفته في أمته وأبي ولده! فأبشروا بالبلاء وأقنطوا من الرخاء!

وقام أبو ذر فقال: أيتها الأمة المتحيرة بعد نبينا المخذولة بعصيانها، إن الله

يقول: إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين. ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم. وآل محمد الأَخلاف من نوح وآل إبراهيم من إبراهيم والصفوة والسلالة من إسماعيل. وعتره محمد أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة، وهم كالسمااء المرفوعة والجبال المنصوبة والكعبة المستورة والعين الصافية، والنجوم الهادية، والشجرة المباركة، أضاء نورها وبورك زيتها. محمد خاتم الأنبياء وسيد ولد آدم، وعلي وصي الأوصياء وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وهو الصديق الأكبر، والفاروق الأعظم، ووصي محمد ووارث علمه، وأولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم كما قال الله: النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله. فقدموا من قدم الله، وأخروا من أخر الله، واجعلوا الولاية والوراثة لمن جعل الله... الخ). انتهى.

ومنها: ما رواه العياشي: ٢ / ٦٦، والاختصاص للمفيد ص ١٨٥: (عن عمرو بن أبي المقدام، عن أبيه، عن جده قال: ما أتى علي علي عليه السلام يوم قط أعظم من يومين أتياه، فأما أول يوم فاليوم الذي قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، وأما اليوم الثاني فوالله إنني لجالس في سقيفة بني ساعدة عن يمين أبي بكر والناس يبائعونه، إذ قال له عمر: يا هذا ليس في يديك شيء ما لم يبائعك علي! فابعث إليه حتى يأتيك يبائعك، وإنما هؤلاء رعا، فبعث إليه قنفذ فقال له: اذهب فقل لعلي: أجب خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله، فذهب قنفذ فما لبث أن رجع فقال لأبي بكر: قال لك ما خلف رسول الله أحدا غيري! قال: ارجع إليه فقل: أجب، فإن الناس قد أجمعوا على بيعتهم إياه، وهؤلاء المهاجرون والأنصار يبائعونه وقريش، وإنما أنت رجل من المسلمين لك ما لهم وعليك ما عليهم، فذهب إليه قنفذ، فما لبث أن

رجع فقال قال لك: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي وأوصاني إذا واريته في حفرتة لا أخرج من بيتي حتى أولف كتاب الله، فإنه في جرايد النخل وفي أكتاف الإبل. قال عمر: قوموا بنا إليه، فقام أبو بكر، وعمر، وعثمان وخالد بن الوليد، والمغيرة بن شعبة، وأبو عبيدة بن الجراح، وسالم مولى أبي حذيفة، وقنفذ، وقمت معهم فلما انتهينا إلى الباب فرأتهم فاطمة عليها السلام فأغلقت الباب في وجوههم، وهي لا تشك أن لا يدخل عليها إلا بإذنها، فضرب عمر الباب برجله فكسره وكان من سعف، ثم دخلوا فأخرجوا عليا ملبيا! فخرجت فاطمة فقالت: يا أبا بكر أتريد أن ترميني من زوجي، والله لئن لم تكف عنه لأنشر شعري ولأشقن جيبي ولأتين قبر أبي ولأصيحن إلى ربي، فأخذت بيد الحسن والحسين وخرجت تريد قبر النبي صلى الله عليه وآله فقال علي لسلمان: أدرك ابنة محمد صلى الله عليه وآله فإنني أرى جنبتي المدينة تكفيان، والله إن نشرت شعرها وشقت جيبي وأتت قبر أبيها وصاحت إلى ربها، لا يناظر بالمدينة أن يخسف بها وبمن فيها، فأدركها سلمان فقال: يا بنت محمد إن الله إنما بعث أباك رحمة فارجعي، فقالت: يا سلمان يريدون قتل علي! ما على علي صبر، فدعني حتى أتى قبر أبي فأنشر شعري وأشق جيبي وأصيح إلى ربي! فقال سلمان: إني أخاف أن يخسف بالمدينة، وعلي بعثني إليك ويأمرك أن ترجعي إلى بيتك وتنصرفي، فقالت: إذا أرجع وأصبر، وأسمع له وأطيع.

قال: فأخرجوه من منزله ملبيا ومروا به على قبر النبي عليه وآله السلام قال: فسمعتة يقول: يا (ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني) إلى آخر الآية. وجلس أبو بكر في سقيفة بني ساعدة وقدم علي فقال له عمر: بايع! فقال له علي: فإن أنا لم أفعل فمه؟ فقال له عمر: إذا أضرب والله عنقك! فقال له علي: إذا والله أكون عبد الله المقتول وأخا رسول الله. فقال عمر: أما عبد الله المقتول فنعم، وأما

أخو رسول الله فلا، حتى قالها ثلاثاً! فبلغ ذلك العباس بن عبد المطلب فأقبل مسرعاً يهرول فسمعته يقول: إرفقوا بابن أخي ولكم علي أن يبايعكم، فأقبل العباس وأخذ بيد علي فمسحها على يد أبي بكر، ثم خلوه مغضباً فسمعته يقول: ورفع رأسه إلى السماء: اللهم إنك تعلم أن النبي صلى الله عليه وآله قد قال لي: إن تموا عشرين فجاهدهم، وهو قولك في كتابك: إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين. قال: وسمعته يقول: اللهم وإنهم لم يتموا عشرين، حتى قالها ثلاثاً، ثم انصرف). انتهى.

ومنها: ما رواه في الإختصاص ص ١٨٤، من حديث فدك: (فقال علي عليه السلام لها: إئت أبا بكر وحده فإنه أرق من الآخر وقولي له: ادعيت مجلس أبي وأنت خليفة وجلست مجلسه ولو كانت فدك لك ثم استوهبتها منك لوجب ردها علي! فلما أتته وقالت له ذلك قال: صدقت قال: فدعا بكتاب فكتبه لها برد فدك، فقال: فخرجت والكتاب معها، فلقيها عمر فقال: يا بنت محمد ما هذا الكتاب الذي معك، فقالت: كتاب كتب لي أبو بكر برد فدك، فقال: هلميه إلي، فأبت أن تدفعه إليه فرفسها برجله! وكانت حامله بابن اسمه المحسن فأسقطت المحسن من بطنها ثم لطمها! فكأنني أنظر إلى قرط في أذنها حين نقفت! ثم أخذ الكتاب فخرقه، فمضت ومكثت خمسة وسبعين يوماً مريضة مما ضربها عمر، ثم قبضت). انتهى. (راجع كتاب: مأساة الزهراء عليها السلام، للعلامة السيد جعفر مرتضى).

* *

عشرة مواقف لفاطمة الزهراء عليها السلام
يكفي الواحد منها لمن كان له قلب!

١ - يوم بكت وأبكت أباه رسول الله صلى الله عليه وآله!
كان ذلك أكثر من مرة، في مجالس شهدها الصحابة ونطق فيها النبي صلى الله عليه وآله بالغيب، فكانت نورا نبويا تلقاه رواة أهل البيت عليهم السلام ونقلوه بأمانة.
روى الخزاز في كفاية الأثر ص ١٢٤ عن عمار قال: (لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله الوفاة دعا بعلي عليه السلام فسار طويلا، ثم قال: يا علي أنت وصيي ووارثي قد أعطاك الله علمي وفهمي، فإذا مت ظهرت لك ضغائن في صدور قوم وغصب على حقد! فبكت فاطمة وبكى الحسن والحسين فقال لفاطمة: يا سيدة النسوان مم بكائك؟ قالت: يا أبة أخشى الضيعة بعدك! قال: أبشري يا فاطمة فإنك أول من يلحقني من أهل بيتي، ولا تبكي ولا تحزني فإنك سيدة نساء أهل الجنة، وأباك سيد الأنبياء، وابن عمك خير الأوصياء، وابنك سيدا شباب أهل الجنة، ومن صلب الحسين يخرج الله الأئمة التسعة، مطهرون معصومون، ومنا مهدي هذه الأمة).

وروى الصدوق في كمال الدين ص ٦٦٢، عن سلمان قال: (كنت جالسا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضته التي قبض فيها فدخلت فاطمة عليها السلام فلما رأت ما بأبيها من الضعف بكت حتى جرت دموعها على خديها، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: ما يبكيك يا فاطمة؟ قالت: يا رسول الله أخشى على نفسي وولدي الضيعة بعدك! فاغرورقت عينا رسول الله بالبكاء ثم قال: يا فاطمة أما علمت أنا أهل بيت اختار الله عز وجل لنا الآخرة على الدنيا، وأنه حتم الفناء على جميع خلقه، وأن الله تبارك وتعالى اطلع إلى الأرض إطلاعة فاختارني من خلقه فجعلني نبيا، ثم اطلع إلى الأرض إطلاعة

ثانية فاختار منها زوجك، وأوحى إلي أن أزوجك إياه، وأتخذته وليا ووزيرا، وأن أجعله خليفتي في أمتي. فأبوك خير أنبياء الله ورسله، وبعلك خير الأوصياء، وأنت أول من يلحق بي من أهلي.

ثم اطلع إلى الأرض إطلاعة ثالثة فاختارك وولديك، فأنت سيدة نساء أهل الجنة وابنك حسن وحسين سيذا شباب أهل الجنة، وأبناء بعلك أوصيائي إلى يوم القيامة كلهم هادون مهديون، وأول الأوصياء بعدي أخي علي، ثم حسن، ثم حسين، ثم تسعة من ولد الحسين في درجتي، وليس في الجنة درجة أقرب إلى الله من درجتي ودرجة أبي إبراهيم! أما تعلمين يا بنية أن من كرامة الله إياك أن زوجك خير أمتي، وخير أهل بيتي، أقدمهم سلما وأعظمهم حلما، وأكثرهم علما. فاستبشرت فاطمة عليها السلام وفرحت بما قال لها رسول الله صلى الله عليه وآله... الحديث وهو طويل). انتهى.

(ورواه القاضي النعمان في شرح الأخبار: ١ / ١٢٢، عن أبي سعيد الخدري، والطبري الشيعي في المسترشد ص ٦١٣، بتفصيلات أخرى.. الخ).

يا رسول الله أخشى على نفسي وولدي الضيعة بعدك!

ممن؟ من هؤلاء الجالسين حول أبيها، الذين حدثها بما هم فاعلون!

فاغرورقت عينا رسول الله بالبكاء! ممن؟ من زعماء قريش الجالسين حوله! الذين

أخبره ربه أن عاصفتهم بالباب، تنتظر أن يغمض عينيه لتعصف بالإسلام وبالترتيبات

الربانية له! وأن بيت فاطمة عليها السلام سيكون أول هدفهم فيهددونهم بإحراق البيت

على من فيه، إن لم يعترفوا بشرعية إمام بطون قبائل قريش!!

لقد أعد النبي صلى الله عليه وآله أهل بيته فاطمة وعليا والحسنين عليهم السلام لمرحلة

ما بعده.. فلا تنقصهم المعلومات ولا التوجيهات، ولا اليقين بما سيكون، فقد حكاه

الله لنبيه مفصلا فحكاه لهم، فأمنوا به على مستوى الحس لا الحدس، وأخذ عليهم

النبي العهد والميثاق أن يصبروا ويعملوا لإنقاذ ما يمكن، وأعطوه العهد على ذلك عن

إيمان ورضا، ووطنوا أنفسهم على العطاء لله من حقهم وكرامتهم حتى يرضى!
لكن هذا اليقين لا يمنع فاطمة عليها السلام أن تستشرف صور الفتنة، وعواصفها
المزمجرة، كلما اقتربت أيام وصولها، فتبكي لأبيها العطوف الحنون، لكي يشاركها
بدمعة قبل أن يرحل! ويقول لهؤلاء في أنفسهم قولاً بليغاً، فيسمع موقفه من أصحابه
من لم يسمعه، لعل ذلك يخفف من موج العاصفة!

أخبرها النبي صلى الله عليه وآله أن الله تعالى قضى على هذه الأمة كما قضى على
الأمم السابقة، أن يعطيها الحرية لاختيار الضلال إن شاءت، ما دامت لم ترتفع إلى
مستوى من التقوى فتفرق عملياً بين القيادة المعينة من الله تعالى، والمعينة من القبائل
المتغلبة! وأن امتحان العترة قريب! وأن عاصفة قريش الطلقاء لا تبعد أكثر من ساعة عن
وفاته حتى تزمجر! فقد ذهباً إلى السقيفة يتعاديان ليصفق عمر على يد أبي بكر ويعلنه
خليفة، بعد أن ناقشا لنصف ساعة أو أقل سعد بن عباد المريض وبضعة نفر حوله! ثم
جاء دور ألوف الطلقاء الذين حشدوهم في المدينة لثبيت السلطة الجديدة، وتنفيذ
اضطهاد آل محمد صلى الله عليه وآله!

أخبرها أنهم سيفتحون عليهم باب الاضطهاد حتى يضج منه التاريخ! فيعيشون وشيعتهم
مظلومين مقهورين، ما بين مقتول ومسموم ومسجون ومشرد وخائف على دمه، حتى
يظهر مهديهم الموعود.

بكى النبي لبكاء فاطمة، وقال لها نعم سيكون ما تخشين، لكن ربنا عز وجل أكرمنا
وفضلنا، وعلينا أن ندفع ضريبة العبودية الكاملة له، وهي ضريبة لأيام قليلة تعقبها راحة
طويلة. إن عمر الدنيا القصير يسهل الأمر، يا بنية!
كانت فاطمة ترى الأمور تسير نحو الكارثة على الإسلام وعترة نبيه صلى الله عليه وآله
بمجرد أن يغمض النبي صلى الله عليه وآله عينيه ويلاقي ربه!

فأيدها النبي صلى الله عليه وآله وبكى لها، وهدأها،طمأنها بأن ذلك ضريبة عبودية هذه الأسرة المصطفاة لربها عز وجل، ففرحت الحزينة! تقول في فرحها لنعم الله: سمعا وطاعة يا أبتاه.. تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي الرب فرضا الله رضانا أهل البيت، وليقترف الناس ما هم مقترفون!

* *

أما رواية الحكومات، فرووا من هذا المشهد النبوي البليغ نتفا مبتورة وصححوا بعضها! ورووا منه فقرات طويلة ولم يضعفها أحد غير الذهبي تحكما وتعصبا فاتبعوه وغطوا عليه! رواه الطبراني في الكبير: ٣ / ٥٧، والصغير: ١ / ٦٧، وابن عساكر: ٤٢ / ١٣٠، والطبري في ذخائر العقبى ص ١٣٥، وابن الأثير في أسد الغابة: ٤ / ٤٢، والهيثمي في مجمع الزوائد: ٨ / ٢٥٣، وقال: (وهو بتمامه في فضل أهل البيت، رواه الطبراني في الأوسط والكبير وفيه الهيثم بن حبيب، وقد اتهم بهذا الحديث! ورواه في: ٩ / ١٦٤، وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه الهيثم بن حبيب، قال أبو حاتم منكر الحديث وهو متهم بهذا الحديث)!

ولا يتسع المجال لتفصيل تهافتهم وتعصبهم في هذا الحديث، فيكفي أن تعرف أن الهيثمي نفسه قال في الزوائد: ٣ / ١٩٠: وأما الهيثم بن حبيب فلم أر من تكلم فيه غير الذهبي (القرن الثامن) اتهمه بخبر رواه، وقد وثقه ابن حبان). انتهى. وهو يقصد قول الذهبي في ميزان الاعتدال: ٤ / ٣٢٠: (الهيثم بن حبيب عن سفيان بن عيينة بخبر باطل في المهدي، هو المتهم به. رواه أبو نعيم، عن الطبراني، عن محمد بن رزيق بن جامع عنه). انتهى.

وواضح أن اتهام الذهبي لهذا الراوي بالوضع، لا حجة له إلا أن الحديث لم يعجب الذهبي المتعصب، لأنه يكشف سقيفة قريش، وينص على إمامة علي والحسين وبقية العترة إلى المهدي عليهم السلام! ولا بد أن الذهبي رأى أن الهيثم من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام الموثقين عندنا وعندهم! فازداد غيظا!

أما قول الهيثمي: (قال أبو حاتم منكر الحديث) فهو خطأ أو كذب! لأن أبا حاتم وثق ابن حبيب بنص الذهبي في ميزان الاعتدال: ٤ / ٣٢٠ قال: (فوثقه أبو حاتم). وفي تهذيب التهذيب: ١١ / ٨١: أن أبا عوانة وثقه وقال: (قال لي شعبة: إلزم الهيثم الصيرفي. وقال الأثرم: أثنى عليه أحمد وقال: ما أحسن أحاديثه وأسد استقامتها، ليس كما يروي عنه أصحاب الرأي. وقال إسحاق بن منصور عن ابن معين: الهيثم بن حبيب الصراف ثقة. وقال أبو زرعة وأبو حاتم: ثقة في الحديث صدوق، وذكره ابن حبان في الثقات). انتهى. وكذا في تهذيب الكمال: ٣٠ / ٣٦٩، وفي سؤالات الآجري لأبي داود: ١ / ١٩١: سألت أبا داود عن الهيثم بن حبيب، قلت: يتقدم عبد الملك بن حبيب؟ قال: نعم. وقد روى شعبة عنهما. وفي شرح مسند أبي حنيفة للقاري ص ٣٩٨: الهيثم بن حبيب الصيرفي أحد التابعين الأجلاء).

لكن لا تعجب من هرب إمامهم الذهبي الشر كسي من هذا الحديث وهجومه عليه وارتكابه الكذب من أجله، ولا من حذفهم حذفه وتغطيتهم عليه! لأن نص الحديث ثقيل على أعصابهم وأعصاب بطون قريش، مع أنهم حذفوا منه ذكر بقية الأئمة الاثني عشر عليهم السلام! وهذا نصه من مجمع الزوائد:

(عن علي بن علي الهلالي عن أبيه قال دخلت على رسول الله (ص) في شكاته التي قبض فيها فإذا فاطمة رضي الله عنها عند رأسه، قال فبكت حتى ارتفع صوتها فرفع رسول الله (ص) طرفه إليها فقال: حبيبتي فاطمة ما الذي يبكيك؟ فقالت أحشى الضيعة بعدك! فقال: يا حبيبتي أما علمت أن الله عز وجل اطلع إلى الأرض اطلاعة فاختار منها أباك فبعثه برسالته، ثم اطلع إلى الأرض اطلاعة فاختار منها بعلك وأوحى إلى أن أنكحك إياه! يا فاطمة ونحن أهل بيت قد أعطانا الله سبع خصال لم تعط لأحد قبلنا ولا تعطى أحدا بعدنا: أنا خاتم النبيين وأكرم النبيين على الله، وأحب المخلوقين إلى الله عز وجل وأنا أبوك، ووصيي خير الأوصياء وأحبهم إلى الله وهو بعلك،

وشهيدنا خير الشهداء وأحبهم إلى الله وهو عمك حمزة بن عبد المطلب وعم بعلك،
ومنا من له جناحان أخضران يطير مع الملائكة في الجنة حيث شاء وهو ابن عم أبيك
وأخو بعلك، ومنا سبطا هذه الأمة وهما ابناك الحسن والحسين وهما سيدا شباب أهل
الجنة وأبوهما والذي بعثني بالحق خير منهما.

يا فاطمة والذي بعثني بالحق إن منهما مهدي هذه الأمة، إذا صارت الدنيا هرجا
ومرجا، وتظاهرت الفتن، وتقطعت السبل، وأغار بعضهم على بعض، فلا كبير يرحم
صغيرا ولا صغير يوقر كبيرا، فيبعث الله عز وجل عند ذلك منهما من يفتح حصون
الضلالة وقلوبا غلغا! يقوم بالدين آخر الزمان كما قمت به في أول الزمان، ويملا الدنيا
عدلا كما ملئت جورا.

يا فاطمة لا تحزني ولا تبكي، فإن الله عز وجل أرحم بك وأرأف عليك مني وذلك
لمكانك من قلبي، وزوجك الله زوجا وهو أشرف أهل بيتك حسبا وأكرمهم منصبا،
وأرحمهم بالرعية وأعدلهم بالسوية وأبصرهم بالقضية، وقد سألت ربي عز وجل أن
تكوني أول من يلحقني من أهل بيتي!

قال علي رضي الله عنه: فلما قبض النبي (ص) لم تبق فاطمة رضي الله عنها بعده إلا
خمسة وسبعين يوما، حتى ألحقها الله عز وجل به (ص). انتهى.
إنها واحدة من الحجج النبوية التي أفلتت من سيطرة رواة قريش! فلا ينفعمهم أن الذهبي
في القرن الثامن غضب منها، وسعى في خرابها!

**

٢ - يوم بكى أبوها صلى الله عليه وآله لظلامتها.. وبكت لفقده!
في أمالي الشيخ الطوسي ص ١٨٨: (عن عبد الله بن العباس قال: لما حضرت رسول
الله صلى الله عليه وآله الوفاة بكى حتى بلت دموعه لحيته فقيل له: يا رسول الله ما
يبكيك؟ فقال: أبكي لذريتي، وما تصنع بهم شرار أمتي من بعدي! كأني بفاطمة ابنتي
وقد ظلمت بعدي وهي تنادي يا أبتاه يا أبتاه، فلا يعينها أحد من أمتي! فسمعت ذلك
فاطمة فبكت فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: لم تبكين يا بنية؟ فقالت: لست
أبكي لما يصنع بي من بعدك، ولكن أبكي لفراقك يا رسول الله! فقال لها: أبشري يا
بنت محمد بسرعة اللحاق بي، فإنك أول من يلحق بي من أهل بيتي).
**

من بعد حجة الوداع، لم يكن أحد يعاني كما عانت فاطمة وعلي والحسنان عليهم
السلام. كان وداع النبي بالنسبة لهم وداعا لعالم أعلى فيه كل شيء، واستعدادا للدخول
في عالم ملئ بالآلام والأحزان، ومقارعة العواصف والأفاعي!
كانوا يدركون أن كل تأكيدات النبي صلى الله عليه وآله واحتياطاته لم تؤثر في قريش
التي ركبت رأسها وأصرت على مؤامرتها، وهيأت الأجواء في قبائلها وقبائل العرب
وحتى في بعض أوساط الأنصار، لمقولتها أن بني هاشم تكفيهم النبوة، وليس من العدل
أن يجمعوا بين النبوة والخلافة، ويحرموا منها بطون قريش!!
لقد شاهدت فاطمة عليها السلام في حجة الوداع صورا من الصراع بين الهدى النبوي
والضلال القرشي، ورأت أن النبي صلى الله عليه وآله خطب خمس خطب، وأوضح
للأمة مرارا موقع عترته وأهل بيته من بعده، بأساليبه المبتكرة وبلاغته النبوية، وأنه كلما
وصل إلى تعيين الولاية بعده، وأن الله غرسهم في هذا البيت من بني هاشم، لغطت
قريش وشوش أتباعها المبتوثون في مجلسه، وصاحوا وقاموا وقعدوا

وكبروا! ثم قالوا: إن النبي قال: الأئمة من قريش، كل قريش، كل قريش!!
لقد أقام النبي صلى الله عليه وآله الحجة لربه بينة صريحة في مكة وعرفات ومنى، ثم
لم يبق يوم الغدير لأحد عذرا، على حد تعبير فاطمة عليها السلام!
لكن قريشا كانت صماء، وكأن حجة النبي صلى الله عليه وآله لا تعنيها بشيء! فهذا
سهيل بن عمر يمسك بزعامتها في مكة ويتصرف كأنه رئيس دولة مقابل النبي صلى
الله عليه وآله ويقول نحن، ومحمد! ويرسل جابر بن النضر العبدي ليعترض على النبي
صلى الله عليه وآله، لأنه بزعمه لم يكتف بما فرضه على الناس من صلاة وصوم وزكاة
وحج، حتى أخذ بضبع ابن عمه قائلا: من كنت مولاه فعلي مولاه!
وهؤلاء طلقاء النبي من قريش صاروا ألوفا في المدينة، وهم ملتفون حول أبي بكر
وعمر، وعائشة وحفصة تواصلان تظاهرها على رسول الله صلى الله عليه وآله
ونفسيان لهم سره! وكلما علم جبرئيل النبي خطة لترتيب الوضع لوصيه وعترته من
بعده، عملت قريش في إبطالها وتخريبها!!
ومن أواخر ما خربوه أن النبي صلى الله عليه وآله عرض عليهم ما لم يعرضه نبي على
أمته قط وطلب منهم أن يلتزموا له بعهد يكتبه ليؤمن الأمة من الضلال إلى يوم القيامة،
ويجعلها سيدة العالم إلى يوم القيامة! فبادروا إلى رفضه، ودفعوا عمر لمواجهة النبي
بكل صلافة: لا حاجة لنا بكتابك، ومنعوه من كتابته!!
ثم أراد النبي صلى الله عليه وآله أن تفرغ المدينة من دعاة الفتنة وأرسلهم جميعا في
جيش أسامة إلى فلسطين، وفيهم سبع مئة رجل من قريش! وأمره بالتحرك، ولعن من
تخلف عن جيش أسامة! فافتعلوا المشاكل والأعداء حتى سوفوا الوقت وأفشلوا برنامج
أسامة، وتسللوا من معسكره من الجرف لوإذا عائدين إلى المدينة!
كانت فاطمة عليها السلام تشاهد ذلك، وتسمع كلام أبيها صلى الله عليه وآله عن
عاصفة قريش التي تنتظر عترته، وترى دموعه الغزار من أجلهم، ومن أجلها خاصة!
لكنها كانت اليوم تبكي

لأعظم من كل ذلك، لفراق أبيها!
بعين الله ما سألقاه بعدك يا أبتى! يغضب زوجي حقه، ويهجمون علينا ويضرمون النار
في دارنا، وأهان أنا وأضرب ويسقط جنيني، ويقاد زوجي بحمائل سيفه! رضا برضا
الله ورضاك يا رسول الله، فكل هذه المصائب دون مصيبة فراقك يا خير الرسل وخير
الآباء!
**

٣ - يوم واجهت المهاجمين لدارها!

فخاطبتهم من وراء باب الدار كما تقدم في رواية ابن قتيبة: (لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم! تركتم رسول الله جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم لم تستأمرونا ولم تردوا لنا حقا!) ولما كرروا تهديدهم بإحراق الدار صاحت: (يا رسول الله ماذا لقينا من ابن أبي قحافة وابن الخطاب بعدك! يا عمر جئت لتحرق علينا دارنا!). ثم تفاقم الأمر وأشعلوا النار بالباب، ودفعوه والزهراء عليها السلام خلفه!! قال السيد جعفر مرتضى في كتاب مأساة الزهراء عليها السلام: ٢ / ٩٦: (نقل جماعة سيأتي في الموضوع المذكور ذكر أساميهم، والكتب التي نقلوا فيها، منهم الطبري، والجوهري، والقتيبي، والسيوطي، وابن عبد ربه، والواقدي، وغيرهم خلق كثير: أن عمر بن الخطاب وجماعة معه، منهم خالد بن الوليد، أتوا بأمر أبي بكر إلى بيت فاطمة، وفيه علي والزبير، وغيرهما، فدقوا الباب، وناداهم عمر، فأبوا أن يخرجوا. فلما سمعت فاطمة أصواتهم نادت بأعلى صوتها باكية: يا أبتاه، يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب، وابن أبي قحافة. وفي رواية القتيبي وجمع غيره: أنهم لما أبوا أن يخرجوا دعا عمر بالحطب، وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجن، أو لأحرقنها عليكم على ما فيها. فقيل له: إن فيها فاطمة؟! فقال: وإن!! وفي رواية ابن عبد ربه: أن فاطمة قالت له: يا ابن الخطاب أجيئنا لتحرق دارنا؟ قال: نعم. وفي رواية زيد بن أسلم: أنها قالت: تحرق علي وعلى ولدي؟ قال: إي والله، أو ليخرجن وليبايعن. ثم إن القوم الذين كانوا مع عمر لما سمعوا صوتها وبكاءها انصرف أكثرهم باكين، وبقي عمر وقوم معه فأخرجوا عليا. حتى في رواية أكثرهم: أن عمر دخل البيت وأخرج الزبير ثم عليا. واجتمع الناس ينظرون، وصرخت فاطمة

وولولت، حتى خرجت إلى باب حجرتها، وقالت: ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت نبيكم. وقد ذكر الشهرستاني في كتاب الملل والنحل: أن النظام نقل أن عمر ضرب بطن فاطمة ذلك اليوم حتى ألقت المحسن من بطنها وكان يصيح: أحرقوها بمن فيها. وفي روايات أهل البيت عليهم السلام: أن عمر دفع باب البيت ليدخل وكانت فاطمة وراء الباب، فأصاب بطنها، فأسقطت من ذلك جنينها المسمى بالمحسن، وماتت بذلك الوجع. وفي بعض رواياته: أنه ضربها بالسوط على ظهرها. وفي رواية: أن قنفذ ضربها بأمره.. الخ). انتهى.

وفي كتاب مظلومية الزهراء للسيد الميلاني ص ٦٢: (في العقد الفريد لابن عبد ربه المتوفى سنة ٣٢٨: وأما علي والعباس والزبير، فقعدوا في بيت فاطمة حتى بعث إليهم أبو بكر (ولم يكن عمر هو الذي بادر) بعث أبو بكر عمر بن الخطاب ليخرجوا من بيت فاطمة وقال له: إن أبوا فقاتلهم، فأقبل بقبس من نار على أن يضرهم عليهم الدار فلقيته فاطمة فقالت: يا ابن الخطاب أجنث لتحرق دارنا؟! قال: نعم أو تدخلوا ما دخلت فيه الأمة)!. (الإستيعاب: ٣ / ٩٧٥ وهو في العقد الفريد: ٥ / ١٢).

ونقل الميلاني عبارة البلاذري في الأنساب: ١ / ٥٨٦: (فجاء عمر ومعه فتيلة، فتلقته فاطمة على الباب فقالت فاطمة: يا بن الخطاب أترأك محرقا علي بابي؟! الخ).

وفي تاريخ أبي الفداء: ١ / ١٩٧: (وكذلك تخلف عن بيعة أبي بكر أبو سفيان من بني أمية، ثم إن أبا بكر بعث عمر بن الخطاب إلى علي ومن معه ليخرجهم من بيت فاطمة رضي الله عنها وقال: إن أبوا عليك فقاتلهم!! فأقبل عمر بشيء من نار على أن يضرم الدار! فلقيته فاطمة رضي الله عنها وقالت: إلى أين يا ابن الخطاب أجنث لتحرق دارنا؟! قال: نعم أو تدخلوا فيما دخل فيه الأمة! فخرج علي حتى أتى أبا بكر فبايعه، كذا نقله القاضي جمال الدين بن واصل وأسنده إلى ابن عبد ربه المغربي. وروى الزهري عن عائشة قالت: لم يبايع علي أبا بكر حتى ماتت فاطمة، وذلك بعد ستة أشهر لموت أبيها). انتهى.

٤ - يوم أخذوا عليا عليه السلام فخرجت خلفه لتمنعهم من قتله!
في الكافي: ٨ / ٢٣٧: (عن أبي هاشم قال: لما أخرج بعلي عليه السلام خرجت فاطمة عليها السلام واضعة قميص رسول الله صلى الله عليه وآله على رأسها، آخذة بيدي إبنها فقالت: مالي ومالك يا أبا بكر، تريد أن تؤتم ابني وترملني من زوجي، والله لولا أن تكون سيئة لنشرت شعري ولصرحت إلى ربي! فقال رجل من القوم: ما نريد إلى هذا، ثم أخذت بيده فانطلقت به!) انتهى.

وفي الإختصاص ص ١٨٦: (فخرجت فاطمة عليها السلام فقالت: يا أبا بكر وعمر تريدان أن ترملاني من زوجي! والله لئن لم تكفا عنه لأنشرن شعري ولأشقن جيبي، ولآتين قبر أبي ولأصيحن إلى ربي! فخرجت وأخذت بيد الحسن والحسين متوجهة إلى القبر! فقال علي لسلمان: يا سلمان أدرك ابنة محمد.. الخ.)

وفي الإحتجاج: ١ / ١١٣: عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: (لما استخرج أمير المؤمنين عليه السلام من منزله خرجت فاطمة صلوات الله عليها خلفه، فما بقيت امرأة هاشمية إلا خرجت معها، حتى انتهت قريبا من القبر فقالت لهم: خلوا عن ابن عمي فوالذي بعث محمدا أبي بالحق إن لم تخلوا عنه لأنشرن شعري ولأضعن قميص رسول الله على رأسي، ولأصرخن إلى الله تبارك وتعالى، فما صالح بأكرم على الله من أبي، ولا الناقة بأكرم مني، ولا الفصيل بأكرم على الله من ولدي!)
قال سلمان رضي الله عنه: كنت قريبا منها، فرأيت والله أساس حيطان مسجد رسول الله تقلعت من أسفلها، حتى لو أراد رجل أن ينفذ من تحتها لنفذ، فدنوت منها فقلت: يا سيدتي ومولاتي إن الله تبارك وتعالى بعث أباك رحمة فلا تكوني نقمة، فرجعت ورجعت الحيطان حتى سطعت الغبرة من أسفلها، فدخلت في خياشيمنا). انتهى.

وفي مثالب النواصب ص ١٤١: (عن عدي بن حاتم وعمرو بن حريث، قال واحد منهما: ما رحمت أحدا كرحمي علي بن أبي طالب، رأيته حين أتني به إلى بيعة الأول، فلما نظر إلى القبر قال: يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني! فقال بايع، فقال: إن لم أفعل؟ قال إذا نقتلك! قال: إذا تقتلون عبد الله وأخا رسول الله! فبايع وأصابه مضمومة!)
* *

٥ - يوم دارت مع علي صلى الله عليه وآله على زعماء الأنصار وأقامت عليهم الحجة في كتاب سليم ص ٢١٦، من جواب أمير المؤمنين عليه السلام للأشعث بن قيس، قال: (ثم حملت فاطمة وأخذت بيد ابني الحسن والحسين، فلم أدع أحدا من أهل بدر وأهل السابقة من المهاجرين والأنصار إلا ناشدتهم الله في حقي ودعوتهم إلى نصرتي. فلم يستجب لي من جميع الناس إلا أربعة رهط: سلمان وأبو ذر والمقداد والزبير، ولم يكن معي أحد من أهل بيتي أصول به ولا أقوى به، فقلت كما قال هارون لأخيه: ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني! فلي بهارون أسوة حسنة ولي بعهد رسول الله صلى الله عليه وآله حجة قوية... الخ).

وفي الإختصاص ص ١٨٣، من حديث فذك: (ثم خرجت وحملها علي على أتان عليه كساء له حمل، فدار بها (أربعين صباحا) في بيوت المهاجرين والأنصار والحسن والحسين معها وهي تقول: يا معشر المهاجرين والأنصار انصروا الله فإنني ابنة نبيكم، وقد بايعتم رسول الله يوم بايعتموه أن تمنعوه وذريته مما تمنعون منه أنفسكم وذرائكم، ففوا لرسول الله ببيعتمكم! قال: فما أعانها أحد ولا أجابها ولا نصرها! قال: فانتهدت إلى معاذ بن جبل فقالت: يا معاذ بن جبل إنني قد جئتك مستنصرة وقد بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله على أن تنصره وذريته وتمنعه مما تمنع منه نفسك وذريتك، وأن أبا بكر قد غصبني على فذك وأخرج وكيلى منها! قال: فمعي غيري؟ قالت: لا، ما أجابني أحد. قال: فأين أبلغ أنا من نصرتك؟ قال: فخرجت من عنده ودخل ابنه فقال: ما جاء بابنة محمد إليك؟ قال: جاءت تطلب نصرتي على أبي بكر فإنه أخذ منها فذكا، قال: فما أجبتها به؟ قال قلت: وما يبلغ من نصرتي أنا وحدي؟ قال: فأبيت أن تنصرها! قال: نعم، قال: فأى شئ قالت لك؟ قال: قالت لي: والله لأنازعك الفصيح من رأسي حتى أرد على رسول الله، قال فقال: أنا والله لا نازعتك الفصيح من رأسي حتى أرد على

رسول الله إذ لم تجب ابنة محمد صلى الله عليه وآله! قال وخرجت فاطمة من عنده وهي تقول: والله لا أكلمك كلمة حتى أجمع أنا وأنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم انصرفت!

أقول: قولها عليها السلام لا نازعتك الفصيحة من رأسي: معناه لا كلمتك كل عمري. ولعل معاذًا كان يراجع حسابه في خذلانه لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله في هذه الرواية التي روتها مصادرهم وصححوها، وهي أن عمر رآه عند قبر النبي يبكي فقال له: (ما يبكيك يا معاذ؟ قال: يبكيني شيء سمعته من صاحب هذا القبر! قال: وما سمعته؟ قال: سمعته يقول: إن اليسير من الرياء شرك، وإن من عادى ولي الله فقد بارز الله تعالى بالمحاربة، وإن الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا وإن حضروا لم يعدوا ولم يعرفوا، قلوبهم مصاييح الهدى، يخرجون من كل غبراء مظلمة). (الحاكم: ٤ / ٣٢٨، وصححه، والكبير للطبراني: ٢٠ / ١٥٤، ومسند الشهاب: ٢ / ١٤٨، و ٢٥٢).

وقال ابن قتيبة في الإمامة والسياسة: ١ / ٢٩: (وخرج علي كرم الله وجهه يحمل فاطمة بنت رسول الله (ص) على دابة ليلا في مجالس الأنصار تسألهم النصر، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به، فيقول علي كرم الله وجهه: أفكنت أدع رسول الله (ص) في بيته لم أدفنه، وأخرج أنازع الناس سلطانه؟! فقالت فاطمة: ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم).

وفي الخصال للصدوق ص ١٧٣: (قالت سيدة النسوان فاطمة عليها السلام لما منعت فذك وخاطبت الأنصار فقالوا: يا بنت محمد لو سمعنا هذا الكلام منك قبل بيعتنا لأبي بكر ما عدلنا بعلي أحدا، فقالت: وهل ترك أبي يوم غدير خم لأحد عذرا!)

**

٦ - يوم أقامت مجالس العزاء والبكاء على النبي صلى الله عليه وآله وأصرت عليها!
روت مصادر الجميع أن فاطمة عليها السلام كانت تندب أباهما صلى الله عليه وآله
وتبكيه، وروت فقرات مؤثرة من نوحها عليه، وأبيات شعر بليغة.
قال البخاري: ٥ / ١٤٤: (عن أنس قال لما ثقل النبي (ص) جعل يتغشاه فقالت
فاطمة: واكرب أباه! فقال لها: ليس على أبيك كرب بعد اليوم! فلما مات قالت: يا
أبتاه أجب ربا دعاه. يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه. يا أبتاه إلى جبريل ننعاه. فلما دفن
قالت فاطمة عليها السلام: يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله التراب!).
انتهى.

وروت مصادر الحديث والسيرة أحاديث أخرى تهز قلب الإنسان، من ذلك (أنها
أخذت قبضة من تراب النبي (ص) فوضعتها على عينيها ثم قالت:
ماذا على من شم تربة أحمد* أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت علي مصائب لو أنها* صبت على الأيام عدن لياليا
(مسند أحمد: ٢ / ٤٨٩)

أين كانت تقيم فاطمة عليها السلام مجالس عزائها على أبيها صلى الله عليه وآله؟
تدل الروايات على أنها كانت تقيمها عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وفي بيتها وفي
البيعة، وكانت تذهب إلى قبر عمها حمزة رحمه الله كل يوم خميس واثنين. واستمر
برنامجها هذا طوال مدتها بعد النبي صلى الله عليه وآله، وهي كما في رواياتنا نحو
ثلاثة أشهر وفي رواية البخاري ستة أشهر، وفيما يلي بعض الضوء على هذه المجالس:
من الطبيعي أن تكون نساء الأنصار والمهاجرين قد أقمن مجالس ندب على النبي صلى
الله عليه وآله في أحيائهن كما فعلن يوم شهادة حمزة رحمه الله وغيره وأن يحضر
غالبهن مجلس فاطمة الزهراء عليها السلام فيعزينها ويندبن معها رسول الله صلى الله
عليه وآله!

وطبيعي أن يكون لهذه المجالس دور اجتماعي وسياسي في ذلك الظرف الحساس، الذي حدث فيه بيعة السقيفة، وخالفها بنو هاشم وغيرهم، وهاجم الطلقاء بيت فاطمة وعلي صلى الله عليه وآله لإجبار من فيه على البيعة.

والسؤال الذي يفرض نفسه: ما بال رواية السلطة لم يرووا أخبار هذه المجالس؟ والجواب: أن الوضع لم يكن طبيعيا لا في المسجد ولا في بيت علي وفاطمة! فالحزب القرشي بعد بيعة أبي بكر جعلوا السقيفة مركز نشاطهم، بعد أن أهانوا سعد بن عبادة المريض، فحمله أولاده إلى بيته، وتركوا لهم السقيفة! لكنهم بعد الهجوم على بيت علي وفاطمة صلى الله عليه وآله جعلوا مسجد النبي صلى الله عليه وآله مركزهم! واتخذوا إجراءات مشددة في المسجد وحول القبر النبوي الشريف، شبيها بالأحكام العرفية، ومنعوا إقامة مجالس العزاء، ومطلق التجمع عند قبر النبي صلى الله عليه وآله، فقد كان خوف السلطة القرشية الجديدة من أمرين: الأول، مجالس الندب التي تقيمها فاطمة عليها السلام، أن توظفها لتأليب الأنصار وبعض المهاجرين ضد بيعة أبي بكر.

والثاني، أن تستجير فاطمة وعلي بقبر النبي صلى الله عليه وآله كما هي عادة العرب، معلنين أنهم أهل الوصية والخلافة، مطالبين بالوفاء لهم بالبيعة ورد بيعة أبي بكر! فكان الحل عند القرشيين أن أطلقوا نصا دينيا يمنع التجمع عند قبر النبي صلى الله عليه وآله حتى للصلاة! وقالوا إن ذلك آخر ما قاله النبي صلى الله عليه وآله في آخر لحظات حياته، وأنه لعن اليهود والنصارى لأنهم

اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، أي صلوا عندها! وفرضوا تنفيذ هذه (الوصية النبوية) بالقوة!

قالت عائشة: (لما نزل برسول الله (ص) طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر ما صنعوا. البخاري: ١ / ٤٢٢، ٦ / ٣٨٦، ٨ / ١١٦، ومسلم: ٢ / ٦٧، والنسائي: ١ / ١١٥، والدارمي: ١ / ٣٢٦، والبيهقي: ٤ / ٨٠، وأحمد: ١ / ٢١٨، ٦ / ٣٤، ٢٢٩، ٢٧٥). (الألباني في أحكام الجنائز ص ٢١٦) وقالت عائشة: (قال رسول الله (ص) في مرضه الذي لم يقم منه: لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. قالت: فلولا ذاك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا). البخاري: ٣ / ١٥٦، ١٩٨، ٨ / ١١٤، وأبو عوانة: ٢ / ٣٩٩، وأحمد: ٦ / ٨٠، ١٢١، ٢٥٥). (الألباني في أحكام الجنائز ص ٢١٦). وقال السرخسي في المبسوط: ١ / ٢٠٦: (ورأى عمر رجلا يصلي بالليل إلى قبر فناده: القبر القبر، فظن الرجل أنه يقول القمر، فجعل ينظر إلى السماء، فما زال به حتى بينه). انتهى.

والى يومنا هذا لم يستطع عالم من أتباع الخلافة القرشية أن يثبت أن اليهود والنصارى اتخذوا قبرا للنبي من أنبيائهم مسجدا! اللهم إلا المؤمنون الذين مدحهم الله بأنهم اتخذوا مسجدا على قبور أهل الكهف فقال تعالى: وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا). (الكهف: ٢١). فقد غفل واضعوا الحديث فكذبوا على تاريخ اليهود والنصارى، كما غفلوا عن هذه الآية التي تكذب زعمهم! لأن همهم كان منع مجالس فاطمة عليها السلام! الأحكام العرفية في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وعند قبره! ثم اخترع القرشيون حديثا للتأكيد على تحريم التجمع عند قبر النبي صلى الله عليه وآله ومنع استجارة بني هاشم به فقالوا إن النبي نفسه نهى أن يجعل قبره صنما ومجمعا ولو للعبادة فقال: (لا تتخذوا قبوري عيدا أو وثنا)! وفسروه بالنهي عن قصد قبره صلى الله عليه وآله

في أوقات معينة، أو مطلقا للتعبد عنده أو لغير ذلك! (أحكام الجنائز للألباني ص ٢١٩)!

وبذلك ضمنوا (التبرير الشرعي) لمنع علي عليه السلام إن أراد أن يستجير بقبر النبي صلى الله عليه وآله ويطلب بالخلافة! لأن الاستجارة بالقبر عند العرب تفرض الاستجابة لمطلب المستجير، وإلا لحق العار بذوي صاحب القبر ومن يعز عليهم! ولكنهم لم يكونوا يعرفون أن حرمة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله عند علي وفاطمة عليهما السلام أعظم من الخلافة، وأنهما ليسا حاضرين لكسر حرمة صلى الله عليه وآله بأي ثمن!

قد يقال: إن عادة الاستجارة بالقبر قد نسخها الإسلام. وجوابه: أن التاريخ يثبت أن العرب ما زالوا في الجاهلية والإسلام يستجيرون بقبور عظمائهم فينصبون خيمة ويقيمون عند القبر حتى يلبي طلبهم! وقد روت المصادر استجارة جماعة بقبر غالب جد الفرزدق، وهو بكازمة قرب الكويت، قال في المستطرف: ٢١٧: (وكان الفرزدق يجير من عاذ بقبر أبيه غالب بن صعصعة فمن استجار بقبر أبيه أجاره، وإن امرأة من بني جعفر بن كلاب خافت لما هجا الفرزدق بني جعفر أن يسميها وينسبها، فعادت بقبر أبيه، فلم يذكر لها إسما ولا نسبا، ولكن قال: فلا والذي عادت به لا أضرها... عجوز تصلي الخمس عادت بغالب (راجع أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٠٣٧، الاشتقاق لابن دريد ص ١٤٧، والتذكرة الحمدونية ص ٣١٧، والأعلام: ٥ / ١١٤، وغيرها).

كما رووا استجارة الكميت بقبر معاوية بن هشام، بعد أن قبض عليه الأمويون وأرادوا قتله فأجاره عبد الملك بن مروان: (فقال مسلمة للكميت: يا أبا المستهل؟ إن أمير المؤمنين قد أمرني بإحضارك! قال أتسلمني يا أبا شاكر؟ قال: كلا ولكني أحتال لك. ثم قال له: إن معاوية بن هشام مات قريبا وقد جزع عليه جزعا شديدا، فإذا كان من الليل فاضرب رواقك على قبره، وأنا أبعث إليك بنيه يكونون معك في الرواق، فإذا دعا بك تقدمت عليهم أن يربطوا ثيابهم بثيابك

ويقولون: هذا استجار بقبر أبينا ونحن أحق بإجارتته! فأصبح هشام على عادته متطلعا من قصره إلى القبر فقال: ما هذا؟ فقالوا: لعله مستجير بالقبر! فقال: يجار من كان إلا الكمية فإنه لا جوار له. فقيل: فإنه الكمية. فقال: يحضر أعنف إحضار! فلما دعى به ربط الصبيان ثيابهم بثيابه، فلما نظر هشام إليهم اغرورقت عيناه واستعبر وهم يقولون: يا أمير المؤمنين استجار بقبر أبينا وقد مات وما حظ من الدنيا، فاجعله هبة له ولنا، ولا تفضحنا فيمن استجار به! فبكى هشام حتى انتحب ثم أقبل على الكمية فقال له... (الغدير: ٢ / ٢٠٧) وذكر عتابه للكمية على قصائده المدوية في ذم بني أمية، واعتذار الكمية، وعفوه عنه.

وروا قصة استجارة عجرد الشاعر بقبر سليمان بن علي العباسي وعفو المنصور عنه، ذكر ذلك الصولي في (أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم ص ٢). إلى آخر قصص الاستجارة بالقبر في الجاهلية والإسلام.

إجراء جديد لمنع مجلس فاطمة عليها السلام رغم كل هذه الإجراءات، بقي مجلس فاطمة الزهراء عليها السلام مصدر قلق للحكومة الجديدة، فعملت لمنع حديث روته عن النبي صلى الله عليه وآله ينهى عن أصل البكاء على الميت، لأن الله يعذبه ببكاء أهله عليه! قال البخاري: ٢ / ٨٥: (وإن الميت يعذب ببكاء أهله عليه. وكان عمر يضرب فيه بالعصا ويرمي بالحجارة ويحشي بالتراب)!

لكن حديث عمر وتشدده في تطبيقه لم ينفذ في إيقاف مجالس فاطمة الزهراء عليها السلام! خاصة أن نساء الأنصار كن ينحن في عهد النبي صلى الله عليه وآله فلم ينهين بل أقمن مجلس نياحة على حمزة عند باب المسجد يعزين بذلك النبي صلى الله عليه وآله في عمه حمزة رحمه الله! فقد روى أحمد في مسنده: ٢ / ٤٠، عن ابن عمر أن رسول الله لما رجع من أحد فجعلت نساء الأنصار يبكين على من قتل من أزواجهن، قال فقال

رسول الله (ص): ولكن حمزة لا بواكي له! قال ثم نام فاستنبه وهن يبكين، قال: فهن اليوم إذا يبكين يندبن بحمزة). انتهى.

وفي مسند ابن راهويه: ٢ / ٥٩٩: (فقال رسول الله (ص): لكن حمزة لا بواكي له! قال فأمر سعد بن معاذ نساء بني ساعدة أن يبكين عند باب المسجد على حمزة، فجعلت عائشة تبكي معهن، فنام رسول الله (ص) فاستيقظ عند المغرب، فصلى المغرب ثم نام ونحن نبكي، فاستيقظ رسول الله (ص) العشاء الآخرة فصلى العشاء، ثم نام ونحن نبكي، فاستيقظ رسول الله (ص) ونحن نبكي، فقال: ألا أراهن يبكين حتى الآن؟ مروهن فليرجعن، ثم دعا لهن ولأزواجهن ولأولادهن). انتهى.

لكن رواة السلطنة حرفوا هذا الحديث ووضعوا فيه أن النبي صلى الله عليه وآله عامل نساء الأنصار بفظاظة وسوء خلق! مع أنهم جئن من أجله، وأقمن مجلس النياحة على عمه أمام باب داره ومسجده! ففي مسند أحمد: ٢ / ٨٤، عن عبد الله بن عمر أيضا! (أن رسول الله (ص) لما رجع من أحد سمع نساء الأنصار يبكين على أزواجهن فقال: لكن حمزة لا بواكي له، فبلغ ذلك نساء الأنصار فجئن يبكين على حمزة، قال فانتبه رسول الله (ص) من الليل فسمعهن وهن يبكين فقال: ويجهن لم يزلن يبكين بعد منذ الليلة؟! مروهن فليرجعن ولا يبكين على هالك بعد اليوم)! انتهى.

ولا يمكن لعاقل أن يقبل أنه صلى الله عليه وآله خرب مجلسهن أو أنهاه بهذه الفظاظة، فويجهن على تطويل النياحة، ثم نهاهن عن البكاء على أي ميت!!

والخلاصة، أن هذا الحديث العمري لم ينفذ في منع مجلس فاطمة عليها السلام، لكن يبدو أنها نقلته بعد المسجد إلى دارها!

وربما كان مجلسها في الفترة الأولى لوفاة النبي صلى الله عليه وآله صباحا ومساء، وبعد انتهاء المجالس في أحياء الأنصار، كان هو المجلس الوحيد الذي تقصده نساء

الأنصار وبعض نساء المهاجرين، وربما بعض نساء الطلقاء! هنا يأتي دور ما ذكرته مصادرنا من أن (بعض أهل المدينة) شكوا من استمرار مجالس فاطمة عليها السلام ليلا ونهارا! قال الإمام الصادق عليه السلام: (البكاؤون خمسة: آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة بنت محمد، وعلي بن الحسين عليهم السلام. فأما آدم فبكى على الجنة حتى صار في خديه أمثال الأودية! وأما يعقوب فبكى على يوسف حتى ذهب بصره، وحتى قيل له: تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين. وأما يوسف فبكى على يعقوب حتى تأذى به أهل السجن فقالوا له: إما أن تبكي الليل وتسكت بالنهار، وإما أن تبكي النهار وتسكت بالليل، فصالحهم على واحد منهما. وأما فاطمة فبكت على رسول الله صلى الله عليه وآله حتى تأذى بها أهل المدينة فقالوا لها: قد آذيتنا بكثرة بكائك! فكانت تخرج إلى المقابر فتبكي حتى تقضي حاجتها ثم تنصرف.

وأما علي بن الحسين فبكى على الحسين عليه السلام عشرين سنة ما وضع بين يديه طعام إلا بكى حتى قال له مولي له: جعلت فداك يا ابن رسول الله إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين، قال: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون، إني ما أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني لذلك عبرة). انتهى. (الخصال للصدوق ص ٢٧٢ ورواه أيضا في الأمالي ص ٢٠٤، والنيسابوري في روضة الواعظين ص ٤٥١، وابن شهر آشوب في المناقب: ٣ / ١٠٤).

وقال المجلسي في بحار الأنوار: ٤٣ / ١٧٧: (واجتمع شيوخ أهل المدينة وأقبلوا إلى أمير المؤمنين فقالوا له: يا أبا الحسن إن فاطمة تبكي الليل والنهار فلا أحد منا يتنهأ بالنوم في الليل على فرشنا، ولا بالنهار لنا قرار على أشغالنا وطلب معاشنا،

وإنا نخبرك أن تسألها إما أن تبكي ليلاً أو نهاراً، فقال: حبا وكرامة، فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام حتى دخل على فاطمة وهي لا تفيق من البكاء ولا ينفع فيها العزاء ، فلما رأته سكنت هنيئة له، فقال لها: يا بنت رسول الله إن شيوخ المدينة يسألوني أن أسألك إما أن تبكين أباك ليلاً وإما نهاراً. فقالت: يا أبا الحسن ما أقل مكثي بينهم وما أقرب مغيبني من بين أظهرهم، فوالله لا أسكت ليلاً ولا نهاراً، أو ألحق بأبي رسول الله! فقال لها علي: إفعلي يا بنت رسول الله ما بدا لك. ثم إنه بني لها بيتاً في البقيع نازحاً عن المدينة يسمى بيت الأحزان، وكانت إذا أصبحت عليها السلام قدمت الحسن والحسين أمامها، وخرجت إلى البقيع باكياً، فلا تزال بين القبور باكياً، فإذا جاء الليل أقبل أمير المؤمنين عليه السلام إليها وساقها بين يديه إلى منزلها!

أقول: ينبغي الإلفات إلى أن تأذي بعض أهل المدينة أو جماعة السلطة، لا يمكن أن يكون من مجرد بكاء فاطمة عليها السلام وذويها في بيتها أو في البقيع، بل من مجلسها الذي كان يحضره نساء الأنصار فيأخذ قسماً من النهار وجزءاً من الليل، وتندب فيه النادبات، ويقرآن فيه القرآن والشعر، وربما تحدثت فيه فاطمة! ثم تنعكس أخباره وأجواؤه على مدينة النبي صلى الله عليه وآله وحكومتها الجديدة!

أراكة الأحزان.. وبيت الأحزان!

يقع مشهد الأئمة من أهل البيت عليهم السلام في أعلى نقطة في البقيع على يمين الداخل، وقد هدمه الوهابيون في سنة ١٣٤٨ هجرية، وما زال قسم من جداره الشرقي موجوداً. وموضع بيت الأحزان في البقيع خلف هذا المشهد الشريف من جهة الشرق، وقد شمله الهدم، ففي الذريعة: ٧ / ٥٢: (ولكن انهدم بيت الأحزان في بقيع الغرقد لمجاورته مرآة أئمة الشيعة عليهم السلام، وذلك لأجل أنه قد يؤخذ الجار بجرم الجار). انتهى.

وقال السيد شرف الدين في النص والاجتهاد ص ٣٠١: (وهنا نلفت أولي الأبواب إلى البحث عن السبب في تنحي الزهراء عليها السلام عن البلد في نياحتها على أبيها صلى الله عليه وآله وخروجها بولديها في لمة من نساءها إلى البقيع يندبن رسول الله صلى الله عليه وآله، في ظل أراكة كانت هناك، فلما قطعت بني لها علي عليه السلام بيتا في البقيع كانت تأوى إليه للنياحة يدعى بيت الأحزان، وكان هذا البيت يزار في كل خلف من هذه الأمة، كما تزار المشاهد المقدسة، حتى هدم في هذه الأيام بأمر الملك عبد العزيز بن سعود النجدي، لما استولى على الحجاز وهدم المقدسات في البقيع، عملا بما يقتضيه مذهبه الوهابي، وذلك سنة ١٣٤٤ للهجرة. وكنا سنة ١٣٣٩ تشرفنا بزيارة هذا البيت بيت الأحزان، إذ من الله علينا في تلك السنة بحج بيته وزيارة نبيه، ومشاهد أهل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام في البقيع).

وقال صاحب الذريعة: ٧ / ٥٢: (أقول: إن دار تميم الداري معروفة بالمدينة وهو مشهد يزار حتى اليوم، وكذا دار أبي بكر وعثمان، ولكن انهدم بيت الأحزان في بقيع الغرقد لمجاورته مراقد أئمة الشيعة عليهم السلام، وذلك لأجل أنه: قد يؤخذ الجار بجرم الجار)! انتهى.

ورحم الله صاحب الذريعة على حسن ظنه، فقد تصور أن غرضهم هدم المشهد فقط، وأن بيت الأحزان لم يكن مقصودهم بالأصل بل بالعرض! لكن الذي يعرف تفكيرهم أكثر يجزم بأن بيت الأحزان كان مقصودا لهم بالأصل كالمشهد وضريحه وقبته، إن لم يكن مقصودا بالكره أكثر منه! لقد أصدر عمر الحكم بإعدام أراكة البقيع أو سدرته فقطعوها، ولم يكن ذنبها إلا أن الزهراء عليها السلام ونساء الأنصار استظللن بها وندبن النبي صلى الله عليه وآله تحتها. أما بيت الأحزان الذي بناه علي عليه السلام لهذا الغرض فيظهر أنهم لم يستطيعوا هدمه يومذاك، ثم توارث المسلمون تجديده، معلما وشاهدا!

ولئن كان بيت الأحزان وسدرة البقيع، اختصت شهرتهما بالشيعة، وناقش في أصل قصتهما مخالفوهم، فإن شجرة الرضوان عم خبرها ورواه حتى رواة الحكومة! واعترفوا بأن حكم الإعدام صدر في حق الشجرة ومن يصلي تحتها!

قال السيد شرف الدين رحمه الله في النص والاجتهاد ص ٣٦٨:

(المورد ٦٥ قطعة شجر الحديدية: شجرة الحديدية هذه بويح رسول الله صلى الله عليه وآله بيعة الرضوان تحتها، فكان من عواقب تلك البيعة أن فتح الله لعبده ورسوله فتحا مبينا ونصره نصرا عزيزا، وكان بعض المسلمين يصلون تحتها تبركا بها، وشكرا لله تعالى على ما بلغهم من أمانهم في تلك البيعة المباركة. فبلغ عمر ما كان من صلاتهم تحتها فأمر بقطعها! وقال (١): ألا لا أوتى منذ اليوم بأحد عاد إلى الصلاة عندها إلا قتلته بالسيف، كما يقتل المرتد! (٥١٩).

سبحان الله وبحمده والله أكبر! يأمره بالأمس رسول الله بقتل ذي الخويصرة وهو رأس المارقة، فيمتنع عن قتله احتراما لصلاته ثم يستل اليوم سيفه لقتل من يصلي من أهل الإيمان تحت الشجرة شجرة الرضوان!؟

وي، وي! ما الذي أرخص له دماء المصلين من المخلصين لله تعالى في صلاتهم؟ إن هذه لبذرة أجدرت وآتت أكلها في نجد (حيث يطلع قرن الشيطان)!

وقال في هامشه: (١) كما في السطر الأخير من ص ٥٩ من المجلد الأول من شرح النهج الحميدي (منه قدس). (٥١٩) الغدير للأميني: ٦ / ١٤٦، شرح النهج الحميدي: ٣ / ١٢٢، سيرة عمر لابن الجوزي ص ١٠٧، الطبقات الكبرى لابن سعد، السيرة الحلبية ج ٣ / ٢٩، فتح الباري: ٧ / ٣٦١ وقد صححه، إرشاد الساري: ٦ / ٣٣٧، شرح المواهب للزرقاني: ٢ / ٢٠٧، الدر المنثور: ٦ / ٧٣، عمدة القاري: ٨ / ٢٨٤ وقال: إسناد صحيح.. إلى آخر ما ذكره من مصادر.

ورحم الله الشاعر الحلي الكواز حيث قال، كما في بيت الأحزان للقمي ص ١٢٨:

الواثيين لظلم آل ومحمد* ومحمد ملقى بلا تكفين
والقائلين لفاطم آذيتنا* في طول نوح دائم وحنين

والقاطعين أراكة كيما تقيل * بظل أوراق لها وغصون
ومجمعي حطب على البيت الذي * لم يجتمع لولاه شمل الدين
والهاجمين على البتولة بييتها * والمسقطين لها أعز جنين
والقائدين إمامهم بنجاده * والطهر تدعو خلفه برنين
خلوا ابن عمي أو لأكشف في الدعا * رأسي وأشكو للإله شجونني
ما كان ناقة صالح وفصيلها * بالفضل عند الله إلا دوني
ورنت إلى القبر الشريف بمقلة * عبرى وقلب مكمد محزون
قالت وأظفار المصاب بقلبها * غوثاه قل على العداة معيني
أبتاه هذا السامري وعجله * تبعا ومال الناس عن هارون
أي الرزايا أتقي بتجلدي * هو في النوائب مذ حيت قريني
فقدني أبي أم غصب بعلي حقه * أم كسر ضلعي أم سقوط جنيني
أم أخذهم إرثي وفاضل نحلتي * أم جهلهم حقي وقد عرفوني
قهروا يتيميك الحسين وصنوه * وسألتهم حقي وقد نهروني

مواظبة فاطمة عليها السلام على زيارة قبر عمها حمزة رحمه الله كان برنامج الصديقة الزهراء عليها السلام بعد وفاة أبيها خاصا، أبرز ما فيه التوديع والتأكيد! توديعها لعلي والحسن والحسين وزينب وأم كلثوم وأبرار الأمة، وتأكيدها قولاً وعملاً على ثوابت الإسلام أن تغير وتبدل! خاصة الترتيب الرباني لنظام الحكم الذي نقضته قريش، وإجراءاتهم التحريفية حول قبر النبي صلى الله عليه وآله! لقد أصرت على مجالسها في النوح والندب على أبيها صلى الله عليه وآله، في مسجده عند قبره، وفي بيتها، وفي البقيع، وفي أحد! فأتت المجالس ثمارها. وكانت تزور قبر أبيها الحبيب صلى الله عليه وآله باستمرار وتبكي عنده، ثم تقيم مجلس عزائه وندبه في البقيع، وتزور عمها حمزة رحمه الله والشهداء في أحد كل اثنين وخميس، فهذان اليومان عزيزان عليها، كان يصومهما أبوها صلى الله عليه وآله وتصومهما معه، وفيهما تعرض الأعمال على رسول الله صلى الله عليه وآله، وفيهما تفتح أبواب الجنة. (منتهى المطلب للعلامة الحلي: ٢ / ٦١٤، ومجموع النووي: ٦ / ٣٨٦ عن الترمذي وحسنه).

قال الإمام الصادق عليه السلام: (عاشت فاطمة بعد أبيها خمسة وسبعين يوماً لم تر كاشرة ولا ضاحكة، تأتي قبور الشهداء في كل جمعة مرتين الاثنين والخميس فتقول: هاهنا كان رسول الله صلى الله عليه وآله هاهنا كان المشركون. وفي رواية: كانت تصلي هناك وتدعو حتى ماتت عليها السلام). انتهى. (الكافي: ٣ / ٢٢٨). تقول بذلك صلوات الله عليها: من هاهنا وبهذه الدماء الطاهرة، وأغلاها دماء بني هاشم، وبهذه الجهود المتواصلة وأغلاها جهود بني هاشم، جاء هذا الفتح، وبني هذا المجد، الذي صادرتة قريش، واستحلت حرق بيوتنا علينا، طمعا فيه! فهذا هو أبي رسول الله صلى الله عليه وآله المؤسس لهذه الأمة، والشاهد على أعمالها. وهذا هو حمزة عمي رحمه الله، وزير النبي وناصره، يثوي هنا شاهداً. وذاك هو علي زوجي عليه السلام وزير النبي ووصيه، الذي قام الإسلام على أكتافه،

يتجرع الغصص من قريش إلى اليوم، يقولون له بايع وإلا قتلناك!
وذاك أخوه ابن عمي جعفر رحمه الله يثوي شهيدا وشاهدا في مؤتة، على مشارف
القدس، داخل مملكة الروم! فأين كانت قريش وطلقاؤها؟!
**

أرادت فاطمة عليها السلام أن تفهم الأمة أن ارتباطها برسول الله وعترته صلى الله عليه
وآله، والعيش في أجوائهم، ضرورة لإيمانها، وإلا انحرفت بعيدا!
وأن حقهم عليها أمواتا كحقهم أحياء، وأن الانتقاص من حقهم والمنع من زيارة
قبورهم للرجال والنساء، بداية طريق قرشية، لإبعاد الأمة عنهم!
في كشف الإرتياب للسيد الأمين ص ٣٣٩: (كانت تزور قبر عمها حمزة في كل
جمعة فتصلي وتبكي عنده... وابن تيمية يقول لم يذكر أحد من أئمة السلف أن الصلاة
عند القبور وفي مشاهدتها مستحبة)!!

وفي كشف الإرتياب ص ٣٧٩: (ويظهر أن الوهابية بعدما أباحوا للنساء زيارة القبور
في العام الماضي منعوهن منها في هذا العام! فقد أخبرنا الحجاج أن النساء منعت من
الدخول إلى البقيع في هذا العام بدون استثناء، وكأنهم بنوا على هذا الاحتمال الضعيف
الذي ذكره السندي وقال به صاحب المذهب والبيان من بقائهن تحت النهي، فظهرت
لهم صحته هذا العام بعدما خفيت عنهم في العام الأول " يمحو الوهابية ما يشاؤون
ويثبتون وعندهم أم الكتاب " .

لسنا نعارضهم في اجتهادهم أخطأوا فيه أم أصابوا، ولكننا نسألهم ما الذي سوغ لهم
حمل المسلمين على اتباع اجتهادهم المحتمل الخطأ والصواب، بل هو إلى الخطأ
أقرب لمخالفته لما قطع به الجمهور ولم يقل به إلا الشاذ كما سمعت! والأمور
الاجتهادية لا يجوز المعارضة فيها كما بيناه في المقدمات!
وما بهم يسلبون المسلمين حرية مذاهبهم في الأمور الاجتهادية، ويحملونهم على
اتباع معتقداتهم فيها بالسوط والسيف.

كما زادوا في طنبور تعنتهم هذه السنة نغمات، فعاقبوا الناس على البكاء عند زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله أو أحد القبور ومنعواهم منه! والبكاء أمر قهري اضطراري لا يعاقب الله عليه، ولا يتعلق به تكليف لاشتراط التكليف بالقدرة عقلا ونقلا ومنعوا من القراءة في كتاب حال الزيارة، ومن إطالة الوقوف! فمن رأوا في يده كتاب زيارة أخذوه منه ومزقوه أو أحرقوه وضربوا صاحبه وأهانوه! ومن أطال الوقوف طردوه وضربوه!

حدثني بعض الحجاج الثقات أنه تحيل لقراءة الزيارة من الكتاب بأن فصل أوراقا منه وجعلها في القرآن وجلس يظهر قراءة القرآن ويزور، فاتفق أنه أشار غفلة بالسلام نحو قبر النبي صلى الله عليه وآله فدفعوه حتى أخرجوه من المسجد، وأخذوا تلك الأوراق ومزقوها! وأمثال هذا مما صدر منهم في حق الحجاج في مسجدي مكة والمدينة ومسجد الخيف والبقيع وغيرها، مما سمعناه متواترا من الحجاج، كثير يطول الكلام بنقله!! انتهى.

وقد أورد السيد مهدي الروحاني في كتابه في أحاديث أهل البيت عليهم السلام: ١ / ٥٤٨، تحت عنوان: باب زيارة فاطمة عليها السلام قبر عمها حمزة رحمه الله مجموعة مصادر سنينة روت ذلك، منها مصنف عبد الرزاق: ٣ / ٥٧٢ وص ٥٧٤، وفيه: (كانت تأتي قبر حمزة وكانت قد وضعت عليه علما) وطبقات ابن سعد: ٣ / ١٩، وتاريخ المدينة: ١ / ١٣٢، وفيهما: (ترمه وتصلحه). ونوادر الترمذي ص ٢٤، وفيه (في كل عام فترمه وتصلحه) (وفي نسختنا: ١ / ١٢٦)، والحاكم: ٣ / ٢٨، وفيه (في الأيام فتصلي وتبكي عنده. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه). وإحياء الغزالي: ٤ / ٤٧٤ (وفي نسختنا: ٤ / ٤٩٠)، وسنن البيهقي: ٤ / ٧٨، وفيه: (كل جمعة فتصلي وتبكي عنده). انتهى.

راجع أيضا: التمهيد لابن عبد البر: ٣ / ٢٣٤، وفيه: (كل جمعة وعلمته بصخرة). وشرح الزرقاني: ٣ / ١٠١، ودراري الشوكاني ص ١٩٧، وحاشية الطحطاوي على مراقبي الفلاح ص ٤١٢، وأنساب الأشراف للبلاذري ص ١٠٨٠. ومن مصادرنا: دعائم الإسلام: ١ / ٢٣٩، وكفاية الأثر ص ١٩٨).

سبحة الزهراء عليها السلام من تربة حمزة رحمه الله
ابتكرت الزهراء المهديّة من ربها، المعصومة بلطفه عليها السلام، عملا بسيطا، لكنه
بليغ لربط الأمة بالنبي وآله صلى الله عليه وآله، فاتخذت من تربة قبر حمزة سبحة من
أربع وثلاثين حبة، لكي تعد بها تسبيحها لربها بعد كل صلاة!
تقول بذلك للأمة لقد علمكم رسول الله صلى الله عليه وآله كيف تذكرون الله تعالى
ذكرا كثيرا بعد صلواتكم، فتكبروا الله أربعاً وثلاثين مرة، وتحمدوه ثلاثاً وثلاثين،
ويسبحوه ثلاثاً وثلاثين، وسمى هذا التسبيح باسمي تسبيح فاطمة، لكي تذكروني ولا
تنسوني، كما سمي صلاة جعفر باسمه لكي تذكروه ولا تنسوه، وها أنا أتخذ سبحة
من تربة قبر عمي حمزة رحمه الله، لكي تذكروه فلا تنسوه، حتى يستشهد ولدي
الحسين، فتتخذوا سبحة من تربته ولا تنسوه!
في مستدرك الوسائل: ٥ / ٥٦: عن الإمام الصادق عليه السلام قال (وتكون السبحة
بخيوط زرق، أربعاً وثلاثين خرزة، وهي سبحة مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام لما
قتل حمزة عملت من طين قبره سبحة، تسبح بها بعد كل صلاة). انتهى.
وفي كتاب المزار للمفيد ص ١٥٠: (عن الصادق جعفر بن محمد صلى الله عليه وآله
أن فاطمة عليها السلام كانت مسبحتها من خيط من صوف مفتل، معقود عليه عدد
التكبيرات، فكانت بيدها تديرها تكبر وتسبح، إلى أن قتل حمزة بن عبد المطلب
فاستعملت تربته وعملت التساييح فاستعملها الناس. فلما قتل الحسين عليه السلام عدل
بالأمر عليه فاستعملوا تربته لما فيها من الفضل والمزية). (ورواه في جامع أحاديث
الشيعة: ٥ م ٢٦٨، عن مكارم الأخلاق ص ١٤٧، والحدائق الناضرة: ٧ / ٢٦١،
ووسائل الشيعة (آل البيت): ٦ / ٤٥٥
وقصده بالمزية لتربة الحسين عليه السلام ما تواتر عند المسلمين من أحاديث رسول الله
صلى الله عليه وآله في فضل تربة كربلاء، وأن جبرئيل أخبره بأن سبطه الحسين عليه
السلام سيقتل

فيها، وجاء له بقبضة من ترابها، فأودعها النبي صلى الله عليه وآله عند أم سلمة فوضعتها في زجاجة، وأخبرها أنه حين يقتل ستظهر لله فيها آية وتتحول إلى دم صاف! (راجع: مسند أحمد: ٦ / ٢٩٤ روى عدة أحاديث بعضها رجاله رجال الصحيح، والحاكم: ٣ / ١٧٧ و: ٤ / ٣٩٨، روى أحاديث على شرط الشيخين، ومجمع الزوائد: ٩ / ١٨٥، باب مناقب الحسين بن علي).
**

٧ - يوم جاء أبو بكر وعمر لزيارتها ليعتذرا منها!
اتفقت رواياتهم على أن موقف فاطمة عليها السلام في إدانة السقيفة واتهام أبي بكر وعمر، كان أشد من مواقف الجميع حتى أمير المؤمنين عليه السلام!
وروت مصادرنا، ومصادرهم كابن قتيبة، أنها عليها السلام أدانتها بالقول والفعل، وعندما طلب أبو بكر المجيء إلى بيتها للاعتذار منها لهجومهم على بيتها، لم تقبل دخولها بيتها، فتوسط لهما علي عليه السلام ودخلا فلم ترد عليهما السلام وأدارت وجهها إلى الحائط، وناشدتهما وهي غاضبة، ما سمعا من النبي صلى الله عليه وآله في من أغضبها فشهدا بذلك، فأعلنت غضبها عليهما ومقاطعتها لهما، وأنها ستشكوهما إلى الله ورسوله صلى الله عليه وآله، وتدعو عليهما بعد كل صلاة!
في كتاب سليم ص ٣٩١: (فدخلا وسلما وقالوا: إرضي عنا رضي الله عنك. فقالت: ما دعاكما إلى هذا؟ فقالا: اعترفنا بالإساءة، ورجونا أن تعفي عنا وتخرجي سخيمتك. فقالت: فإن كنتما صادقين فأخبراني عما أسألكما عنه فإنني لا أسألكما عن أمر إلا وأنا عارفة بأنكما تعلمانه، فإن صدقتما علمت أنكما صادقان في مجيئكما. قال: سلي عما بدا لك. قالت: نشدتكما بالله هل سمعتما رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: فاطمة بضعة مني فمن آذاها فقد آذاني؟ قالوا: نعم. فرفعت يدها إلى السماء فقالت: اللهم إنهما قد آذيانني فأنا أشكوهما إليك وإلى رسولك. لا والله لا أرضى عنكما أبدا حتى ألقى أبي رسول الله وأخبره بما صنعتما فيكون هو الحاكم فيكما! قال: فعند ذلك دعا أبو بكر بالويل والثبور وجزع جزعا شديدا. فقال عمر: تجزع يا خليفة رسول الله من قول امرأة). انتهى.
وفي رواية علل الشرائع: ١ / ١٨٧: (قالا نعم. قالت: الحمد لله، ثم قالت: اللهم إني أشهدك فاشهدوا يا من حضرني أنهما قد آذيانني في حياتي وعند موتي! والله لا

أكلمكما من رأسي كلمة حتى ألقى ربي فأشكوكما بما صنعتما بي وارتكبتما مني!
فدعا أبو بكر بالويل والثبور وقال: ليت أمي لم تلدني! فقال عمر: عجباً للناس كيف
ولوك أمورهم وأنت شيخ قد خرفت! تجزع لغضب امرأة وتفرح برضاها وما لمن
أغضب امرأة! وقاما وخرجا!

وفي الغدير: ٧ / ٢٢٨، عن الإمامة والسياسة: ١ / ١٤، وأعلام النساء للجاحظ: ٣ /
١٢١٤: (قالت: فإني أشهد الله وملائكته إنكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن
لقيت النبي لأشكونكما إليه. فقال أبو بكر: أنا عائد بالله تعالى من سخطه وسخطك يا
فاطمة! ثم انتحب أبو بكر يبكي حتى كادت نفسه أن تزهب، وهي تقول: والله لأدعون
عليك في كل صلاة أصليها. ثم خرج باكياً فاجتمع الناس إليه فقال لهم: بيت كل
رجل معانقا حليلته مسرورا بأهله وتركتموني وما أنا فيه لا حاجة لي في بيعتكم،
أقبلوني بيعتي...). انتهى.

وفي البخاري: ٤ / ٢١٠، قال النبي صلى الله عليه وآله: (فاطمة بضعة مني فمن
أغضبها أغضبني)!

وفي البخاري: ٤ / ٤١، عن عائشة: (فغضبت فاطمة بنت رسول الله فهجرت أبا بكر
فلم تزل مهاجرته حتى توفيت. وعاشت بعد رسول الله (ص) ستة أشهر).
**

٨ - يوم خطبت في المسجد النبوي فهزت حتى الجماد!
بلغت مواقف فاطمة عليها السلام أوجها، عندما خرجت خلف علي عليه السلام
وهددتهم بالدعاء بالعذاب عليهم، إن قتلوه، وهم يعلمون أن دعاءها لا يرد!
وعندما جاء إلى بيتها ليعتذرا ويقولوا للناس إنا اعتذرنا من فاطمة فرضيت عنا وتركت
دعائها علينا، فسلما عليها فلم ترد عليهما السلام، وأدارت وجهها إلى الحائط!
وسألتهما فشهدا بأنهما سمعا من النبي صلى الله عليه وآله أن من أغضب فاطمة فقد
أغضبه، ومن أغضبه فقد أغضب رب العلمين، فشهدا بذلك!
فأعلنت وأشهدت المسلمين إلى يوم الدين أنها غاضبة عليهما، وأنها ستدعوا عليهما
بعد كل صلاة تصلّيها حتى تلقى ربها وأباها، فتشكوهما أمر شكوى وأشدها
، وتخاصمهما عند الله ورسوله!
على أن أوج مواقفها عليها السلام التي وصلت إلينا كلاما مكتوبا شاملا، خطبتها في
المسجد النبوي في حشد المهاجرين والأنصار! وقد أعدت بنت أبيها لهذا الموقف
واستعدت، فأبلغت بالخطاب، وأتمت الحجّة، وهزت حتى الجماد!
وهي خطبة مشهورة، روتها المصادر المختلفة، وشرحها العلماء والمؤرخون في رسائل
خاصة، وقد أدانت فيها الزهراء عليها السلام نظام السقيفة القرشي، وصرحت بأنه
مؤامرة على الإسلام، ودعت الأنصار إلى مقاومته بالسلاح!
كما أدانت قرارات أبي بكر الاقتصادية لإضعاف أهل البيت عليهم السلام، ومنعها منع
الخمسة عنهم، ومصادرة أوقاف النبي صلى الله عليه وآله وهي سبعة بساتين، ومصادرة
مزرعة فدك التي منحها النبي لفاطمة، ومنعه إياها من إرث أبيها!
في مواقف الشيعة للأحمدي: ١ / ٤٥٨ : (روى عبد الله بن الحسن بإسناده، عن

آبائه عليهم السلام أنه لما أجمع أبو بكر وعمر على منع فاطمة عليها السلام فدكا وبلغها ذلك، لاثت خمارها على رأسها واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها، تطأ ذيولها، ما تحرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله، حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة، فجلست ثم أنت أنه أجهش القوم لها بالبكاء، فارتج المجلس! ثم أمهلت هنيئة حتى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم، افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله صلى الله عليه وآله فعاد القوم في بكائهم، فلما أمسكوا عادت في كلامها، فقالت عليها السلام:

الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن أولها، جم عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمدها، وتفاوت عن الإدراك أبدها، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها واستحمد إلى الخلائق بإجزالها، وثنى بالندب إلى أمثالها. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها، وضمن القلوب موصولها، وأثار في التفكر معقولها، الممتنع من الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام كلفيته، ابتدع الأشياء لامن شئ كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امثلها. كونها بقدرته، وذراها بمشيته، من غير حاجة منه إلى تكوينها، ولا فائدة له في تصويرها، إلا تثبيتا لحكمته وتنبئها على طاعته، وإظهارا لقدرته، تعبدا لبريته، وإعزازا لدعوته، ثم جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، زيادة لعباده من نعمته، وحياسة لهم إلى جنته. وأشهد أن أبي محمدا صلى الله عليه وآله عبده ورسوله، اختاره قبل أن أرسله، وسماه قبل أن اجتباه، واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونة، وبستر الأهويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة، علما من الله تعالى بما يلى الأمور، وإحاطة بحوادث الدهور،

ومعرفة بمواقع الأمور. ابتعثه الله إتماماً لأمره، وعزيمة على إمضاء حكمه، وإنفاذاً لمقادير رحمته، فرأى الأمم فرقا في أديانها، عكفا على نيرانها، عابدة لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها، فأثار الله بأبي محمداً صلى الله عليه وآله ظلمها، وكشف عن القلوب بهمها، وجلى عن الأبصار عماها، وقام في الناس بالهداية، فأنقذهم من الغواية، وبصرهم من العمياء، وهداهم إلى الدين القويم ودعاهم إلى الطريق المستقيم. ثم قبضه الله إليه قبض رافة واختيار، ورغبة وإيثار، فمحمداً صلى الله عليه وآله من تعب هذه الدار في راحة، قد حف بالملائكة الأبرار، ورضوان الرب الغفار، ومجاورة الملك الجبار، صلى الله عليه وآله نبيه وأمينه وخيرته من الخلق وصفيه، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

ثم التفتت إلى أهل المجلس وقالت: أنتم عباد الله! نصب أمره ونهيه، وحملة دينه ووحيه، وأمناء الله على أنفسكم وبلغاؤه إلى الأمم، زعيم حق له فيكم، وعهد قدمه إليكم، وبقية استخلفها عليكم: كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع، بينة بصائرهم، منكشفة سرائرهم، منجلية ظواهرهم، مغتبطة به أشياعهم، قائد إلى الرضوان اتباعه، مؤد إلى النجاة استماعه، به تنال حجج الله المنورة، وعزائمه المفسرة، ومحارمه المحذرة، وبيناته الجالية، وبراهينه الكافية، وفضائله المندوبة، ورخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة. فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر، والزكاة تزكية للنفس ونماء في الرزق، والصيام تثبيتاً للإخلاص، والحج تشييداً للدين، والعدل تنسيقاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً للملة، وإمامتنا أماناً للفرقة، والجهاد عزاً للإسلام، والصبر معونة على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف مصلحة للعامة، وبر الوالدين وقاية من السخط، وصلة الأرحام منسأة في العمر ومنمأة للعدد، والقصاص حقناً للدماء، والوفاء بالنذر تعريضا للمغفرة، وتوفية المكائيل والموازن تغييراً

للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيها عن الرجس، واجتناب القذف حجابا عن اللعنة، ترك السرقة إيجابا للعفة، وحرم الله الشرك إخلاصا له بالربوبية فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه فإنه إنما يخشى الله من عباده العلماء.

ثم قالت: أيها الناس إعلموا أنني فاطمة وأبي محمدا، أقول عودا وبدوا، ولا أقول ما أقول غلطا، ولا أفعل شططا لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم، فإن تعزوه وتعرفوه تجدوه أبي دون نساءكم وأخا ابن عمي دون رجالكم، ولنعم المعزي إليه صلى الله عليه وآله فيبلغ الرسالة صادعا بالندارة، مائلا عن مدرجة المشركين، ضاربا ثبجهم، آخذا بأكظامهم، داعيا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، يجف الأصنام، وينكث الهام، حتى انهزم الجمع وولوا الدبر، حتى تفرى الليل عن صبحه، وأسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين، وطاح وشيظ النفاق، وانحلت عقد الكفر والشقاق، وفهتم بكلمة الإخلاص في نفر من البيض الخماصر، وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام، تشربون الطرق، وتقتاتون القد، أذلة خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد بعد اللتيا والتي، وبعد أن مني بهم الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن الشيطان أو فغرت فاغرة من المشركين، قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفى حتى يطاء صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكدودا في ذات الله، مجتهدا في أمر الله، قريبا من رسول الله، سيدا في أولياء الله، مشمرا ناصحا، مجدا كادحا، لا تأخذه في الله لومة لائم، وأنتم في رفاهية من العيش وادعون فاكهون آمنون، تتربصون بنا الدوائر، وتتوكفون الأخبار، وتنكصون عند النزال، وتفرون من القتال!!

فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه ومأوى أصفياؤه، ظهرت فيكم حسيكة النفاق،

وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ حامل الأقلين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفا بكم، فألفاكم لدعوته مستحيين، وللغرة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافا، وأحمشكم فألفاكم غضابا، فوسمتم غير إبلكم، ووردتم غير شربكم.

هذا، والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل، والرسول لما يقبر، ابتدارا زعمتم خوف الفتنة! ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين. فهيهات منكم، وكيف بكم، وأنى تؤفكون! وكتاب الله بين أظهركم، أموره ظاهرة، وأحكامه زاهرة، وأعلامه باهرة، وزواجره لائحة، وأوامره واضحة، وقد خلفتموه وراء ظهوركم، أرغبة عنه تريدون، أم بغيره تحكمون؟ بئس للظالمين بدلا! ومن يتبع غير الإسلام ديننا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين!

ثم لم تلبثوا إلا إرث أن تسكن نفرتها، ويسلس قيادها، ثم أخذتم تورون وقديتها، وتهيجون جمرتها، وتستحيون لهتاف الشيطان الغوي، وإطفاء أنوار الدين الجلي، وإهمال سنن النبي الصفي، تشربون حسوا في ارتغاء، وتمشون لأهله وولده في الخمرة والضراء، ويصبر منكم على مثل حز المدى ووخز السنان في الحشا. وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا! أفحكم الجاهلية (تبغون) ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون؟!

أفلا تعلمون؟! بلي، قد تجلى لكم كالشمس الضاحية إني ابنته أيها المسلمون! أغلب على إرثي يا ابن أبي قحافة! أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئا فريا! أفعلني عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول وورث سليمان داود، وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا صلى الله عليه وآله إذ قال: فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب، وقال: وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله، وقال: يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين، وقال: إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين.

وزعمتم أن لا حظوة لي ولا إرث من أبي ولا رحم بيننا، أفخصكم الله بأية أخرج منها أبي! أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثان! أو لست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟! أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي!؟

فدونكها مخطومة مرحولة، تلقاك يوم حشرك! فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعود القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون! ولا ينفعكم إذ تندمون، لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون. فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم.

ثم رمت بطرفها نحو الأنصار فقالت: يا معشر الفتية، وأعضاء الملة، وحضنة الإسلام! ما هذه الغميرة في حقي والسنة عن ظلامتي! أما كان رسول الله صلى الله عليه وآله أبي يقول: المرء يحفظ في ولده؟! سرعان ما أحدثتم! وعجلان ذا إهالة! ولكم طاقة بما أحاول، وقوة على ما أطلب وأزاول، أتقولون مات محمد؟ فخطب جليل استوسع وهنه، واستنهر فتقه، وانفتق رتقه، وأظلمت الأرض لغيبته، واكتأبت خيرة الله لمصيبته، وكسفت الشمس والقمر، وانتشرت النجوم لمصيبته، وأحدث الآمال، وخشعت الجبال، وأضيع الحریم، وأزيلت الحرمة عند مماته، فتلك والله النازلة الكبرى والمصيبة العظمى لا مثلها نازلة، ولا بائقة عاجلة، أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه يهتف في أفئيتكم في ممساكم ومصبحكم، هتافا وصراخا وتلاوة وألحانا! ولقبله ما حلت بأنبياء الله ورسله، حكم فصل وقضاء حتم، وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين.

إيها بني قيلة! أأهضم تراث أبي وأنتم بمرأى مني ومسمع ومنتدى ومجمع، تلبسكم الدعوة وتشملكم الخبرة، وأنتم ذووا العدد والعدة والأداة والقوة، وعندكم السلاح والحنة، توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنخبة التي انتخبت، والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت! قاتلتم العرب، وتحملتكم الكد والتعب، وناطحتكم الأمم،

وكافحتم البهم، لا نبرح أو تبرحون نأمركم فتأتمرون، حتى إذا دارت بنا رحي الإسلام، ودر حلب الأيام، وخضعت ثغرة الشرك، وسكنت فورة الإفك، وخمدت نيران الكفر، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدين، فأنى حزتم بعد البيان، وأسررتهم بعد الإعلان، ونكصتم بعد الإقدام، وأشركتم بعد الإيمان؟!
بؤسا لقوم نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدأوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين!

ألا قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض، وخلوتم بالدعة، ونجوتهم بالضيق من السعة، فمجحتم ما وعيتم، ودسغتم الذي تسوغتم! فإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميدا! وقد قلت ما قلت هذا على معرفة مني بالجدلة التي خامرتكم، والغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضة النفس، ونفثة الغيظ، وخور القناة، وبنة الصدر، وتقدمة الحجة، فدونكموها! فاحتقبوها دبرة الظهر، نقبة الخف، باقية العار، موسومة بغضب الله وشنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة! فبعين الله ما تفعلون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون!

أنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد فاعملوا إنا عاملون، وانتظروا إنا منتظرون! فأجابها أبو بكر وقال: يا ابنة رسول الله! لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفا كريما رؤوفا رحيفا، وعلى الكافرين عذابا أليما وعقابا عظيما، إن عزوانه وجدناه أباك دون النساء، وأخا إفك دون الأخلاء، آثره على كل حميم، وساعده في كل أمر جسيم، لا يحبكم إلا سعيد ولا يبغضكم إلا شقي بعيد، فأنتم عترة رسول الله الطيبون الخيرة المنتجبون، على الخير أدلتنا وإلى الجنة مسالكننا، وأنت يا خيرة النساء وابنة خير الأنبياء صادقة في قولك، سابقة في وفور عقلك، غير مردودة عن حقك، ولا مصدودة عن صدقك، والله ما عدوت رأي رسول الله

ولا عملت إلا بإذنه، وإن الرائد لا يكذب أهله، فإني أشهد الله وكفى به شهيدا أني سمعت رسول الله يقول: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهبا ولا فضة ولا دارا ولا عقارا، وإنما نورث الكتاب والحكمة والعلم والنبوة، وما كان لنا من طعمة فلولي الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه. وقد جعلنا ما حاولته في الكراع والسلاح يقاتل بها المسلمون ويجاهدون الكفار ويجالدون المردة الفجار، وذلك بإجماع من المسلمين لم أنفرد به وحدي، ولم أستبد بما كان الرأي فيه عندي، وهذه حالي ومالي هي لك وبين يديك لا نزوي عنك ولا ندخر دونك، وإنك وأنت سيدة أمة أبيك، والشجرة الطيبة لبنيك، لا يدفع مالك من فضلك، ولا يوضع في فرعك وأصلك، وحكمك نافذ فيما ملكت يداي، فهل ترين أن أخالف في ذلك أباك؟!!

فقلت عليها السلام: سبحان الله! ما كان أبي رسول الله صلى الله عليه وآله عن كتاب الله صادفا، ولا لأحكامه مخالفا، بل كان يتبع أثره، ويقفو سوره، أفتجمعون إلى الغدر اعتلا لا عليه بالزور! وهذا بعد وفاته شبيه بما بغى له من الغوائل في حياته!! هذا كتاب الله حكما عدلا وناطقا فصلا يقول: يرثني ويرث من آل يعقوب، ويقول: وورث سليمان داود، فبين عز وجل فيما وزع من الأقساط، وشرع من الفرائض والميراث، وأباح من حظ الذكران والإناث، ما أزاح به علة المبطلين، وأزال التظني والشبهات في الغابرين!

كلا! بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون! فقال أبو بكر: صدق الله ورسوله وصدقت ابنته! أنت معدن الحكمة وموطن الهدى والرحمة، وركن الدين، وعين الحجة، لا أبعد صوابك، ولا أنكر خطابك، هؤلاء المسلمون بيني وبينك قلدوني ما تقلدت، وباتفاق منهم أخذت ما أخذت، غير مكابر ولا مستبد ولا مستأثر، وهم بذلك شهود!

فالتفت فاطمة عليها السلام إلى الناس وقالت: معاشر الناس المسرعة إلى قيل الباطل،
والمغضية على الفعل القبيح الخاسر! أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟ كلا بل
ران على قلوبكم ما أسأت من أعمالكم، فأخذ بسمعكم وأبصاركم ولبئس ما تأولتم،
وساء ما به أشرتم، وشر ما منه اغتصبتم، لتجدن والله محمله ثقيلا وغبه وبيلا، إذا
كشف لكم الغطاء وبان ما وراءه الضراء، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون،
وخسر هنالك المبطلون. ثم عطفت على قبر النبي صلى الله عليه وآله وقالت:
قد كان بعدك أنباء وهنئة* لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
أبدت رجال لنا نجوى صدورهم* لما مضيت وحالت دونك الترب
تجهمتنا رجال واستخف بنا* لما فقدت وكل الأرض مغتصب
وكنت بدرا ونورا يستضاء به* عليك ينزل من ذي العزة الكتب
وكان جبرئيل بالآيات يؤنسنا* فقد فقدت وكل الخير محتجب
فليت قبلك كان الموت صادفنا* لما مضيت وحالت دونك الكتب
ثم انكفأت وأمير المؤمنين يتوقع رجوعها إليه ويتطلع طلوعها عليه، فلما استقرت بها
الدار قالت لأمير المؤمنين: يا ابن أبي طالب! اشتملت شملة الجنين، وقعدت حجرة
الظنين، نقضت قادمة الأجدل، فخانك ريش الأعزل، هذا ابن أبي قحافة يبتزني نحلة
أبي وبلغة ابني، لقد أجهد في خصامي، وألفيته ألد في كلامي، حتى حبستني قبلة
نصرها، والمهاجرة وصلها، وغضت الجماعة دوني طرفها، فلا دافع ولا مانع، خرجت
كاظمة وعدت راغمة! أضرعت خدك يوم أضعت خدك، افترست الذئاب وافترشت
التراب، ما كفت قائلا ولا أغنيت طائلا، ولا خيار لي! ليتني مت قبل هنيئتي ودون
ذلتني، عذيري الله منه عاديا ومنك حاميا، ويلاي في كل شارق! ويلاي في كل
غارب! مات العمدة ووهن العضد، شكواي إلى أبي وعدواي إلى ربي! اللهم إنك أشد
منهم قوة وحولا، وأشد بأسا وتنكيلا.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لا ويل لك، بل الويل لشانئك، ثم نهني عن وجدك يا ابنة الصفوة، وبقية النبوة، فما ونيت عن ديني، ولا أخطأت مقدوري، فإن كنت تريدن البلغة فرزقك مضمون وكفيلك مأمون، وما أعد لك أفضل مما قطع عنك، فاحتسبي الله. فقالت: حسبي الله، وأمسكت). انتهى.

وقال في شرح النهج: ١٦ / ٢٥٢: (فما رأينا يوماً أكثر باكياً أو باكياً من ذلك اليوم). ولهذه الخطبة وأجزائها مصادر عديدة نكتفي منها بما ذكرنا وبالاحتجاج: ١ / ١٣١. تأثير خطبة الزهراء عليها السلام على السلطة القرشية!

من الثابت أن وضع السلطة القرشية كان ضعيفاً في الأسابيع الأولى، وقد اعترف عمر بأن عامة الأنصار كانوا معارضين لهم، فقال كما في البخاري: ٨ / ٢٦: (إنه قد كان من خبرنا حين توفي الله نبيه أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة، وخالف عنا علي والزبير ومن معهما). انتهى.

وعد المؤرخون عشرات الصحابة من الأنصار والمهاجرين، أدانوا السقيفة، أو امتنعوا عن البيعة، وإنما كان المعتصمون في بيت علي وفاطمة صلى الله عليه وآله بعضهم! وقد هزت هذه الخطبة الفاطمية وضع السلطة القرشية الجديدة، وذكر الرواة أن البكاء عم الناس ذلك اليوم، وأن بعض الأنصار هتفوا باسم علي عليه السلام للخلافة فخاف أبو بكر وعمر أن يتحرك الأنصار لنصرة عترة النبي صلى الله عليه وآله والإطاحة بهم! ولذلك بادر أبو بكر وخطب فنال من علي عليه السلام بدون أن يسميه، وهدد الأنصار بطلاق قريش المتكاثرين في المدينة! ولا بد أنهم قاموا بأعمال أخرى حتى استطاعوا أن يهدؤوا الوضع، ويسكتوا أنصار فاطمة والعترة النبوية!

قال الجوهري في السقيفة ص ١٠٤: (فلما سمع أبو بكر خطبتها شق عليه مقاتلتها فصعد المنبر وقال: أيها الناس ما هذه الرعة إلى كل قالة، أين كانت هذه الأمانى في عهد رسول الله، ألا من سمع فليقل، ومن شهد فليتكلم، إنما هو ثعالة

شهيده ذنبه، مرب لكل فتنه، هو الذي يقول كروها جذعة بعد ما هرمت، يستعينون بالضعفه، ويستنصرون بالنساء، كأم طحال أحب أهلها إليها البغي، ألا إني لو أشاء أن أقول لقلت، ولو قلت لبحت، إني ساكت ما تركت.

ثم التفت إلى الأنصار فقال: قد بلغني يا معشر الأنصار مقالة سفهائكم، وأحق من لزم عهد رسول الله أنتم، فقد جاءكم فأوئتم ونصرتهم، ألا إني لست باسطا يدا ولا لسانا على من لم يستحق ذلك منا. ثم نزل!). انتهى.

وقال في شرح النهج: ١٦ / ٢١٤، بعد نقل كلام أبي بكر هذا برواية الجوهري: (قلت: قرأت هذا الكلام على النقيب أبي يحيى جعفر بن يحيى بن أبي زيد البصري وقلت له: بمن يعرض؟ فقال: بل يصرح. قلت: لو صرح لم أسألك! فضحك وقال: بعلي بن أبي طالب. قلت: هذا الكلام كله لعلي يقوله! قال: نعم، إنه الملك يا بني، قلت: فما مقالة الأنصار؟ قال: هتفوا بذكر علي فخاف من اضطراب الأمر عليهم، فنهاهم.

فسألته عن غريبه، فقال: أما الرعة بالتخفيف، أي الاستماع والإصغاء، والقالة: القول، وثعالة: اسم الثعلب علم غير مصروف، ومثل ذؤاله للذئب، وشهيده ذنبه أي لا شاهد له على ما يدعى إلا بعضه وجزء منه، وأصله مثل، قالوا: إن الثعلب أراد أن يغري الأسد بالذئب، فقال: إنه قد أكل الشاة التي كنت قد أعددتها لنفسك و كنت حاضرا، قال: فمن يشهد لك بذلك؟ فرفع ذنبه وعليه دم، وكان الأسد قد افتقد الشاة. فقبل شهادته وقتل الذئب. ومرب: ملازم، أرب بالمكان.

وكروها جذعة: أعيدوها إلى الحال الأولى، يعني الفتنه والهرج. وأم طحال: امرأة بغي في الجاهلية ويضرب بها المثل فيقال: أزنى من أم طحال). انتهى. *

٩ - يوم اشتد مرضها فجاءت نساء الأنصار والمهاجرين لعيادتها
في معاني الأخبار للصدوق ص ٣٥٤: عن فاطمة بنت الحسين عليه السلام قالت: (لما
اشتدت علة فاطمة بنت رسول الله صلوات الله عليها، اجتمع عندها نساء المهاجرين
والأنصار فقلن لها: يا بنت رسول الله كيف أصبحت من علتك؟ فقالت:
أصبحت والله عائفة لديناكم قالية لرجالكم! لفظتهم قبل أن عجمتهم، وشنأتهم بعد أن
سبرتهم، فقبحا لفلول الحد وخور القناة، وخطل الرأي، وبئس ما قدمت لهم أنفسهم
أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون!
لاجرم لقد قلدتهم ربقتها وشننت عليهم عارها، فجدعا وعقرا وسحقا للقوم الظالمين!
ويحهم أنى زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة ومهبط الوحي الأمين، والطيبين
بأمر الدنيا والدين، ألا ذلك هو الخسران المبين، وما نقموا من أبي حسن؟! نقموا والله
منه نكير سيفه، وشدة وطأته، ونكال وقعته، وتمره في ذات الله عز وجل! والله لو
تكافوا عن زمام نبذه رسول الله صلى الله عليه وآله لا عتلقه، ولسار بهم سيرا سجحا،
لا يكلم خشاشه ولا يتعتع راكمه، ولأوردهم منهلا نميرا فضفاضا تطفح ضفتاه
ولأصدرهم بطانا قد تخير لهم الري غير متحل منه بطائل إلا بغمر الماء وردعة سورة
الساغب ولفتح عليهم بركات السماء والأرض، وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون!
ألا هلم فاسمع وما عشت أراك الدهر العجب وإن تعجب وقد أعجبك الحادث، إلى
أي سناد استندوا؟ وبأية عروة تمسكوا؟ استبدلوا الذنابي والله بالقوادم، والعجز
بالكاهل، فرغما لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعا! ألا إنهم هم المفسدون
ولكن لا يشعرون.. أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما
لكم كيف تحكمون!
أما لعمرى والله لقد لقحت، فنظرة ريثما تنتجوا، ثم احتلبوا طلاع القعب دما عبيطا
وزعافا ممقرا، هنالك يخسر المبطلون ويعرف التالون غب ما أسس الأولون!

ثم طيبوا عن أنفسكم نفسا، واطمأنوا للفتنة جأشا، وأبشروا بسيف صارم، وهرج شامل
واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيدا، وزرعكم حصيدا! فيا حسرتي لكم، وأنى
بكم وقد عميت عليكم، أنلزمكموها وأنتم لها كارهون! (ورواه الطوسي في الأمالي
ص ٣٧٤، والجوهري في السقيفة ص ١٢٠).
**

١٠ - يوم أوصت عليا أن يدفنها ليلا سرا ولا يأذن لهما بالصلاة عليها في معاني الأخبار ص ٣٥٦، عن علي عليه السلام قال: لما حضرت فاطمة الوفاة دعنتني فقالت: أمتذ أنت وصيتي وعهدي؟ قال قلت: بلى أنفذها فأوصت إلي وقالت: إذا أنا مت فادفني ليلا، ولا تؤذنن رجلين، ذكرتهما).

وفي كتاب سليم بن قيس ص ٣٩٢: (قال ابن عباس: فقبضت فاطمة من يومها فارتجت المدينة بالبكاء من الرجال والنساء، ودهش الناس كيوم قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وآله. فأقبل أبو بكر وعمر يعزيان عليا ويقولان له: يا أبا الحسن لا تسبقنا بالصلاة على ابنة رسول الله... فلما كان في الليل دعا علي العباس والفضل والمقداد وسلمان وأبا ذر وعمارا، فقدم العباس فصلى عليها ودفنوها. فلما أصبح الناس أقبل أبو بكر وعمر والناس يريدون الصلاة على فاطمة عليها السلام فقال المقداد: قد دفنا فاطمة البارحة. فالتفت عمر إلى أبي بكر فقال: ألم أقل لك إنهم سيفعلون؟! قال العباس: إنها أوصت أن لا تصليا عليها! فقال عمر: والله لا تتركون يا بني هاشم حسدكم القديم لنا أبدا! إن هذه الضغائن التي في صدوركم لن تذهب والله لقد هممت أن أنبشها فأصلي عليها! فقال علي: والله لو رمت ذلك يا بن صهاك لا رجعت إليك يمينك! والله لئن سللت سيفي لا أغمدته دون إزهاق نفسك، فرم ذلك! فانكسر عمر وسكت، وعلم أن عليا إذا حلف صدق). انتهى.

وفي أمالي المفيد ص ٢٨١: عن الحسين عليه السلام قال: (فلما حضرته الوفاة أوصت أمير المؤمنين عليه السلام أن يتولى أمرها ويدفنها ليلا ويعفي قبرها! فتولى ذلك أمير المؤمنين عليه السلام ودفنها وعفى موضع قبرها، فلما نفص يده من تراب القبر هاج به الحزن، فأرسل دموعه على خديه، وحول وجهه إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال:

السلام عليك يا رسول الله مني، والسلام عليك من ابنتك وحببتك وقرّة عينك وزائرتك، والباثة في الثرى ببقعتك، والمختار لها الله سرعة اللحاق بك.

قل يا رسول الله عن صفتك صبري، وضعف عن سيدة النساء تجلدي، إلا أن في التأسى لي بسنتك والحزن الذي حل بي بفراقك، موضع التعزي، فلقد وسدتك في ملحود قبرك، بعد أن فاضت نفسك على صدري، وغمضتكم بيدي، وتوليت أمرك بنفسي. نعم وفي كتاب الله أنعم القبول: إنا لله وإنا إليه راجعون. لقد استرجعت الوديفة، وأخذت الرهينة، واختلست الزهراء، فما أقبح الخضراء والغبراء. يا رسول الله! أما حزني فسرمد، وأما ليلى فمسهد، لا يبرح الحزن من قلبي، أو يختار الله لي دارك التي أنت فيها مقيم. كمد مقيح، وهم مهيج، سرعان ما فرق بيننا وإلى الله أشكو! وستنبئك ابنتك بتضافر أمتك علي، وعلى هضمها حقها، فاستخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثه سبيلا! وستقول ويحكم الله، وهو خير الحاكمين.

سلام عليك يا رسول الله سلام مودع، لا سئم ولا قال، فإن أنصرف فلا عن ملالة وإن أقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين، والصبر أيمن وأجمل، ولولا غلبة المستولين علينا لجعلت المقام عند قبرك لزاما، واللبث عنده معكوفاً، ولأعولت إعوالم الثكلى على جليل الرزية! فبعين الله تدفن ابنتك سرا، وتهتضم حقها قهراً، وتمنع إرثها جهراً، ولم يطل العهد ولم يخل منك الذكر! فإلى الله يا رسول الله المشتكى، وفيك أجمل العزاء. وصلوات الله عليك وعليها، ورحمة الله وبركاته).

وفي رواية روضة الواعظين للنيسابوري ص ١٥١: (فقلت: يا ابن عم إنه قد نعت إلى نفسي لأرى ما بي لا أشك، إلا أنني لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة، وأنا أوصيك بأشياء في قلبي. قال لها علي: أوصني بما أحببت يا بنت رسول الله.....
ثم قالت: جزاك الله عني خير الجزاء، يا ابن عم أوصيك أولاً أن تتزوج بعدي بابنة أختي أمامة، فإنها تكون لولدي مثلي، فإن الرجال لا بد لهم من النساء...
ثم قالت: أوصيك أن لا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني وأخذوا حقي فإنهم أعدائي وأعداء رسول الله، وأن لا يصلي علي أحد منهم ولا من أتباعهم،

وادفني في الليل إذا هدأت العيون ونامت الأبصار. ثم توفيت صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلمها وبنيتها، فصاحت أهل المدينة صيحة واحدة واجتمعت نساء بني هاشم في دارها، فصرخن صرخة واحدة كادت المدينة أن تزعزع من صراخهن وهن يقلن: يا سيدتاه يا بنت رسول الله! وأقبل الناس مثل عرف الفرس إلى علي وهو جالس والحسن والحسين بين يديه يبكيان، فبكى الناس لبكائهما، وخرجت أم كلثوم وعليها برقعة وتجر ذيلها متجللة برداء عليها تسحبه وهي تقول: يا أبتاه يا رسول الله، الآن حقا فقدناك فقدنا لقاء بعده، واجتمع الناس فجلسوا وهم يرجون وينظرون أن تخرج الجنازة فيصلون عليها.

وخرج أبو ذر فقال: انصرفوا فإن ابنة رسول الله قد أخرجها في هذه العشية فقام الناس وانصرفوا، فلما أن هدأت العيون ومضى من الليل أخرجها علي والحسن والحسين وعمار والمقداد وعقيل والزبير وأبو ذر وسلمان وبريدة، ونفر من بني هاشم وخواصهم صلوا عليها ودفنوها في جوف الليل، وسوى علي حوالها قبورا مزورة مقدار سبعة، حتى لا يعرف قبرها). انتهى.

أين هو قبر فاطمة؟

لا أعرف أحدا استثمر موته وجنازته وموضع قبره في معارضة السلطة، كما استثمرت ذلك فاطمة الزهراء عليها السلام! تقول بذلك للأجيال: أفهموا وفكروا لماذا غضبت فاطمة عليهم، فقاطعتهم ولم تكلمهم حتى لقيت ربها وأباها؟

ولماذا أوصت أن تدفن سرا حتى لا يحضروا جنازتها ولا يصلوا عليها؟!!

ولماذا أوصت أن يعفى قبرها ولا يعرف مكانه؟

ولماذا عمل الأئمة من أولادها بوصيتها، فلم يحددوا قبرها ولم بينوه؟

* *

فاطمة الزهراء.. أعطاه الله ورسوله مقاما عظيما: سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء أهل الجنة، واعترف به القريب والبعيد، وأثبتت بسمو شخصيتها وتميز سلوكها، أنها أهل لهذا المقام، وأنها حقا أمة الله الطيبة الطاهرة المباركة، التي بشرت بها التوراة والإنجيل، وأن ذرية النبي الخاتم ستكون منها!

فما لها وقفت أشد موقف من السلطة القرشية بعد وفاة أبيها؟ وركزت غضبها على زعامة قريش الجديدة أبي بكر وعمر وصاحبهم في مكة سهيل بن عمرو؟! فاتهمتهما بأشد التهم، ولم تقبل لهما عذرا، ولا ردت عليهما السلام عندما جاءها معذرتين لها من الهجوم على دارها، ومصادرة أوقاف النبي صلى الله عليه وآله وفدك ومنعها من إرث أبيها صلى الله عليه وآله! مع أن رد سلام المسلم واجب، وقبول عذره لازم! ولا نظنها كانت ستقبل لهم عذرا حتى لو أرجعوا لها الأوقاف وفدك، فقضيتها معهم ليست أوقاف أبيها ولا مزرعة فدك! فماذا تصنع فاطمة بفدك والأوقاف، وهي من هي زهدا وعبادة، وقد أخبرها أبوها أنها ستلتحق به عن قريب؟!

فقضيتها أن تثبت للمسلمين أن الذي جلس مكان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يؤتمن على الدين والأمة، لأنه سرق مزرعة من بنت النبي صلى الله عليه وآله فأرسل مسلحين أخرجوا منها وكيلها ووضعوا وكيله بدله! فيا ويل بنات المسلمين، ويا ويل الأمة!

قضيتها أنها تراهم غاصبين للخلافة التي هي حق من الله لزوجها وولديها الحسن والحسين، وبعدهما للأئمة من ذريتها الموعودين على لسان أبيها! ترى سقيفتهم مؤامرة وردة قرشية عن الإسلام! (فلما اختار الله لنبه دار أنبيائه ومأوى أصفياؤه، ظهرت فيكم حسيكة النفاق... هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل، والرسول لما يقبر، ابتدارا زعمتم خوف الفتنة! ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين!... ثم أخذتم تورون وقديتها، وتهيجون جمرتها،

وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي، وإطفاء أنوار الدين الجلي، وإهمال سنن النبي الصفي، تشربون حسوا في ارتغاء، وتمشون لأهله وولده في الخمرة والضراء!! وترى الخسارات العظمى التي أوقعوها بالإسلام والأمة والعالم، بإبعادهم عليا عن الخلافة: (والله لو تكافوا عن زمام نبذه رسول الله صلى الله عليه وآله لا عتلقه، ولسار بهم سيرا سجحا، لا يكلم خشاشه، ولا يتعتع راكبه، ولأوردتهم منهلا نميرا فضفاضا تطفح ضفتاه، ولأصدرهم بطانا قد تخير لهم الري غير متحل منه بطائل، إلا بغمر الماء وردعة سورة الساغب، ولفتحت عليهم بركات السماء والأرض، وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون)!

وقد سخرت الزهراء عليها السلام من منطقهم القبلي الذي برروا فيه اختيارهم لأبي بكر فقالت: (ألا هلم فاسمع وما عشت أراك الدهر العجب... إلى أي سناد استندوا، وبأية عروة تمسكوا، استبدلوا الذنابي والله بالقوادم، والعجز بالكاهل، فرغما لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعا! ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون.. أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون وقد بلغت قضيتها المدى، عندما دعت الأنصار علنا في خطبتها القاصعة إلى نصرتها ومقاومة سقيفة قريش وخليفتها بقوة السلاح، وإلا فهم ناكثون لبيعتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله أن يحموه ويحموا عترته، ولا ينازعوا الأمر أهله الشرعيين! فقد قالت لهم صراحة:

(إيها بني قيلة! أهضم تراث أبي وأنتم بمرأى مني ومسمع، ومنتدى ومجمع، تلبسكم الدعوة وتشملكم الخبرة، وأنتم ذووا العدد والعدة، والأداة والقوة، وعندكم السلاح والجنة، توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون...!!) ثم عرفتهم فداحة ما حدث، وأنذرتهم غب ما عملوا فقالت: (أما لعمرى والله لقد لقحت، فنظرة ريشما ننتجوا، ثم احتلبوا طلاع القعب دما عبيطا، وزعافا ممقرا،

هنالك يخسر المبطلون! ويعرف التالون غب ما أسس الأولون...! أنا ابنة نذير لكم بين
يدي عذاب شديد فاعملوا إنا عاملون، وانتظروا إنا منتظرون!).
إن وصية فاطمة الزهراء عليها السلام في تجهيزها ودفنها وقبرها، كانت عملا من
سلسلة أعمالها المقصودة في خدمة قضيتها مع قريش الطلقاء، أرادت أن تثير به السؤال
في الأجيال لعلها تفهم ما أسسه الأولون وتردد مع الشاعر:
ولأي الأمور تدفن سرا * بضعة المصطفى ويعفى ثراها
بنت من أم من حليلة من * ويل لمن سن ظلمها وأذاها
**

الفصل الرابع
الأحداث التي غطتها الحكومة أيام وفاة النبي صلى الله عليه وآله

(١٦٥)

فهرس لأحداث أيام وفاة النبي صلى الله عليه وآله!
حاولت أن أضع تقويمًا زمنيًا لمراسم تغسيل النبي صلى الله عليه وآله وتكفينه والصلاة
عليه ودفنه، يضم الأحداث الخطيرة التي وقعت أثناء ذلك وبعده، إلى أسبوعين من
وفاته صلى الله عليه وآله، فوجدت ذلك مهمة صعبة، لأن رواية الخلافة القرشية حرصوا
على التعظيم عليها وتشويشها! فجاءت نصوصها متضاربة، ينفي بعضها الآخر!
وتذكرت ما جرى للشيخ متولي شعراوي عندما قرأ في محاضراته في التلفزيون المصري
كلام علي في وداع فاطمة بعد دفنها صلى الله عليه وآله، وعلق عليه الشعراوي بأنه
يدل على وجود أحداث خطيرة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله ينبغي أن نكشفها!
والكلام الذي قرأه الشعراوي هو كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي تقدم بعد دفنه
فاطمة الزهراء عليها السلام: (السلام عليك يا رسول الله، عني وعن ابنتك النازلة في
جوارك....

وستنبئك ابنتك بتضافر أمتك على هضمها، فأحفظها السؤال واستخبرها الحال! هذا ولم
يطل العهد، ولم يخل منك الذكر... الخ). (وهو في نهج البلاغة: ٢ / ١٨٢، وغيره).
وفي اليوم الثاني لكلام الشعراوي خرجت صحيفة مصرية تتساءل: هل تشيع
الشعراوي؟! وبذلك أسكتوه عن البحث في تلك الأحداث، بل عن ذكرها!
فإذا كانت هذه حال عالم سني معروف كالشعراوي، وبعد ألف وأربع مئة سنة من
الحادثة، وفي مصر التي يحب شعبها أهل البيت وفاطمة الزهراء عليها السلام خاصة!
فما بال من يحاول كشف تلك الأحداث في عصور حكم الخلافة القرشية؟!

إن العجيب حقا هو ما وصل إلينا، وليس العجيب ما أخفوه ولم يصل!
وهذا تقويم تقريبي لتلك الأحداث، وهو قابل للاتساع:

١ - يوم الأحد لدت عائشة وحفصة النبي صلى الله عليه وآله أي سقتاه (دواء) في حال إغمائه رغم نهيه المشدد عن ذلك كما في البخاري! فلما أفاق من إغمائه غضب من فعلهما، وأمر أن يسقى كل من كان موجودا غير بني هاشم من ذلك الدواء! وتدهورت حالة النبي صلى الله عليه وآله بعد ذلك حتى توفي في ظهر يوم الاثنين! (راجع صحيح البخاري: ٥ / ١٤٣ و ٧ / ١٧، وغيره).

٢ - كان عدد الطلقاء الذين أرسلهم النبي صلى الله عليه وآله في جيش أسامة سبع مئة نفر وأرسل أبا بكر وعمر وغيرهم، وقد تباطأ قسم منهم عن الالتحاق بمعسكر أسامة في الجرف، ثم ترك المعسكر من التحق منهم يوم الأحد، وعادوا إلى المدينة! قال في فتح الباري: ٨ / ١١٦: (وعند الواقدي أيضا أن عدة ذلك الجيش (جيش أسامة) كانت ثلاثة آلاف، فيهم سبعمائة من قريش). انتهى.

٣ - باشر علي عليه السلام بمراسم تجهيز النبي صلى الله عليه وآله بعد ظهر الاثنين إلى صباح الثلاثاء وأذن للمسلمين أن يصلوا على جنازته فرادى، من ضحى ذلك اليوم إلى العصر، ثم أخذ يواجه ضغط أبي بكر وعمر ومبعوثيهما، ثم مجيئهما إلى بيته يطالبونه ومن معه بالبيعة لهم، ويهدودنه بالهجوم على بيته إن لم يبايع!!

٤ - دبر الحزب القرشي بيعة أبي بكر في السقيفة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله بساعة أو ساعتين فقط! وساعدهم بعض الأوس حسدا لسعد بن عبادة رئيس الخزرج أن يصير هو الخليفة! ولم يثبت أن سعدا أو أحدا من الأنصار دعا إلى اجتماع في السقيفة لبحث خلافة النبي صلى الله عليه وآله، بل كانت السقيفة محل ضيافة سعد،

وهي

فسحة من الشارع مسقوفة سميت باسم جيرانها بني ساعدة الخزرجين، وكان سعد مريضا نائما فيها يزوره الناس، فاخترها الحزب القرشي مكانا للصفق على يد أبي بكر لوجود سعد وبعض الأنصار حوله، فتركا جنازة النبي صلى الله عليه وآله وأسرعوا إلى السقيفة، وفتحوا الموضوع وناقشا سعدا ومن حضر، فقال بعض الأنصار لا نبايع إلا عليا، وقال بعضهم إن لم تريدوا عليا فالأنصار وسعد أولى منكم، فبادر أبو بكر إلى القول إني رضيت لكم أحد الرجلين عمر أو أبا عبيدة فبايعوا أحدهما! فقال عمر لا نتقدم عليك، وأخذ يده وصفق عليها هو ثم أبو عبيدة، ثم بايعه ثلاثة أشخاص من الأوس المضادين لسعد! ولم يعيروا بالا لاعتراض سعد بن عباد زعيم الأنصار! وهكذا أعلنوا بيعه أبي بكر التي بحيلة من غير مشورة، وساندهم كل القرشيين الطلقاء وكانوا ألوفا في المدينة!

وقد سمع عمر في أواخر خلافته أن بعضهم سيبادر بعد وفاته إلى الصفق على يد أحد وبيعه بالخلافة كما فعل هو في السقيفة، فخطب ووصف بيعه أبي بكر بأنها كانت فلتة ونجحت، وأصدر أمرا بقتل من بادر إلى مثلها! (البخاري: ٨ / ٢٥)!

٥ - اعترض سعد بن عباد زعيم الأنصار وصاح رغم شدة مرضه، وأدان تصرفهم، لكن الحزب القرشي تغلبوا عليه وشتموه وداسوا بطنه، فحمله أولاده إلى بيته! فاستولوا على السقيفة وجعلوها مقرا لبيعة أبي بكر، ومركزا لجلوسهم وعملياتهم!

٦ - ترك أبو بكر وعمر وكافة القرشيين الطلقاء جنازة النبي صلى الله عليه وآله لعترته، وعشيرته بني هاشم! حتى أن مسجد النبي صلى الله عليه وآله ومحيطه كان بعد وفاته صلى الله عليه وآله شبه خال! وانشغل الصحابة إلا المنقطعون إلى أهل البيت عليهم السلام بتأييدبيعة أبي بكر أو معارضتها، وانشغلت فعاليات الحزب القرشي وهم: أبو بكر، وعمر، وعائشة

وحفصة، وأبو عبيدة، وسالم مولى حذيفة، ومعهم بعض الأوس، بمعالجة موقف الأنصار، وكانوا يزورون زعماءهم في أحيائهم لإقناعهم ببيعة أبي بكر، ومنع تأثير سعد وعلي عليه السلام عليهم!

٧ - في اليوم الثاني جاء أنصار أبي بكر وعمر من الطلقاء إلى مسجد النبي صلى الله عليه وآله مشمرين أزهرهم يزفون أبا بكر زفة مسلحة، ويأخذون له البيعة بقوة السلاح ويهددون من لم يبايع بالقتل! وأصعد عمر أبا بكر على منبر النبي صلى الله عليه وآله وبايعه بعض الناس، وصلى بهم المغرب ثم عاد إلى السقيفة، ولم يزورا بيت النبي صلى الله عليه وآله، ولم يصلوا على جنازته!

٨ - مساء الثلاثاء ليلة الأربعاء قام علي عليه السلام بدفن جنازة النبي صلى الله عليه وآله بعد منتصف الليل، وحضر مراسم الدفن بنو هاشم وبعض الأنصار، ولم يحضرها أحد من قادة الحزب القرشي وجمهوره الطلقاء!

٩ - في ليلة الخميس قام أمير المؤمنين ومعه فاطمة والحسنان عليهم السلام بجولة على بيوت الأنصار وطالبوهم بالوفاء ببيعتهم للنبي صلى الله عليه وآله وشرطه عليهم النصر وأن يمنعوه وأهل بيته وذريته صلى الله عليه وآله مما يمنعون منه أنفسهم وذراريهم.. فاستجاب له منهم أربعة وأربعون رجلا، فطلب منهم أن يأتوه غدا محلقين رؤوسهم مستعدين للموت، فلم يأت إلا أربعة!

ثم أعاد جولته على الأنصار وبعض المهاجرين ليلة الجمعة ثم ليلة السبت! فلم يأت غير أولئك الأربعة: المقداد، وعمار، وأبو ذر، وسلمان!

١٠ - في هذا المدة أرسل الحزب القرشي إلى أسامة وهو في معسكره بالجرف خارج المدينة، أن يغلق المعسكر ويأتي ومن بقي معه إلى المدينة،

ويبايعوا أبا بكر لأن المسلمين بايعوه، فاحتج عليهم أسامة بأن النبي صلى الله عليه وآله توفي وأنا أمير على أبي بكر، فأبو بكر ما زال جنديا تحت إمرتي!
قال الطبرسي في إعلام الوري: ١ / ٢٦٩: (فما كان بين خروج أسامة ورجوعه إلى المدينة إلا نحو من أربعين يوما، فلما قدم المدينة قام على باب المسجد ثم صاح: يا معشر المسلمين، عجبا لرجل استعملني عليه رسول الله صلى الله عليه وآله فتأمر علي وعزّلني!) انتهى.

١١ - تخوف الحزب القرشي من علي عليه السلام أن يجد أنصارا وينهض ضدهم، لذا تابعت إليه رسل أبي بكر بالحضور إلى السقيفة ليبايعه، فكان يتعلل بأنه مشغول بمراسم دفن النبي صلى الله عليه وآله، ثم بجمع القرآن. لكنهم واصلوا الضغط عليه، وصعدوا تهديدهم، وجاءوا مسلحين في جمع من الطلقاء إلى باب داره مرات، فتلاسن معهم بعض أنصاره، لكنهم تغلبوا عليهم واقتحموا البيت بالقوة، وأخذوا عليا مقيدا إلى السقيفة، فحاججهم بقوة، فسكتوا عنه ذلك اليوم.
وهذه الحادثة هي الهجوم الأول على بيت علي وفاطمة صلى الله عليه وآله، وقد يكون وقتها يوم الأربعاء أو الخميس!

١٢ - اتفق اثنا عشر صحابيا من المهاجرين والأنصار على أن يخطبوا في المسجد النبوي في يوم الجمعة التي تلت وفاة النبي صلى الله عليه وآله، وقيموا الحجة على أبي بكر وعمر، فتكلموا جميعا وبينوا وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام وبيعة المسلمين له يوم الغدير، وأدانوا مؤامرة السقيفة! ففي الإحتجاج للطبرسي: ١ / ٩٧: (عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق صلى الله عليه وآله: جعلت فداك هل كان أحد في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنكر علي أبي بكر فعله وجلسه مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: نعم كان الذي أنكر علي أبي بكر اثنا عشر رجلا: من

المهاجرين خالد بن سعيد بن العاص، وكان من بني أمية، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر، وبريدة الأسلمي.

ومن الأنصار: أبو الهيثم بن التيهان، وسهل وعثمان ابنا حنيف، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وأبي بن كعب، وأبو أيوب الأنصاري.

قال: فلما صعد أبو بكر المنبر تشاوروا بينهم فقال بعضهم لبعض: والله لنأتينه ولننزلنه عن منبر رسول الله صلى الله عليه وآله! وقال آخرون منهم: والله لئن فعلتم ذلك إذا أعنتم على أنفسكم، فقد قال الله عز وجل: ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة، فانطلقوا بنا إلى أمير المؤمنين عليه السلام لنستشيره ونستطلع رأيه، فانطلق القوم إلى أمير المؤمنين بأجمعهم فقالوا: يا أمير المؤمنين تركت حقا أنت أحق به وأولى به من غيرك، لأننا سمعنا رسول الله يقول: علي مع الحق والحق مع علي يميل مع الحق كيفما مال. ولقد هممنا أن نصير إليه فننزله عن منبر رسول الله صلى الله عليه وآله، فجئناك لنستشيرك ونستطلع رأيك فما تأمرنا؟ فقال أمير المؤمنين: وأيم الله لو فعلتم ذلك لما كنتم لهم إلا حربا، ولكنكم كالملاح في الزاد وكالكحل في العين.....

فانطلقوا بأجمعكم إلى الرجل فعرفوه ما سمعتم من قول نبيكم صلى الله عليه وآله، ليكون ذلك أوكد للحجة وأبلغ للعدر، وأبعد لهم من رسول الله صلى الله عليه وآله إذا وردوا عليه.

فسار القوم حتى أهدقوا بمنبر رسول الله صلى الله عليه وآله وكان يوم الجمعة، فلما صعد أبو بكر المنبر قال المهاجرون للأنصار: تقدموا وتكلموا، فقال الأنصار للمهاجرين: بل تكلموا وتقدموا أنتم، فإن الله عز وجل بدأ بكم في الكتاب.....

فأول من تكلم به خالد بن سعيد بن العاص، ثم باقي المهاجرين، ثم بعدهم الأنصار....

فقام إليه خالد بن سعيد بن العاص (ابن العاص الأموي) وقال:

إتق الله يا أبا بكر، فقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال ونحن محتوشوه يوم بني قريظة حين فتح الله له باب النصر، وقد قتل علي بن أبي طالب عليه السلام يومئذ عدة

من صناديد رجالهم وأولي البأس والنجدة منهم: يا معاشر المهاجرين والأنصار إني موصيكم بوصية فاحفظوها ومودعكم أمرا فاحفظوه: ألا إن علي بن أبي طالب أميركم بعدي وخليفتي فيكم بذلك أوصاني ربي. ألا وإنكم إن لم تحفظوا فيه وصيتي وتوازروه وتنصروه، اختلفتم في أحكامكم واضطرب عليكم أمر دينكم، ووليكم أشراركم! ألا وإن أهل بيتي هم الوارثون لأمري والعالمون لأمر أمتي من بعدي. اللهم من أطاعهم من أمتي وحفظ فيهم وصيتي فاحشرهم في زمرتي، واجعل لهم نصيبا من مرافقتي يدركون به نور الآخرة. اللهم ومن أساء خلافتي في أهل بيتي فأحرمه الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض! فقال له عمر بن الخطاب: أسكت يا خالد، فلست من أهل المشورة، ولا ممن يقتدى برأيه! فقال له خالد: بل أسكت أنت يا ابن الخطاب، فإنك تنطق على لسان غيرك! وأيم الله لقد علمت قريش أنك من الأمها حسبا، وأدناها منصبا، وأخسها قدرا، وأحملها ذكرا، وأقلهم غناء عن الله ورسوله، وإنك لجبان في الحروب، بخيل بالمال، لئيم العنصر، مالك في قريش من فخر، ولا في الحروب من ذكر، وإنك في هذا الأمر بمنزلة الشيطان: إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين. فكان عاقبتهما أنهما في النار خالد بن الخطاب في النار والظالمين!! فأبلس عمر! وجلس خالد بن سعيد.....). الخ.

١٣ - من المرجح أن الهجوم الثاني وقع بعد احتجاج وجهاء الصحابة يوم الجمعة في المسجد، وهو الهجوم الذي أشعلوا فيه النار حول البيت، ثم دفعوا الباب على الزهراء عليها السلام، وضربوها وأسقطوا جنينها، ثم أخذوا عليها السلام ثانية إلى السقيفة وهددوه بالقتل إن لم يبايع أبا بكر!

١٤ - كان تأثير احتجاج الصحابة الاثني عشر في المسجد قويا، فقد أحدث

موجة ضد مؤامرة السقيفة، وضعف أبو بكر وانكسر أمام خطبهم، ولزم بيته ثلاثة أيام، وأخذ يلوم عمر على توريطه في الأمر، حتى أنه وآخرون من الحزب القرشي فكروا أن يعيدوا الخلافة شورى بين المسلمين! لكن عمر وبخهم ودبر موجة لمصلحة الحزب القرشي، فاتفق مع جماعة من البدو القرييين أن يدخلوا المدينة ويأيعوا أبا بكر! قال الطبري في تاريخه: ٢ / ٤٥٨: (حدثني أبو بكر بن محمد الخزازي أن أسلم أقبلت بجماعتها حتى تضايقت بهم السكك فبايعوا أبا بكر، فكان عمر يقول: ما هو إلا أن رأيت أسلم فأيقنت بالنصر)!

١٥ - في يوم الجمعة الثانية لوفاة النبي صلى الله عليه وآله خطب علي عليه السلام في مسجد النبي خطبته البليغة القوية المعروفة ب (خطبة الوسيلة)! وكانت تأكيداً لإقامة الحجّة على أهل السقيفة وغيرهم، بين فيها مقام النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام عند الله، ويوم القيامة، وواجب الأمة تجاههم. وجاء في مقدمتها قول الإمام الباقر عليه السلام لجابر بن يزيد الجعفي رحمه الله: إسمع وع وبلغ حيث انتهت بك راحلتك إن أمير المؤمنين عليه السلام خطب الناس بالمدينة بعد سبعة أيام من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وذلك حين فرغ من جمع القرآن وتأليفه، فقال: الحمد لله الذي منع الأوهام أن تنال إلا وجوده، وحجب العقول أن تتخيل ذاته، لامتناعها من الشبه والتشاكل، بل هو الذي لا يتفاوت في ذاته ولا يتبعض بتجزئة العدد في كماله... الخ. وهي طويلة بليغة. (الكافي: ٨ / ١٨).

١٦ - أما مجيء الصديقة الزهراء عليها السلام إلى المسجد، وخطبتها القوية المشهورة، فوقتها بعد أحداث السقيفة وهجومهم على بيتها وضربها وإسقاط جنينها! وبعد أن أجبروهم على البيعة، وشنوا عليهم حرباً اقتصادية لاقتنارهم، فحرموهم الخمس الذي لهم، وصادروا منهم أوقاف النبي صلى الله عليه وآله وهي سبعة بساتين وكانت بيدهم، وصادروا منهم مزرعة فدك التي أعطها النبي صلى الله عليه وآله للزهراء عليها السلام عندما نزل

قوله تعالى (وآت ذا القربى حقه)، ومنعوها أن ترث من أبيها صلى الله عليه وآله أي
شئ، فرأت الصديقة الزهراء عليها السلام في ذلك مناسبة لأن تخطب في المسجد،
وتؤكد إقامة الحجّة عليهم، وتفضح مؤامرتهم، وقد تقدم ذلك!
١٧ - يبدو أن حادثة ضرب عمر للصديقة الزهراء عليها السلام كانت في الطريق بعد
يوم أو أكثر من خطبتها في المسجد النبوي، فقد ذهبت إلى أبي بكر وكان وحده
واحتجت عليه، فكتب لها كتابا يارجاع فدك إليها، فبلغ ذلك عمر، فلحقها في الطريق
وضربها وأخذ منها الكتاب ومزقه!
**

أهل البيت عليهم السلام ارتفعوا على جراحهم
تعامل أهل البيت عليهم السلام مع مقاطع هذه الموجة بنبل رسالي، و نفذوا ما أمرهم به
حبيبهم النبي صلى الله عليه وآله، وسجلوا صبرا لا نظير له، فكظموا غيظهم وصبروا
أنصارهم.

ثم ارتفعوا على جراحهم، فعملوا مخلصين في تسيير سفينة الإسلام وفتوحاته!
قال علي عليه السلام في كتابه إلى أهل مصر مع مالك الأشتر لما ولاه إمارتها: (أما بعد
فإن الله سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه وآله وآله نذيرا للعالمين، ومهيما
على المرسلين، فلما مضى تنازع المسلمون الأمر من بعده، فوالله ما كان يلقي في
روعى ولا يخطر ببالي أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله عن أهل
بيته ولا أنهم منحوه عني من بعده، (يقصد عليه السلام أن هذا كان أمرا غير معقول لا
يتصور) فما راعني إلا انشغال الناس على فلان يبايعونه، فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة
الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله!
فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلما أو هدمًا، تكون المصيبة به علي
أعظم من فوت ولايتكم، التي إنما هي متاع أيام قلائل، يزول منها ما كان كما يزول
السراب، أو كما يتشع السحاب، فنهضت في تلك الأحداث، حتى زاح الباطل وزهق،
واطمأن الدين وتنهنه). (نهج البلاغة: ٣ / ١١٨).

وقال عليه السلام: (اللهم إني أستعديك على قریش، فإنهم قد قطعوا رحمي، وأكفؤوا
إنائي، وأجمعوا على منازعتي حقا كنت أولى به من غيري، وقالوا ألا إن في الحق أن
تأخذه وفي الحق أن تمنعه، فاصبر مغموما أو متأسفا، فنظرت فإذا ليس لي رافد
ولا ذاب ولا مساعد إلا أهل بيتي، فضننت بهم عن المنية، فأغضيت على القذى،
وجرعت ريقى على الشجى، وصبرت من كظم الغيظ على أمر من العلقم، وآلم للقلب
من حز الشفار). (نهج البلاغة: ٢ / ٢٠٢)
وقال عليه السلام: (اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان، ولا

التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك. اللهم إني أول من أناب وسمع وأجاب، لم يسبقني إلا رسول الله صلى الله عليه وآله بالصلاة. وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل، فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيضلمهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول فيتخذ قوما دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة). (نهج البلاغة: ٢ / ١٣).

وقال عليه السلام: (ما رأيت منذ بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله رخاء فالحمد لله، والله لقد خفت صغيرا، وجاهدت كبيرا، أقاتل المشركين وأعادي المنافقين، حتى قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله فكانت الطامة الكبرى! فلم أزل حذرا وجلا أخاف أن يكون ما لا يسعني معه المقام، فلم أر بحمد الله إلا خيرا. والله ما زلت أضرب بسيفي صبيا حتى صرت شيخا. وإنه ليصبرني على ما أنا فيه، أن ذلك كله في الله ورسوله، وأنا أرجو أن يكون الروح عاجلا قريبا، فقد رأيت أسبابه! قالوا: فما بقي بعد هذه المقالة إلا يسيرا حتى أصيب عليه السلام). انتهى. (الإرشاد: ١ / ٢٨٤ وأضاف له في المناقب: ١ / ٣٨٧: كنت أحسب صبيا أن الأمراء يظلمون الناس، فإذا الناس يظلمون الأمراء!!)

**

يصلون على آل محمد في صلاتهم، ويهدرون دماءهم كانت أول نتائج هذه الموجة: أن عترة النبي صلى الله عليه وآله الذين نزلت فيهم آيات الوحي ورووا في أصح كتبهم أن النبي صلى الله عليه وآله علمهم أن يقرنوهم به فيصلوا عليهم معه في صلاتهم فقال: (قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم!) (البخاري: ٦ / ٣٤٥، و: ٤ / ١١٨).

وروا إحتفاه صلى الله عليه وآله بنزول آية التطهير فيهم وأنه حددهم بأشخاصهم فأدار عليهم كساء وقال: (اللهم إن هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد إنك حميد مجيد. قالت أم سلمة: فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدي وقال: إنك على خير). (مسند أحمد: ٦ / ٢٩٢ و ٢٩٨).

هؤلاء العترة النبوية العظماء صلوات الله عليهم، الذين كانت الأمة وما زالت تصلي عليهم في صلواتها، كان نصيبهم الهجوم على دارهم والتهديد بالقتل إن لم يبايعوا! في غارة مبكرة، افتتح بها القرشيون تاريخ الإسلام بعد النبي صلى الله عليه وآله! ثم كان نصيبهم جميعا القتل تحت نجوم السماء، فلم يمت منهم واحد موتة طبيعية! ثم كان نصيب شيعتهم التكفير والتقتيل والاضطهاد، إلى يومنا هذا!

والبادئ في ذلك هو تحالف بطون قريش الذي هدر دم آل الرسول صلى الله عليه وآله قبل أن تدفن جنازته! وكان مستعدا لأن يحرق الدار عليهم ثمنا لبيعة رئيس عشيرة تيم، بيعة بلا نص ولا مشورة، سماها عمر فلته، ودبرتها قريش خلصة، واختاروا لها وقت ذهول المسلمين بموت نبيهم صلى الله عليه وآله وذهول أهل بيته عليهم السلام وانشغالهم بمراسم جنازته صلى الله عليه وآله!

وأعجب من ذلك: أن عليا والزهراء صلى الله عليه وآله، نفذا ما عاهدا عليه رسول الله صلى الله عليه وآله، فاكتفيا بتسجيل ظلامتهما وحجتهما، فلم تدع الزهراء عليها السلام عليهم بالعذاب، وهي

المستجابة الدعاء! ولم يستجر بنو هاشم بقبر النبي صلى الله عليه وآله طالبين رفع
ظلامتهم، وهو من عادات العرب التي يحسبون لها حساباً!
ولم يجرد علي عليه السلام ذا الفقار، بل رأينا بطل بدر وأحد والخندق وفتح خيبر،
انقاد لأشخاص لا هم فرسان ولا شجعان، يجرونه إلى السقيفة بحمائل سيفه، ولم
يدفعهم عن نفسه بيده ولا سيفه! ولو فعل لفروا منه كالبغاث! لكنه وفي بما التزم به
لحبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله، أن لا يدع التاريخ يجري بما هو أكثر سوءاً!
علي عليه السلام يصف عهود أبي بكر وعمر وعثمان!
وصف عليه السلام فترة الثلاثين سنة التي تحمل فيها أهل البيت النبوي وشيعتهم أقسى
مأساة جرت على عترة بعد نبيها، فقال في خطبته المعروفة بالشقشقية:
(أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي،
ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير، فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحا،
وظفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير،
ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربه!
فرايت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجى، أرى
تراثي نهبا! حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده! ثم تمثل بقول
الأعشى:

شتان ما يومي على كورها* ويوم حيان أخي جابر
فيا عجا بينا هو يستقلها في حياته، إذ عقدها لآخر بعد وفاته! لشد ما تشطرا ضرعيها!
فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلامها ويخشن مسها، ويكثر العثار فيها، والاعتذار
منها، فصاحبها كراكب الصعبة إن أشنق لها حرم، وإن أسلس لها تقحم، فمني الناس
لعمر الله بنحيط وشماس وتلون واعتراض، فصبرت على طول المدة وشدة المحنة. حتى
إذا مضى لسبيله، جعلها في جماعة زعم أنني أحدهم! فيا لله وللشورى متى اعترض
الريب في مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر!

لكني أسففت إذ أسفوا وطرت إذ طاروا، فصغى رجل منهم لضغنه، ومال الآخر
لصهره، مع هن وهن!
إلى أن قام ثالث القوم نافجا حضيئه، بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال
الله خضمة الإبل نبتة الربيع! إلى أن انتكث فتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته،
فما راعني إلا والناس كعرف الضبع إلي، ينثالون علي من كل جانب، حتى لقد وطئ
الحسنان وشق عطفائي، مجتمعين حولي كربيضة الغنم، فلما نهضت بالأمر نكثت
طائفة ومرقت أخرى وقسط آخرون، كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول: تلك
الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين. بلى
والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم، وراقهم زبرجها!
أما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر،
وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها
على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهدي من عطفة
عنز! انتهى.

وقام إليه رجل من أهل السواد عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته فناوله كتاباً فأقبل
ينظر فيه. قال له ابن عباس: يا أمير المؤمنين لو اطردت خطبتك من حيث أفضيت؟
فقال: هيهات يا ابن عباس، تلك شقشقة هدرت ثم قرت! قال ابن عباس: فوالله ما
أسفت على كلام قط كأسفي على هذا الكلام أن لا يكون أمير المؤمنين بلغ منه حيث
أراد!! (نهج البلاغة: ١ / ٣١).

هذه خلاصة موجزة لموجة الظلم والاضطهاد الأولى على أهل البيت النبوي عليهم
السلام وأنصارهم! امتدت ثلاثين سنة، حتى جاءت الخلافة إلى علي عليه السلام
خاضعة، واضطرت قريش أن تبايعه طائعة، فكيف جرت الأحداث؟! *

الفصل الخامس
الموجة الثانية من عداوة قريش للعترة
شن الحروب ضد علي عليه السلام

الصحابة يثورون على عثمان
لتسليطه قبيلته بني أمية على مقدرات المسلمين!
عانت الأمة في كل أقاليمها من تسلط عثمان لأقاربه وقبيلته بني أمية على أموال
المسلمين وأبدانهم، فقد كون من مقربيه طبقة (قوارين) استأثرت بأموال الدولة
والفتوحات، حتى كان بعضهم يكسر الذهب بالفؤوس! في حين كان عامة المسلمين
يعيشون الفاقة، وبعضهم يعانون جوعا حقيقيا وعريا حقيقيا! حتى كان أبرار الأمة
كأويس القرني رحمه الله يعتذرون إلى الله تعالى من موت من يموت من المسلمين من
الجوع والعري!
وقد استنكر الصحابة في المدينة هذا الوضع، وجأؤوا من الأمصار معترضين! ونصحوا
عثمان نصحا، ثم وبخوه توبيخا! ولما رأوا أن ذلك لا ينفع ثاروا عليه وحاصروه في
دار الخلافة لأكثر من شهر، طالبين منه أن يتوب ويصح الأوضاع أو يخلع نفسه، فلم
يفعل فقتلوه ومنعوا دفنه في مقابر المسلمين! وخرجوا متظاهرين مطالبين عليا عليه
السلام أن يتولى الخلافة.
قال علي عليه السلام واصفا هتاف المسلمين ومجيئهم إلى بيته بعد مقتل عثمان:
(فأقبلتم إلي إقبال العوذ المطافيل على أولادها تقولون البيعة البيعة. قبضت كفي
فبسطتموها، ونازعتكم يدي فجاذبتموها). (نهج البلاغة: ٢ / ٢٠).
ومعنى العوذ المطافيل: الأمهات من الظباء والإبل وغيرها ذوات الأطفال، التي تهرع من
أجل أطفالها، أو عند فقدها!

صور من الظلم في عهد عثمان:
صحابه يكسرون الذهب بالفؤوس، وناس يموتون من الجوع!
روى المحدثون والمؤرخون السنيون كثيرا من أعمال عثمان في تسليط بني أمية على المسلمين، وقصصا من توزيعه أموال الدولة على المقربين اليه من بني أمية وغيرهم كصهره عبد الرحمن بن عوف، الذي اختاره للخلافة!
قال ابن سعد في الطبقات: ٣ / ١٣٦: (إن عبد الرحمن بن عوف توفي وكان فيما ترك ذهب قطع بالفؤوس، حتى مجلت أيدي الرجال منه). انتهى.
وجاء في هامش بحار الأنوار: ٣١ / ٢٢٢: (قال الحلبي في سيرته: ٢ / ٨٧: وكان من جملة ما انتقم به على عثمان أنه أعطى ابن عمه مروان بن الحكم مائة ألف، وخمسين أوقية. وروى البلاذري في الأنساب: ٥ / ٢٥، وابن سعد في الطبقات: ٣ / ٤٤: أن عثمان كتب لمروان بخمس مصر، وأعطى أقرباءه المال، وتأول في ذلك الصلة التي أمر الله بها، واتخذ الأموال (المزارع والعقارات) واستسلف من بيت المال).
وقال ابن الأثير في الكامل: ٣ / ٣٨: (وظهر بهذا أن عثمان أعطى عبد الله بن سعد خمس الغزوة الأولى، وأعطى مروان خمس الغزوة الثانية، التي افتتحت فيها جميع إفريقيا).
وفي رواية الواقدي وابن كثير في تاريخه: ٧ / ١٥٢: (صالح عثمان خمس إفريقيا بطريقها على ألفي ألف دينار، فأطلقها كلها عثمان في يوم واحد لآل الحكم، ويقال: لآل مروان).
وفي تاريخ الطبري: ٥ / ٥٠: (كان الذي صالحهم عليه ألفي ألف دينار وخمسمائة ألف دينار وعشرين ألف دينار.... إلى أن قال: كان الذي صالحهم عبد الله بن سعد على ثلاثمائة قنطار ذهب، فأمر بها عثمان لآل الحكم، قلت: أو لمروان؟

قال: لا أدري...). وقال اليعقوبي في تاريخه: ٢ / ١٤٥: زوج عثمان ابنته من عبد الله بن خالد بن أسيد وأمر له بستمائة ألف درهم، وكتب إلى عبد الله بن عامر أن يدفعها إليه من بيت مال البصرة! وجاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١ / ٦٧: أن عثمان أعطى أبا سفيان بن حرب مائتي ألف من بيت المال في اليوم الذي أمر لمروان بن الحكم بمائة ألف من بيت المال. وأورد فيه أيضا أنه أعطى عبد الله بن أبي سرح جميع ما أفاء الله عليه في فتح إفريقية بالمغرب، وهي من طرابلس الغرب إلى طنجة، من غير أن يشركه فيه أحد من المسلمين!

وأورد البلاذري في الأنساب: ٥ / ٤٩ وابن كثير في تاريخه: ٧ / ١٥٧ وغيرهما: أنه بعث عثمان إلى ابن أبي حذيفة بثلاثين ألف درهم وبجمل عليه كسوة، فأمر فوضع في المسجد وقال: يا معشر المسلمين ألا ترون إلى عثمان يخادعني عن ديني ويرشوني عليه! كما وقد ذكره شيخنا الأميني في غديره: ٩ / ١٤٤، وأدرج في: ٨ / ٢٨٦ قائمة بجملة من هباته مع مصادرهما، (فقد أعطى لمروان ٥٠٠٠٠٠٠ دينار ذهب، و ١٠٠٠٠٠٠ درهم فضة، ولابن أبي سرح ١٠٠٠٠٠٠ دينار، ولطلحة ضعفه مع ثلاثين مليون درهم مرة، ومليونين ومئتين ألف درهم فضة، ولعبد الرحمن ٢٥٦٠٠٠٠ دينار، وليعلي بن أمية نصف مليون دينار، ولزيد بن ثابت مائة ألف دينار.. وهكذا دواليك للحكم وآل الحكم، والحارث، وسعيد، والوليد، وعبد الله، وأبي سفيان، والزبير وابن أبي الوقاص، وغيرهم من حزبه وأعوانه يطول علينا درجها فضلا من إحصائها). انتهى. أقول: لا مانع شرعا أن يملك الصحابي ويتاجر فيكون من كبار الأثرياء، لكن يجب أن يكون مصدر ماله من حلال، وأن يراعي حالة الفقر الشديدة التي كان المسلمون يعيشونها في عصر النبي صلى الله عليه وآله وبعده! فقد كان الفقر عاما في عصر النبي صلى الله عليه وآله إلى حد أن بعضهم لم يكن يملك ثوبا سترًا مناسبًا! روى الصدوق في

مصادقة الإخوان ص ٣٦ بسنده قال: (أبطأ على رسول الله صلى الله عليه وآله رجل فقال: ما أبطأ بك؟ فقال: العربي يا رسول الله! فقال: أما كان لك جار له ثوبان فيعيرك أحدهما؟ فقال بلى يا رسول الله، فقال: ما هذا لك بأخ). انتهى.

لكن هل تغير الحال بعد النبي صلى الله عليه وآله على عامة الناس بالرغم من ملايين الفتوحات وصناديق ذهبها في عصر أبي بكر وعمر وعثمان، وتحول الدولة الإسلامية إلى دولة كبرى؟!!

تقول الشواهد التاريخية الكثيرة إن حالة الغنى واليسر كانت محصورة بالخليفة وبطانته، وقادة الفتوحات وبطانتهم التي حولهم.

ونكتفي من الأمثلة بأويس القرني الذي كان معاصراً لأبي بكر وعمر وعثمان، والذي بشر به رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن يراه المسلمون، وأوصاهم أن يبلغوه سلامه وأن يحرص أحدهم على أن يحصل منه على كلمة دعاء: (غفر الله لك)! وقد دعا لبعض الصحابة، ولم يدع لبعضهم، فقد سجل الرواة مجتمع الكوفة في عصره كان شديد الفقر، ونصوصهم في ذلك كثيرة وصحيحة، وقد استعرضنا سيرته في أول المجلد الرابع من العقائد الإسلامية.

(كان إذا أمسى تصدق بما في بيته من الفضل من الطعام والشراب ثم قال: اللهم من مات جوعاً فلا تؤاخذني به، ومن مات عرياً فلا تؤاخذني به). (حلية الأولياء: ٢ / ٨٧).

(إن كان أويس القرني ليتصدق بثيابه، حتى يجلس عريانا لا يجد ما يروح فيه إلى الجمعة). (سير أعلام النبلاء: ٤ / ٢٩ وحلية الأولياء: ٢ / ٨٣).

(اللهم إنني أعتذر إليك من كل كبد جائعة وجسد عار، وليس لي إلا ما على ظهري، وفي بطني). (مستدرك الحاكم: ٣ / ٤٠٦ والبيهقي في شعب الإيمان: ١ / ٥٢٤). وفي لسان الميزان: ١ / ٢٨٠ وسير أعلام النبلاء: ٣٣ / ٢٩٤: (كان أويس يجالس رجلاً من فقهاء الكوفة يقال له يسير ففقده، فإذا هو في خص له قد انقطع من العري)! ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله: إن من أمتي من لا يستطيع أن يأتي مسجده أو مصلاه من

العري، يحجزه إيمانه أن يسأل الناس، منهم أويس القرني). (أعلام النبلاء: ٤ / ٢٩) وهذا يدل على أن ثروة الدولة والفتوحات كانت دولة بين فئة قليلة! أما عامة الناس، خاصة الذين لا يداهنون الخليفة ورجاله كأويس القرني، فكانوا في فقر مدقع، وقد يعاني بعضهم من العري، وقد يموت من الجوع! *

والأخطر من الجوع والعري أن المسلم لم يكن له أمن على حياته ودمه من السلطة، فقد يقتل الصحابي أو التابعي بتلفيق شكاية عليه بأنه طعن في الخليفة! وإذا كانت السلطة لا تعرف حرمة للدم والكرامة فكيف تعرف حرمة للمال؟! قال الحاكم في المستدرک: ٣ / ٤٠٥: (جاء رجل من مراد إلى أويس القرني فقال: السلام عليكم، قال: وعليكم. قال: كيف أنتم يا أويس؟ قال: الحمد لله. قال: كيف الزمان عليكم؟ قال: لا تسأل! الرجل إذا أمسى لم ير أنه يصبح، وإذا أصبح لم ير أنه يمسي! يا أخا مراد، إن الموت لم يبق لمؤمن فرحا. يا أخا مراد، إن عرفان المؤمن بحقوق الله لم تبق له فضة ولا ذهباً. يا أخا مراد، إن قيام المؤمن بأمر الله لم يبق له صديقا! والله إنا لنأمرهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر فيتخذوننا أعداء، ويجدون على ذلك من الفاسقين أعوانا، حتى والله لقد يقذفوننا بالعظائم، والله لا يمنعني ذلك أن أقول بالحق)! انتهى. وقال ابن حبان في المجروحين: ٣ / ١٥١: (وكان ابن عم له يلزم السلطان تولع به، فإن رآه مع قوم أغنياء قال ما هو إلا يشاكلهم! وإن رآه مع قوم فقراء، قال ما هو إلا يخذعهم! وأويس لا يقول في ابن عمه إلا خيرا)! انتهى. وقد تسأل لماذا قال أويس رحمه الله: اللهم من مات جوعا فلا تؤاخذني به، ومن مات عريا فلا تؤاخذني به! فهل يموت أحد من العري؟! والجواب: أن العري والجوع متلازمان، وقد يجر العري إلى الجوع، فيكون هو السبب الأساس للموت!

صورة من محاصرة الصحابة لعثمان وقتلهم إياه!
قال ابن سعد في الطبقات: ٣ / ٧١: (كان المصريون الذين حصروا عثمان ستمائة،
رأسهم الصحابي عبد الرحمن بن عديس البلوي، وكنانة بن بشر بن عتاب الكندي،
وعمر بن الحمق الخزاعي.
والذين قدموا من الكوفة مائتين، رأسهم مالك الأشتر النخعي. والذين قدموا من البصرة
مائة رجل، رأسهم حكيم بن جبلة العدي).
وقال ابن عبد البر في الإستيعاب: ٢ / ٤١١: (عبد الرحمن بن عديس البلوي، مصري
شهد الحديبية... ممن بايع تحت الشجرة رسول الله (ص) قال أبو عمر: هو كان
الأمير على الجيش الذين حصروا عثمان وقتلوه). انتهى.
وفي مجمع الزوائد: ٩ / ٩٥: (عن مالك يعني ابن أنس قال: قتل عثمان فأقام مطروحا
على كناسة بني فلان ثلاثا، وأتاه اثنا عشر رجلا منهم جدي مالك بن أبي عامر،
وحويطب بن عبد العزى، وحكيم بن حزام، وعبد الله بن الزبير وعائشة بنت عثمان،
معهم مصباح في حق، فحملوه على باب وإن رأسه تقول على الباب طق طق، حتى أتوا
البقيع فاختلفوا في الصلاة عليه فصلى عليه حكيم بن حزام أو حويطب بن عبد العزى،
شك عبد الرحمن. ثم أرادوا دفنه فقام رجل من بني مازن فقال: لئن دفنتموه مع
المسلمين لأخبرن الناس غدا!! فحملوه حتى أتوا به حش كوكب، فلما دلوه في قبره
صاحت عائشة بنت عثمان فقال لها ابن الزبير: أسكتي فوالله لئن عدت لأضربن الذي
فيه عينك، فلما دفنوه وسووا عليه التراب، قال لها ابن الزبير: صحيح ما بدا لك أن
تصيح). انتهى. وقال: (رواه

الطبراني وقال الحش البستان، ورجاله ثقات). (راجع المعجم الكبير للطبراني: ١ / ٧٨، وتاريخ دمشق: ٣٩ / ٥٣٢، وتهذيب الكمال: ١٩ / ٤٥٧، وتلخيص الحبير لابن حجر: ٥ / ٢٧٥).

وهذا النص الموثق، يدل على مدى ما وصلت اليه نقمة الصحابة على عثمان، حيث تركوا جنازته مرمية ثلاثة أيام في مكان غير مناسب، وحرموا الصلاة عليها ودفنوها حتى تجرأ بضعة أشخاص في الليلة الثالثة فأخذوا جنازته ليلاً سرا عن المسلمين ليدفنوه في البقيع، وكانوا على عجلة وخوف أن يشعر بهم المسلمون، فرآهم شخص وهددهم بأنهم إن صلوا عليه أو دفنوه في مقابر المسلمين فسيخبر الصحابة والتابعين غداً! فخافوا وهربوا بجنازته إلى خارج البقيع، وكسروا جدار بستان نخل ليهودي (حش كوكب) ودفنوه فيه طمأ بلا لحد ولا لبن، ولم يسمح ابن الزبير لابنة عثمان أن تبكي أباه حتى لا يسمع المسلمون بكاءها، فيحضروا ويأخذوا الجنازة منهم ويرمونها! وينبغي التحفظ في أسماء الذين حضروا دفنوه، لأنهم كانوا يزعمون ذلك فيما بعد تقرباً إلى معاوية! وكذلك عدم ذكرهم حماية علي عليه السلام للذين دفنوه!

وفي رواية ابن قتيبة في الإمامة والسياسة: ١ / ٦٤: (فاحتملوه على باب وإن رأسه ليقول: طق طق، فوضعه في موضع الجنائز، فقام إليهم رجال من الأنصار فقالوا لهم: لا والله لا تصلون عليه.... فاحتملوه ثم انطلقوا مسرعين.... فدفنوه ولم يلحدوه بلبن، وحثوا عليه التراب حثوا). انتهى.

قال الأميني رحمه الله في الغدير: ٩ / ٩٣: (روى المدائني في كتاب مقتل عثمان: أن طلحة منع من دفنه ثلاثة أيام، وإن علياً لم يبايع الناس إلا بعد قتل عثمان بخمسة أيام، وأن حكيم بن حزام أحد بني أسد بن عبد العزى، وجبير بن مطعم بن الحرث بن نوفل استنجدا بعلي عليه السلام، فأقعد طلحة لهم في الطريق ناساً بالحجارة

فخرج به نفر يسير من أهله وهم يريدون به حائطا بالمدينة يعرف بحش كوكب كانت اليهود تدفن فيه موتاهم، فلما صار هناك رجم سريره وهموا بطرحه، فأرسل علي إلى الناس يعزم عليهم ليكفوا عنه، فكفوا فانطلقوا به حتى دفنوه في حش كوكب. وأخرج المدائني في الكتاب قال: دفن عثمان بين المغرب والعمرة، ولم يشهد جنازته إلا مروان بن الحكم وابنة عثمان وثلاثة من مواليه، فرفعت ابنته صوتها تندبه وقد جعل طلحة ناسا هناك أكرمهم كميناً فأخذتهم الحجارة وصاحوا: نعثل نعثل! فقالوا: الحائط الحائط، فدفن في حائط هناك!

أخرج الواقدي قال: لما قتل عثمان تكلموا في دفنه فقال طلحة: يدفن بدير سلع. يعني مقابر اليهود. ورواه الطبري في تاريخه: ٥ / ١٤٣ غير أن فيه مكان طلحة: رجل). انتهى.

أقول: المرجح عندي رواية المدائني، وقد رواها الطبري في تاريخه: ٣ / ٤٣٩، وجاء في رواية أخرى له: (حتى انتهوا إلى نخلات عليها حائط، فدقوا الجدار ثم قبروه في تلك النخلات... فذهبت نائلة تريد أن تتكلم فزبرها القوم وقالوا أنا نخاف عليه من هؤلاء الغوغاء أن ينبشوه، فرجعت نائلة إلى منزلها). انتهى.

وفي تاريخ الطبري: ٣ / ٤٤٠، عن أبي عامر قال: (كنت أحد حملة عثمان حين قتل حملناه على باب، وإن رأسه لتقرع الباب لإسراعنا به، وإن بنا من الخوف لأمرًا عظيمًا حتى واريناه في قبره في حش كوكب). انتهى. **

من نبل علي عليه السلام في محاصرة المسلمين لعثمان!
قال ابن قتيبة في الإمامة والسياسة: ١ / ٣٤: (أقام أهل الكوفة وأهل مصر بياب عثمان ليلا ونهارا، وطلحة يحرض الفريقين جميعا على عثمان. ثم إن طلحة قال لهم: إن عثمان لا يبالي ما حصرتموه، وهو يدخل إليه الطعام والشراب، فامنعوه الماء أن يدخل عليه)!

وفي شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي: ١ / ٣٤٤: (عن الزبير أنه قيل له (أي لطلحة) إن عثمان محصور وإنه قد منع الماء! فقال: وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم كانوا في شك مريب)!

وفي أمالي الطوسي ص ٧١٤: (وقيل لعلي: إن عثمان قد منع الماء، فأمر بالروايا فعكمت، وجاء للناس علي فصاح بهم صيحة فانفرجوا، فدخلت الروايا، فلما رأى علي اجتماع الناس ووجوههم، دخل على طلحة بن عبيد الله وهو متكئ على وسائد، فقال: إن هذا الرجل مقتول فامنعوه. فقال: أما والله، دون أن تعطي بنو أمية الحق من أنفسها)!

* *

أرسل عثمان وهو محاصر رسالة مع عبد الله بن عباس إلى علي عليه السلام، يسأله فيها الخروج إلى أرضه بينبع ليقبل هتف الناس باسمه للخلافة، بعد أن كان سأله مثل ذلك من قبل، فقال عليه السلام: يا ابن عباس ما يريد عثمان إلا أن يجعلني جملا ناضحا بالغرب، أقبل وأدبر! بعث إلي أن أخرج، ثم بعث إلي أن أقدم، ثم هو الآن يبعث إلي أن أخرج! والله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثما). (نهج البلاغة: ٢ / ٢٣٣).

وقال الشيخ محمد عبده في هامشه: (كان الناس يهتفون باسم أمير المؤمنين

للخلافة، أي ينادون به وعثمان محصور، فأرسل إليه عثمان يأمره أن يخرج إلى ينبع، وكان فيها رزق لأمير المؤمنين فخرج، ثم استدعاه لينصره فحضر، ثم عاود الأمر بالخروج مرة ثانية!) انتهى.

أقول: وقد نصح أمير المؤمنين عليه السلام عثمان مرات، نصيحة مشفق على المسلمين وعليه، كما توسط مرات بينه وبين الصحابة والتابعين الشاكين، وكان عليه السلام يعطي الرأي الشرعي في حل المشكلة، ولكن حاشية عثمان خاصة مروان بن الحكم، كانوا يخربون ما يصلحه علي عليه السلام! وكانت آخر وساطات علي عليه السلام بين عثمان والوفد المصري الواسع الذي جاء شاكية تعسف الوالي الأموي مطالباً بتغييره، فخضع عثمان لمطلبهم، وكتب مرسوماً بتعيين محمد بن أبي بكر حاكماً على مصر، وسافر الوالي الجديد مع الوفد، لكنهم بعد مسافة قصيرة قبضوا على مبعوث من عثمان يحمل رسالة إلى الوالي الأموي في مصر، يأمره فيها بضرب أعناق الوفد المصري ومحمد بن أبي بكر! فرجع المصريون إلى المدينة غاضبين وانضم إليهم الناقمون من الصحابة وأهل الكوفة، وحاصروا دار الخلافة مطالبين باستقالة عثمان!

ويظهر أن طلب عثمان الثاني من علي عليه السلام أن يخرج من المدينة، كان في أواخر حصاره، وأن علياً عليه السلام أطاعه، فخرج إلى بستان أنشأه خارج المدينة.

ففي أنساب الأشراف للبلاذري: ص ٢٠٦، (عن أبي المتوكل، قال: قتل عثمان وعلي بأرض له يقال لها البغيغة، فوق المدينة بأربعة فراسخ، فأقبل علي فقال له عمار بن ياسر: لتنصبن لنا نفسك أو لنبدأن بك، فنصب لهم نفسه فبايعوه). انتهى.

وما نقله عن عمار قد يكون كلام غيره، فعمار رحمه الله أجل من ذلك.

وفي كمال الدين للصدوق ص ٥٤٦، عن أبي الدنيا: (لما حوصر عثمان بن عفان

في داره دعاني فدفعت إلي كتابا ونجيبا وأمرني بالخروج إلى علي بن أبي طالب وكان غائبا بينبع في ضياعه وأمواله، فأخذت الكتاب وسرت حتى إذا كنت بموضع يقال له: جدار أبي عباية فسمعت قرآنا فإذا أنا بعلي بن أبي طالب يسير مقبلا من ينبع وهو يقول: أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون، فلما نظر إلي قال: يا أبا الدنيا ما وراءك؟ قلت: هذا كتاب أمير المؤمنين عثمان، فأخذه فقرأه فإذا فيه: فإن كنت مأكولا فكن أنت آكلي... وإلا فأدر كني ولما أمزق فإذا قرأه قال: بر سر، فدخل إلى المدينة ساعة قتل عثمان بن عفان فمال إلى حديقة بني النجار، وعلم الناس بمكانه فجاؤوا إليه ركضا وقد كانوا عازمين على أن يبايعوا طلحة بن عبيد الله، فلما نظروا إليه ارفضوا إليه ارفضاض الغنم يشد عليها السبع، فبايعه طلحة ثم الزبير، ثم بايع المهاجرون والأنصار). انتهى.

وفي الأنساب للبلاذري: ٥ / ٨١: عن ابن سيرين: لم يكن من أصحاب النبي (ص) أشد على عثمان من طلحة!

وفي شرح نهج البلاغة: ٩ / ٣٥: (روى أن عثمان قال: ويلى علي ابن الحضرمية يعني طلحة، أعطيته كذا وكذا بهارا ذهباً، وهو يروم دمي يحرض على نفسي! اللهم لا تمتعه به ولقه عواقب بغيه). انتهى.

والبهار جلد ثور، يوضع فيه الذهب غير المسكوك، وقد يصل إلى ٣٠٠ كيلو.

* *

قال الأميني في الغدير: ٩ / ٩٦: (أخرج البلاذري من طريق يحيى بن سعيد قال: كان طلحة قد استولى على أمر الناس في الحصار، فبعث عثمان عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، إلى علي بهذا البيت:

وإن كنت مأكولا فكن أنت آكلي * وإلا فأدر كني ولما أمزق

وقال أبو مخنف: صلى علي بالناس يوم النحر وعثمان محصور فبعث إليه عثمان بيت الممزق، وكان رسوله به عبد الله بن الحارث، ففرق علي الناس عن طلحة، فلما رأى ذلك طلحة دخل على عثمان فاعتذر، فقال له عثمان: يا ابن الحضرمية! ألبت علي الناس ودعوتهم إلى قتلي، حتى إذا فاتك ما تريد جئت معتذرا، لا قبل الله ممن قبل عذرك. (الأنساب: ٥ / ٧٧). انتهى.

وفي كتاب الحمل للمفيد ص ٢٣٢: (وروى محمد بن إسحاق عن أبي جعفر الأسدي، عن أبيه عن عبد الله بن جعفر، قال: كنت مع عثمان وهو محصور، فلما عرف أنه مقتول بعثني وعبد الرحمن بن أزهر إلى علي عليه السلام وقد استولى طلحة على الأمر وقال: انطلقا وقولا له: إنك أولى بالأمر من ابن الحضرمية، فلا يغلبك على أمر ابن عمك). انتهى.

علي عليه السلام يستجيب لإصرار الصحابة والتابعين على بيعته! بعد خمسة أيام أو ثمانية أيام من مقتل عثمان، وإصرار الصحابة على علي عليه السلام أن يقبل البيعة وينهض لإصلاح الأمور أجابهم عليه السلام وبايعه في المسجد الذين بايعوا أبا بكر، وخطب فقال عليه السلام:

(ذمتي بما أقول رهينة وأنا به زعيم، إن من صرحت له العبر عما بين يديه من المثالات، حجزته التقوى عن تقحم الشبهات. ألا وإن بليتكم قد عادت كهيتها يوم بعث الله نبيكم صلى الله عليه وآله! والذي بعثه بالحق لتبيلن بلبلة، ولتغربلن غربلة، ولتساطن سوط القدر، حتى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم، وليسبقن سابقون كانوا قصروا، وليقصرن سابقون كانوا سبقوا! والله ما كتمت وشمة، ولا كذبت كذبة، ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم! ألا وإن الخطايا خيل شمس حمل عليها أهلها وخلعت لجمها فتقحمت بهم في النار. ألا وإن التقوى مطايا ذلل حمل عليها أهلها وأعطوا أزمته فأوردتهم الجنة. حق وباطل ولكل أهل، فلئن أمر الباطل لقديم فعل،

ولئن قل الحق فلربما ولعل، ولقلما أدبر شئ فأقبل). (نهج البلاغة: ١ / ٤٦).
وروى في كنز العمال: ٥ / ٧٤٧، عن اللالكائي عن محمد بن الحنفية قال: لما قتل
عثمان استخفى علي في دار لأبي عمرو بن حصين الأنصاري فاجتمع الناس فدخلوا
عليه الدار، فتداكوا على يده ليباعوه تداكك الإبل بهم على حياضها... وقالوا إن هذا
الرجل قد قتل ولا بد للناس من إمام، ولا نجد لهذا الأمر أحق منك ولا أقدم سابقة، ولا
أقرب برسول الله برحم منك. قال: لا تفعلوا فإني وزيراً لكم خيراً لكم مني أميراً،
قالوا: والله ما نحن بفاعلين أبداً حتى نبايعك! وتداكوا على يده، فلما رأى ذلك قال:
إن بيعتي لا تكون في خلوة إلا في المسجد ظاهراً، وأمر منادياً فنادى المسجد، فخرج
وخرج الناس معه فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: حق وباطل ولكل أهل،
ولئن كثر الباطل لقد فيما فعل.... الخ. فهي أول خطبة خطبها بعد ما استخلف). انتهى.
**

علي عليه السلام يعيد العهد النبوي في احترام حقوق الإنسان!
لا إجبار عند علي على بيعة، ولا حطب عنده، ولا حرق بيوت!
فواجبه الأول هو إعادة الإرادة الحرة للإنسان المسلم، التي صادرها زعماء قريش
بمجرد أن أغمض النبي صلى الله عليه وآله عينيه!
وكيف يجبر علي أحدا على بيعته، وهو الإنسان الصافي الإنسانية، أبا عن جد من أبي
طالب إلى إبراهيم، وإلى آدم عليهم السلام، والمؤمن بمحمد صلى الله عليه وآله وما
أنزل عليه والمستوعب لقضية الإنسان وحقوقه المقدسة في شريعة الإسلام.
كيف يجبر أحدا على بيعته وهو التقى الذي يخاف من معصية ربه في نملة يسلبها
جلب شعير، فكيف بالتعدي على حق إنسان له كرامته وحرمة عند الله؟!
وهو الصادق عندما قص للمسلمين على المنبر قصة الأشعث زعيم كندة، الذي أراد أن
يرشيه ليوليه على منطقة من مناطق المسلمين، فوسط له الوسطاء، وتملق إليه بالكلام،
وجاءه بطبق حلوى!
قال عليه السلام: (وأعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفة في وعائها، ومعجونة شنتتها،
كأنما عجنت بريق حية أو قيئها (يقصد قطر السكر فيها)، فقلت أصلة أم زكاة أم
صدقة، فذلك محرم علينا أهل البيت. فقال: لا ذا ولا ذاك ولكنها هدية. فقلت: هبلك
الهبول، أعن دين الله أتيتني لتخدعني، أمختبط أنت أم ذو جنة أم تهجر
! والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها
جلب شعيرة ما فعلت، وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها! ما
لعلي ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى!) (نهج البلاغة: ٢ / ١٨)
لقد كان علي عليه السلام الخليفة الوحيد الذي لم يجبر أحدا على بيعته، ففضح بذلك
اضطهاد من قبله ومن بعده للمسلمين، ومصادرتهم لحررياتهم!

قالوا له: إن عبد الله بن عمر وسعد بن وقاص وأسامة بن زيد تخلفوا عن بيعته، واستأذنه عمار بن ياسر أن يأتي بهم ليجيرهم على البيعة كما جرت سنة قريش! فقال له: (دع عنك هؤلاء الرهط الثلاثة، أما ابن عمر فضعيف في دينه، وأما سعد بن أبي وقاص فحسود، وأما محمد بن مسلمة فذنبى إليه أني قتلت قاتل أخيه، مرحبا يوم خيبر). (المعيار والموازنة للإسكافي ص ١٠٨).

**

وكان علي عليه السلام الخليفة الوحيد، الذي أعطى الحرية لمعارضيه وناقديه والعاملين ضده، ولم ينقص من حقوقهم من بيت المال ولا غيره شيئا، حتى لو دعوا إلى الخروج عليه والثورة، ما لم يباشروا في ذلك!
(كان عليه السلام جالسا في أصحابه، فمرت بهم امرأة جميلة فرمقها القوم بأبصارهم! فقال عليه السلام: إن أبصار هذه الفحول طوامح، وإن ذلك سبب هبابها، فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليلامس أهله، فإنما هي امرأة كامرأة!
فقال رجل من الخوارج: قاتله الله كافرا ما أفقهه! فوثب القوم ليقتلوه، فقال عليه السلام: رويدا، إنما هو سب بسب، أو عفو عن ذنب). (نهج البلاغة: ٤ / ٩٨)
وبهذه الحرية التي أعطاها أمير المؤمنين عليه السلام لخصومه، فضح القرشيين الذين بطشوا بالناس للتهمة والظنة، وقتلوهم على الكلمة، وجعلوا رئيس الدولة أعظم حرمة من الله تعالى ورسله!

**

وكان علي عليه السلام الخليفة الوحيد الذي لم يجبر أحدا من المسلمين على الحرب معه، بل ندب المسلمين إلى نصرته، وأوضح لهم حقه وباطل أعدائه، فاستجاب له من أراد، وتخلف عنه من أراد! ولم ينقص من حقوقهم شيئا!
ففضح بذلك سياسة إجبار الناس على القتال، التي وجدت قبل حكمه، ثم

تفاقت بعده، حتى وصلت إلى أن: (بشر بن مروان بن الحكم كان إذا ضرب البعث على أحد من جنده ثم وجدته قد أدخل بمركزه، أقامه على كرسي ثم سمر يديه في الحائط ثم انتزع الكرسي من تحت رجله، فلا يزال يتشطح حتى يموت! وإنه ضرب البعث على رجل حديث عهد بعرس ابنة عمه، فلما صار في مركزه كتب إلى ابنة عمه كتاباً، ثم كتب في أسفله:

لولا خلافة بشر أو عقوبته * وأن يرى حاسد كفي بمسما
إذا لعطلت ثغري ثم زرتكم * إن المحب إذا ما اشتاق زوار).
(تاريخ دمشق: ١٠ / ٢٥٦)
**

علي عليه السلام يلغي تمييز عمر بين المسلمين في العطاء
وعلي عليه السلام هو الخليفة الوحيد الذي أعاد العدالة النبوية في التسوية بين المسلمين
في العطاء، بعد أن ميزوا بينهم بعناوين ألبسوها ثوبا دينيا وشرفا قبليا! فمن كلام له عليه
السلام في أواخر خلافته لما عوتب على التسوية في العطاء: (أتأمروني أن أطلب النصر
بالجور فيمن وليت عليه، والله ما أطور به ما سمر سمير، وما أم نجم في السماء نجما.
لو كان المال لي لسويت بينهم، فكيف وإنما المال مال الله. ألا وإن إعطاء المال في
غير حقه تبذير وإسراف، وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الآخرة، ويكرمه في
الناس ويهينه عند الله! ولم يضع امرؤ ماله في غير حقه ولا عند غير أهله إلا حرمه الله
شكرهم، وكان لغيره ودهم، فإن زلت به النعل يوما فاحتاج إلى معونتهم، فشر خدين
وألام خليل!). (نهج البلاغة: ٢ / ٦).

ولم يميز نفسه ولا عشيرته بني هاشم عن فقراء المسلمين
وعلي عليه السلام هو الخليفة الوحيد، الذي لم يميز نفسه وقبيلته عن عامة المسلمين
بدرهم واحد، وكان بعضهم في حاجة ماسة! فمن كلام له عليه السلام:
(والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهدا، وأجر في الأغلال مصفدا، أحب إلي من
أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد، أو غاصبا لشيء من الحطام. وكيف
أظلم أحدا لنفس يسرع إلى البلى قفولها، ويطول في الثرى حلولها! والله لقد رأيت
عقيلا وقد أملق، حتى استماحني من بر كم صاعا، ورأيت صبيانه شعث الشعور غير
الألوان من فقرهم، كأنما سودت وجوههم بالعظم، وعاودني مؤكدا وكرر علي القول
مرددا، فأصغيت إليه سمعي فظن أنني أبيعه ديني وأتبع قياده مفارقا طريقي، فأحميت له
حديدة ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها، فضج ضجيج ذي دنف من ألمها وكاد أن
يحترق من ميسمها! فقلت له: ثكلتك الثواكل يا عقيل أتئن من

حديدة أحماها إنسانها للعبه، وتجرني إلى نار سجرها جبارها لغضبه! أثن من الأذى ولا أثن من لظي). (نهج البلاغة: ٢ / ٢١٦).

وفي تاريخ يعقوبي: ٢ / ١٨٣: (وأعطى الناس بالسوية لم يفضل أحدا على أحد، وأعطى الموالي كما أعطى الصليبية، وقيل له في ذلك فقال: قرأت ما بين الدفتين فلم أجد لولد إسماعيل على ولد إسحاق فضل هذا، وأخذ عودا من الأرض، فوضعه بين إصبعيه). انتهى.

وروى في دعائم الإسلام: ١ / ٣٨٤: أن عليا عليه السلام أمر عمار بن ياسر، وعبيد الله بن أبي رافع، وأبا الهيثم بن التيهان، أن يقسموا فيئا بين المسلمين، وقال لهم: اعدلوا فيه ولا تفضلوا أحد على أحد. فحسبوا فوجدوا الذي يصيب كل رجل من المسلمين ثلاثة دنانير، فأعطوا الناس. فأقبل إليهم طلحة والزبير ومع كل واحد منهما ابنه، فدفعوا إلى كل واحد منهم ثلاثة دنانير، فقال طلحة والزبير: ليس هكذا كان يعطينا عمر، فهذا منكم أو عن أمر صاحبكم؟ قالوا: بل هكذا أمرنا أمير المؤمنين عليه السلام، فمضيا إليه فوجداه في بعض أمواله قائما في الشمس على أجير له يعمل بين يديه، فقالا: ترى أن ترتفع معنا إلى الظل؟ قال: نعم، فقالا له: إنا أتينا إلى عمالك على قسمة هذا الفئ، فأعطوا كل واحد منا مثل ما أعطوا سائر الناس، قال: وما تريدان؟ قالا: ليس كذلك كان يعطينا عمر. قال: فما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعطيكما؟ فسكتا، فقال: أليس كان صلى الله عليه وآله يقسم بالسوية بين المسلمين من غير زيادة؟ قالا: نعم. قال: أفسنة رسول الله صلى الله عليه وآله أولى بالاتباع عندكما أم سنة عمر؟ قالا: سنة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكن يا أمير المؤمنين لنا سابقة وغناء وقرابة، فإن رأيت أن لا تسوينا بالناس فافعل، قال: سابقتكما أسبق أم سابقتي؟ قالا: سابقتك، قال: فقرابتكما أقرب أم قرابتي؟ قالا: قرابتك، قال:

فغناؤكما أعظم أم غنائني؟ قالوا: بل أنت أعظم غناء، قال: فوالله ما أنا وأجيري هذا في هذا المال إلا بمنزلة واحدة، وأومى بيده إلى الأجير الذي بين يديه!
قالوا: جئنا لهذا وغيره، قال: وما غيره؟
قالوا: أردنا العمرة فأذن لنا، قال: انطلقا فما العمرة تريدان! ولقد أنبتت بأمركما وأريت مضاجعكما! فمضيا، وهو يتلو وهما يسمعان: فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما!)
وفي نهج البلاغة: ٢ / ١٨٥، في كلام له عليه السلام مع طلحة والزبير: (وأما ما ذكرتما من أمر الأسوة، فإن ذلك أمر لم أحكم أنا فيه برأبي، ولا وليته هوى مني، بل وجدت أنا وأنتما ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله قد فرغ منه، فلم أحتج إليكما فيما فرغ الله من قسمه وأمضى فيه حكمه، فليس لكما والله عندي ولا لغيركما في هذا عتبي. أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق، وألهمنا وإياكم الصبر). انتهى.*

وكان عمر ميز بين المسلمين بالعطاء تمييزا فاحشا!
وقد أدى ذلك إلى فساد الصحابة حكام الولايات الذين اختارهم هو، فحكم عليهم بالخيانة وصادر نصف أموالهم، لأنهم بتعبيره أكثروا من السرقة!
قال في أسد الغابة: ٤ / ٣٣٠: (محمد بن مسلمة.... وهو كان صاحب العمال أيام عمر كان عمر، إذا شكى إليه عامل أرسل محمدا يكشف الحال، وهو الذي أرسله عمر إلى عماله ليأخذ شطر أموالهم).

وقال اليعقوبي في تاريخه: ٢ / ١٥: (وشاطر عمر جماعة من عماله أموالهم. قيل إن فيهم سعد بن أبي وقاص عامله على الكوفة، وعمرو بن العاص عامله على مصر، وأبا هريرة عامله على البحرين، والنعمان بن عدي بن حرثان عامله على ميسان، ونافع بن عمرو الخزاعي عامله على مكة، ويعلي بن منيه عامله على اليمن. وامتنع أبو بكر من المشاطرة وقال: والله لئن كان هذا المال لله، فما يحل لك أن تأخذ بعضا وتترك بعضا، وإن كان لنا فما لك أخذه)!

وفي تاريخ دمشق: ٥٥ / ٢٧٨، وتاريخ ابن خياط ص ٨١ وغيرهما: (بعث عمر بن الخطاب محمد بن مسلمة إلى عمرو بن العاص وكتب إليه: أما بعد فإنكم معشر العمال تقدمتم على عيون الأموال، فجببتم الحرام، وأكلتم الحرام، وأورثتم الحرام! وقد بعثت إليك محمد بن مسلمة الأنصاري فيقاسمك مالك، فأحضره مالك. والسلام).
وقال ابن كثير في النهاية: ٧ / ٢٣: (وكتب عمر إلى أبي عبيدة: إن أكذب خالد نفسه فهو أمير على ما كان عليه، وإن لم يكذب نفسه فهو معزول، فانزع عما منته عن رأسه وقاسمه ماله نصفين!.... فقاسمه أبو عبيدة حتى أخذ إحدى نعليه وترك له الأخرى!!)
انتهى. ومعنى أكذب نفسه أي تراجع عن الطعن في حسب عمر!
وقال عمر لأبي هريرة: (يا عدو الله وعدو الإسلام خنت مال الله! قال قلت: لست عدو الله ولا عدو الإسلام، ولكنني عدو من عاداهما ولم أحن مال الله

ولكنها أثمان إبلي وسهام اجتمعت. قال فأعادها علي، وأعدت عليه هذا الكلام! قال فغر مني اثني عشر ألفاً!! (مستدرک الحاكم: ٢ / ٣٤٧).

وفي العقد الفريد: ١ / ٤٥، أن عمر عزل أبا موسى الأشعري عن البصرة وشاطره ماله، وعزل الحارث بن وهب وشاطره ماله، وكتب إلى عمرو بن العاص: بلغني أنه قد فشت لك فاشية من خيل وإبل وبقر وعبيد، فمن أين لك هذا؟ فكتب: إني أعالج من الزراعة ما لا يعالجه الناس، فشاطره ماله حتى أخذ إحدى نعليه، فغضب ابن العاص وقال: قبح الله زمانا عمل فيه ابن العاص لابن الخطاب، والله إني لأعرف الخطاب يحمل على رأسه حزمة من حطب، وعلى ابنه مثلها).

وفي كنز العمال: ٥ / ٨٥١: (كان سبب مقاسمة عمر بن الخطاب مال العمال أن خالد بن الصعق قال شعرا، كتب به إلى عمر بن الخطاب: أبلغ أمير المؤمنين رسالة * فأنت ولي الله في المال والأمر فلا تدعن أهل الرساتيق والجزاء * يشيعون مال الله في الأدم الوفر فأرسل إلى النعمان فاعلم حسابه * وأرسل إلى جزء وأرسل إلى بشر ولا تنسين النافقين كليهما * وصهر بني غزوان عندك ذو وفر ولا تدعوني للشهادة إنني * أغيب ولكني أرى عجب الدهر من الخيل كالغزلان والبيض والدمى * وما ليس ينسى من قرام ومن ستر ومن ربطة مطوية في صوانها * ومن طي أستار معصفرة حمر إذا التاجر الهندي جاء بفأرة * من المسك راحت في مفارقهم تجري نبيع إذا باعوا ونغز وإذا غزوا * فأنى لهم مال ولسنا بذوي وفر فقاسمهم نفسي فداؤك إنهم * سيرضون إن قاسمتهم منك بالشر فقاسمهم عمر نصف أموالهم، وفي رواية فقال: فإننا قد أعفيناه من الشهادة ونأخذ منهم النصف!! انتهى.

والى الآن لم يستطع قانوني ولا فقيه أن يبين الوجه الشرعي لعمل عمر هذا! *

أما الذين كان يثق عمر بأمانتهم من قادة الفتوحات وعمال الأمصار، فهم شيعة علي عليه السلام! كعمار، وسلمان، وحذيفة، وخالد بن سعيد بن العاص الأموي وأخيه أبان، وعثمان بن حنيف، وهاشم المرقال، وعمرو بن الحمق، والأشتر، وغيرهم من القادة الفرسان، فهؤلاء فوق التهمة وليس عندهم ما يقاسمهم إياه!

نعم، ذكرت المصادر اثنين من الحكام خصهما عمر بالإعفاء من مصادرة نصف أموالهما، هما معاوية الأموي وقنفذ العدوي! أما معاوية فكان الوحيد من بين أصدقائه وأولاده، الذي لم يوبخه عمر يوما على أعماله ولم يحاسبه على أمواله! وكان يعجبه بذخه ويقول هذا كسرى العرب! (أسد الغابة: ٤ / ٣٨٦)

وأما قنفذ العدوي، فلم يحاسبه عمر لأنه كلفه بمهمة خاصة جدا لا يجسر عليها أحد من المسلمين، فنذها، وكان معروفا بالقسوة! (فقال العباس لعلي: ما ترى عمر منعه من أن يغرم قنفذا كما أغرم جميع عماله؟ فنظر علي إلى من حوله ثم اغرورقت عيناه بالدموع ثم قال: شكر له ضربة ضربها فاطمة بالسوط، فماتت وفي عضدها أثره كأنه الدمج! ثم قال عليه السلام: العجب مما أشربت قلوب هذه الأمة من حب هذا الرجل وصاحبه من قبله، والتسليم له في كل شئ أحدثه! لئن كان عماله خونة وكان هذا المال في أيديهم خيانة ما كان حل له تركه، وكان له أن يأخذه كله فإنه فيئ المسلمين، فما له يأخذ نصفه ويترك نصفه؟! ولئن كانوا غير خونة فما حل له أن يأخذ أموالهم ولا شيئا منهم قليلا ولا كثيرا، وإنما أخذ أنصافها. ولو كانت في أيديهم خيانة ثم لم يقروا بها ولم تقم عليهم البينة ما حل له أن يأخذ منهم قليلا ولا كثيرا! وأعجب من ذلك إعادته إياهم إلى أعمالهم! لئن كانوا خونة ما حل له أن يستعملهم، ولئن كانوا غير خونة ما حلت له أموالهم). (كتاب سليم ص ٢٢٣).

وعلي عليه السلام هو الخليفة الوحيد الذي لم تشتك رعيته من ظلمه بل كان هو يشكو هو من ظلم رعيته له ويقول:
(أما والذي نفسي بيده ليظهرن هؤلاء القوم عليكم، ليس لأنهم أولى بالحق منكم ولكن لإسراعهم إلى باطل صاحبهم وإبطائكم عن حقي!
ولقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها، وأصبحت أخاف ظلم رعيتي!
إستنفرتكم للجهاد فلم تنفروا، وأسمعتكم فلم تسمعوا، ودعوتكم سرا وجهرا فلم تستجيبوا، ونصحت لكم فلم تقبلوا. أشهود كغياب، وعبيد كأرباب! أتلو عليكم الحكم فتنفرون منها، وأعظكم بالموعظة البالغة فتتفرقون عنها! وأحثكم على جهاد أهل البغي فما آتي على آخر القول حتى أراكم متفرقين أيادي سبا، ترجعون إلى مجالسكم وتتخادعون عن مواعظكم! أقومكم غدوة وترجعون إلي عشية كظهر الحية عجز المقوم وأعضل المقوم! أيها الشاهدة أبدانهم، الغائبة عقولهم، المختلفة أهواؤهم، المبتلى بهم أمراؤهم! صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه! وصاحب أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه! لوددت والله أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ مني عشرة منكم وأعطاني رجلا منهم). (نهج البلاغة: ١ / ١٨٧).

**

الموجة الثانية ضد العترة وشيعتهم
حروب قريش على إسلام علي عليه السلام
قاد الفئة التي خرجت على علي عليه السلام في خلافته: عائشة بنت أبي بكر، وابن
عمها طلحة التيمي، وزوج أختها الزبير بن العوام من بني أسد عبد العزى، ومعاوية
الأموي وارث أبيه أبي سفيان، ووالي الشام لعمر وعثمان. ثم الخوارج. ودبروا له ثلاثة
حروب هي: حرب الجمل، وحرب صفين، وحرب النهروان!
كانت عائشة تريد الخلافة لبني تيم!
نقمت عائشة على عثمان حتى حرّضت المسلمين عليه بفتواها المشهورة: (اقتلوا نعثلا
فقد كفر)! وكان هدفها أن تنفّاقم النعمة عليه فيقتله الصحابة والناقمون من الأمصار،
ويبايع المسلمون قرابتها طلحة التيمي، ثم يعهد طلحة بالخلافة إلى أحد إخوتها من
أبناء أبي بكر!
وكان حسابها في ذلك مبنيًا على مكانة أبي بكر، وأن طلحة من كبار الصحابة
وصاحب ثروة خيالية، فهو يستطيع بمساعدة ابنة عمه أم المؤمنين، أن يطرح نفسه عند
مقتل عثمان، ويقنع الصحابة ببيعته!
وقد استعانت عائشة لهدفها بكل وسيلة، ومنها حديث تفردت بروايته، قالت فيه: (قال
لي رسول الله (ص) في مرضه: أدعي لي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب
كتابًا، فإنني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل: أنا أولى!) (مسلم: ٧ / ١١٠).
ولا بد أن يكون كلامها هذا بعد وفاة عمر، لأن أبا بكر وعمر لم يحتجا بالنص أبداً،
وإنما احتجا بأن محمداً من قريش وهما يمثلان قبائل قريش فهما أولى بسلطانه، قال
عمر: (ولنا بذلك على من أبي من العرب الحجة الظاهرة والسلطان

المبين. من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته، ونحن أولياؤه وعشيرته، إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم أو متورط في هلكة). (تاريخ الطبري: ٢ / ٤٥٧).
ومع أن حديث عائشة في صحيح مسلم، فلو كان صحيحا لكان أكبر حجة لأبي بكر وعمر! ولأحتج به طلحة على أبي بكر عندما اعترض عليه كيف أخرج الخلافة من بني تيم وأوصى بها إلى عمر!

قال السيد ناصر حسين الهندي في إفحام الأعداء والخصوم ص ١٠٠:
(قال ابن تيمية، في منهاج السنة، في ضمن كلام له يذكر فيه عمر ما لفظه: ولهذا لما استخلفه أبو بكر كره خلافته طائفة، حتى قال له طلحة: ماذا تقول لربك إذا وليت علينا فظا غليظا؟! فقال: أبا لله تخوفوني، أقول: وليت عليهم خير أهلك). (منهاج السنة ٢: ١٧٠ ط بولاق).

بل كان عمر إلى آخر حياته يؤكد أن النبي صلى الله عليه وآله لم يوص ولم يستخلف أبدا!

قال البخاري: ٨ / ١٢٦: (قيل لعمر: ألا تستخلف؟ قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني أبو بكر، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله).
ولكن عائشة رأت أن الخلافة ذهبت بعيدا عن عشيرتها بني تيم، مع أن منها أبو بكر وابنته أم المؤمنين عائشة، وإخوتها أولاد أبي بكر، وابن عمها طلحة بن عبيد الله! فنقمت على عثمان ثم على علي عليه السلام، وأيدت هدفها بهذا الحديث، تضاهي فيه حديث الدواة المتواتر حيث أمرهم النبي صلى الله عليه وآله أن يلتزموا له بالتنفيذ ليكتب لهم كتابا بخلافة علي والعتر الطاهرة من ذريته عليهم السلام فلا يضلوا بعده أبدا!

أفتت عائشة بقتل عثمان.. ثم طالبت بثأره!
يظهر أن طلحة هو الذي كان ينفق على عائشة، بعد أن قطع عثمان ميزانيتها الشخصية الكبيرة التي ميزها بها عمر، فقد روى الطبري (الشيعة) في المسترشد

ص ٥٠٧: (أن عائشة وحفصة أتتا عثمان بن عفان تطلبان منه ما كان أبواهما يعطيانهما، فقال لهما: لا والله ولا كرامة، ما زاد لكما عندي! فألحتا، وكان متكئا فجلس وقال: ستعلم فاطمة أي ابن عم لها أنا اليوم! ثم قال لهما: أستمنا اللتين شهدتما عند أبويكما ولفقتما معكما أعرايبا يتطهر ببوله، مالك بن أوس بن الحدثان، فشهدتما معه أن النبي (ص) قال: لا نورث ما تركناه صدقة؟! فمرة تشهدون أن ما تركه رسول الله صدقة، ومرة تطالبون ميراثه!) انتهى.

وفي أمالي المفيد ص ١٢٥: (فقال لها: لا أجد لك موضعا في الكتاب ولا في السنة، وإنما كان أبوك وعمر بن الخطاب يعطيانك بطيبة من أنفسهما، وأنا لا أفعل. قالت له: فأعطني ميراثي من رسول الله (ص) فقال لها: أولم تحيي أنت ومالك بن أوس النصرى فشهدتما أن رسول الله (ص) لا يورث، حتى منعتما فاطمة ميراثها وأبطلتما حقها، فكيف تطلبين اليوم ميراثا من النبي (ص)؟!)

فتركته وانصرفت! وكان عثمان إذا خرج إلى الصلاة أخذت قميص رسول الله (ص) على قصبه فرفعته عليها ثم قالت: إن عثمان قد خالف صاحب هذا القميص، وترك سنته!!). انتهى.

وقال الرازي في المحصول: ٤ / ٣٤٣: (الحكاية الثانية أن عثمان عنه أخر عن عائشة بعض أرزاقها فغضبت ثم قالت: يا عثمان أكلت أمانتك وضيعت الرعية وسلطت عليهم الأشرار من أهل بيتك! والله لولا الصلوات الخمس لمشى إليك أقوام ذووا بصائر يذبونك كما يذبح الجمل!

فقال عثمان: ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين. فكانت عائشة تحرض عليه جهدها وطاقتها وتقول: أيها الناس هذا

قميص رسول الله (ص) لم يبل وقد بليت سنته! اقتلوا نعثلا قتل الله نعثلا.
ثم إن عائشة ذهبت إلى مكة، فلما قضت حجها وقربت من المدينة أخبرت بقتل عثمان
فقالت: ثم ماذا؟ فقالوا: بايع الناس علي بن أبي طالب، فقالت عائشة: قتل عثمان والله
مظلوما وأنا طالبة بدمه، والله ليوم من عثمان خير من علي الدهر كله!! فقال لها عبيد
بن أم كلاب: ولم تقولين ذلك، فوالله ما أظن أن بين السماء والأرض أحدا في هذا
اليوم أكرم على الله من علي بن أبي طالب، فلم تكرهين ولايته؟ ألم تكوني تحرضين
الناس على قتله فقلت: اقتلوا النعثل فقد كفر؟!
فقالت عائشة: لقد قلت ذلك، ثم رجعت عما قلت! وذلك أنكم أسلمتموه حتى إذا
جعلتموه في القبضة قتلتموه، والله لأطلبن بدمه!
فقال عبيد بن أم كلاب: هذا والله تخليط يا أم المؤمنين). انتهى.
وينبغي الإشارة إلى أن الفخر الرازي من ذرية أبي بكر، فعائشة عمته!
وفي شرح النهج: ٦ / ٢١٥: (وروى المدائني في كتاب الجمل، قال: لما قتل عثمان
كانت عائشة بمكة وبلغ قتله إليها وهي بسراف، فلم تشك في أن طلحة هو صاحب
الأمر، وقالت: بعدا لنعثل وسحقا! إيه ذا الإصبع! إيه أبا شبل! إيه يا ابن عم! لكأني
أنظر إلى إصبعه وهو يبائع له: حثوا الإبل ودعدعوها.
قال: وقد كان طلحة حين قتل عثمان أخذ مفاتيح بيت المال، وأخذ نجائب كانت
لعثمان في داره، ثم فسد أمره فدفعها إلى علي بن أبي طالب!
وقال أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي في كتابه: إن عائشة لما بلغها قتل عثمان وهي
بمكة أقبلت مسرعة وهي تقول: إيه ذا الإصبع لله أبوك! أما إنهم وجدوا طلحة لها
كفوا. فلما انتهت إلى سراف استقبلها عبيد بن أبي سلمة الليثي، فقالت له: ما عندك؟
قال: قتل عثمان، قالت: ثم ماذا؟ قال: ثم حارت بهم الأمور إلى خير محار، بايعوا
عليا، فقالت: لوددت أن السماء انطبقت على الأرض إن

تم هذا! ويحك! أنظر ما تقول؟! قال: هو ما قلت لك يا أم المؤمنين، فولولت! فقال لها: ما شأنك يا أم المؤمنين! والله ما أعرف بين لابتيها أحدا أولى بها منه ولا أحق، ولا أرى له نظيرا في جميع حالاته، فلماذا تكرهين ولايته؟ قال: فما ردت عليه جوابا! قال: وقد روى من طرق مختلفه أن عائشة لما بلغها قتل عثمان وهي بمكة، قالت: أبعده الله! ذلك بما قدمت يداه، وما الله بظلام للعييد.

قال: وقد روى قيس بن أبي حازم أنه حج في العام الذي قتل فيه عثمان وكان مع عائشة لما بلغها قتله، فتحمل إلى المدينة، قال: فسمعها تقول في بعض الطريق: إيه ذا الإصبع! وإذا ذكرت عثمان قالت: أبعده الله! حتى أتاها خبر بيعة علي فقالت: لوددت أن هذه وقعت على هذه! ثم أمرت برد ركائبها إلى مكة فردت معها، ورأيتها في سيرها إلى مكة تخاطب نفسها، كأنها تخاطب أحدا: قتلوا ابن عفان مظلوما! فقلت لها: يا أم المؤمنين، ألم أسمعك آنفا تقولين: أبعده الله، وقد رأيتك قبل أشد الناس عليه وأقبحهم فيه قولاً!

فقالت: لقد كان ذلك، ولكنني نظرت في أمره، فرأيتهم استتابوه حتى إذا تركوه كالفضة البيضاء، أتوه صائما محرما في شهر حرام فقتلوه! قال: وروى من طرق أخرى أنها قالت لما بلغها قتله: أبعده الله، قتله ذنبه، وأقاده الله بعمله! يا معشر قريش لا يسومنكم قتل عثمان، كما سام أحيمر ثمود قومه! إن أحق الناس بهذا الأمر ذو الإصبع (تقصد طلحة، وكانت إصبعة مشلولة) فلما جاءت الأخبار ببيعة علي قالت: تعسوا تعسوا! لا يردون الأمر في تيم أبدا!! وكتب طلحة والزبير إلى عائشة وهي بمكة كتابا: أن خذلي الناس عن بيعة علي وأظهري الطلب بدم عثمان، وحملا الكتاب مع ابن أختها عبد الله بن الزبير فلما قرأت الكتاب كاشفت وأظهرت الطلب بدم عثمان!!).

وأكد الطبري رواية المدائني، فقال في تاريخه: ٣ / ٤٧٦: (إن عائشة لما انتهت إلى سرف راجعة في طريقها إلى مكة، لقيها عبد بن أم كلاب وهو عبد بن أبي سلمة ينسب إلى أمه فقالت له: مهيم؟ قال: قتلوا عثمان فمكثوا ثمانيا. قالت: ثم صنعوا ماذا؟ قال: أخذها أهل المدينة بالاجتماع فجازت بهم الأمور إلى خير مجاز، اجتمعوا على علي بن أبي طالب! فقالت: والله ليت أن هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك! ردوني ردوني! فانصرفت إلى مكة وهي تقول: قتل والله عثمان مظلوما والله لأطلبن بدمه! فقال لها ابن أم كلاب: ولم، فوالله إن أول من أمال حرفه لأنت، ولقد كنت تقولين: اقتلوا نعثلا فقد كفر!

قالت: إنهم استتابوه ثم قتلوه، وقد قلت وقالوا، وقولي الأخير خير من قولي الأول! فقال لها ابن أم كلاب:

فمنك البداء ومنك الغير * ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الإمام * وقلت لنا إنه قد كفر
فهينا أطعناك في قتله * وقاتله عندنا من أمر
فلم يسقط السقف من فوقنا * ولم تنكسف شمسنا والقمر
وقد بايع الناس ذا تدرأ * يزيل الشبا ويقيم الصعر
ويلبس للحرب أثوابها * وما من وفي مثل من قد غدر
فانصرفت إلى مكة فنزلت على باب المسجد، فقصدت للحجر فسترت، واجتمع إليها
الناس فقالت: يا أيها الناس إن عثمان قتل مظلوما ووالله لأطلبن بدمه)!.
**

طلحة ويعلى يمولا ن حرب الجمل ضد علي عليه السلام!
تحدث الرواة عن ثروة عثمان، وطلحة، والزبير، وابن عوف، وبقية الصحابة أركان
حكم أبي بكر وعمر وعثمان، فقال ابن خلدون في تاريخه: ١ / ٢٠٤: (في أيام عثمان
اقتنى الصحابة الضياع والمال، فكان له يوم قتل عند خازنه خمسون ومائة ألف دينار،
وألف ألف درهم، وقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين وغيرهما مائتا ألف دينار، وخلف
إبلا وخيلا كثيرة.

وبلغ الثمن الواحد من متروك الزبير بعد وفاته خمسين ألف دينار، وخلف ألف فرس
وألف أمة. وكانت غلة طلحة من العراق ألف دينار كل يوم، ومن ناحية السراة أكثر من
ذلك. وكان على مربوط عبد الرحمن بن عوف ألف فرس وله ألف بعير، وعشرة آلاف
من الغنم). انتهى.

وقال ابن سعد في الطبقات: ٣ / ٢٢٢: (كانت قيمة ما ترك طلحة بن عبيد الله من
العقار والأموال وما ترك من الناض ثلاثين ألف ألف درهم، ترك من العين ألفي ألف
ومائتي ألف درهم، ومائتي ألف دينار، والباقي عروض... قال عمرو بن العاص: حدثت
أن طلحة بن عبيد الله ترك مائة بهار، في كل بهار ثلاث قناطر ذهب، وسمعت أن
البهار جلد ثور). انتهى.

أقول: ينبغي الالتفات إلى أن هذه الثروة تركها طلحة بعد أن أنفق ملايين منها على
حرب الجمل، التي قتل قبل بدايتها! ويتعجب الإنسان من حرصه حيث استقرض أربعين
ألف دينار من أحد ولاة عثمان الأمويين، الذين جاؤوا بأموال المسلمين التي كانت
بأيديهم، لمساعدة الخارجين على أمير المؤمنين عليه السلام!

قال ابن حبان في الثقات: ٢ / ٢٧٩: (وقدم يعلى بن أمية من اليمن وقد كان عاملا
عليها، بأربعمائة من الإبل فدعاهم إلى الحملان (أن ينقل الجنود إلى البصرة مجانا)
، فقال له الزبير: دعنا من إبلك هذه، ولكن أقرضنا من هذا المال! فأعطاه ستين

ألف دينار وأعطى طلحة أربعين ألف دينار، فتجهزوا وأعطوا من خف معهم)!
ويعلى ابن أمية ويقال له ابن منية وهي أمه، وهو تميمي حليف لبني أمية، كان عاملاً
لعمر وعثمان على اليمن، وهو من رجال البخاري (التاريخ الكبير: ٨ / ٢٥٥) ويظهر
أن تمويله لحرب الجمل كان أساسياً، وقد يكون كله عن طريق طلحة!
فقد قال علي عليه السلام في العهد الذي كتبه ليقراً على المسلمين كل جمعة:
(وأعانهم علي يعلى بن منية بأصوع الدنانير، والله لئن استقام أمري لأجعلن ماله فيئا
للمسلمين)! (نهج السعادة: ٥ / ١٩٤)

وينبغي أن تعرف أن القوة الشرائية للدرهم أن الشاة كانت في عصر النبي صلى الله عليه
وآله بخمسة دراهم، فالأربعون شاة في الزكاة تقابل مئتي درهم. (تذكرة الفقهاء: ٢ /
٢٠٨، ومبسوط السرخسي: ٢ / ١٥٠). وفي أعلام النبلاء: ٢ / ٣٢٠: (أن عمر وجه
عثمان بن حنيف على خراج السواد، ورزقه كل يوم ربع شاة وخمسة دراهم). فراتب
الوالي على خراج العراق ألف وخمسة مئة درهم، مع ربع ذبيحة يومياً لعائلته وضيوفه.
وقد استمرت هذه القوة الشرائية إلى القرن الثالث، فقد جاء في الطبري: ٨ / ١٦٦ في
قصة هجوم الخليفة العباسي على بني شيبان في الموصل: (فأوقع بهم فقتل منهم مقتلة
عظيمة وغرق منهم خلق كثير في الزابيين، وأخذ النساء والذراري، وغنم أهل العسكر
من أموالهم ما أعجزهم حمله، وأخذ من غنمهم وإبلهم ما كثر في أيدي الناس، حتى
بيعت الشاة بدرهم، والجمل بخمسة دراهم!). انتهى.

يقصد أن هذا السعر غير العادي كان بسبب كثرة الغنائم، وإلا فمعدل ثمن الشاة
خمسة دراهم، والجمل مئة درهم، فهو معدل ثابت من زمن النبي صلى الله عليه وآله،
وقد ينقص الثمن عنه أو يزيد تبعاً لجودة السلعة، ورغبة المشتري، والظرف الطارئ.
(راجع البخاري: ٣ / ١٥، وفتح الباري: ٥ / ٢٣٤، وكنز العمال: ٦ / ٥٧٣).
أما ثمن جمل عائشة فكان استثنائياً أكثر من ألف درهم، كما سيأتي!

طلحة والزبير.. إلى العمرة.. أم الغدرة؟!
كل شيء صار جاهزا! فقد أعلنت عائشة الثورة على علي عليه السلام بشعار المطالبة
بدم الخليفة الشهيد المظلوم عثمان! والتحق بها بعض ولاة عثمان الذين عزلهم علي
عليه السلام أو عرفوا أنه سيعزلون، فتركوا ولاياتهم وجاءوا بملايينهم!
وأخذت عائشة وطلحة والزبير يجمعون الرجال، ويشترون السلاح والجمال، ويتجمع
الثائرون في مكة حول أم المؤمنين التي نصبت خيمة في حجر إسماعيل ولم يبق إلا أن
يحضر القائدان الآخران طلحة والزبير من المدينة، التي لا فائدة فيها للخارجين على
علي عليه السلام لأن أهلها معه!
في خصائص الأئمة للشريف الرضي ص ٦١: عن الإمام الباقر عليه السلام قال: (لما
قدم عبد الله بن عامر بن كريز المدينة لقي طلحة والزبير فقال لهما: بايعتما علي بن أبي
طالب! فقال: أما والله لا يزال ينتظر بها الحبالى من بني هاشم، ومتى تصير اليكما؟!
(أي سوف لا تخرج الخلافة من بني هاشم بل سينتظر بها المولود أن يولد!)
أما والله على ذلك (شهيد) ما جئت حتى ضربت على أيدي أربعة آلاف من أهل
البصرة كلهم يطلبون بدم عثمان، فدونكما فاستقبلا أمركما! فأتيا عليا فقالا له: إئذن لنا
في العمرة، فقال: والله إنكما تريدان العمرة وما تريدان نكتنا ولا فراقا لأمتكما،
وعليكما بذلك أشد ما أخذ الله على النبيين من ميثاق؟ قال: اللهم نعم. قال: اللهم
اشهد، إذهبا وانطلقا، والله لا أراكما إلا في فئة تقاتلني).
**

صاحبة الجمل الأدب.. تنبأها كلاب الحوآب!

قال ابن حجر في فتح الباري: ١٣ / ٤٥: (عن ابن عباس أن رسول الله (ص) قال لنسائه: أيتكن صاحبة الجمل الأدب (بهزمة مفتوحة ودال ساكنة ثم موحدتين الأولى مفتوحة) تخرج حتى تنبأها كلاب الحوآب، يقتل عن يمينها وعن شمالها قتلى كثيرة، وتنجو من بعد ما كادت. وهذا رواه البزار ورجاله ثقات..... محمد بن قيس قال ذكر لعائشة يوم الجمل، قالت: والناس يقولون يوم الجمل؟! قالوا: نعم، قالت: وددت أني جلست كما جلس غيري، فكان أحب إلي من أن أكون ولدت من رسول الله (ص) عشرة). انتهى. وقد حذفوا من الحديث قوله صلى الله عليه وآله: (كلهم في النار!) وفي تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٨٠: (أتاه طلحة والزبير فقالا: أنا نريد العمرة، فأذن لنا في الخروج. وروى بعضهم أن عليا قال لهما، أو لبعض أصحابه: والله ما أرادا العمرة، ولكنهما أرادا الغدرة! فلحقا عائشة بمكة فحرضاها على الخروج، فأتت أم سلمة بنت أبي أمية زوج رسول الله (ص) فقالت: إن ابن عمي وزوج أختي أعلماني أن عثمان قتل مظلوما، وأن أكثر الناس لم يرض ببيعة علي، وأن جماعة ممن بالبصرة قد خالفوا، فلو خرجت بنا لعل الله أن يصلح أمر أمة محمد علي أيدينا؟ فقالت لها أم سلمة: إن عماد الدين لا يقام بالنساء، حماديات النساء غض الأبصار وخفض الأطراف وجر الذبول. إن الله وضع عني وعنك هذا، ما أنت قائلة لو أن رسول الله صلى الله عليه وآله عارضك بأطراف الفلوات قد هتكت حجبا قد ضربه عليك! فنادى مناديبها: ألا إن أم المؤمنين مقيمة، فأقيموا.

وأتاها طلحة والزبير وأزالها عن رأيها، وحملها على الخروج، فسارت إلى البصرة مخالفة على علي، ومعها طلحة والزبير في خلق عظيم، وقدم يعلى بن منية بمال من مال اليمن قيل: إن مبلغه أربعمئة ألف دينار، فأخذه منه طلحة

والزبير فاستعانا به وسارا نحو البصرة. ومر القوم في الليل بماء يقال له: مر الحوآب فنبحتهم كلابه فقالت عائشة: ما هذا الماء؟ قال بعضهم: ماء الحوآب. قالت: إنا لله وأنا إليه راجعون! ردوني ردوني! هذا الماء الذي قال لي رسول الله: لا تكوني التي تنبحك كلاب الحوآب. فأتاها القوم بأربعين رجلا فأقسموا بالله أنه ليس بماء الحوآب)! انتهى.

وفي تاريخ الطبري: ٣ / ٤٧٥: (عن العربي صاحب الجمل (الذي باعه لعائشة) قال: بينما أنا أسير على جمل إذ عرض لي راكب فقال: يا صاحب الجمل تبيع جملك؟ قلت: نعم، قال: بكم؟ قلت: بألف درهم! قال: مجنون أنت! جمل يباع بألف درهم؟! قال قلت: نعم، جملي هذا! قال: ومم ذلك؟ قلت: ما طلبت عليه أحدا قط إلا أدركته ولا طلبني وأنا عليه أحد قط إلا فته. قال: لو تعلم لمن نريده لأحسنت بيعنا. قال قلت: ولمن تريده؟ قال: لأمك. قلت: لقد تركت أمي في بيتها قاعدة ما تريد براحا! قال: إنما أريده لأم المؤمنين عائشة. قلت: فهو لك فخذه بغير ثمن! قال: لا، ولكن إرجع معنا إلى الرحل فلنعطك ناقة مهرية ونزيدك دراهم. قال: فرجعت فأعطوني ناقة لها مهرية، وزادوني أربعمئة أو ستمائة درهم. فقال لي: يا أبا عرينة، هل لك دلالة بالطريق؟ قال قلت: نعم، أنا من أدرك الناس. قال: فسر معنا فسرت معهم، فلا أمر على واد ولا ماء إلا سألوني عنه، حتى طرقنا ماء الحوآب فنبحتنا كلابها! قالوا: أي ماء هذا؟ قلت: ماء الحوآب! قال: فصرخت عائشة بأعلى صوتها، ثم ضربت عضد بغيرها فأناخته، ثم قالت: أنا والله صاحبة كلاب الحوآب، طروقا ردوني! تقول ذلك ثلاثا! فأناخت وأناخوا حولها، وهم على ذلك وهي تأبى حتى كانت الساعة التي أناخوا فيها من الغد، فجاءها ابن الزبير فقال: النجاء النجاء، فقد أدرككم

والله علي بن أبي طالب! قال فارتحلوا وشتموني، فانصرفت فما سرت إلا قليلا وإذا أنا بعلي وركب معه نحو من ثلاثمائة، فقال لي علي: يا أيها الراكب، فأتيته، فقال: أين أتيت الظعينة؟ قلت في مكان كذا وكذا وهذه ناقتها وبعثهم جملي. قال: وقد ركبته؟ قلت: نعم وسرت معهم حتى أتينا ماء الحوآب فنبحت عليها كلابها فقالت كذا وكذا! فلما رأيت اختلاط أمرهم انفلت وارتحلوا! انتهى.

وفي الكافئة في رد توبة الخاطئة ص ١٨: (كتبت أم الفضل بنت الحارث مع عطاء مولى ابن عباس إلى أمير المؤمنين عليه السلام بنفير طلحة والزبير وعائشة من مكة بمن نفر معهم من الناس، فلما وقف أمير المؤمنين عليه السلام على الكتاب قال محمد بن أبي بكر: ما للذين أوردوا ثم أصدروا، غداة الحساب من نجاة ولا عذر.

ثم نودي من مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله الصلاة جامعة، فخرج الناس وخرج أمير المؤمنين عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإن الله تبارك وتعالى لما قبض نبيه صلى الله عليه وآله قلنا: نحن أهل بيته وعصبته وورثته وأوليائه وأحق الخلق به، لا ننازع حقه وسلطانه، فبينما نحن كذلك إذ نفر المنافقون وانتزعوا سلطان نبينا منا وولوه غيرنا. فبكت والله لذلك العيون والقلوب منا جميعا معا، وخشنت له الصدور، وجزعت النفوس منا جزعا أرغم. وأيم الله لولا مخافتي الفرقة بين المسلمين، وأن يعود أكثرهم إلى الكفر ويعور الدين، لكنا قد غيرنا ذلك ما استطعنا.

وقد بايعتموني الآن وبايعني هذان الرجلان طلحة والزبير على الطوع منهما ومنكم والإيثار، ثم نهضا يريدان البصرة ليفرقا جماعتكم ويلقيا بأسكم بينكم، اللهم فخذهما لغشهما لهذه الأمة، وسوء نظرهما للعامة. ثم قال: انفروا رحمكم الله في طلب هذين الناكثين القاسطين الباغيين، قبل أن يفوت تدارك ما جنياه).

وفي الكافئة: ص ١٩: (لما اتصل بأمر المؤمنين صلوات الله عليه مسير عائشة وطلحة والزبير من مكة إلى البصرة، حمد الله وأثنى عليه ثم قال: قد سارت

عائشة وطلحة والزبير كل منهما يدعي الخلافة دون صاحبه! ولا يدعي طلحة الخلافة إلا أنه ابن عم عائشة، ولا يدعيها الزبير إلا أنه صهر أبيها! والله لئن ظفرا بما يريدان ليضربن الزبير عنق طلحة، وليضربن طلحة عنق الزبير، ينازع هذا على الملك هذا! ولقد علمت والله أن الراكبة الجمل لا تحل عقدة ولا تسير عقبة ولا تنزل منزلة إلا إلى معصية الله حتى تورد نفسها ومن معها موردا يقتل ثلثهم ويهرب ثلثهم ويرجع ثلثهم! والله إن طلحة والزبير ليعلمان أنهما منخطئان وما يجهلان، ولرب عالم قتله جهله وعلمه معه لا ينفعه. والله لتنبحنها كلاب الحوآب! فهل يعتبر معتبر ويتفكر متفكر، لقد قامت الفئة الباغية فأين المحسنون؟ مالي ولقريش! أما والله لأقتلنهم كافرين، ولأقتلنهم مفتونين، وإني لصاحبهم بالأمس ومالنا إليها من ذنب غير أنا خيرنا عليها فأدخلناهم في خيرنا! أما والله لا أترك الباطل حتى أخرج الحق من خاصرته إن شاء الله، فلتضج مني قریش ضجیحا!

وفي مناقب آل أبي طالب: ٢ / ٣٣٦: (ذكر ابن الأعمش في الفتوح، والماوردي في أعلام النبوة، وشيرويه في الفردوس، وأبو يعلى في المسند، وابن مردويه في فضائل أمير المؤمنين، والموفق في الأربعين، وشعبة، والشعبي، وسالم بن أبي الجعد في أحاديثهم، والبلاذري والطبري في تاريخهما: أن عائشة لما سمعت نباح الكلاب قالت أي ماء هذا؟ فقالوا الحوآب، قالت إنا لله وإنا إليه راجعون، إني لهيه! قد سمعت رسول الله (ص) وعنده نساؤه يقول: ليت شعري أيتكن تنبحها كلاب الحوآب؟ وفي رواية الماوردي: أيتكن صاحبة الجمل الأدب تخرج فتنبحها كلاب الحوآب، يقتل من يمينها ويسارها قتلى كثير، وتنجو بعد ما كاد تقتل؟!)

فلما نزلت الخريبة قصدهم عثمان بن حنيف (حاكم البصرة من قبل علي عليه السلام) وحاربهم، فتداعوا إلى الصلح، فكتبوا بينهم كتابا أن لعثمان دار الإمارة وبيت المال والمسجد إلى أن يصل إليهم علي. فقال طلحة لأصحابه في السر: والله لئن

قدم علي البصرة لنؤخذن بأعناقنا، فأتوا علي عثمان بياتا في ليلة ظلماء وهو يصلي
بالناس العشاء الآخرة، وقتلوا منهم خمسين رجلا واستأسروه وبتفوا شعره وحلقوا رأسه
وحبسوه، فبلغ ذلك سهل بن حنيف فكتب اليهما: أعطي الله عهدا لئن لم تخلوا سبيله
لأبلغن من أقرب الناس اليكما! فأطلقوه.
ثم بعثا عبد الله بن الزبير في جماعة إلى بيت المال فقتل أبا سلمة الزطي في خمسين
رجلا، وبعثت عائشة إلى الأحنف تدعوه فأبى واعتزل بالجلحاء من البصرة في
فرسخين، وهو في ستة آلاف). انتهى.
**

انتصرت عائشة جزئيا في البصرة

فاختلف طلحة والزبير على إمامة الصلاة!

قال اليعقوبي في تاريخه: ٢ / ١٨١: (وقدم القوم البصرة، وعامل علي عثمان بن حنيف، فمنعها ومن معها من الدخول فقالوا: لم نأت لحرب وإنما جئنا لصلح، فكتبوا بينهم وبينه كتابا أنهم لا يحدثون حدثا إلى قدوم علي، وأن كل فريق منهم آمن من صاحبه. ثم افترقوا، فوضع عثمان بن حنيف السلاح، فنتفوا لحيته وشاربه وأشفار عينيه وحاجبيه، وانتهبوا بيت المال وأخذوا ما فيه، فلما حضر وقت الصلاة تنازع طلحة والزبير، وجذب كل واحد منهما صاحبه، حتى فات وقت الصلاة، وصاح الناس: الصلاة الصلاة يا أصحاب محمد! فقالت عائشة: يصلي محمد بن طلحة يوما وعبد الله بن الزبير يوما، فاصطلحوا على ذلك!!

فلما أتى عليا الخبر سار إلى البصرة، واستخلف على المدينة أبا حسن بن عبد عمرو أحد بني النجار، وخرج من المدينة ومعه أربعمائة راكب من أصحاب رسول الله، فلما صاروا إلى أرض أسد وطئ تبعه منهم ستمائة، ثم صار إلى ذي قار، ووجه الحسن وعمار بن ياسر، فاستنفر أهل الكوفة، وعامله يومئذ على الكوفة أبو موسى الأشعري فخذل الناس عنه، فوافاه منهم ستة آلاف رجل، ولقيه عثمان بن حنيف فقال: يا أمير المؤمنين، وجهتني ذا لحية فأيتتك أمرد! وقص عليه القصة). انتهى.

وفي نهج السعادة للمحمودي: ١ / ٢٦٦: (ومن كلام له عليه السلام قاله لما قدم عليه بذي قار، عامله على البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري رحمه الله، وقد نكل به طلحة والزبير ومنتفوا جميع ما في وجهه من الشعر، فنزل على أمير المؤمنين عليه السلام وهو باك فقال له: يا عثمان بعثتك شيخا فرددت إلي أمرد! اللهم إنك تعلم أنهم

اجترؤا عليك واستحلوا حرمتك. اللهم اقتلهم بمن قتلوا من شيعتي، وعجل لهم النقمة بما صنعوا بخليفتي). (كتاب الجمل ص ١٥٤ وقريب منه في تاريخ الطبري). انتهى.
نتيجة معركة الجمل الأولى!

وقعة الجمل الصغرى، أو الجمل الأصغر، غسم للأحداث التي وقعت في البصرة منذ وصول أصحاب الجمل إليها، إلى وصول أمير المؤمنين عليه السلام. فقد كان لأصحاب الجمل أنصار في البصرة، فنزلوا في ضاحيتها والتحق بهم أنصارهم، وجرت محادثات بينهم وبين والي البصرة الصحابي الجليل عثمان بن حنيف، واتفقوا معه على الهدنة، وتجنب الحرب حتى يصل علي عليه السلام، وكتبوا بينهم عهدا بذلك! لكن طلحة أشار عليهم بالغدر ونقض العهد والغارة ليلا على الوالي وبيت المال! فهاجموهم وهم يصلون في المسجد! وقتلوا منهم أربعين رجلا وأخذوا بيت المال، وأخذوا الوالي أسيرا، ثم واصلوا الحرب في اليوم الثاني، وقابلهم حكيم بن جبلة رئيس بني عبد القيس ومعه جماعة من ربيعة، فقتلوه وابنه الأشرف وأخاه رعل في سبعين رجلا، وأرادوا قتل الوالي عثمان بن حنيف الأنصاري فهددهم بأن أخاه سهل بن حنيف والي المدينة سيثار له من ذويهم هناك! فاكتفوا بضربه واتفقوا شعر لحيته ورأسه وشاربيه وحاجبيه، وطرده من البصرة!

وفي الكافية ص ١٧: (رووا أنه عليه السلام لما بلغه وهو بالربذة خبر طلحة والزبير وقتلها حكيم بن جبلة ورجالا من الشيعة، وضربهما عثمان بن حنيف وقتلها السبابجة (حراس بيت المال) قام على الغرائر (أكياس الحنطة المحمولة معهم للخبز) فقال: إنه أتاني خبر متفزع ونبا جليل، أن طلحة والزبير وردا البصرة فوثبا على عاملي فضرباه ضربا مبرحا وترك لا يدري أحي هو أم ميت! وقتلا العبد الصالح حكيم بن جبلة في

عدة من رجال المسلمين الصالحين، لقوا الله موفين ببيعتهم ماضين على حقهم! وقتلوا السبايعة خزان بيت المال الذي للمسلمين، قتلوهم صبوا، وقتلوهم غدرا! فبكى الناس بكاء شديدا ورفع أمير المؤمنين عليه السلام يديه يدعو ويقول: اللهم أجز طلحة وزبيراً جزاء الظالم الفاجر، والخفور الغادر). انتهى.

كتبت عائشة إلى حفصة تبشرها بالنصر فاحتفلت حفصة! في الكافئة في إبطال توبة الخاطئة ص ١٦: (ولما بلغ عائشة نزول أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار كتبت إلى حفصة بنت عمر: أما بعد، فإننا نزلنا البصرة ونزل علي بذي قار، والله دق عنقه كدق البيضة على الصفا، إنه بذي قار بمنزلة الأشقر، إن تقدم نحر، وإن تأخر عقر! فلما وصل الكتاب إلى حفصة استبشرت بذلك، ودعت صبيان بني تيم وعدي وأعطت جواريتها دفوفاً، وأمرتهن أن يضربن بالدفوف ويقلن: ما الخبر ما الخبر! علي كالأشقر! إن تقدم نحر، وإن تأخر عقر!

فبلغ أم سلمة رضي الله عنها اجتماع النسوة على ما اجتمعن عليه من سب أمير المؤمنين عليه السلام والمسرة بالكتاب الوارد عليهن من عائشة، فبكت وقالت: أعطوني ثيابي حتى أخرج إليهن وأقع بهن! فقالت أم كلثوم بنت أمير المؤمنين عليه السلام: أنا أنوب عنك فإنني أعرف منك، فلبست ثيابها وتنكرت وتخفرت، واستصحبت جواريتها متخفرات، وجاءت حتى دخلت عليهن كأنها من النظارة، فلما رأت ما هن فيه من العبث والسفه، كشفت نقابها وأبرزت لهن وجهها، ثم قالت لحفصة: إن تظاهرت أنت وأختك علي أمير المؤمنين عليه السلام فقد تظاهرتما علي أخيه رسول الله صلى الله عليه وآله من قبل، فأنزل الله عز وجل فيكما ما أنزل! والله من وراء حربكما! فانكسرت حفصة وأظهرت خجلاً وقالت: إنهن فعلن هذا بجهل، وفرقتهن في الحال، فانصرفن من المكان!

مسير أمير المؤمنين عليه السلام إلى البصرة!
في كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر ص ١١٤، في حديث طويل عن حرب
الجميل: (ونزل أبو أيوب في بعض دور الهاشميين، فجمعنا إليه ثلاثين نفسا من شيوخ
أهل البصرة فدخلنا إليه وسلمنا عليه وقلنا: إنك قاتلت مع رسول الله صلى الله عليه
وآله بيد واحد المشركين، والآن جئت تقاتل المسلمين! فقال: والله لقد سمعت من
رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لي: إنك تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، مع
علي بن أبي طالب عليه السلام! قلنا: آله إنك سمعت من رسول الله صلى الله عليه
وآله في علي؟ قال: سمعته يقول: علي مع الحق والحق معه، وهو الإمام والخليفة
بعدي، يقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل، وابناه الحسن والحسين سبطاي من
هذه الأمة، إمامان إن قاما أو قعدا، وأبوهما خير منهما، والأئمة بعد الحسين تسعة من
صلبه، ومنهم القائم الذي يقوم في آخر الزمان كما قمت في أوله، ويفتح حصون
الضلالة... والحديث طويل فيه معراج النبي صلى الله عليه وآله وذكر الأئمة الاثني
عشر عليهم السلام، جاء في آخره: قلنا: فما لبني هاشم؟ قال: سمعته يقول لهم: أنتم
المستضعفون من بعدي. قلنا: فمن القاسطين والناكثين والمارقين؟ قال: الناكثين الذين
قاتلناهم، وسوف نقاتل القاسطين والمارقين، فإني والله لا أعرفهم غير أني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: في الطرقات بالنهروانات! قلنا: فحدثنا بأحسن ما
سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: سمعته يقول: مثل مؤمن عند الله عز
وجل مثل ملك مقرب، فإن المؤمن عند الله تعالى أعظم من ذلك، وليس شيء أحب إلى
الله عز وجل من مؤمن تائب أو مؤمنة تائبة. قلنا: زدنا يرحمك الله. قال: نعم سمعته
يقول: من قال لا إله إلا الله مخلصا فله الجنة. قلنا: زدنا يرحمك الله. قال: نعم سمعته
صلى الله عليه وآله يقول: من كان مسلما فلا يمكر ولا يخدع، فإني سمعت جبرئيل
عليه السلام يقول: المكر والخديعة في النار. قلنا: جزاك الله عن نبيك وعن الإسلام
خيرا). انتهى.

وفي نهج البلاغة: ٣ / ٢: (ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة عند مسيره إلى البصرة: من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة، جبهة الأنصار، وسنام العرب، أما بعد: فإني أخبركم عن أمر عثمان حتى يكون سمعه كعيانه: إن الناس طعنوا عليه، فكنت رجلا من المهاجرين أكثر استعبابه وأقل عتابه، وكان طلحة والزبير أهون سيرهما فيه الوجيف، وأرفق حدائهما العنيف، وكان من عائشة فيه فلتة غضب، فأتيح له قوم فقتلوه، وبايعني الناس غير مستكرهين ولا مجبرين بل طائعين مخيرين. واعلموا أن دار الهجرة قد قلعت بأهلها وقلعوا بها، وجاشت جيش المرجل، وقامت الفتنة على القطب، فأسرعوا إلى أميركم وبادروا جهاد عدوكم، إن شاء الله).

وفي مناقب آل أبي طالب: ٢ / ٣٣٦: (فأمر علي عليه السلام سهل بن حنيف على المدينة وقتل بن العباس على مكة، وخرج في ستة آلاف إلى الربذة، ومنها إلى ذي قار. وأرسل الحسن وعمار إلى الكوفة وكتب: من عبد الله ووليه علي أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة جبهة الأنصار وسنام العرب، ثم ذكر فيه قتل عثمان وفعل طلحة والزبير وعائشة.... فلما بلغا الكوفة قال أبو موسى الأشعري: يا أهل الكوفة اتقوا الله ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما، ومن يقتل مؤمنا متعمدا.. الآية. فسكنه عمار، فقال أبو موسى: هذا كتاب عائشة تأمرني أن تكف أهل الكوفة، فلا تكونن لنا ولا علينا، ليصل إليهم صلاحهم. فقال عمار: إن الله تعالى أمرها بالجلوس فقامت! وأمرنا بالقيام لندفع الفتنة فنجلس!)

فقام زيد بن صوحان ومالك الأشتر في أصحابهما وتهددوه.... فخرج قعقاع بن عمرو، وهند بن عمر، وهيثم بن شهاب، وزيد بن صوحان، والمسيب بن نجبة ويزيد بن قيس، وحجر بن عدي، وابن مخدوج، والأشتر، اليوم الثالث في تسعة آلاف، فاستقبلهم علي عليه السلام على فرسخ وقال مرحبا بكم أهل الكوفة وفئة الإسلام، ومركز الدين. في كلام له...

وخرج إلى علي عليه السلام من شيعته من أهل البصرة من ربيعة ثلاثة آلاف رجل. وبعث الأحنف إليه إن شئت أتيتك في مائتي فارس فكنت معك، وإن شئت اعتزلت بني سعد فكففت عنك ستة آلاف سيف، فاختر علي اعتزاله).
أمير المؤمنين عليه السلام يؤكد الحججة قبل الحرب!
في نهج البلاغة: ٣ / ١١١: (ومن كتاب له عليه السلام إلى طلحة والزبير: أما بعد فقد علمتما وإن كتمتما أني لم أرد الناس حتى أراذوني، ولم أبايعهم حتى بايعوني، وإنكما ممن أراذني وبايعني، وإن العامة لم تبايعني لسلطان غالب ولا لعرض حاضر، فإن كتمتما بايعتماني طائعين فارجعا وتوبا إلى الله من قريب، وإن كتمتما بايعتماني كارهين فقد جعلتما لي عليكما السبيل بإظهاركما الطاعة وإسراركما المعصية، ولعمري ما كتمتما بأحق المهاجرين بالتقية والكتمان، وإن دفعكما هذا الأمر من قبل أن تدخلوا فيه كان أوسع عليكما من خروجكما منه بعد إقراركما به.
وقد زعمتما أني قتلت عثمان، فبيني وبينكما من تخلف عني وعنكما من أهل المدينة، ثم يلزم كل امرئ بقدر ما احتمال. فارجعا أيها الشيخان عن رأيكما، فإن الآن أعظم أمركما العار، من قبل أن يجتمع العار والنار. والسلام).
وفي كشف الغمة في معرفة الأئمة للإربلي: ١ / ٢٤٠: (وكتب علي عليه السلام إلى عايشة: أما بعد فإنك خرجت من بيتك عاصية لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله تطلبين أمرا كان عنك موضوعا، ثم تزعمين أنك تريدين الإصلاح بين الناس فخبيريني ما للنساء وقود العساكر! وزعمت أنك طالبة بدم عثمان، وعثمان رجل من بني أمية وأنت امرأة من بني تيم بن مرة! ولعمري إن الذي عرضك للبلاء وحملك على المعصية لأعظم إليك ذنبا من قتله عثمان، وما غضبت حتى أغضبت، ولا هجت حتى هيجت فاتقي الله يا عائشة وارجعي إلى منزلك، واسبلي عليك سترك. والسلام).
فجاء الجواب إليه عليه السلام: يا ابن أبي طالب جل الأمر عن العتاب، ولن ندخل في طاعتك أبدا، فاقض ما أنت قاض. والسلام).

ثم تراءى الجمعان وتقاربا، ورأى علي عليه السلام تصميم القوم على قتاله، فجمع أصحابه وخطبهم خطبة بليغة قال عليه السلام فيها: واعلموا أيها الناس أني قد تأنيت هؤلاء القوم، وراقبتهم وناشدتهم كيما يرجعوا ويرتدعوا، فلم يفعلوا ولم يستجيبوا، وقد بعثوا إلي أن ابرز إلي الطعان وأثبت للجلاد! وقد كنت وما أهدد بالحرب ولا أدعى إليها، وقد أنصف القارة من رامها، منها: فأنا أبو الحسن الذي فلتت حدهم وفرقت جماعتهم، فبذلك القلب ألقى عدوي، وأنا على بينة من ربي، لما وعدني من النصر والظفر، وإني لعلى غير شبهة من أمري. ألا وإن الموت لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب، ومن لم يقتل يمت فإن أفضل الموت القتل. والذي نفس علي بيده لألف ضربة بالسيف أهون علي من ميتة علي الفراش. ثم رفع يده إلى السماء وقال: اللهم إن طلحة بن عبيد الله أعطاني صفقة يمينه طائعا ثم نكث بيعتي، اللهم فعاجله ولا تمهله. وإن زبير بن العوام قطع قرابتي ونكث عهدي وظاهر عدوي ونصب الحرب لي، وهو يعلم أنه ظالم لي! اللهم فاكفنيه كيف شئت.

ثم تقاربوا وتعابوا لابسوا سلاحهم ودروعهم متأهبين للحرب، كل ذلك وعلي عليه السلام بين الصفيين عليه قميص ورداء وعلي رأسه عمامة سوداء، وهو راكب علي بغلة، فلما رأى أنه لم يبق إلا مصافحة الصفاح والمطاعنة بالرماح صاح بأعلى صوته: أين الزبير بن العوام فليخرج إلي؟ فقال الناس: يا أمير المؤمنين أخرج إلي الزبير وأنت حاسر وهو مدجج في الحديد؟ فقال عليه السلام: ليس علي منه بأس، ثم نادى ثانية: فخرج إليه ودنا منه حتى واقفه فقال له علي عليه السلام: يا أبا عبد الله ما حملك علي ما صنعت؟ فقال: الطلب بدم عثمان، فقال عليه السلام: أنت وأصحابك قتلتموه فيجب عليك أن تقيد من نفسك! ولكن أنشدك الله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل الفرقان علي نبيه محمد صلى الله عليه وآله: أما تذكر يوما قال لك رسول الله صلى الله عليه وآله: يا زبير أتحب عليا؟ فقلت: وما يمنعني من حبه وهو ابن خالي، فقال لك: أما إنك ستخرج عليه يوما

وأنت له ظالم؟! فقال الزبير: اللهم بلى فقد كان ذلك! فقال علي عليه السلام: فأنشذك الله الذي أنزل الفرقان على نبيه محمد صلى الله عليه وآله: أما تذكر يوماً جاء رسول الله صلى الله عليه وآله من عند ابن عوف وأنت معه وهو آخذ بيدك، فاستقبلته أنا فسلمت عليه فضحك في وجهي وضحكت أنا إليه، فقلت أنت: لا يدع ابن أبي طالب زهوه أبداً! فقال لك النبي صلى الله عليه وآله: مهلاً يا زبير فليس به زهو، ولتخرجن عليه يوماً وأنت ظالم له!؟

فقال الزبير: اللهم بلى، ولكن أنسيت! فأما إذ ذكرتني ذلك فلا تصرفن عنك، ولو ذكرت ذلك لما خرجت عليك! ثم رجع إلى عايشة فقالت: ما وراءك يا أبا عبد الله؟ فقال الزبير: والله ورائي أنني ما وقفت موقفاً في شرك ولا إسلام إلا ولي فيه بصيرة، وأنا اليوم على شك من أمري، وما أكاد أبصر موضع قدمي! ثم شق الصفوف وخرج من بينهم ونزل على قوم من بني تميم، فقام إليه عمرو بن جرموز المجاشعي فقتله حين نام، وكان في ضيافته، فنفذت دعوة علي عليه السلام فيه. وأما طلحة فجاءه سهم وهو قائم للقتال فقتله، ثم التحم القتال. وقال علي عليه السلام يوم الجمل: (وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون، ثم حلف حين قرأها أنه ما قوتل عليها منذ نزلت حتى اليوم)! انتهى.

وفي الإحتجاج: ١ / ٢٣٧: (عن سليم بن قيس الهلالي قال: لما التقى أمير المؤمنين عليه السلام أهل البصرة يوم الجمل، نادى الزبير يا أبا عبد الله أخرج إلي: فخرج الزبير ومعه طلحة. فقال لهما: والله إنكما لتعلمان وأولوا العلم من آل محمد وعائشة بنت أبي بكر: أن كل أصحاب الجمل ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وآله وقد خاب من افتري! قالوا: كيف نكون ملعونين ونحن أصحاب بدر وأهل الجنة! فقال عليه السلام: لو علمت أنكم من أهل الجنة لما استحلت قتالكم، فقال له الزبير: أما سمعت حديث سعيد بن عمرو بن نفيل وهو يروي أنه سمع رسول الله يقول: عشرة من

قريش في الجنة؟ قال علي عليه السلام: سمعته يحدث بذلك عثمان في خلافته! فقال الزبير: أفتراه كذب علي رسول الله (ص)؟! فقال له علي عليه السلام: لست أخبرك بشئ حتى تسميهم؟ قال الزبير: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعيد بن عمرو بن نفيل. فقال له علي عليه السلام: عددت تسعة فمن العاشر؟ قال له: أنت! قال علي عليه السلام: قد أقررت أنني من أهل الجنة، وأما ما ادعيت لنفسك وأصحابك فأنا به من الجاحدين الكافرين! قال له: أفتراه كذب علي رسول الله؟! قال عليه السلام: ما أراه كذب، ولكنه والله اليقين! فقال علي عليه السلام: والله إن بعض من سميته لفي تابوت في شعب في جب في أسفل درك من جهنم، على ذلك الجب صخرة إذا أراد الله أن يسعر جهنم رفع تلك الصخرة، سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله وإلا أظفرك الله بي وسفك دمي على يديك، وإلا أظفركني الله عليك وعلى أصحابك وسفك دمائكم على يدي، وعجل أرواحكم إلى النار! فرجع الزبير إلى أصحابه وهو يبكي!! انتهى.

وقد أورد نحوه في كفاية الأثر ص ١١٤، ثم قال: فرجع الزبير وهو يقول:
نادى علي بصوت لست أجهله * قد كان عمر أبيك الحق من حين
فقلت حسبك من لومي أبا حسن * فبعض ما قلته ذا اليوم يكفيني
فاخترت عارا على نار مؤججة * أنى يقوم لها خلو من الطين
فاليوم أرجع من غي إلى رشد * ومن مغالطة البغضا إلى اللين
ثم حمل علي عليه السلام على بني ضبة، فما رأيتهم إلا كرماد اشتدت به الريح في يوم
عاصف، ثم أخذت المرأة فحملت إلى قصر بني خلف).
وفي قرب الإسناد للحميري ص ٩٦: عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (دخل علي
أناس من أهل البصرة فسألوني عن طلحة والزبير، فقلت لهم: كانا من أئمة الكفر، إن
عليا عليه السلام يوم البصرة لما صف الخيول، قال لأصحابه: لا تعجلوا على القوم حتى

أعذر فيما بيني وبين الله عز وجل وبينهم! فقام إليهم فقال: يا أهل البصرة هل تجدون علي جوراً في حكم؟ قالوا: لا. قال: فحيفا في قسم؟ قالوا: لا. قال: فرغبة في دنيا أخذتها لي ولأهل بيتي دونكم فنقمتم علي فنكثتم بيعتي؟ قالوا: لا. قال: فأقمت فيكم الحدود وعطلتها عن غيركم؟ قالوا: لا. قال: فما بال بيعتي تنكث وبيعة غيري لا تنكث! إني ضربت الأمر أنفه وعينه فلم أجد إلا الكفر أو السيف...؟!).

وفي شرح الأخبار: ١ / ٣٩٤: (عن أبي البخترى، قال: لما انتهى علي صلوات الله عليه إلى البصرة خرج إليه أهلها مع طلحة والزبير وعائشة، فعبأ علي صلوات الله عليه أصحابه. ثم أخذ المصحف وبدأ بالصف الأول، فقال: أيكم يتقدم إلي هؤلاء ويدعوهم إلى ما فيه، وهو مقتول؟ فخرج إليه شاب يقال له: مسلم فقال: أنا يا أمير المؤمنين. فتركه، ومال إلى الصف الثاني، فقال: من منكم يأخذ هذا المصحف ويمضي إلى هؤلاء القوم ويدعوهم إلى ما فيه، وهو مقتول؟ فلم يجبه أحد! وجاءه مسلم فقال: أنا أخرج إليهم به يا أمير المؤمنين. فأعرض عنه. وتقدم إلى الصف الثالث، وقال لهم مثل ذلك. فلم يخرج الله منهم أحد، وعرض له مسلم، فقال: أنا يا أمير المؤمنين! فلما رأى أنه لم يخرج إليه أحد دفع إليه المصحف فمضى نحو القوم، فلما رآه رشقوه بالنبل، وقرأه عليهم ودعاهم إلى ما فيه، ثم خرج إليه رجل منهم فضربه بالسيف على جبل عاتقه من يده اليمنى التي فيها المصحف فأخذ المصحف بيده اليسرى فضربه الرجل حتى قتله!). انتهى. وفي هامشه عن كتاب الجمل ص ١٨٢: وكانت أمه حاضرة وحملته وجاءت به إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهي تبكي وتقول:

يا رب إن مسلماً دعاهم * يتلو كتاب الله لا يخشاهم
فخضبوا من دمه فناهم * وأمهم قائمة تراهم
تأمرهم بالقتل لا تنهاهم!

ورموا أصحاب علي صلوات الله عليه بالنبل. قالوا: يا أمير المؤمنين أما ترى النبل فينا كالقطر، وقد قتلوا مسلما. فقال لهم علي صلوات الله عليه: قاتلوهم، فقد طاب لكم القتال). انتهى.

الزبير ينسحب من المعركة، ويقتل في الطريق!
قال ابن قتيبة في الإمامة والسياسة: ١ / ٩١: (فخرج طلحة والزبير وعائشة، وهي علي جمل عليه هودج، قد ضرب عليه صفائح الحديد، فبرزوا حتى خرجوا من الدور ومن أفنية البصرة، فلما تواقفوا للقتال، أمر علي مناديا ينادي من أصحابه: لا يرمين أحد سهما ولا حجرا، ولا يطعن برمح، حتى أعذر إلى القوم فأتخذ عليهم الحججة. قال: فكلم علي طلحة والزبير قبل القتال، فقال لهما: استحلفا عائشة بحق الله وبحق رسوله علي أربع خصال، أن تصدق فيها: هل تعلم رجلا من قريش أولى مني بالله ورسوله، وإسلامي قبل كافة الناس أجمعين، وكفايتي رسول الله كفار العرب بسيفي ورمحي، وعلى براءتي من دم عثمان، وعلى أنني لم أستكره أحدا، وعلى أنني لم أكن أحسن قولا في عثمان منكما.

فأجابه طلحة جوابا غليظا ورق له الزبير.. الخ. قال: وذكروا أن الزبير دخل على عائشة فقال: يا أمه ما شهدت موطنا قط في الشرك ولا في الإسلام إلا ولي فيه رأي وبصيرة، غير هذا الموطن فإنه لا رأي لي فيه ولا بصيرة، وإني لعلى باطل! قالت عائشة: يا أبا عبد الله، خفت سيوف بني عبد المطلب! فقال: أما والله إن سيوف بني عبد المطلب طوال حداد، يحملها فتية أنجاد! ثم قال لابنه عبد الله: عليك بحزبك، أما أنا فراجع إلى بيتي! فقال له ابنه عبد الله: الآن حين التقت حلقتا البطان واجتمعت الفتتان؟! والله لا نغسل رؤوسنا منها! فقال الزبير لابنه: لا تعد هذا مني جبنا، فوالله ما فارقت أحدا في جاهلية ولا إسلام، قال: فما يردك؟

قال: يردني ما إن علمته كسرك! فقام بأمر الناس عبد الله بن الزبير! انتهى.
وقال ابن حجر في مقدمة فتح الباري ص ٢٩٠: (وقاتل الزبير في يوم الجمل هو عمرو بن جرموز التميمي، قتله غدرا وهو نائم، وكان قتل الزبير في شهر رجب سنة ست وثلاثين انصرف من وقعة الجمل تاركا للقتال، فقتله عمرو بن جرموز بضم الجيم والميم بينهما راء ساكنة وآخره زاي، التميمي، غيلة، وجاء إلى علي متقربا إليه بذلك، فبشره بالنار! أخرجه أحمد والترمذي وغيرهما، وصححه الحاكم من طرق بعضها مرفوع). انتهى. (الحاكم: ٣ / ٣٦٠، وأحمد: ١ / ٨٩).
وفي الكافية ص ٤٠: (وأما قول علي: بشر قاتل ابن صفية بالنار. لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: بشر قاتل ابن صفية بالنار، وكان ممن خرج يوم النهروان، ولم يقتله أمير المؤمنين عليه السلام بالبصرة، لأنه علم أنه يقتل في فتنة النهروان).
مروان الأموي يغتال طلحة التيمي قبل بدء المعركة!
ترك الزبير المعركة بعد اصطفاف الصفوف للحرب، لكنه كان وفيا لعائشة أخت زوجته وخالة ابنه عبد الله! فبعد لقائه المؤثر مع علي عليه السلام اكتفى بالقول لعائشة إنه يشك ولا يرى نفسه على الحق، وإنه قرر الانسحاب والعودة إلى المدينة! ولما سأله ابنه عبد الله كما تقدم عن ابن قتيبة: (قال: فما يردك؟ قال: يردني ما إن علمته كسرك)! فقد أراد من ابنه وخالته وشريكه طلحة، أن يواصلوا المعركة ضد علي عليه السلام! ولذا لم يخبرهم بحديث النبي صلى الله عليه وآله الذي ذكره به علي عليه السلام ولا طلب منهم تجنب إراقة دماء المسلمين والصلح مع علي عليه السلام! وقد حاولت عائشة وابنه عبد الله أن يثيروا نخوته فاتهموه بالجبن أمام سيوف بني عبد المطلب! لكنه لم يخضع لذلك، وأجابهم أنني سأثبت لكم الآن أنني

لست جبانا وركب فرسه وأغار على جيش علي عليه السلام فعرف علي عليه السلام أنه هجوم لإثبات الشجاعة! فأمر الجيش أن يفتحوا له الطريق ولا يقاتلوه، فشق الزبير الجيش وأكمل طريقه عائدا إلى المدينة! وخسرت عائشة به ركنا من أركانها، ولكنها تعزت بولده عبد الله، فهو أشد بغضا لعلي وبني هاشم!

وفي صباح نفس اليوم وقبل نشوب المعركة أنهد الركن الثاني لعائشة، حيث بادر مروان إلى تنفيذ خطته في قتل طلحة! قال ابن سعد في الطبقات: ٣ / ٢٢٣: (عن محمد بن سيرين أن مروان اعترض طلحة لما جال الناس بسهم فأصابه فقتله... عن عبد الملك بن مروان يقول: لولا أن أمير المؤمنين مروان أخبرني أنه هو الذي قتل طلحة ما تركت من ولد طلحة أحدا إلا قتلته بعثمان بن عفان)!

وفي أحاديث عائشة للعسكري: ١ / ٢٢٨: (وروى ابن أعثم تفصيل قتل طلحة هكذا قال: قال مروان لغلामه: إني لأعجب من طلحة فإنه لم يكن أشد منه على عثمان، فقد كان يحرض أعداءه ويسعى حثيثا في إراقة دمه، واليوم جاء يطلب ثاره! أريد أن أرميه وأريح المسلمين من شره، فلو تقدمت أمامي وحجبتني كي لا أرى فيعلم أنني رميته، فأنت حر، ففعل، فأخرج مروان سهما مسموما من كنانته فرماه فشك قدمه إلى ركابه. فقال طلحة لغلामه: فخذني إلى الظل فقال: لا أرى ها هنا ظلا، فقال طلحة: سبحان الله! لا أرى في قريش اليوم أضيع دما مني)!

* *

عائشة قادت معركة الجمل وحدها لسبعة أيام!
قال الطبري في تاريخه: ٣ / ٥٣٠: (عن أبي البخري الطائي قال أطافت ضبة والأزد بعائشة يوم الجمل، وإذا رجال من الأزد يأخذون بعرج الجمل فيفتونه ويشمونهم ويقولون: بعرج جمل أمنا ريحه ريح المسك!)
وقال ابن كثير في النهاية: ٧ / ٢٧٢: (وأحدق أهل النجدات والشجاعة بعائشة، فكان لا يأخذ الراية ولا بخطام الجمل إلا شجاع معروف، فيقتل من قصده ثم يقتل بعد ذلك، وقد فقأ بعضهم عين عدي بن حاتم ذلك اليوم، ثم تقدم عبد الله بن الزبير فأخذ بخطام الجمل وهو لا يتكلم، فقبل لعائشة إنه ابنك ابن أختك فقالت: واأكل أسماء!
وجاءه مالك بن الحارث الأشتر النخعي فاقتتلا فضربه الأشتر على رأسه فجرحه جرحا شديدا، وضربه عبد الله ضربة خفيفة ثم اعتنقا وسقطا إلى الأرض يعتركان، فجعل عبد الله بن الزبير يقول: اقتلونني ومالكا واقتلوا مالكا معي! فجعل الناس لا يعرفون مالكا من هو، وإنما هو معروف بالأشتر، فحمل أصحاب علي وعائشة فخلصوهما، وقد جرح عبد الله بن الزبير يوم الجمل بهذه الجراحة سبعا وثلاثين جراحة). انتهى.
أقول: يبدو أن ابن الزبير أخذ بزمام الجمل بعد أن اشتدت حملات أصحاب علي عليه السلام وقل الآخذون بزمامه من ضبة وتركوه ملقى، قال الطبري: ٣ / ٥٣٣: (وانتهى إلى الجمل الأشتر وعدي بن حاتم، فخرج عبد الله بن حكيم بن حزام إلى الأشتر فمشى إليه الأشتر، فاختلفا ضربتين فقتله الأشتر، ومشى إليه عبد الله بن الزبير فضربه الأشتر على رأسه فجرحه جرحا شديدا، وضرب عبد الله الأشتر ضربة خفيفة، واعتنق كل واحد منهما صاحبه وخرأ إلى الأرض يعتركان، فقال

عبد الله بن الزبير: اقتلوني ومالكاً). انتهى، وهو يدل على أن الأشتر رحمه الله وصل إلى مركز القيادة وقتل القرى صاحب الخطام، فبقي الخطام ملقى فجاء ابن الزبير! وفي مواقف الشيعة للأحمدي: ١ / ٢٦٦: (دخل عمار بن ياسر، ومالك بن الحارث الأشتر على عائشة بعد انقضاء أمر الجمل. فقالت عائشة: يا عمار من معك؟ قال: الأشتر. فقالت: يا مالك! أنت الذي صنعت بآبن أختي ما صنعت؟ قال: نعم، ولولا أنني كنت طاويا ثلاثة لأرحت أمة محمد منه! فقالت: أما علمت أن رسول الله قال: لا يحل دم مسلم إلا بإحدى أمور ثلاث: كفر بعد إيمان أوزنا بعد إحصان، أو قتل نفس بغير حق؟ فقال الأشتر: على بعض هذه الثلاثة قاتلناه يا أم المؤمنين! وأيم الله ما خانني سيفي قبلها، ولقد أقسمت ألا يصحبني بعدها! قال أبو مخنف: ففي ذلك يقول الأشتر من جملة هذا الشعر الذي ذكرناه:

أعائش لولا أنني كنت طاويا * ثلاثا لألفيت ابن أختك هالكا
غداة ينادى والرجال تحوزه * بأضعف صوت اقتلوني ومالكا
فلم يعرفوه إذ دعاهم وغمه * خذب عليه في العجاجة باركا
فنجاه مني أكله وشبابه * وأني شيخ لم أكن متماسكا
وقالت على أي الخصال صرعته * بقتل أتى أم ردة لا أبا لكا
أم المحصن الزاني الذي حل قتله * فقلت لها لا بد من بعض ذلكا. انتهى.

(راجع الغدير: ١١ / ٦٤. وشرح ابن أبي الحديد: ٦ / ٨٣).

ومعنى قوله: (لولا أنني كنت طاويا ثلاثا)، أنه كان صائما ثلاثة أيام، فلم يرد الأشتر رحمه الله أن يذكر صيامه فذكر أنه كان جائعا. وأصل الطاوي صفة للظبي عندما يشبع فيطوي عنقه وينام (لسان العرب: ١٥ / ١٨) واستعملوه في الجائع من باب التفاؤل، كتسميتهم الصحراء الصعبة مفازة، واسمها في الأصل مهلكة.

* *

ومن طرائف ما قرأته في قيادة عائشة للمعركة: أن مشايخ المملكة العربية السعودية أفتوا بحرمة قيادة المرأة للسيارة، فعلق أحدهم قائلاً: أم المؤمنين عائشة قادت حرباً، وهؤلاء يحرمون قيادة المرأة للسيارة!

عائشة تتلقى في اليوم السابع هزيمة مرة!

وصف ابن قتيبة في الإمامة والسياسة: ١ / ٩٦، أيام حرب الجمل فقال: (وأقبل علي وعمار والأشتر والأنصار معهم يريدون الجمل فاقتتل القوم حوله، حتى حال بينهم الليل! وكانوا كذلك يروحون ويغدون على القتال سبعة أيام، وإن علياً خرج إليهم بعد سبعة أيام فهزمهم).

ووصف حملة علي عليه السلام في اليوم السابع من الحرب فقال: (ثم تقدم علي فنظر إلى أصحابه يهزمون ويقتلون، فلما نظر إلى ذلك صاح بابنه محمد ومعه الراية أن اقتحم، فأبطأ وثبت، فأتى علي من خلفه فضربه بين كتفيه، وأخذ الراية من يده ثم حمل فدخل عسكرهم، وإن الميمنتين والميسرتين تضطربان، في إحداهما عمار، وفي الأخرى عبد الله بن عباس ومحمد بن أبي بكر، قال: فشق علي في عسكر القوم يطعن ويقتل، ثم خرج وهو يقول: الماء الماء، فأتاه رجل بإداوة فيها غسل فقال له: يا أمير المؤمنين أما الماء فإنه لا يصلح لك في هذا المقام، ولكن أذوقك هذا الغسل فقال: هات، فحسا منه حسوة، ثم قال: إن غسلك لطائفي، قال الرجل: لعجبا منك والله يا أمير المؤمنين لمعرفتك الطائفي من غيره في هذا اليوم، وقد بلغت القلوب الحناجر! فقال له علي: إنه والله يا بن أخي ما ملأ صدر عمك شئ قط ولا هابه شئ! ثم أعطى الراية لابنه وقال: هكذا فاصنع، فتقدم محمد بالراية ومعه الأنصار حتى انتهى إلى الجمل والهودج وهزم ما يليه، فاقتتل الناس ذلك اليوم قتالاً شديداً حتى كانت الواقعة والضرب على الركب).

وفي كتاب الجمل للمفيد ص ١٩٦: (وروى محمد بن عبد الله بن عمر بن دينار قال قال أمير المؤمنين عليه السلام لابنه محمد خذ الراية وامض، وعلي عليه السلام خلفه فناداه يا أبا القاسم؟ فقال لبيك يا أبة، فقال: يا بني لا يستفزتك ما ترى، قد حملت الراية وأنا أصغر منك فما استفزني عدوي، وذلك أني لم أبارز أحدا إلا حدثني نفسي بقتله، فحدث نفسك بعون الله تعالى بظهورك عليهم، ولا يخذلك ضعف النفس من اليقين، فإن ذلك أشد الخذلان. قال: قلت يا أبة، أرجو أن أكون كما تحب إن شاء الله. قال فالزم رأيك فإن اختلفت الصفوف قف في مكانك وبين أصحابك، فإن لم تبين من أصحابك فاعلم أنهم سيرونك.

قال: والله إنني لفي وسط أصحابي فصاروا كلهم خلفي وما بيني وبين القوم أحد يردهم عني، وأنا أريد أن أتقدم في وجوه القوم، فما شعرت إلا بأبي خلفي قد جرد سيفه وهو يقول لا تقدم حتى أكون أمامك، فتقدم بين يدي يهرول ومعه طائفة من أصحابه، فضرب الذين في وجهه حتى نهضوهم، ولحقتهم بالراية فوقفوا وقفة، واختلط الناس وكدت السيوف ساعة، فنظرت إلى أبي يفرج الناس يمينا وشمالا ويسوقهم أمامه، فأردت أن أجول فكرهت خلافه ووصيته لي: لا تفارق الراية، حتى انتهى إلى الجمل وحوله أربعة آلاف مقاتل من بني ضبة والأزد وتميم وغيرهم، وصاح أقطعوا البطان، فأسرع محمد بن أبي بكر فقطعه وأطلع الهودج! فقالت عائشة من أنت؟ قال أبغض أهلك إليك! قالت ابن الخثعمية؟ قال نعم، ولم تكن دون أمهاتك!.....

ونادى أمير المؤمنين عليه السلام محمد بن أبي بكر فقال: سلها هل وصل إليها شيء من الرماح والسهام؟ فسألها قالت: نعم وصل إلى سهم خدش رأسي، وسلمت من غيره. الله بيني وبينكم. فقال محمد: والله ليحكمن عليك يوم القيامة ما كان بينك وبين أمير المؤمنين حتى تخرجي عليه وتؤليين الناس على قتاله، وتنبذي كتابا

لله وراء ظهرك؟! فقالت: دعنا يا محمد وقل لصاحبك يحرسني، وكان الهودج كالقنفذ من النبل! فرجعت إلى أمير المؤمنين عليه السلام وأخبرته بما جرى بيني وبينها وما قلت وما قالت، فقال عليه السلام: هي امرأة والنساء ضعاف العقول، فتول أمرها واحملها إلى دار عبد الله بن خلف، حتى ننظر في أمرها. فحملتها إلى الموضع وإن لسانها لا يفتر من السب لي ولعلي عليه السلام والترحم علي أصحاب الجمل!! وفي الأخبار الطوال ص ١٥٠: (قالوا: ولما رأى علي لوث أهل البصرة بالجمل، وأنهم كلما كشفوا عنه عادوا فلا ثوابه، قال لعمار وسعيد بن قيس وقيس بن سعد بن عبادة والأشتر وابن بديل ومحمد بن أبي بكر، وأشباههم من حماة أصحابه: إن هؤلاء لا يزالون يقاتلون ما دام هذا الجمل نصب أعينهم، ولو قد عقر فسقط لم تثبت لهم ثابتة، فقصدوا بذوي الجد من أصحابه قصد الجمل حتى كشفوا أهل البصرة عنه، وأفضى إليه رجل من مراد الكوفة، يقال له أعين بن ضبيعة فكشف عرقوبه بالسيف، فسقط وله رغاء، فغرق في القتلى، ومال الهودج بعائشة، فقال علي لمحمد بن أبي بكر: تقدم إلى أختك، فدنا محمد، فأدخل يده في الهودج، فنالت يده ثياب عائشة، فقالت: إنا لله، من أنت ثكلتك أمك، فقال: أنا أخوك محمد!

ونادى علي رضي الله عنه في أصحابه: لا تتبعوا موليا، ولا تجهزوا علي جريح، ولا تنتهبوا مالا، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن. قال: فجعلوا يمرون بالذهب والفضة في معسكرهم والمتاع، فلا يعرض له أحد إلا ما كان من السلاح الذي قاتلوا به، والدواب التي حاربوا عليها، فقال له بعض أصحابه: يا أمير المؤمنين، كيف حل لنا قتالهم ولم يحل لنا سبيهم وأموالهم؟! قال علي رضي الله عنه: ليس على الموحدين سبي، ولا يغنم من أموالهم إلا ما قاتلوا به وعليه، فدعوا مالا تعرفون، والزموا ما تؤمرون).

وفي تاريخ الطبري: ٣ / ٥٣٨: (أن محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر أتيا عائشة وقد عقر الجمل فقطعا غرضة الرحل، واحتملا اليهودج فنحياه حتى أمرهما علي فيه أمره بعد. قال: أدخلاها البصرة، فأدخلاها دار عبد الله بن خلف الخزاعي).

وفي الكافئة ص ٣٤: (عن الأصبع بن نباته قال: لما عقر الجمل وقف علي عليه السلام علي عائشة فقال: ما حملك علي ما صنعت؟ قالت: زيت وذيت! فقال: أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد ملأت أذنيك من رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يلعن أصحاب الجمل وأصحاب النهروان! أما أحياءهم فيقتلون في الفتنة، وأما أمواتهم ففي النار علي ملة اليهود!) وفي الكافئة ص ٣٦: (قال أبو رافع: سأحدثكم بحديث سمعته أذناي لا أحدثكم عن غيري: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي: قاتل الله من قاتلك وعادى الله من عاداك. فقالت عائشة: يا رسول الله من يقاتله ومن يعاديه؟ قال: أنت ومن معك، أنت ومن معك).

وفي الكافئة ص ٢٩: (عن حبة العرني أن أمير المؤمنين صلوات الله عليه بعث إلى عائشة محمدا أخاها رحمة الله عليه، وعمار بن ياسر رضوان الله عليه: أن ارتحلي والحقي بيتك الذي تركك فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وأخبراه بقولها، فغضب ثم ردهما إليها وبعث معهما الأشر، فقال: والله لتخرجن أو لتحملن احتمالا. ثم قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: يا معشر عبد القيس اندبوا إلي الحرة الخيرة من نساءكم، فإن هذه المرأة من نساءكم، فإنها قد أبت أن تخرج، لتحملوها احتمالا. فلما علمت بذلك قالت لهم: قولوا فليجهزني! فأتوا أمير المؤمنين صلوات الله عليه فذكروا له ذلك، فجهزها وبعث معها بالنساء....

عن محصن بن زياد الضبي قال: سمعت الأحنف بن قيس يقول: فقالت: لا أفعل! فقال لها: لئن لم تفعلي لأرسلن إليك نسوة من بكر بن وائل بشفار حداد يأخذنك بها. قال: فخرجت حينئذ!

وفي تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٨٣: (وأناها علي، وهي في دار عبد الله بن خلف الخزاعي وابنه المعروف بطلحة الطلحات، فقال: إياها يا حميراء! ألم تنهي عن هذا المسير! فقالت: يا ابن أبي طالب قدرت فاسجح! فقال: أخرجني إلى المدينة وارجعي إلى بيتك الذي أمرك رسول الله صلى الله عليه وآله أن تقري فيه. قالت: أفعل. فوجه معها سبعين امرأة من عبد القيس في ثياب الرجال، حتى وافوا بها المدينة).

في رقبة من.. قتلى حرب الجمل!؟

في تاريخ الطبري: ٣ / ٥٤٣: (كان قتلى الجمل حول الجمل عشرة آلاف، نصفهم من أصحاب علي ونصفهم من أصحاب عائشة). انتهى.

ووصلت بهم الروايات إلى خمسة وعشرين ألفاً! ففي تاريخ خليفة بن خياط ص ١٣٩، عن جدة المعلى أبي حاتم قالت: (خرجنا إلى قتلى الجمل فعددناهم بالقصب عشرين ألفاً... عن خالد بن العاص عن أبيه قال: قتل ثلاثة عشر ألفاً، من أصحاب علي ما بين الأربع مائة إلى الخمس مائة). انتهى.

وفي مستدرک الوسائل: ١١ / ٥٩: في حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال فيه: (ومسيرها من مكة إلى البصرة، وإشعالها حرباً قتل فيه طلحة والزبير وخمسة وعشرون ألفاً من المسلمين، وقد علمتم أن الله عز وجل يقول: ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً).

وفي كشف الغمة: ١ / ٢٤٣: (وكان عدة من قتل من جند الجمل ستة عشر ألفاً وسبعمائة وتسعين إنساناً، وكانوا ثلاثين ألفاً، فأتى القتل على أكثر من نصفهم، وقتل من أصحاب علي عليه السلام ألف وسبعون رجلاً، وكانوا عشرين ألفاً). انتهى.

أقول: المرجح عندي ما رواه في الكافية: ص ١٩ عن علي عليه السلام قال: (ولقد علمت والله أن الراكبة الجمل لا تحل عقدة ولا تسير عقبة ولا تنزل منزلة إلا إلى معصية الله، حتى

تورد نفسها ومن معها موردا يقتل ثلثهم ويهرب ثلثهم ويرجع ثلثهم). انتهى.
وقد روي أن جنود فتنة عائشة كانوا ثلاثين ألفا، فيكون قتلهم نحو عشرة آلاف
جزاهم الله بسوء فعالهم، وقد وصف علي عليه السلام قتلهم بأنه فق لعين الفتنة، ففي
كشف الغمة: ١ / ٢٤٤: (عن زر أنه سمع عليا عليه السلام يقول: أنا فقأت عين
الفتنة، ولولا أنا ما قتل أهل النهروان وأهل الجمل، ولولا أنني أخشى أن تتركوا العمل
لأنبأتكم بالذي قضى الله على لسان نبيكم صلى الله عليه وآله لمن قاتلهم مستبصرا
ضلالهم، عارفا للهدى الذي نحن عليه). انتهى.
أما الشهداء من جنود علي عليه السلام فكانوا نحو ألفين، رضوان الله عليهم.
**

من نبل علي عليه السلام وعدالته في حرب الجمل
في تاريخ الطبري: ٣ / ٥٤٣: (ودخل علي البصرة يوم الاثنين فانتهى إلى المسجد
فصلى فيه ثم دخل البصرة فأتاه الناس، ثم راح إلى عائشة على بغلته فلما انتهى إلى دار
عبد الله بن خلف وهي أعظم دار بالبصرة، وجد النساء يبكين على عبد الله وعثمان
ابني خلف مع عائشة، وصفية ابنة الحارث مختمرة تبكي، فلما رآته قالت: يا علي يا
قاتل الأحبة يا مفرق الجمع، أيتم الله بنيك منك كما أيتمت ولد عبد الله منه! فلم يرد
عليها شيئاً، ولم يزل على حاله حتى دخل على عائشة فسلم عليها وقعد عندها، وقال
لها جبهتنا صفية، أما إنني لم أرها منذ كانت جارية حتى اليوم! فلما خرج علي أقبلت
عليه فأعادت عليه الكلام، فكف بغلته وقال: أما لهمت - وأشار إلى الأبواب من
الدار - أن أفتح هذا الباب وأقتل من فيه، ثم هذا فأقتل من فيه، ثم هذا فأقتل من فيه!
وكان أناس من الجرحى قد لجؤوا إلى عائشة فأخبر علي بمكانهم عندها فتغافل عنهم،
فسكتت!

فخرج علي فقال رجل من الأزد: والله لا تفلتنا هذه المرأة! فغضب وقال: صه، لا
تهتكن ستراً، ولا تدخلن داراً، ولا تهيجن امرأة بأذى، وإن شتمن أعراضكم وسفهن
أمراءكم وصلحاءكم، فإنهن ضعاف! ولقد كنا نؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات،
وإن الرجل ليكافئ المرأة ويتناولها بالضرب فيعير بها عقبه من بعده، فلا يبلغني عن أحد
عرض لامرأة، فأنكل به شرار الناس! انتهى.

أقول: صفية هذه، معروفة بأُم طلحة الطلحات، هي بنت الحارث بن طلحة بن أبي
طلحة من بني عبد الدار (تهذيب التهذيب: ١٢ / ٣٨٠)، ولذلك أجابها أمير المؤمنين
عليه السلام، عندما أعادت دعاءها عليه كما في مناقب آل أبي طالب: ٢ / ٩٨: (إنني

لا ألومك أن تبغضيني يا صفية وقد قتلت جدك يوم بدر وعمك يوم أحد، وزوجك الآن، ولو كنت قاتل الأعبة لقتلت من في هذه البيوت!!
وروى الإربلي في كشف الغمة: / ٢٤٢، قصة قتل علي عليه السلام لزوجها ابن خلف في حرب الجمل، وأن ابن خلف كان البادئ حيث تحدى عليا عليه السلام وأراد قتله، قال:

(خرج رجل مدحج يظهر بأسا، ويعرض بذكر علي عليه السلام حتى قال:
أضربكم ولو أرى عليا * عممته أبيض مشرفيا

فخرج إليه علي عليه السلام متنكرا وضربه على وجهه فرمى بنصف قحف رأسه! فسمع صائحا من ورائه فالتفت فرأى ابن أبي خلف الخزاعي من أصحاب الجمل فقال: هل لك في المبارزة يا علي؟ فقال علي عليه السلام: ما أكره ذلك، ولكن ويحك يا ابن أبي خلف، ما راحتك في القتل وقد علمت من أنا؟ فقال: ذرني يا ابن أبي طالب من بذحك بنفسك، وادن مني لترى أينما يقتل صاحبه! فثنى علي عليه السلام عنان فرسه إليه فبدره ابن خلف بضربة فأخذها علي في جحفته، ثم عطف عليه بضربة أطار بها يمينه، ثم ثنى بأخرى أطار بها قحف رأسه!

وذكر القاضي المغربي في دعائم الإسلام: ١ / ٣٩٤، أن أمير المؤمنين عليه السلام قال لإحدى النساء (عائشة): (ألا تبعدين هؤلاء الكليات عني! يزعمن أنني قاتل الأعبة، ولو قتلت الأعبة لقتلت من في هذه الحجرة، ومن في هذه الحجرة، وأومى إلى ثلاث حجرات، فما بقي في الدار صائحة إلا سككت، ولا قائمة إلا جلست!

قال الأصبغ: وهو صاحب الحديث: وكان في إحدى الحجر عائشة ومن معها من خاصتها، وفي الأخرى مروان بن حكم وشباب من قریش، وفي الأخرى عبد الله بن الزبير وأهله. فقيل له: فهلا بسطتم أيديكم على هؤلاء فقتلتموهم؟ أليس هؤلاء كانوا أصحاب القرحة، فلم استبقاهم؟ قال الأصبغ: قد ضربنا والله بأيدينا على قوائم السيوف، وحددنا أبصارنا نحوه لكي يأمرنا فيهم بأمر، فما

فعل ووسعهم عفوه! وذكر باقي الحديث بطوله). انتهى.
وفي تاريخ الطبري: ٣ / ٥٤١: (وأوى عبد الله بن الزبير إلى دار رجل من الأزدي يدعى
وزيراً وقال: إئت أم المؤمنين فأعلمها بمكاني، وإياك أن يطلع علي هذا محمد بن أبي
بكر! فأتى عائشة فأخبرها فقالت علي بمحمد، فقال: يا أم المؤمنين إنه قد نهاني أن
يعلم به محمد، فأرسلت إليه فقالت: إذهب مع هذا الرجل حتى تجيئني بأبن أختك،
فانطلق معه الأزدي علي ابن الزبير قال: جئتك والله بما كرهت وأبت أم
المؤمنين إلا ذلك! فخرج عبد الله ومحمد وهما يتشاثمان! فذكر محمد عثمان فشتمه،
وشتم عبد الله محمداً، حتى انتهى إلى عائشة في دار عبد الله بن خلف! وأرسلت
عائشة في طلب من كان جريحاً فضمت منهم ناساً، وضمت مروان فيمن ضمت
فكانوا في بيوت الدار). انتهى.

أقول: هذا يدل على أن أمير المؤمنين عليه السلام أمر محمد بن أبي بكر أن يكون مع
أخته عائشة ويتحمل سبها وشتمها، ويطيعها في خدماتها ويعفو عن أنصارها!
وفي تاريخ الطبري: ٣ / ٥٤٧: (وجهز علي عائشة بكل شيء ينبغي لها من مركب أو
زاد أو متاع، وأخرج معها كل من نجا ممن خرج معها، إلا من أحب المقام. واختار
لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات، وقال: تجهز يا محمد فبلغها، فلما
كان اليوم الذي ترتحل فيه جاءها حتى وقف لها، وحضر الناس فخرجت على الناس
ودعوها وودعتهم وقالت:

يا بني، تعتب بعضنا على بعض استبطاء واستزادة، فلا يعتدن أحد منكم على أحد بشيء
بلغه من ذلك، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة
وأحمائها، وإنه عندي على معتبتي من الأخيار! انتهى.
ومعنى كلامها: يا أولادي، نحن الصحابة قد يعتب بعضنا على بعض، لأنه

يستبطن منه ما يراه لازماً، أو لأنه يريد منه المزيد من الخير الذي فعله، فإن بلغكم من بعضنا غضب على بعض فلا تجعلوه سبباً للنزاع والحرب! وأنا رغم عتبي على علي فهو عندي من الأخيار، ولم يكن بيني وبينه إلا ما يكون بين الزوجة وأقارب زوجها من أمور صغيرة!!

فهذا اعتراف عائشة بأن علياً رجل صالح وأن حربها له وألوف القتلى كانت بسبب حساسية الزوجة من أقارب زوجها! أما علي عليه السلام فله فيها رأي آخر!! وفي تاريخ الطبري: ٣ / ٥٤٥: (عن محمد بن راشد عن أبيه قال: كان من سيرة علي: أن لا يقتل مدبراً، ولا يدفع على جريح، ولا يكشف ستراً، ولا يأخذ مالا، فقال قوم يومئذ: ما يحلل لنا دماءهم ويحرم علينا أموالهم؟! فقال علي: القوم أمثالكم، من صفح عنا فهو منا ونحن منه، ومن لج حتى يصاب فقتاله مني على الصدر والنحر، وإن لكم في خمسه لغنى. فيومئذ تكلمت الخوارج!) انتهى.

ومعنى قوله: (فيومئذ تكلمت الخوارج): أنهم تشكلوا في ذلك اليوم كفتة لها متكلمون باسمهم، وكان أول اعتراضهم على أمير المؤمنين عليه السلام أنه أحل قتال البغاة وحرم سبيهم وغنائمهم، إلا ما حوى معسكرهم!

وفي الإحتجاج: ١ / ٢٤٦: عن عبد الله بن الحسن قال: (كان أمير المؤمنين عليه السلام يخطب بالبصرة بعد دخوله بأيام فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني من أهل الجماعة، ومن أهل الفرقة، ومن أهل البدعة ومن أهل السنة؟ فقال: ويحك أما إذا سألتني فافهم عني، ولا عليك أن تسأل عنها أحداً بعدي:

أما أهل الجماعة فأنا ومن اتبعني وإن قلوا، وذلك الحق عن أمر الله تعالى وعن أمر رسوله صلى الله عليه وآله. وأهل الفرقة المخالفون لي وللمن اتبعني وإن كثروا. وأما أهل السنة فالمتمسكون بما سنه الله لهم ورسوله وإن قلوا. وأما أهل البدعة فالمخالفون لأمر الله ولكتابه ورسوله، العاملون برأيهم وأهوائهم، وإن كثروا، وقد مضى منهم الفوج

الأول وبقيت أفواج، وعلى الله قبضها واستيصالها عن جدد الأرض.
فقام إليه عمار فقال: يا أمير المؤمنين إن الناس يذكرون الفيء ويزعمون أن من قاتلنا
فهو وماله وولده فيء لنا. فقام إليه رجل من بكر بن وائل يدعى عباد بن قيس، وكان ذا
عارضة ولسان شديد، فقال: يا أمير المؤمنين والله ما قسمت بالسوية، ولا عدلت
بالرعية. فقال: ولم ويحك؟! قال لأنك قسمت ما في العسكر وتركت الأموال والنساء
والذرية. فقال: أيها الناس من كانت به جراحة فليداوها بالسمن! فقال عباد: جئنا
نطلب غنائمنا فجاءنا بالترهات!

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام إن كنت كاذبا فلا أماتك الله حتى يدركك غلام
ثقيف (يقصد الحجاج)! قيل: ومن غلام ثقيف؟ فقال: رجل لا يدع لله حرمة الا
انتهاكها! فقيل: أفيموت أو يقتل؟ فقال: يقصمه قاصم الجبارين بموت فاحش يحترق
منه دبره لكثرة ما يجري من بطنه! يا أخا بكر أنت أمرؤ ضعيف الرأي، أو ما علمت أنا
لا نأخذ الصغير بذنوب الكبير، وأن الأموال كانت لهم قبل الفرقة، وتزوجوا على رشدة،
وولدوا على فطرة، وإنما لكم ما حوى عسكرهم، وما كان في دورهم فهو ميراث، فإن
عدا أحد منهم أخذناه بذنبه وإن كف عنا لم نحمل عليه ذنب غيره! يا أخا بكر لقد
حكمت فيهم بحكم رسول الله صلى الله عليه وآله في أهل مكة، فقسم ما حوى
العسكر، ولم يتعرض لما سوى ذلك، وإنما اتبعت أثره حذو النعل بالنعل!
يا أخا بكر أما علمت أن دار الحرب يحل ما فيها، وأن دار الهجرة يحرم ما فيها إلا
بالحق فمهلا مهلا رحمكم الله. فإن لم تصدقوني وأكثرتم علي - وذلك أنه تكلم في
هذا غير واحد - فأياكم يأخذ عائشة بسهمه؟! فقالوا: يا أمير المؤمنين أصبت وأخطأنا،
وعلمت وجهلنا، فنحن نستغفر الله تعالى! ونادى الناس من كل جانب: أصبت يا أمير
المؤمنين، أصاب الله بك الرشاد والسداد، فقام عمار فقال:
أيها الناس إنكم والله لو اتبعتموه وأطعتموه لن يضل بكم عن منهل نبيكم صلى الله عليه
وآله

حتى قيس شعرة، وكيف لا يكون ذلك وقد استودعه رسول الله صلى الله عليه وآله علم المنايا والقضايا وفصل الخطاب على منهاج هارون، وقال له: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، فضلا خصه الله به وإكراما منه لنبيه صلى الله عليه وآله حيث أعطاه ما لم يعط أحدا من خلقه.....

ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام: أنظروا رحمكم الله ما تؤمرون فامضوا له..... وأما عائشة فأدر كها رأي النساء، ولها بعد ذلك حرمتها الأولى والحساب على الله، يعفو عن من يشاء ويعذب من يشاء). انتهى.

* *

أمير المؤمنين عليه السلام يرتب وضع البصرة ويواصل فتح إيران والهند في تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٨٣: (ولما فرغ من حرب أصحاب الجمل، وجه جعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي إلى خراسان).

وفي شرح نهج البلاغة: ١٨ / ٣٠٨: (هبيرة بن أبي وهب، كان من الفرسان المذكورين، وابنه جعدة بن هبيرة، وهو ابن أخت علي بن أبي طالب، أمه أم هاني بنت أبي طالب، وابنه عبد الله بن جعدة بن هبيرة، هو الذي فتح القندهار وكثيرا من خراسان، فقال فيه الشاعر:

لولا ابن جعدة لم تفتح قهندركم* ولا خراسان حتى ينفخ الصور. انتهى.
أقول: في معجم البلدان: ٤ / ٤١٩، وصحاح الجوهرى: ١ / ٤٣٣: قهندز بالزاي.

ج
وقال الطبري في تاريخه: ٤ / ٤٦: (فانتهى إلى أبر شهر وقد كفروا وامتنعوا فقدم علي علي فبعث خليلد بن قررة اليربوعي فحاصر أهل نيسابور حتى صالحوه وصالحه أهل مرو، وأصاب جاريتين من أبناء الملوك نزلتا بأمان فبعث بهما إلى علي فعرض عليهما الإسلام وأن يزوجهما، قالتا زوجنا ابنيك فأبى، فقال له بعض الدهاقين ادفعهما إلي فإنه كرامة تكرمني بها، فدفعهما إليه فكانتا عنده يفرش لهما الديباج ويطعمهما في آنية الذهب، ثم رجعتا إلى خراسان). انتهى.

وقد وضعنا عنوان مواصلة علي عليه السلام للفتوحات عن قصد، لإثبات أنه عليه السلام رغم أن أعداءه شغلوه بثلاث حروب داخلية، فقد واصل اهتمامه بالفتوحات، وفتح ولاته مناطق كثيرة من خراسان والهند وإفريقيا.

قال خليفة بن خياط في تاريخه ص ١٤٣، في حوادث سنة ٣٦: (وفيها ندب الحارث بن مرة العبدي (من البحرين) الناس إلى غزو الهند، فجاوز مكران إلى

بلاد قنداييل ووغل في جبال الفيقان...).

وفي فتوح البلدان للبلاذري: ٣ / ٥٣١: (فلما كان آخر سنة ثمان وثلاثين وأول سنة تسع وثلاثين في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، توجه إلى ذلك الثغر الحارث بن مرة العبدي متطوعا بإذن علي، فظفر وأصاب مغنما وسبيا، وقسم في يوم واحد ألف رأس). انتهى.

إن من ظلامات قريش لأمير المؤمنين عليه السلام أنهم نسبوا الفتوحات لأبي بكر وعمر وعثمان، وأخفوا دوره ودور تلاميذه وشيعته الفرسان أمثال: خالد بن سعيد بن العاص وإخوته أبان وعمرو، وبريدة الأسلمي، وعمار، وحذيفة، وسلمان، والمقداد، وحجر بن عدي، والأشتر، وهاشم المرقال، وأبي ذر، وعبادة بن الصامت، والبراء بن عازب، وأبي أيوب الأنصاري، وبلال، وعبد الله بن خليفة البجلي، وعدي بن حاتم الطائي، وبديل بن ورقاء الخزاعي، وأبو عبيدة بن مسعود الثقفي... وغيرهم وغيرهم، من القادة

الميدانيين الذين قامت الفتوحات على قيادتهم وجهودهم وبطولاتهم. فقد حدث أن انهزم المسلمون في معركة الجسر في أوائل فتح العراق، وأرسل حذيفة إلى عمر إن الفرس جمعوا مئة وخمسين ألف جندي وهم قاصدون إلى المدينة فخاف عمر فنهض علي عليه السلام وطمأنه، فأطلق عمر يده في إدارة الفتوحات إلى حد، فأخذ يرسل القادة ويوجههم، حتى أزال الأخطار وحقق الانتصارات، لكن قريشا كانت تنسب الفتوح إلى عمر وعثمان والمقربين إليهم! وقد حدث أن جمعت الروم أكثر من مئة ألف مقاتل لمعركة فاصلة مع المسلمين في الشام، وكان القادة الفرسان الذين حققوا النصر للمسلمين عليهم تلاميذ علي عليه السلام مثل خالد بن سعيد، ومالك الأشتر، وهاشم المرقال.. الخ.

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: ٢٠ / ٢٩٨: (قال له قائل: يا أمير المؤمنين أرأيت لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله ترك ولدا ذكرا قد بلغ الحلم، وآنس منه الرشد، أكانت العرب تسلم إليه أمرها؟ قال: لا، بل كانت تقتله إن لم يفعل ما فعلت، ولولا أن قريشا جعلت اسمه ذريعة إلى الرياسة، وسلما إلى العز والأمرة، لما عبدت الله بعد موته يوما واحدا، ولا رتدت في حافرتها، وعاد قارحها جذعا، وبازلها بكرا، ثم فتح الله عليها الفتوح فأثرت بعد الفاقة، وتمولت بعد الجهد والمخمصة، فحسن في عيونها من الإسلام ما كان سمجا، وثبت في قلوب كثير منها من الدين ما كان مضطربا، وقالت: لولا أنه حق لما كان كذا، ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولائها وحسن تدبير الأمراء القائمين بها، فتأكد عند الناس نباهة قوم وخمول آخرين، فكنا نحن ممن ذكره، وخبث ناره، وانقطع صوته وصيته، حتى أكل الدهر علينا وشرب، ومضت السنون والأحقاب بما فيها، ومات كثير ممن يعرف، ونشأ كثير ممن لا يعرف.

وما عسى أن يكون الولد لو كان! إن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقربني بما تعلمونه من القرب للنسب واللحمة، بل للجهاد والنصيحة، أفتراه لو كان له ولد هل كان يفعل ما فعلت! وكذلك لم يكن يقرب ما قربت، ثم لم يكن عند قريش والعرب سببا للحظوة والمنزلة، بل للحرمان والجفوة.

اللهم إنك تعلم أنني لم أرد الأمرة، ولا علو الملك والرياسة، وإنما أردت القيام بحدودك، والأداء لشرعك، ووضع الأمور في مواضعها، وتوفير الحقوق على أهلها والمضي على منهاج نبيك، وإرشاد الضال إلى أنوار هدايتك). انتهى.

وقد أشرنا إلى موضوع المفتوحات استطرادا، وهو يحتاج إلى دراسة خاصة، كما ينبغي التنبيه على أن إمضاء أمير المؤمنين عليه السلام للفتوحات لا يعني قبوله عليه السلام لأخطائها الكثيرة، ومنها أخطاء فادحة على مستوى الإسلام والتاريخ!

* *

كيف استجابت الأمة لعلي عليه السلام وقاتلت معه قريشا!
يتعجب الإنسان كيف تخلت أمة النبي صلى الله عليه وآله عن أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله أيام وفاته فلم تقم بردة فعل على هجوم الحزب القرشي على بيت علي وفاطمة صلى الله عليه وآله حتى فعلوا ما فعلوا، وأجبروا أهل البيت عليهم السلام على بيعة أبي بكر! ثم كيف لم يستجب الأنصار لعلي عليه السلام حين استعمل معهم أقوى وسائل التحريك وهي (الجاهة) التي يحسب لها العرب كل حساب! فقد حمل علي فاطمة الزهراء على دابة بعد الهجوم على دارها، وكانت مريضة، وأخذ معه ولديه الحسن والحسين عليهم السلام، وطرق أبواب زعماء الأنصار واحدا واحدا، وذكرهم هو وفاطمة صلى الله عليه وآله ببيعتهم له يوم الغدير وبيعتهم للنبي صلى الله عليه وآله قبل عشر سنوات بيعة العقبة، يوم قالوا للنبي صلى الله عليه وآله: يا رسول الله أشرط لنفسك ولربك ما شئت، فأمر النبي صلى الله عليه وآله عليا فأخذ عليهم البيعة على أن يحموا النبي صلى الله عليه وآله حتى يبلغ رسالة ربه مما يحمون منه أنفسهم، ويحموا أهل بيته مما يحمون منه أهليهم وذرائعهم، ولا ينازعوا الأمر أهله!! فلم تؤثر فيهم هذه الجاهة أكثر من وعدهم لعلي عليه السلام أن يوافوه غدا لدفع الظلم عنه والطلب بحقه، فلم يحضروا!!

يتعجب، عندما يرى هؤلاء أنفسهم أو أولادهم، يهتفون في زمن عثمان باسم علي عليه السلام للخلافة، ويحتشدون بعد مقتل عثمان راجين أن يقبل بيعتهم بالخلافة! وعندما خرجت عليه عائشة وطلحة والزبير استجابوا لدعوته إلى قتالهم! وعندما خرج عليه معاوية ومعه كل قبائل قريش، استجابوا له وقاتلوا معه قريشا كلها في صفين؟!!

فما الذي تغير في هذه الثلاثين سنة، حتى صار قتال قريش سائغا عند الأمة؟!
الذي حدث، أولا: أن قبائل قريش حكمت في عهد أبي بكر وعمر اثنتي عشرة

سنة، ثم سلمت الخلافة إلى بني أمية فاستأثروا وظلموا، فضجت الأمة من ظلم قريش! وصار مطلب عامتها في المدينة والولايات، إصلاح ما أفسدته قريش، ولا يوجد شخص عادل قوي يستطيع إصلاحه مثل علي عليه السلام.

والذي حدث ثانياً: أن جمهور الطلقاء الذي حشدتهم قريش في المدينة عند وفاة النبي صلى الله عليه وآله وعلموهم أن يصيحوا: القول ما قاله عمر، لا يوجدون الآن! وحتى لو كانوا موجودين فصياحهم اليوم لا ينفع، لغياب قادة قريش المحنكين المخططين وهم: سهيل بن عمرو، وأبو بكر بن أبي قحافة، وعمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، وسالم الفارسي مولى حذيفة الأموي!

والذي حدث ثالثاً: أن شعور الأمة بتأنيب الضمير لظلامتها لأهل بيت نبيها عليهم السلام قد نما فيها، فأرادت أن تكفر عن ذلك ببيعته لعل عليه السلام! فهذه العوامل الثلاثة كانت أسباباً في استجابة الأمة لعل عليه السلام، لكن العامل الأساسي الذي يعادلها جميعاً هو شخصية علي الفريدة، في تجسيده للنبي صلى الله عليه وآله، وتاريخ جهاده العظيم، وشجاعته، وبلاغته، وعدله عليه السلام!

ويعادل كل هذه العوامل والصفات: المعجزات التي رأتها الأمة من علي عليه السلام فخشعت لها قلوب المؤمنين، وخضعت لها أعناق المنافقين! فقد كان عليه السلام يخبرهم بما سيكون من أحداث، ويريهم آيات الله تعالى وآيات رسوله صلى الله عليه وآله، وقد بلغت معجزاته التي رأتها الأمة في خلافته أكثر من خمس مئة!!

ومن خصائص شخصية علي عليه السلام التي كانت تعجب الأمة، قوة قلبه وبصيرته، بحيث استطاع أن يخوض الحرب مع الناكثين والقاسطين والمارقين، بإمكانات بسيطة بالقياس إلى إمكانات طلحة والزبير وعائشة ومعاوية! فقد تقدم أن طلحة وحده كان يمكنه أن يمول ثلاث حروب كحرب الجمل، مضافاً إلى أن بيوت

أموال المسلمين في الأمصار كانت في يد الولاة الأمويين فجاء بعضهم بها إلى عائشة وطلحة والزبير، كيعلى بن أمية والي اليمن! (ثقات ابن حبان: ٢ / ٢٧٩).
لقد استطاعت عائشة وشركاؤها بهذه الثروات أن يجندوا مئة وعشرين ألفاً!
وقد تقدم في رواية الأخبار الطوال ص ١٥٠: (ونادى علي رضي الله عنه في أصحابه: لا تتبعوا موليا، ولا تجهزوا علي جريح، ولا تنتهبوا مالا، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن. قال: فجعلوا يملون بالذهب والفضة في معسكرهم والمتاع، فلا يعرض له أحد...). انتهى.

فهذا حال معسكرهم بعد الهزيمة! في حين كان بيت مال المسلمين في عاصمة الخلافة فارغا ليس فيه ما يجهز جيشا، فاستعان علي عليه السلام ببعض الصحابة (ثعلبة بن عمير بدري، وهو الذي أعطى عليا يوم الجمل مائة ألف درهم أعانه بها، قتل يوم صفين).
(شرح الأخبار: ٢ / ٢١).

كما أن سياسته عليه السلام في احترام الإنسان المسلم وعدم إجباره على القتال معه، قللت من عدد جيشه، فلم يزد في حرب الجمل على اثني عشر ألفاً!
أما في حرب صفين فقد كانت ثروة معاوية وحدها كافية لتمويل عدة جيوش! فقد كان الحاكم المدلل الذي أطلق عمر ثم عثمان يده في بيت مال بلاد الشام ولم يحاسبه أبدا، وكان مع ذلك يتاجر حتى في الخمر! وقصة الصحابين عبادة بن الصامت وعبد الله بن سهل مع قوافل معاوية المحملة بالخمير، مشهورة!
وقد بالغ معاوية في تجهيز جيشه لحرب علي عليه السلام في صفين عددا وعدة، فبلغ مئة وعشرين ألفاً، بينما بلغ جيش علي عليه السلام تسعين ألفاً. (التنبيه والإشراف ص ٢٥٥).

وقد وردت هذه الحقائق عن لسان أمير المؤمنين عليه السلام، في جوابه للأشعث بن قيس عندما سأله ما دمت وصي النبي صلى الله عليه وآله وصاحب الحق، فلماذا لم تقاتل أبا

بكر وعمر؟ فقال عليه السلام: (أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله بما الأمة صانعة بي بعده! فلم أك بما صنعوا حين عايته بأعلم مني ولا أشد يقينا مني به قبل ذلك، بل أنا بقول رسول الله صلى الله عليه وآله أشد يقينا مني بما عاينت وشهدت. فقلت: يا رسول الله فما تعهد إلي إذا كان ذلك؟ قال: إن وجدت أعوانا فانبذ إليهم وجاهدهم، وإن لم تجد أعوانا فاكفف يدك واحقن دمك، حتى تجد على إقامة الدين وكتاب الله وسنتي أعوانا....

ويلك يا ابن قيس، كيف رأيتني صنعت حين قتل عثمان إذ وجدت أعوانا؟! هل رأيت مني فشلا أو تأخرا أو جبنا أو تقصيرا في وقتي يوم البصرة، وهم حول جملهم، الملعون من معه، الملعون من قتل حوله، الملعون من رجع بعده لا تائبا ولا مستغفرا، فإنهم قتلوا أنصاري ونكثوا بيعتي ومثلوا بعاملي وبغوا علي! فسرت إليهم في اثني عشر ألفا وهم نيف على عشرين ومائة ألف! فنصرني الله عليهم، وقتلهم بأيدينا وشفى صدور قوم مؤمنين. وكيف رأيت يا ابن قيس وقعتنا بصفين، وما قتل الله منهم بأيدينا خمسين ألفا في صعيد واحد إلى النار!

وكيف رأيتنا يوم النهروان، إذ لقيت المارقين وهم مستمسكون يومئذ بدين الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا؟ فقتلهم الله بأيدينا في صعيد واحد إلى النار، لم يبق منهم عشرة، ولم يقتلوا من المؤمنين عشرة! ويلك يا ابن قيس، هل رأيت لي لواء رد، أو راية ردت؟! إياي تعير يا ابن قيس؟ وأنا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله في جميع مواطنه ومشاهده، والمتقدم إلى الشدائد بين يديه، لا أفر ولا أزول، ولا أعيا ولا أنحاز، ولا أمنح العدو دبري، لأنه لا ينبغي للنبي ولا للوصي إذا لبس لأمته وقصد لعدوه أن يرجع أو ينثني حتى يقتل أو يفتح الله له....

يا ابن قيس، أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إني لو وجدت يوم بويح أخو تيم الذي غيرتني بدخولي في بيعته، أربعين رجلا كلهم على مثل بصيرة الأربعة الذين قد وجدت، لما كفت يدي ولناهضت القوم، ولكن لم أجد خامسا فأمسكت! (كتاب سليم بن قيس ص ٢١٥)

لماذا كان الأمر يدور بين القتال أو الكفر
استفاض الحديث عن علي عليه السلام بأنه كان يقول إن قتاله للناكثين والقاسطين
والمارقين فريضة مشددة، وتنفيذ للعهد النبوي اليه، وأن أمره يدور بين تنفيذ هذا العهد،
وبين أن يعصي الرسول صلى الله عليه وآله، ويكفر بما أنزله الله تعالى عليه!
ففي علل الشرائع: ١ / ٢٢٢: (إني قلبت أمري وأمرهم ظهرا لبطن، فما وجدت إلا
قتالهم أو الكفر بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله!)
وفي تاريخ دمشق: ٤٢ / ٤٣٩: (فوالله ما وجدت إلا السيف أو الكفر بما أنزل على
محمد). وفي: ٤٢ / ٤٧٤: (ما وجدت إلا القتال أو الكفر بما أنزل على محمد).
ونحوه في أسد الغابة: ٤ / ٣١، وأنساب الأشراف ص ٢٣٦.
وجاء في صفين لابن مزاحم ص ٤٧٤، وفي المعيار والموازنة للإسكافي ١٤٥،
والأخبار الطوال للدينوري ص ١٨٧، واللفظ له: (وبرز رجل من أهل الشام مقنعا
بالحديد، ونادى: يا أبا الحسن، أدن مني أكلمك، فدنا منه علي حتى اختلقت أعناق
فرسيهما بين الصفين، فقال: إن لك قدما في الإسلام ليس لأحد، وهجرة مع رسول الله
(ص) وجهادا، فهل لك أن تحقق هذه الدماء، وتؤخر هذه الحرب برجوعك إلى
عراقك، ونرجع إلى شامنا إلى أن تنظر وننظر في أمرنا؟. فقال علي: يا هذا،
إني قد ضربت أنف هذا الأمر وعيني، فلم أجده يسعني إلا القتال أو الكفر بما أنزل الله
على محمد، إن الله لا يرضى من أوليائه أن يعصى في الأرض وهم سكوت لا يأمرون
بمعروف ولا ينهون عن منكر، فوجدت القتال أهون من معالجة الأغلال في جهنم.
قال: فانصرف الشامي وهو يسترجع). انتهى.
وهكذا كان علي عليه السلام مأمورا من رسول الله صلى الله عليه وآله بما فعل، كما
كان النبي صلى الله عليه وآله مأمورا من الله تعالى! فلماذا؟

لا تفسير لذلك إلا أن الله تعالى علم بعلمه المطلق أن قريشا على رغم فتح عاصمتها مكة وإخضاعها عسكريا، ما تزال تشكل في المستقبل القريب خطرا على أصل الإسلام، وأن بني أمية أقدر القبائل على قيادة قريش، وأن تسليم قبائل قريش قيادتها إلى سهيل بن عمرو السهمي، وأبي بكر التيمي، وعمر العدوي، ليس إلا حالة طارئة قصيرة تعود بعدها قيادتها إلى أمية!

وأن نقمة الصحابة والأمة على عثمان ليست إلا مقطعا قصيرا أيضا، بإمكان بني أمية أن يحتووه، أما طلحة والزبير وعائشة فلو نجحوا في إسقاط حكم علي عليه السلام وأخذوا الخلافة، فهم متناقضون عجولون، ليست لهم القدرة على قيادة قريش، وسرعان ما ينتهون ولا يكونون إلا كالزوج المحلل لرجوع الخلافة إلى بني أمية، كما كان حال سهيل وأبي بكر وعمر!

لذلك كانت وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام أن يستثمر نقمة الأمة على عثمان ويقا تل بني أمية على التأويل كما قاتلهم مع النبي صلى الله عليه وآله على التنزيل، وبذلك يتم بعث العهد النبوي مجددا ل يبقى ماثلا في تاريخ الأمة وضميرها، حتى لو لم يتحقق لعلي عليه السلام النصر الكامل على قريش وأمية! وهذا يفسر لنا تأكيدات أمير المؤمنين عليه السلام وأبرار الصحابة على أن بني أمية ما أسلموا ولكن استسلموا! وأنهم أصحاب مشروع خفي لتشويه شخصية النبي صلى الله عليه وآله وضرب أصل الإسلام! فقد كان عمار بن ياسر رحمه الله ينادي: (أيها الناس والله ما أسلموا، ولكنهم استسلموا وأسرؤا الكفر! فلما وجدوا أعوانا أظهروا ه)! (صفيين لابن مزاحم ص ٢٤٣، وشرح الأخبار: ٢ / ١٥٧، وعلل الشرائع: ١ / ٢٢٢).

وقد أخذ عمار ذلك من إمامه أمير المؤمنين عليه السلام الذي أخذ من النبي صلى الله عليه وآله، ففي نهج البلاغة: ٣ / ١٦: (وكان عليه السلام يقول لأصحابه عند الحرب: لا تشتدن عليكم فرة بعدها كرة، ولا جولة بعدها حملة وأعطوا السيوف حقوقها، ووطئوا للجنوب مصارعها،

واذمروا أنفسكم على الطعن الدعسي والضرب الطلحفي، وأميتوا الأصوات فإنه أطرده للفشل. فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أسلموا ولكن استسلموا وأسروا الكفر، فلما وجدوا أعوانا عليه أظهروه!

وقال نصر بن مزاحم ص ٢١٥: (كنا مع علي بصفين، فرفع عمرو بن العاص شقة خميصة سوداء في رأس رمح فقال ناس: هذا لواء عقده له رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يزالوا كذلك حتى بلغ عليا، فقال: هل تدرون ما أمر هذا اللواء؟ إن عدو الله عمرو بن العاص أخرج له رسول الله هذه الشقة فقال: من يأخذها بما فيها؟ فقال عمرو: وما فيها يا رسول الله؟ قال: فيها أن لا تقاتل به مسلما، ولا تفر به من كافر! فأخذها، فقد والله فر به من المشركين، وقاتل به اليوم المسلمين!! والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أسلموا ولكن استسلموا وأسروا الكفر، فلما وجدوا أعوانا رجعوا إلى عدواتهم لنا إلا أنهم لم يدعوا الصلاة). انتهى. *

عهد معهود من النبي صلى الله عليه وآله
لتقاتلن بعدي علي تأويل القرآن الناكثين والقاسطين والمارقين
روى المسلمون أحاديث صحيحة أن النبي صلى الله عليه وآله أخبر قريشا بأنهم
يحتاجون إلى من يقاتلهم بعده على تأويل القرآن، كما قاتلهم هو على تنزيله!
ففي مستدرک الحاكم: ٢ / ١٣٨: (لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وآله مكة أتاه
ناس من قريش فقالوا: يا محمد إنا حلفاؤك وقومك، وإنه لحق بك أرقاؤنا ليس لهم
رغبة في الإسلام، وإنما فروا من العمل فارددهم علينا! فشاور أبا بكر في أمرهم فقال:
صدقوا يا رسول الله! فقال لعمر: ما ترى؟ فقال مثل قول أبي بكر!
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا معشر قريش لبيعثن الله عليكم رجلا منكم
امتحن الله قلبه للإيمان، فيضرب رقابكم على الدين! فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول
الله؟ قال: لا. قال عمر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا، ولكنه خاصف النعل في
المسجد! وقد كان ألقى نعله إلى علي يخصفها. هذا حديث صحيح على شرط مسلم،
ولم يخرجاه).

وفي مجمع الزوائد: ٧ / ٢٣٨: (عن علي قال عهد إلي رسول الله (ص) في قتال
الناكثين والقاسطين والمارقين. رواه البزار والطبراني في الأوسط وأحد إسنادي البزار
رجاله رجال الصحيح غير الربيع بن سعيد ووثقه ابن حبان).
وفي أمالي الصدوق ٤٦٣، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: بلغ أم سلمة زوجة النبي
صلى الله عليه وآله أن مولى لها يتنقص عليا عليه السلام ويتناوله فأرسلت إليه، فلما أن
صار إليها قالت له: يا بني بلغني أنك تتنقص عليا وتتناوله! قال لها: نعم يا أمه. قالت:
أقعد ثكلتك أمك حتى أحدثك بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله ثم
اختر لنفسك... إلى أن قالت: فدخلت وعلي جاث بين يديه، وهو يقول: فذاك أبي
وأمي يا رسول الله، إذا كان كذا وكذا، فما تأمرني؟ قال: آمرك بالصبر. ثم أعاد عليه
القول الثانية، فأمره بالصبر، فأعاد عليه القول الثالثة، فقال له: يا علي يا أخي، إذا

كان ذاك منهم فسل سيفك وضعه على عاتقك واضرب به قدما قدما، حتى تلقاني
وسيفك شاهر يقطر من دمائهم! ثم التفت عليه السلام إلي فقال لي: ما هذه الكتابة يا أم
سلمة؟ قلت: للذي كان من ردك لي يا رسول الله. فقال لي: والله ما رددتك من
موجدة وإنك لعلى خير من الله ورسوله لكن أتيتني وجبرئيل عن يميني وعلي عن
يساري، وجبرئيل يخبرني بالأحداث التي تكون من بعدي، وأمرني أن أوصي بذلك
عليًا! يا أم سلمة إسمعي واشهدي: هذا علي بن أبي طالب، أخي في الدنيا وأخي في
الآخرة. يا أم سلمة إسمعي واشهدي، هذا علي بن أبي طالب، وزير في الدنيا
ووزير في الآخرة. يا أم سلمة إسمعي واشهدي، هذا علي بن أبي طالب، حامل لوائي
في الدنيا وحامل لوائي غدا في القيامة. يا أم سلمة إسمعي واشهدي، هذا علي بن أبي
طالب وصيي وخليفتي من بعدي، وقاضي عداتي، والذائد عن حوضي. يا أم سلمة
إسمعي واشهدي، هذا علي بن أبي طالب، سيد المسلمين، وإمام المتقين، وقائد الغر
المحجلين، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين. قلت: يا رسول الله من الناكثون؟
قال: الذين يباعدون بالمدينة وينكثون بالبصرة. قلت: من القاسطون؟ قال: معاوية
وأصحابه من أهل الشام. قلت: من المارقون؟ قال: أصحاب النهروان. فقال مولى أم
سلمة: فرجت عني فرج الله عنك، والله لا سببت عليًا أبدًا).

وفي من لا يحضره الفقيه: ٤ / ٤١٩: (عن الأصبع بن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه
السلام في بعض خطبه: أيها الناس إسمعوا قلوبي واعقلوه عني فإن الفراق قريب: أنا إمام
البرية ووصى خير الخليفة، وزوج سيدة نساء الأمة، وأبو العترة الطاهرة والأئمة الهادية.
أنا أخو رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيه ووليه، ووزيره وصاحبه وصفيه، وحببيه
وخليله أنا أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين وسيد الوصيين، حربي حرب الله،
وسلمى سلم الله، وطاعتي طاعة الله وولايتي ولاية الله، وشيعتي أولياء الله، وأنصاري
أنصار الله. والذي خلقني ولم أك شيئًا لقد علم المستحفظون من أصحاب محمد صلى
الله عليه وآله أن الناكثين والقاسطين والمارقين ملعونون على لسان النبي الأمي وقد
خاب من افتري).

**

علي عليه السلام يعيد العهد النبوي ويضمّد جراح العهد العثماني
عمل أمير المؤمنين عليه السلام في خلافته على جبهات متعددة، بفعالية عجيبة!
فعلى صعيد نقل عاصمة الخلافة إلى الكوفة: اتخذ إجراءات في تخطيط الكوفة وتنظيم
مجتمعها، وتعيين مسؤولين على أرباعها، وكان يعقد الجلسات مع فقهاء وزعمائها،
ويتجول في مناطقها، ويتفقد أسواقها ويوجه العاملين فيها.
وعلى صعيد الحريات العامة: أعاد حريات المسلمين المصادرة بعد النبي صلى الله عليه
 وآله وفي أولها حرية الرأي والتعبير، والامتناع عن البيعة، وحرية نقد الحكومة ونظام
الحكم ورئيسه، بل أعطى الحرية لمعارضيه الخوارج أن يتسلحوا ويتجمعوا في
معسكرات، وأعلن أنه لا ينقص أحدا منهم من حقه في بيت المال، ولا يتعرض لهم،
إلا إذا بدؤوا باعتداء، أو قتال!

وعلى صعيد تقسيم الثروة: طبق عليه السلام عدالة العهد النبوي، فساوى بين المسلمين
في العطاء وفرص العمل، وساوى بين نفسه وخادمه، فكان يشتري قميصين ويعطي قنبرا
أحسنهما، لأنه شاب والشاب يحب الزينة! (المناقب: ٢ / ٩٧).
وكان يقسم الغنائم، وما في بيت المال حتى يفرغه، ثم يصلي ركعتين ويقول: الحمد
لله الذي أخرجني منه كما دخلته. (المناقب: ١ / ٣٦٤).

وعلى صعيد العمال والضمان الاجتماعي: طبق العدالة النبوية، فشرع الضمان
الاجتماعي من بيت المال، وحكم به للمواطنين حتى اليهود والنصارى، فقد رأى شيخا
كبيرا يستعطي فقال: ما هذا؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين نصراني. فقال عليه السلام:
استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعموه! أنفقوا عليه من بيت المال). (التهذيب: ٦ /
٢٩٣، ونلاحظ أنه هذه البادرة من أمير المؤمنين عليه السلام في الضمان الاجتماعي
سرقها الرواة ونسبوها لعمر!).

وعلى صعيد تعيين ولاية الأمصار: قام باستبدال ولاية عثمان الأمويين، وأصدر

مراسيم عين بموجبها حكاما لآذربيجان، ومصر، واليمن، والمدينة، ومكة، والبصرة، وفتوح خراسان، والبحرين، وفتوح الهند، ومناطق أخرى من بلاد الدولة الإسلامية، فلم يكن خارجا عن سلطته إلا منطقة الشام.

وعلى صعيد منع الفساد الإداري ورقابة حكام الولايات: كان يتابع عماله ويراسلهم باستمرار، وأسس جهاز المراقبين، وطبقه بحزم على العمال، وعزل بعضهم كالأشعث بن قيس عن آذربيجان، وعاقب حاكم الأهواز وفضحه!

وأمر مالك الأشتر عندما ولاه مصر أن يشكل هذا الجهاز لمراقبة حكام المحافظات، فكتب له: (ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختاراً، ولا تولهم محاباة وأثرة، فإنهما جماع من شعب الجور والخيانة، وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة، والقدم في الإسلام المتقدمة، فإنهم أكرم أخلاقاً وأصح أعراضاً، وأقل في المطاعم إشرافاً، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً.

ثم أسبغ عليهم الأرزاق، فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك. ثم تفقد أعمالهم، وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك في السر لأموارهم حدوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية.

وتحفظ من الأعوان، فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك، اكتفيت بذلك شاهداً، فبسطت عليه العقوبة في بدنه، وأخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبته بمقام المذلة، ووسمته بالخيانة وقلدته عار التهمة). (نهج البلاغة: ٣ / ٩٥).

ووضع لنفسه ولحكام ولاياته برنامج سلوك، كشفت عنه رسالته إلى حاكم البصرة عثمان بن حنيف، عندما بلغه أنه دعي إلى وليمة رجل ثري فأجاب، فكتب إليه: (أما بعد يا ابن حنيف، فقد بلغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك

إلى مآدبة فأسرعت إليها، تستطاب لك الألوان، وتنقل إليك الجفان! وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفو، وغنيهم مدعو، فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه فاللفظه، وما أيقنت بطيب وجهه فنل منه. ألا وإن لكل مأموم إماما يقتدي به ويستضيئ بنور علمه. ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه. ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد، فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً، ولا ادخرت من غنائمها وفراً، ولا أعددت لبالي ثوبي طمرا، ولا حزت من أرضها شبراً، ولا أخذت منه إلا كقوت أتان دبيرة، ولهي في عيني أوهى من عفصة مقرة!

إلى أن قال عليه السلام: ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبنى هواي، ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع أو أبيت مبطانا وحولي بطون غرثي وأكباد حري؟ أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داء أن تبيت ببطنة* وحولك أكباد تحن إلى القد
أقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش! فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها، أو المرسلة شغلها تقممها، تكثرش من أعلافها وتلهو عما يراد بها. أو أترك سدى أو أهمل عابثاً، أو أجر حبل الضلالة، أو أعتسف طريق المتاهة.

وكأني بقائلكم يقول: إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران ومنازلة الشجعان! ألا وإن الشجرة البرية أصلب عوداً، والروائع الخضرة أرق جلوداً، والنباتات البدوية أقوى وقوداً وأبطأ خموداً، وأنا من رسول الله كالصنو من الصنو والذراع من العضد. والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها، ولو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت إليها، وسأجهد في أن أطهر الأرض من هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس، حتى تخرج المدرة من بين حب الحصيد.

إليك عني يا دنيا فحبلك على غاربك، قد انسلت من مخالبك، وأفلت من حباتك، واجتنبت الذهاب في مداحضك. أين القرون الذين غررتهم بمداعبك؟ أين الأمم الذين فتنتهم بزخارفك؟ ها هم رهائن القبور ومضامين اللحد. والله لو كنت شخصا مرثيا وقالبا حسيا لأقمت عليك حدود الله في عباد غررتهم بالأمانى، وأمم ألقيتهم في المهاوي، وملوك أسلمتهم إلى التلف، وأوردتهم موارد البلاء، إذ لا ورد ولا صدر. هيهات من وطأ دحضك زلق، ومن ركب لججك غرق، ومن أزور عن حباتك وفق، والسالم منك لا يبالي إن ضاق به مناخه، والدنيا عنده كيوم حان انسلاخه. أعزبي عني، فوالله لا أذل لك فتستذليني، ولا أسلس لك فتقوديني. وأيم الله يمينا أستثني فيها بمشيئة الله، لأروضن نفسي رياضة تهش معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوما، وتقنع بالملح مادوما، ولأدعن مقلتي كعين ماء نضب معينها، مستفرغة دموعها! أتمتلئ السائمة من رعيها فتبرك، وتشيع الربيضة من عشبها فتربض، ويأكل علي من زاده فيهجع! قرت إذا عينه إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعية. طوبى لنفس أدت إلى ربها فرضها، وعركت بجنبها بؤسها. وهجرت في الليل غمضها، حتى إذا غلب الكرى عليها افترشت أرضها وتوسدت كفها، في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم، وتجاft عن مضاجعهم جنوبهم، وهمهت بذكر ربهم شفاههم، وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم: أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون. فاتق الله يا ابن حنيف، ولتكفك أقراصك ليكون من النار خلاصك). (نهج البلاغة: ٣ / ٧٢)

وعلى صعيد الثقافة: ألغى علي عليه السلام حظر تدوين السنة الذي فرضه أبو بكر وعمر وعثمان، وأمر برواية السنة النبوية وتدوينها، وشجع عليه. وأطلق عليه السلام للعلماء والطلبة البحث في تفسير القرآن، وألغى المنع الذي فرضه عمر. كما أبعد عن المسلمين مصادر الكذب والتخريب الثقافي، من الحاخامات

والقساوسة وتلاميذهم، الذين قربهم عمر وعثمان وولاتهم، وأطلقوا أيديهم في تشويه ثقافة الإسلام، ونشر ثقافة اليهود والنصارى!
* *

إن تفصيل الكلام في أعماله عليه السلام وتوثيق مصادره يحتاج إلى أكثر من كتاب، فقد تنفس المسلمون في عهده عليه السلام وتنسموا نسيم رسول الله صلى الله عليه وآله وعدله، وصار حكم علي، وأحكام علي، وطريقة عمل علي، وكلمات علي، ومناقب علي وصفاته المميزة، صلوات الله عليه، مثلاً حياً للمسلمين، ونموذجاً طالب به كل الذين عانوا من ظلم بني أمية فيما بعد وثاروا عليه!
* *

الفصل السادس
استعدادات قريش لحرب صفين

(٢٦٥)

بعد حرب الجمل:

تجمعت قريش الطلقاء تحت قيادة معاوية لحرب علي عليه السلام! لا يمكن لباحث أن يفهم تاريخ الإسلام، سواء في عصر النبوة أو بعده، حتى يفهم التركيبة القبلية لقريش، وقوة تأثير الانتماء القبلي على سلوك أشخاصها ومواقفهم السياسية إلا من عصم الله! فعندما بعث النبي صلى الله عليه وآله كانت قريش أكثر من عشرين قبيلة صغيرة وكبيرة، وكان عدد نفوسها جميعا لا يزيد عن ثلاثين ألفا، وبعض القبائل صغيرة لا يزيد عددها عن مئتي نسمة أو ثلاث مئة، كبني تيم وعدي، قبيلتي أبي بكر وعمر.

فالقبايل المؤثرة معدودة، والباقون تابعون لها، فعندما بنت قريش الكعبة واختلفت من يضع الحجر الأسود في مكانه، مثلتها كلها خمس قبائل ورضي الجميع بها. ففي الكافي: ٤ / ٢١٨: (فلما بلغ البناء إلى موضع الحجر الأسود تشاجرت قريش في موضعه، فقال كل قبيلة نحن أولى به نحن نضعه، فلما كثر بينهم تراضوا بقضاء من يدخل من باب بني شيبعة، فطلع رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: هذا الأمين قد جاء فحكموه، فبسط رداءه، وقال بعضهم كساء طاروني كان له (يعني كساء خز) ووضع الحجر فيه ثم قال: يأتي من كل ربع من قريش رجل، فكانوا عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، والأسود بن المطلب من بني أسد بن عبد العزى، وأبو حذيفة بن المغيرة من بني مخزوم، وقيس بن عدي من بني سهم، فرفعوه ووضعوه النبي صلى الله عليه وآله في موضعه). انتهى.

وذكر المؤرخون والمحدثون ترتيب أهم قبائل قريش حسب ما رآه عمر، من أجل عطاءات الدولة وتحمل الدية كالتالي: ١ - بني هاشم وبني المطلب. ٢ - بني عبد شمس وبني نوفل. ٣ - بني أسد بن عبد العزى. ٤ - بني عبد الدار. ٥ - بني زهرة. ٦ - بني مخزوم، وألحق بهم بني تيم عشيرة أبي بكر. ٧ - بني سهم ولم يقبلوا بإلحاق بني عدي بهم. ٨ - بني جمح. ٩ - بني عامر بن لؤي أو بني فهر. ١٠ - بني عدي. (الشافعي في كتابه الأم: ٤ / ١٦٦).

وكانت قبائل العرب تحترم قريشا، لمكانة الكعبة عندها، وكان لها نفوذ فيها وتحالفات مع بعضها، من أبرزها تحالف بني هاشم مع خزاعة، وتحالف بني عبد الدار وعبد شمس مع كنانة. وتكشف رواية ابن سعد التالية عن نفوذ قبائل قريش المعادية للنبي صلى الله عليه وآله في قبائل العرب، حيث شاركت معها في معركة الأحزاب أو الخندق، قال في الطبقات: ٢ / ٦٦: (وتجهزت قريش وجمعوا أحابيشهم ومن تبعهم من العرب فكانوا أربعة آلاف، وعقدوا اللواء في دار الندوة، وحمله عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، وقادوا معهم ثلاثمائة فرس، وكان معهم ألف وخمسمائة بعير، وخرجوا يقودهم أبو سفيان بن حرب بن أمية ووافتهم بنو سليم بمر الظهران وهم سبعمائة يقودهم سفيان بن عبد شمس حليف حرب بن أمية، وهو أبو أبي الأعور السلمي الذي كان مع معاوية بصفين، وخرجت معهم بنو أسد يقودهم طلحة بن خويلد الأسدي، وخرجت فزارة فأوعبت وهم ألف بعير يقودهم عيينة بن حصن، وخرجت أشجع وهم أربعمائة يقودهم مسعود بن ربيعة، وخرجت بنو مرة وهم أربعمائة يقودهم الحارث بن عوف، وخرج معهم غيرهم... فكان جميع القوم الذين وافوا الخندق ممن ذكر من القبائل عشرة آلاف، وهم الأحزاب، وكانوا ثلاثة عساكر. وعناج الأمر (القيادة والإدارة العامة) إلى أبي سفيان بن حرب). انتهى.

هذه هي كل قريش، التي واجهت النبي صلى الله عليه وآله ووصفها الله تعالى في قرآنه بأنهم الفراعنة وجنودهم، وأئمة الكفر وأتباعهم! وأخبر بأن أكثرهم حق عليهم القول فلن يؤمنوا في المستقبل أبدا! (لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون. لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون). (سورة يس: ٦ - ٧)

وهذه هي قريش، التي حاربت النبي صلى الله عليه وآله وعترتة وأنصاره بكل ما استطاعت، حتى انتصر عليها ودخل مكة فاتحا، فدخلت في الإسلام مرغمة، ثم سيطرت على دولته بعد نبيه صلى الله عليه وآله وعزلت عترته عليهم السلام واضطهدتهم وشيعتهم إلى يومنا هذا!

وهذه هي قريش، التي صنعت تاريخ الإسلام الرسمي وأسست مذاهبه ودونت فقهه، وجعلت ولاية زعمائها جزء منه ربت عليه أجيال المسلمين إلى يومنا هذا!

* *

قريش المشركة نزلت كلها إلى ابن أبي سفيان في الشام!

تجمعت عند معاوية بن أبي سفيان كل قبائل الطلقاء، وهم نفس قبائل قريش المشركة المعادية تاريخيا للنبي صلى الله عليه وآله وبني هاشم، وفيهم عدد هم نفس الزعماء المشركين والطلاء السابقين، والباقون أولادهم وجنودهم! وقد نزحوا من مكة والمدينة بنسائهم وعيالهم إلى معاوية ابن قائلهم بالأمس أبي سفيان، ووزيره يومذاك، وخليفته اليوم!

قال التستري في الصوارم المهركة ص ٧٤: (في الفتوح وغيره أنه في حرب صفين كان من قريش مع علي عليه السلام خمسة نفر وهم..... وكان مع معاوية ثلاث عشر قبيلة من قريش، مع أهلهم وعيالهم). انتهى.

وفي اختيار معرفة الرجال: ١ / ٢٨١: عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (كان مع أمير

المؤمنين عليه السلام من قريش خمسة نفر، وكانت ثلاثة عشر قبيلة مع معاوية! فأما الخمسة فمحمد بن أبي بكر رحمة الله عليه، أخته النجابة من قبل أمه أسماء بنت عميس، وكان معه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص المرقال، وكان معه جعدة بن هبيرة المخزومي، وكان أمير المؤمنين عليه السلام خاله وهو الذي قال له عتبة بن أبي سفيان: إنما لك هذه الشدة في الحرب من قبل خالك! فقال له جعدة: لو كان خالك مثل خالي لنسيت أباك! ومحمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة، والخامس سلف أمير المؤمنين ابن أبي العاص بن ربيعة، وهو صهر النبي صلى الله عليه وآله أبو الربيع). انتهى.

والثلاث عشرة قبيلة هي كل قريش، فلا ثقل ولا عدد في قبائلها الباقية! وتجمعها ضد علي عليه السلام وبني هاشم، هو نفس تجمعها ضد النبي صلى الله عليه وآله! فقد كان القرشيون يفكرون أنهم فوجئوا بنتائج ثورة الصحابة على عثمان ووصول الخلافة إلى بني هاشم، وأن هذا خطأ تاريخي يجب على قريش أن تصححه! كانوا يرون أن سهيل بن عمرو وأبا بكر وعمر وزعماءهم في زمن النبي صلى الله عليه وآله كانوا أكثر يقظة حيث منعوا النبي صلى الله عليه وآله من كتابة عهده بالخلافة لأهل بيته بني هاشم، وبذلك ضمنوا الخلافة لقريش، وعزلوا بني هاشم. لكن طلحة والزبير كانا غبيين إذ سمحا ببيعة الصحابة لعلي عليه السلام بعد عثمان، بل كانا أول المبايعين!

ولهذا سارعت قريش لإجابة دعوة عائشة وطلحة والزبير لحرب علي عليه السلام وإسقاط حكمه، وخاضوا ضده حرب الجمل الشرسة لسبعة أيام متوالية! ولئن انهزموا في حرب الجمل، فيجب أن يخوضوا حرباً جديدة بقيادة معاوية وينتصروا، ويجب أن تكون قيادة قريش لبني أمية، فهم قادة قريش التاريخيون وهم خير من بني هاشم، أما ما يقوله المسلمون عن عثمان فهو كذب، فعثمان

خليفة شرعي بنص عمر بن الخطاب، وقد قتل مظلوما وشاركت هاشم في قتله!
**

وفي المقابل تجمع مع علي عليه السلام الصحابة البديون، وكل الأنصار وبني هاشم!
وبذلك عاد بنو هاشم وبنو أمية وحدهما قطبي صراع الخير والشر، والهدى والضلال..
إلى يومنا هذا، والى ظهور الإمام المهدي الموعود عليه السلام!
فمن عجائب التاريخ أن الجهود الضخمة التي بذلها سهيل بن عمرو وأبو بكر وعمر
وبقية زعماء قريش، لنزع الخلافة من بني هاشم، وجعلها تدور بين قبائل قريش حسب
تصورهم، لم تكن نتيجتها إلا نقل الخلافة من بني هاشم غنيمة باردة إلى بني أمية! ولم
يكن سهم القبائل الأخرى منها إلا سهم أبي بكر سنتين وسهم عمر عشر سنوات!
شبيها بسهم المحلل للزوجة المطلقة ثلاثا! فقد عادت
قيادة الصراع بقيادة بني أمية وبني هاشم! وعاد عناج أمر قريش إلى أمية!
وصدق الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله حيث أخبر الأمة وحذرها من أن قريشا
ستسيطر على دولة الإسلام وتنحرف بها، إلى أن تضعف وتنهار! وأن عترته ستلاقي
منها الظلم! وأن الطرف المقابل لهم في المستقبل إنما هم بنو أمية!
**

كانت خلافة علي عليه السلام خمس سنين، واجهوه فيها بثلاث حروب! انتصر في
اثنتين منها، وتعادل في الثالثة، وكان يستعد لمعاودتها، فاستشهد عليه السلام!
واستطاع صلوات الله عليه أن يحقق في خلافته وحروبه، وما بينها، نموذجا في السلم
والحرب، ومثلا في العدل، سمته الأمة: حكم علي، وبقي حيا في ضميرها، يطالب به
عقلاؤها، ويرفع شعاره ثوارها، تطلعا إلى العهد النبوي!
لو سألنا القرشيين: لماذا ثلاثة حروب كبيرة على خليفة بايعوه هم بحريتهم؟!!

فالجواب: أن الصحابة اختاروه في موجة غضبهم على عثمان، واضطرت قريش أن ترضى به وتبايعه، لكنها الآن ندمت وأفقت!!
نعم، أفقت قريش على أنها هزمت أربع مرات:
أولها عندما نقم الصحابة والتابعون على خلافة عثمان بن عفان، فثاروا عليه وقتلوه، وبذلك هزموا نظام حكم قبائل قريش المتحالفة ضد العترة النبوية!
ثم هزمت زعامة قريش ثانية ببيعتهم لعلي عليه السلام وإعراضهم عن طلحة والزبير!
ثم هزمهم علي عليه السلام ثالثة، بانتصاره الكاسح على جيش الجمل القرشي!
ثم هزمهم علي عليه السلام رابعة عندما أخذ يعمل جادا لإعادة عهد النبي وعترته صلى الله عليه وآله، ويستبعد الحكام القرشيين الفاسدين، ويعين بدلهم صحابة صالحين من الأنصار والمهاجرين، ويلغي امتيازات أبناء بطون قريش في الفتوحات والتجارات، ويساوي بينهم وبين كافة المسلمين أحمرهم وأسودهم!
فهل تسكت قريش وتهدأ؟! وهل هدأت على رسول الله صلى الله عليه وآله بعد فتح مكة، حتى تهدأ على ابن عمه ووصيه علي عليه السلام؟!
وكيف تهدأ، والشام بيدها، وابنها معاوية خاتل في كمينه فيها يرقب الأحداث، منذ الحصار الأول لعثمان، إلى حصاره الثاني، إلى خروج عائشة وطلحة والزبير للحرب، ولم يتدخل رغم استغاثة عثمان به وهو محاصر!
قال الحافظ محمد عجيل في النصائح الكافية لمن يتولى معاوية ص ٤٠: (ذكر أهل السير، واللفظ للبلاذري، أن معاوية لما استصرخه عثمان ثقائل عنه، وهو في ذلك يعده، حتى إذا اشتد به الحصار، بعث إليه يزيد بن أسد القسري وقال له: إذا أتيت ذا خشب فأقم بها، ولا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فأنا الشاهد وأنت الغائب! قالوا: فأقام بذي خشب حتى قتل عثمان، فاستقدمه حينئذ معاوية

فعاد إلى الشام بالجيش الذي كان معه! فكان في الظاهر نصرة لعثمان يبعث الجيش وهو في الحقيقة خذلان له لحبسه الجيش كي يقتل عثمان فيدعو إلى نفسه كما وقع بالفعل!! انتهى.

وفي تاريخ المدينة لابن شبة: ٤ / ١٢٨٨، بسنده عن جويرية: (أرسل عثمان إلى معاوية يستمده، فبعث معاوية يزيد بن أسد جد خالد القسري وقال له: إذا أتيت ذا خشب فأقم بها ولا تتجاوزها، ولا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب قال: أنا الشاهد وأنت الغائب. فأقام بذئ خشب حتى قتل عثمان! فقلت لجويرية: لم صنع هذا؟ قال: صنعه عمدا ليقتل عثمان فيدعو إلى نفسه!! انتهى.

ولم يكن حظ عائشة من استنصار معاوية بأحسن من حظ عثمان، وإن كانت أقل حاجة إلى جيشه من عثمان! فقد قال لها عمرو بن العاص بعد هزيمتها: (لوددت أنك قتلت يوم الجمل! قالت: ولم لا أبا لك! قال: كنت تموتين بأجلك وتدخلين الجنة ونجعلك أكبر التشيع على علي بن أبي طالب!) (شرح النهج: ٦ / ٣٢٢).
أما بعد حرب الجمل، فقد أجمعت قريش الطلقاء على تسليم عناق أمرها إلى معاوية، فما عليه إلا أن يستعد لحرب علي عليه السلام، وهذه أفلاذ أكبادها من كل القبائل غير بني هاشم، أخذت تتوافد عليه وتنضم إلى معسكره!
وفي المقابل كان بقية الصحابة الأبرار من المهاجرين والأنصار، يقفون إلى جنب علي عليه السلام ويتوافدون إلى معسكره.

وقد سأل معاوية عقيل بن أبي طالب عن رأيه في معسكره بصفين ومعسكر أخيه علي عليه السلام؟ فقال عقيل رحمه الله: (مررت على عسكر علي فإذا ليل كليل النبي ونهار كنهار النبي إلا أن رسول الله صلى الله عليه وآله ليس فيهم! ومررت على عسكرك فإذا

أول من استقبلني أبو الأعور وطائفة من المنافقين والمنفرين برسول الله صلى الله عليه وآله إلا أن أبا سفيان ليس فيهم!) (الغارات للثقفى: ٢ / ٩٣٦، وأمالى الطوسي ص ٧٢٤).

ومعنى قول عقيل: (المنافقين المنفرين برسول الله صلى الله عليه وآله): القرشيين الذين تآمروا على قتل النبي صلى الله عليه وآله ليلة العقبة، عندما كان عائدا بجيشه من غزوة تبوك، وعرفوا أن الجيش سيمر من طريق حول الجبل، وأن النبي صلى الله عليه وآله سيمر من طريق مختصر في الجبل، فدبروا مؤامرة اغتياله وكانوا سبعة عشر منافقا، وصعدوا ليلا إلى الجبل وكمنوا في مكان مشرف على طريق العقبة ولما وصل النبي صلى الله عليه وآله دحرجوا الصخور الضخمة عليه فجفلت ناقته وأنجاه الله من شرهم، وأضياء الجبل وكشفهم، فعرفهم النبي صلى الله عليه وآله لحذيفة وعمار اللذين كانا معه، فهربوا وغيبوا أنفسهم في الجيش! وكنتم النبي صلى الله عليه وآله أسماءهم حتى لا تأخذ قريش العزة بالإثم وتعلن ردتها عن الإسلام!

**

الفصل السابع
خلاصة حرب صفين

(٢٧٥)

سعة حرب صفين وكثرة أخبارها
دون المحدثون والمؤرخون القدماء والجدد، مؤلفات خاصة بكل من حرب الجمل
وصفين والنهروان، كما قام الباحث السيد جعفر مرتضى أخيراً بدراسة الخوارج في
مجلدين، باسم (علي عليه السلام والخوارج).
وغرضنا هنا أن نسجل عنها صورة تبين معالم نبل أمير المؤمنين عليه السلام وبقية العترة
الطاهرة عليهم السلام وشيعتهم الأبرار، وظلامتهم على يد قريش الطلقاء وأتباعهم!
وقد رأينا كيف سارعت قريش إلى نقض بيعتها لعلي عليه السلام وأعلنت خروجها
عليه، لا لسبب إلا لأنه علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم!
وكيف استطاع طلحة زعيم تيم، والزبير زعيم عبد العزى، أن يقنعا عائشة، أو
استطاعت هي أن تقنعهما، بوجوب حرب علي عليه السلام قبل أن يثبت نظام حكمه!
وانهزم أصحاب الجمل وانتهت قيادتهم لكن قريشا لم تقبل بخلافة علي عليه السلام!
فسرعان ما جمعت فلولها عند معاوية، وشجعتة على فتح حرب جديدة أكبر وأطول
ضد خلافة بني هاشم! فكانت حرب صفين الكبرى، التي وقعت قرب الحدود السورية
العراقية، وكادت أن تختتم بنصر علي عليه السلام وهزيمة معاوية، لولا أن قسما من
جيش علي عليه السلام، هم الخوارج فيما بعد، أصرروا عليه أن يقبل الهدنة وتحكيم
حكيمين، عندما رفع معاوية المصاحف طالبا إيقاف القتال!
ثم سرعان ما ندم الخوارج وقالوا لقد كفرنا بقبولنا تحكيم الرجال في دين الله!
وخرجوا على علي عليه السلام مطالبين أن يعترف بأنه كفر لقبوله رأيهم في التحكيم!!

حرية الناس أصل عند أمير المؤمنين عليه السلام وإن أساءوا استغلالها!
كان عمرو بن حريث شابا قرشيا مترفا، في الثلاثينات من عمره، فقد كان ابن ست
سنين عند فتح مكة، وهو مخزومي من قبيلة أبي جهل وخالد بن الوليد، وكان من
رجال دولة بني أمية في الكوفة.

ولم يجبره أمير المؤمنين عليه السلام على بيعته، بل بايعه مختارا كغيره من كبار موظفي
عثمان. ولم يجبره على القتال معه في حرب الجمل أو صفين، لكنه تهيأ مع المستنفرين
إلى صفين، وكان له (شلة) أصدقاء من نوعه كالأشعث بن قيس وشبث بن ربعي،
وحجر بن حجر، وجريير بن عبد الله النخعي، فقالوا لبعضهم إن الناس يسرون يوم
الأحد ونحن على خيولنا، فلنتأخر عنهم أياما، ثم نتحقق بهم في المدائن قبل صلاة
الجمعة!

فخرجوا للنزهة والصيد وشرب الخمر في شاطئ الفرات بالحيرة، وكان مركزهم في
قصر الخورنق قرب النجف، قصر الأشعث بن قيس رئيس كندة.

(عن الأصبغ بن نباتة قال: أمرنا أمير المؤمنين عليه السلام بالمسير إلى المدائن من
الكوفة فسرنا يوم الأحد، وتخلف عمرو بن حريث في سبعة نفر فخرجوا إلى مكان
بالحيرة يسمى الخورنق فقالوا: نتنزه فإذا كان يوم الأربعاء خرجنا فلاحقنا عليا قبل أن
يجمع، فبينما هم يتغذون إذ خرج عليهم ضب فصادوه، فأخذه عمرو بن حريث فنصب
كفه وقال: بايعوا هذا أمير المؤمنين فبايعه السبعة وعمرو ثامنهم، وارتحلوا ليلة الأربعاء
فقدموا المدائن يوم الجمعة وأمير المؤمنين عليه السلام يخطب، ولم يفارق بعضهم
بعضا وكانوا جميعا حتى نزلوا على باب المسجد، فلما دخلوا نظر إليهم أمير المؤمنين
عليه السلام فقال: يا أيها الناس إن

رسول الله صلى الله عليه وآله أسر إلي ألف حديث في كل حديث ألف باب لكل باب ألف مفتاح، وإني سمعت الله جل جلاله يقول: يوم ندعو كل أناس بإمامهم، وإني أقسم لكم بالله ليعثن يوم القيامة ثمانية نفر يدعون بإمامهم وهو ضب ولو شئت أن أسميهم لفعلت! قال: فلقد رأيت عمرو بن حريث قد سقط كما تسقط السعفة حياء ولوما!) (الخصال ص ٦٤٤، وبصائر الدرجات ص ٣٢٦).

وفي الهداية الكبرى للخصيبي ص ١٣٤: (وخرج القوم إلى الخندق وذهبوا معهم سفرة وبسطوا في الموضع وجلسوا يشربون الخمر، فمر بهم ضب فأمروا غلمانهم فصادوه لهم وأتوهم به، فخلعوا أمير المؤمنين وبايعوا الضب وبسطوا يده، وقالوا له: أنت والله إمامنا ما بيعتنا لك ولعلي بن أبي طالب إلا واحدة، وإنك لأحب إلينا منه!) انتهى.

أقول: يظهر أولاً، أن هذه الصيغة لحديث الألف باب من العلم، من أدق الصيغ فالأحاديث التي علمه إياها النبي صلى الله عليه وآله أو الموضوعات: ألف حديث، وفي كل حديث منها ألف باب، ولكل باب ألف مفتاح! وكلها سر لا يمكن للإنسان العادي أن يستوعبها، أو يؤتمن عليها ولا يسئ استعمالها! فهذا المستوى من القدرة على الاستيعاب، والأمانة والتحمل، لا يتحقق إلا في أناس نادرين، يصير أحدهم أهلاً لأن يصطفيه الله تعالى، فيطور قدراته العقلية والنفسية، ويضع في شخصيته جنبه ملائكية يتلقى بها هذه العلوم!

وعندما يعطيه هذه العلوم يجعل معه ملائكة يحفظونها ويحفظونه، ليعيش حياته الطبيعية بالعلم الظاهري، ويستعمل طرفاً من العلم اللدني في وقته المناسب! وهذا هو معنى قوله تعالى: عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً. إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً. (الجن: ٢٦ - ٢٧)

ويظهر ثانياً، مقام النبي صلى الله عليه وآله وما أعطاه ربه عز وجل، وأنه فوق تصور أذهاننا

وإدراك عقولنا! فقد استطاع أن يلقي تلك العلوم لعلي عليه السلام في جلسة واحدة، لم تزد على ساعة أو ساعتين، فقد روى المسلمون أن هذا الحديث كانت في مرض وفاته صلى الله عليه وآله، وأنه دعا عليا عليه السلام وناجاه بمفرده طويلا، وكان المسلمون ينتظرونه خارج الغرفة! وهذا مقام يشبه مقام جبرئيل عليه السلام في تلقيه النبي صلى الله عليه وآله!!

ويظهر ثالثا، من نصوص الألف باب أن جزء منها علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب، فهي إذن أعظم من ذلك.

ويظهر أن هذه المعجزة التي أظهرها علي عليه السلام في ابن حريث وأصحابه، أنها إحدى ثمرات الألف باب، وأن باستطاعته عليه السلام وهو يخطب على منبر المدائن أن يوجه نفسه الشريفة لمعرفة حال عمرو بن حريث وحزبه، الذين وصلوا لتوهم من الكوفة، فيريه الله تعالى سبب تأخرهم، ومشهدهم عندما أخذ ابن حريث يد الضب وأعلن خلع علي عليه السلام وبيعة الضب أميرا لهم، وطلب منهم أن يبايعوه بإمرة المؤمنين، فبايعوه كلهم سخرية بأمر المؤمنين والدين!

ثم يريه الله تعالى مشهد هؤلاء في المحشر يوم يدعو كل أناس بإمامهم، وأنهم يدعون وإمامهم الضب الذي بايعوه!!

ويظهر رابعا، أن تأثير هذه المعجزة وأمثالها من أمير المؤمنين عليه السلام كان بليغا في إفحام المنافقين وخشوع المؤمنين! ولكن المنافقين كانوا مع ذلك يتمادون في عنادهم! وهذه سنة الله تعالى، فقد واجهت قريش معجزات النبي صلى الله عليه وآله بالقول إنها سحر، وإن بني عبد المطلب كلهم سحرة!! وكذلك واجه أبناءهم وأتباعهم عترة النبي صلى الله عليه وآله! فكان الأشعث بن قيس يقول لمعاوية إن عليا ساحر كذاب! *

ويلاحظ أخيرا وأولا، أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يتخذ أي إجراء ضد ابن حريث وجماعته! ولعله اعتبر عملهم من ناحية حقوقية عملا أستسروا به،

فعقوبتهم عليه كشفهم فقط! أما مقاضاتهم فلا تصح إلا على ما أعلنوه، أو أضروا به الآخرين! (راجع أحاديث الألف باب من العلم في: بصائر الدرجات ص ٣٢٥، و ٣٣٣، و ٣٣٤، و ٤١١، والكافي: ١ / ٩٦، و ٧٩٢، والخصال للصدوق ص ٦٤٣، ونفحات الأزهار: ١٤ / ٢٤٩ وما بعدها، ومواقف الشيعة: ٣ / ١١٦. ومن مصادر غيرنا: كنز العمال: ١٣ / ١١٤، وفتح الملك العلي ص ٤٨، وتاريخ دمشق: ٤٢ / ٣٨٥، وقد حاولوا تضييف الحديث فلم يجدوا إلا تضييف بعضهم لابن لهيعة بدون حجة إلا تهمته بالتشيع! مع أن العديد منهم وثقوه ورووا عنه. كما روت صحاحهم أصل هذا الحديث مبتورا وبقي منه فيها أن النبي صلى الله عليه وآله قال ادعوا لي عليا عليه السلام فدعت عائشة أباهما ودعت حفصة أباهما! فنظر اليهما وأعرض عنها.. إلى آخره: كما في مسند أحمد: ١ / ٣٥٦، وابن ماجه: ١ / ٣٩١، وغيرهما).
**

السماحة وبذل الماء والطعام في بني هاشم
والضد في بني أمية وقريش!

قال نبي الله إبراهيم عليه السلام: ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند
بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من
الثمرات لعلهم يشكرون. (إبراهيم: ٣٧)، فأعطاهم الله سقيا زمزم في مكة، وجبل
الطائف!

وبعد ثلاثة آلاف سنة، كانت زمزم غارت وضاعت، فأعطاها الله ثانية هدية لوارث
إبراهيم عليه السلام، عبد المطلب رضي الله عنه، مقدمة لبعثة سيد الرسل صلى الله عليه
وآله!

فقد أراه الله بئر زمزم في المنام، فحفرها عبد المطلب مع أولاده، وأهل مكة يسخرون
من عملهم! حتى إذا انفجر نبعها طمعت فيها قريش فنازعوه فيها فغلبهم عبد المطلب،
لكنه بذل ماءها للناس! وصار بنو عبد المطلب سقاة قريش والحجيج! كما كانوا من
زمن هاشم أهل الرفادة وإطعام الحجيج!

وعندما حاصر المسلمون عثمان لأكثر من شهر، ومنعوا عنه الماء بأمر طلحة التيمي!
أرسل علي ولديه الحسن والحسين عليهم السلام بقرب الماء إلى دار الخلافة،
ففكوا الحصار وسقوا عثمان ومن معه! (تاريخ الطبري: ٣ / ٤١٦، وغيره).
وفي أمالي الطوسي ص ٧١٥: (وقيل لعلي عليه السلام إن عثمان قد منع الماء، فأمر
بالروايا فعكمت، وجاء للناس علي عليه السلام فصاح بهم صيحة فانفرجوا، فدخلت
الروايا، فلما رأى علي عليه السلام اجتماع الناس ووجوههم، دخل على طلحة بن عبيد
الله وهو متكئ على وسائد فقال له: إن هذا الرجل مقتول فامنعوه. فقال: أما والله دون
أن تعطي بنو أمية الحق من أنفسها!!

وعندما ثار أهل المدينة على يزيد بعد مجزرة كربلاء، وأرادوا قتل الوالي ورجال الدولة من بني أمية، أخذ رجالهم بالهرب من المدينة، وبحثوا عمن يأوي نساءهم وأطفالهم، فأواهم الإمام زين العابدين عليه السلام وأطعمهم وسقاهم كعائلته، وحماهم حتى بلغهم مأمهم! قال الطبري في تاريخه: ٤ / ٣٧٢: (وقد كان علي بن الحسين لما خرج بنو أمية نحو الشام (أي هربوا بسبب ثورة أهل المدينة عليهم) أوى إليه ثقل مروان بن الحكم وامراته عائشة بنت عثمان بن عفان، وهي أم أبان بن مروان! وقد حدثت عن محمد بن سعد عن محمد بن عمر قال: لما أخرج أهل المدينة عثمان بن محمد من المدينة كلم مروان بن الحكم ابن عمر أن يغيب أهله عنده فأبى ابن عمر أن يفعل! وكلم علي بن الحسين وقال: يا أبا الحسن إن لي رحما وحرمي تكون مع حرمك فقال: أفعل، فبعث بحرمه إلى علي بن الحسين، فخرج بحرمه وحرم مروان حتى وضعهم بينبع). انتهى.

فالسماحة والبذل والنبيل والشهامة وأخواتها من الصفات الإنسانية، خلق ودين في بني هاشم. والصفات المضادة للقيم الإنسانية طبع في بني أمية وقريش! وقد جسدت كربلاء أعلى الدرجات في هؤلاء، وأحط الدرجات في أولئك! *

وقبل كربلاء أيضا، كانت هذه الحادثة بين علي عليه السلام ومعاوية في صفين. فقد وصل جيش معاوية إليها قبل جيش علي عليه السلام، وماء الفرات في أرض صفين سهل التناول، بينما يصعب الاستقاء من غيرها لعمق مجرى النهر أو وعورته. ولذا بادر معاوية فحمى أماكن الورود ليمنع عليا عليه السلام وأنصاره منه، ليموتوا عطشا بظنه! وجرت بينهم مداولات فأصر معاوية على منعهم، فحمل جيش علي عليه السلام وحرروا الفرات، لكن عليا عليه السلام بذله لهم لأن الناس في الماء والكأ والنار سواء!

في نهج السعادة: ٢ / ١٤٩: (فوفى صفين قبل مجئ علي عليه السلام فعسكر في موضع سهل على شريعة، لم يكن على الفرات في ذلك الموضع أسهل منها للورود على الماء، وما عداها أخراق عالية ومواضع إلى الماء وعرة، ووكل أبا الأعور السلمي بالشريعة مع أربعين ألفا... وأخذوا الشريعة فهي في أيديهم، وقد صف أبو الأعور عليها الخيل والرجالة وقدم المرامية ومعهم أصحاب الرماح والدرق، وعلى رؤوسهم البيض، وقد أجمعوا أن يمنعونا الماء، ففزعنا إلى أمير المؤمنين فأخبرناه بذلك فدعا صعصعة بن صوحان فقال: إئت معاوية فقل إنا سرنا مسيرنا هذا، وأنا أكره قتالكم قبل الأعذار إليكم، وإنك قد قدمت بخيلك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك وبدأتنا بالقتال، ونحن من رأينا الكف حتى ندعوك ونحتج عليك، وهذه أخرى قد فعلتموها حتى حلتم بين الناس وبين الماء، فخل بينهم وبينه حتى نظر فيما بيننا وبينكم، وفيما قدمنا له وقدمتم. وإن كان أحب إليك أن ندع ما جئنا له وندع الناس يقتتلون على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب، فعلنا. فأجابه معاوية: لا سقاني الله ولا سقى أبا سفيان إن شربتم منه أبدا حتى تقتلوا بأجمعكم عليه!! قال نصر...: فبقي أصحاب علي يوما وليلة بلا ماء.... قال: خطب علي عليه السلام يوم الماء فقال: أما بعد فإن القوم قد بدؤوكم بالظلم، وفاتحوكم بالبغي واستقبلوكم بالعدوان، وقد استطعموكم القتال حيث منعوكم الماء، فأقروا على مذلة وتأخير محلة، أو رووا السيوف من الدماء ترووا من الماء، فالموت في حياتكم مقهورين والحياة في موتكم قاهرين. ألا وإن معاوية قاد لمة من الغواة، وعمس عليهم الخبر، حتى جعلوا نحورهم أغراض المنية). انتهى.

وفي البحار: ٣٢ / ٤٣٩، عن نسخة نصر بن مزاحم الصحيحة عنده: (قال عبد الله بن عوف: فوالله ما راعنا إلا تسوية الرجال والصفوف والخيل، فأرسل إلى أبي الأعور أمنعهم الماء، فازدلفنا والله إليهم فارتمينا وأطعنا بالرماح واضطربنا

بالسيوف فطال ذلك بيننا وبينهم حتى صار الماء في أيدينا فقلنا: لا والله لا نسقيهم! فأرسل علي أن خذوا من الماء حاجتكم وارجعوا معسكركم، واخلوا بينهم وبين الماء، فإن الله قد نصركم عليهم بغيهم وظلمهم....

قال: ولما غلب أهل الشام على الفرات فرحوا بالغلبة وقال معاوية: يا أهل الشام هذا والله أول الظفر لا سقاني الله ولا أبا سفيان إن شربوا منه أبدا حتى يقتلوا بأجمعهم عليه، وتباشر أهل الشام. فقام إلى معاوية رجل من أهل الشام همداني ناسك يقال له المعري بن الأقبل فقال: يا معاوية سبحان الله الآن سبقتم القوم إلى الفرات تمنعونهم الماء؟ أما والله لو سبقتكم إليه لسبقتكم منه، أليس أعظم ما تنالون من القوم أن تمنعونهم فريضة من الفرات فينزلون على فريضة أخرى فيجازونكم بما صنعتم! أما تعلمون أن فيهم العبد والأمة والأجير والضعيف ومن لا ذنب له؟ هذا والله أول الجهل! فأغلظ له معاوية! قال نصر: ثم سار الرجل الهمداني في سواد الليل حتى لحق بعلي، ومكث أصحاب علي بغير ماء واغتم عليه السلام بما فيه أهل العراق من العطش فأتى الأشعث عليا فقال: يا أمير المؤمنين أيمنعنا القوم ماء الفرات وأنت فينا والسيوف في أيدينا! خل عنا وعن القوم، فوالله لا نرجع حتى نرده أو نموت، ومر الأشعث يعلو بخيله ويقف حيث تأمر. فقال علي: ذاك إليكم. فنادى الأشعث في الناس من كان يريد الماء أو الموت فميعاده موضع كذا فإني ناهض، فأتاه اثنا عشر ألفا من كندة وأفناء قحطان واضعي سيوفهم على عواتقهم، فشد عليه سلاحه ونهض بهم حتى كاد أن يخالط أهل الشام، وجعل يلقي رمحه ويقول لأصحابه: بأبي وأمي وأنتم تقدموا إليهم قاب رمحي هذا، فلم يزل ذلك دأبه حتى خالط القوم وحسر عن رأسه ونادى: أنا الأشعث بن قيس خلوا عن الماء! فنادى أبو الأعور: أما والله حتى

تأخذنا وإياكم السيوف، فقال الأشعث: قد والله أظنها دنت منا ومنكم. وكان الأشتر قد تعالى بخيله حيث أمره علي فبعث إليه الأشعث: أقحم الخيل فأقحمها حتى وضعت بسنابكها في الفرات وأخذت أهل الشام السيوف فولوا مدبرين.... قال نصر: فروى لنا عمر بن سعد أن عليا قال ذاك اليوم: هذا يوم نصرتم فيه بالحمية). انتهى.

وفي شرح النهج: ١ / ٢٣: (وحمل على عساكر معاوية حملات كثيفة، حتى أزالهم.... وصار أصحاب معاوية في الفلاة لا ماء لهم، فقال له أصحابه وشيعته: أمنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوك ولا تسقهم منه قطرة، واقتلهم بسيوف العطش، وخذهم قبضا بالأيدي فلا حاجة لك إلى الحرب، فقال: لا والله لا أكافئهم بمثل فعلهم، أفسحوا لهم عن بعض الشريعة، ففي حد السيف ما يغني عن ذلك. فهذه إن نسبتها إلى الحلم والصفح فناهيك بها جمالا وحسنا، وإن نسبتها إلى الدين والورع فأخلق بمثلها أن تصدر عن مثله عليه السلام).

وكانت أخلاق علي عليه السلام معروفة لأعدائه، فقد روى نصر بن مزاحم ص ١٨٥، أن ابن العاص قال: يا معاوية ما ظنك بالقوم إن منعوك الماء اليوم كما منعتهم أمس، أتراك تضاربهم عليه كما ضاربوك عليه؟ قال: دع عنك ما مضى منه ما ظنك بعلي؟ قال: ظني أنه لا يستحل منك ما استحلت منه وأن الذي جاء له غير الماء! *

سياسة أمير المؤمنين في إتمام الحجّة على أعدائه
ربما زادت الرسائل المتبادلة بين علي عليه السلام ومعاوية على عشرين رسالة، مع أن
المدة الفاصلة بين بيعته بالخلافة وبين حرب صفين كانت نحو سنة! وقد اشتهر اسم
جرير بن عبد الله البجلي، الصحابي الذي كان مبعوثه إلى معاوية.
ومن المفيد أن يقوم أحد بجمع نصوص الرسائل والمحادثات، التي جرت بين علي عليه
السلام وأعدائه: معاوية، والخوارج، وطلحة والزبير وعائشة، وفي المصادر كثير منها،
فيدرسها من حيث العدد والتوقيت والمضامين، لتوضيح وحدة وجه الحق عند علي عليه
السلام والنبى صلى الله عليه وآله، ووحدة سياستهما في إتمام الحجّة!
فالقضية عند النبي صلى الله عليه وآله وأمر المؤمنين عليه السلام ليست خصومة، ولا
قتالا من أجل الغلبة والسلطة، بل قضية دقيقة ومسؤولية شرعية أمام الله تعالى، لا بد
فيها من الإعذار في دعوة الخصم إلى الحق وإتمام الحجّة عليه، كما لا بد من توجيه
المقاتلين لأن تكون دوافعهم ونياتهم لنصرة الله تعالى، وليس للحمية والغلبة والتعصب
لقائدهم وقبيلتهم وبلدهم.
وقد تقدم آنفا قول أمير المؤمنين عليه السلام لجيشه عندما قاتلوا جيش معاوية على
الماء: (هذا يوم نصرتم فيه بالحمية) فالقضية عنده عليه السلام ليست من يشرب من
الفرات بل من يشرب من الكوثر، وهو الذي يقاتل لله تعالى لا لشخصه وقومه!
وكذلك قوله عليه السلام لصعصعة عندما بعثه إلى معاوية: (إئت معاوية فقل إنا سرنا
مسيرنا هذا، وأنا أكره قتالكم قبل الإعذار إليكم، وإنك قد قدمت بخيلك فقاتلتنا قبل
أن نقاتلك وبدأتنا بالقتال، ونحن من رأينا الكف حتى ندعوك ونحتج عليك).
ومما نلاحظه أن أمير المؤمنين عليه السلام وقت وصول جيشه إلى صفين قرب شهر
محرم الحرام، الذي هو هدنة إجبارية لحرمة القتال فيه، وذلك من أجل إتمام

الحجة على معاوية وأهل الشام، ورفع مستوى أصحابه ليكون قتالهم لهم خالصا لله تعالى، بعيدا عن التعصب للعراق والشام وشخص علي ومعاوية. وهذا الأسلوب المتأني من أمير المؤمنين عليه السلام لم يعجب كثيرين من جيشه فاشتكوا من تأخير القتال، بل تجرأ الخشنون منهم وكانوا كثرة، فأشاعوا أن عليا يكره الموت! وأنه يشك في مشروعية قتال أهل الشام! ففي نهج البلاغة: ١ / ١٠٤: (ومن كلام له عليه السلام وقد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين: أما قولكم أكل ذلك كراهية الموت؟ فوالله ما أبالي أدخلت إلي الموت أو خرج الموت إلي. وأما قولكم شكنا في أهل الشام، فوالله ما دفعت الحرب يوما إلا وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي وتعشو إلي ضوئي، وذلك أحب إلي من أن أقتلها على ضلالها وإن كانت تبوء بأثامها). * *

وقد استعمل علي عليه السلام أسلوبه الخاص في إتمام الحجة، ليثبت لمن كان له قلب أن معاوية على الباطل، وأنه نفسه يعرف ذلك! فدعا معاوية مرارا أن يجنب المسلمين المعركة، وأن يبارزه شخصيا، لتكون المبارزة مباحلة أمام الله تعالى لينصر المحق ويقتل المبطل منهما! فقد كتب إليه ذلك في رسائله، وبعث إليه مع مبعوثيه، ونادى به في مقاطع من الحرب في صفين! كتب له كما في نهج البلاغة: ٣ / ١١: (وقد دعوت إلى الحرب، فدع الناس جانبا واخرج إلي وأعف الفريقين من القتال، ليعلم أينا المرين على قلبه، والمغطى على بصره! فأنا أبو حسن قاتل جدك وخالك وأخيك شدخا يوم بدر، وذلك السيف معي، وبذلك القلب ألقى عدوي، ما استبدلت ديننا، ولا استحدثت نبيا، وإني لعلى المنهاج الذي تركتموه طائعين ودخلتم فيه مكرهين). انتهى. وقد كرر عليه السلام دعوته هذه لمعاوية في صفين حتى صارت فضيحة روى المؤرخون لها قصصا بين معاوية وابن العاص وبقية الطلقاء وشخصيات الشام!

أرقام من حرب صفين
كثرت المؤلفات في حرب صفين من زمن وقوعها، كما تجد في تراجم الرواة،
والكتب المختصة، كفهرست ابن النديم، والذريعة للطهراني.
قال ابن النديم ص ١٠٥، وبعدها: (وكان مخنف بن سليم من أصحاب علي، وروى
عن النبي وصحبه.... وله من الكتب كتاب الردة. كتاب فتوح الشام. كتاب فتوح
العراق. كتاب الجمل. كتاب صفين. كتاب أهل النهروان والخوارج.....
أبو الفضل نصر بن مزاحم من طبقة أبي مخنف، من بني منقر... وله من الكتب كتاب
الغارات. كتاب صفين. كتاب الجمل. كتاب مقتل حجر بن عدي. كتاب مقتل
الحسين بن علي..... إسحاق بن بشر من أصحاب السير والأحداث. وله من الكتب،
كتاب المبتدأ. كتاب الردة. كتاب الجمل... كتاب صفين...
وقال عن الواقدي: وله من الكتب.... كتاب الجمل..... كتاب صفين.
وقال في ص ١٢٢: (محمد بن زكريا بن دينار الغلابي، أحد الرواة للسير والأحداث
والمغازي وغير ذلك. وكان ثقة صادقاً، وله من الكتب: كتاب مقتل الحسين بن علي.
كتاب وقعة صفين. كتاب الجمل. كتاب الحرة...
أبو إسحاق إسماعيل بن عيسى العطار، من أهل بغداد... وله من الكتب: كتاب
المبتدأ. كتاب حفر زمزم... كتاب الجمل. كتاب صفين). انتهى.
وذكر النجاشي في رجاله ص ١١: كتاب أبان بن تغلب في صفين، وكتاب إبراهيم بن
هلال الثقفي ص ١٦، وكتاب عبد العزيز الجلودي ص ٢٤٠.
وأورد في الذريعة: ٥ / ١٤١، نحو عشرين كتاباً لمؤلفين قدماء، منهم إبراهيم بن
ديزيل الهمداني الذي ينقل عنه ابن مزاحم. وعد في: ٢٢ / ٢٢٩: ثلاثة كتب لابن

السائب الكلبي: كتاب من شهد صفين مع علي من الصحابة، كتاب من شهد صفين مع علي من الأنصار، كتاب من شهد صفين مع علي من البدرين). انتهى. *

كان جيش علي عليه السلام تسعين ألفاً، فيهم عامة الصحابة من المهاجرين والأنصار وروي أنه كان معه عليه السلام سبع مئة صحابي فيهم أكثر من مئة من أهل بيعة الرضوان وثلاثون من البدرين. وقد استشهد معه عليه السلام في صفين خمسة وعشرون بدرياً. وكان جمهور جيشه من قبائل العراق والحجاز واليمن. وكان جيش معاوية مئة وعشرين ألفاً، وعمدتهم من أهل اليمن والشام، وفيهم طلقاء قريش كلهم لكن القادة فيهم أكثر من الجنود! ولم يكن معه من الصحابة أحد إلا من سموه صحابياً وهو طليق أسلم تحت السيف، ولا من الأنصار إلا شخصان: النعمان بن بشير ومسلمة بن مخلد! قال ابن الأعمش في الفتوح: ٢ / ١١٠: (ولم يكن معه من الأنصار غيرهما)!!

وقد استشهد من أصحاب علي عليه السلام خمسة وعشرون ألفاً، وقتل من أصحاب معاوية نحو خمسين ألفاً، وسبب هذه الكثرة أن قادة جيش معاوية كان همهم نجاة أنفسهم، فإذا حمي الوطيس فروا وتركوا جنودهم، فتكثر فيهم القتلى! قال ابن الأعمش في الفتوح: ٣ / ١٣٢ (وأقبل إلى معاوية رجل من أجلاء أهل الشام حتى وقف بين يديه فقال: يا معاوية إنه قتل منا في هذا اليوم سبع مئة رجل، ولم يقتل من أصحاب علي إلا أقل من ذلك، وأنت الذي تفعل بنا ذلك! لأنك تولي علينا من لا يقاتل معنا، مثل عمرو بن العاص، وبسر بن أرطاة، وعبد الرحمن بن خالد، وعتبة بن أبي سفيان، وكل واحد من هؤلاء إنما يقاتل ساعة ثم يخرج من الغبار)!! *

ليلة الهرير ويوم الهرير
ذكر بعض الرواة أن مدة إقامة الجيشين في صفين مئة وعشرة أيام، وأن الوقائع كانت
تسعين وقعة، لكن ذلك مبالغة، فهو لا يستقيم إلا بأن يقصدوا مجموع سفرهم من أول
مقدمة الجيش التي أرسلها علي عليه السلام.
والظاهر أن الحرب استمرت اثني عشر يوماً فقط، من يوم الأربعاء أول شهر صفر سنة
٣٧، إلى ليلة الهرير ليلة الجمعة الثاني عشر من صفر، وفي صبيحتها رفع معاوية
المصاحف داعياً إلى وقف القتال وتحكيم حكيمين!
فقد كانت بيعة أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من ذي
الحجة سنة ٣٥ هجرية، وكان الزمن صيفاً في شهر حزيران. (اليقوبي: ٢ / ١٧٦).
وكان ذلك بعد مقتل عثمان بستة أيام، حيث قتل في الثامن عشر من ذي الحجة سنة
٣٥ هجرية (الطبري: ٣ / ٤١١). بعد أن حاصره الصحابة والتابعون في دار الخلافة
نحو شهرين، طالبين من أن يخلع نفسه فلم يفعل.
وبعد خمسة أشهر من بيعتهم لأمر المؤمنين عليه السلام أشعلوا ضده حرب الجمل في
البصرة، واستمرت سبعة أيام، كان أولها يوم الخميس العاشر من جمادى الآخرة سنة
٣٦. (التنبيه والإشراف ص ٢٥٥).
وبعد معركة الجمل قرر أمير المؤمنين عليه السلام نقل العاصمة الإسلامية من المدينة
إلى الكوفة، فسار إليها من البصرة في يوم الاثنين ١٢ رجب سنة ٣٦، ووصل
إلى الكوفة يوم الاثنين ٢٢ رجب، واستقر بها شهوراً، ثم توجه مع من استجاب له إلى
صفين، فوصلها في أواخر ذي الحجة، ولم يقاتل في محرم لحرمة.
أما في ذي الحجة فقد تكون حصلت مناوشات وقاتل جزئي بين مقدمات

الجيشين، والذي أرجحه أنه لم يكن بينهم قبل صفر معركة إلا على الماء، وأن أمير المؤمنين عليه السلام تعمد تأخير المعركة ليقوم بعمله في إتمام الحجّة على معاوية وأهل الشام، وتوعية أصحابه ورفع مستواهم، وأن أول أيام المعركة كان يوم الأربعاء أول شهر صفر سنة ٣٧. ويدل على ذلك أن جيش الإمام عليه السلام ضجروا وشكوا له طول المقام وعدم إذنه عليه السلام لهم ببدء الحرب كما تقدم.

وفي شرح النهج: ٤ / ١٣: (لما ملك أمير المؤمنين عليه السلام الماء بصفين ثم سمح لأهل الشام بالمشاركة فيه والمساهمة رجاء أن يعطفوا إليه، واستمالة لقلوبهم وإظهارا للمعدلة وحسن السيرة فيهم، مكث أياما لا يرسل إلى معاوية، ولا يأتيه من عند معاوية أحد، واستبطأ أهل العراق إذنه لهم في القتال، وقالوا: يا أمير المؤمنين خلفنا ذرارينا ونساءنا بالكوفة، وجئنا إلى أطراف الشام لتخذها وطننا! إئذن لنا في القتال فإن الناس قد قالوا! قال لهم عليه السلام: ما قالوا؟ فقال منهم قائل: إن الناس يظنون أنك تكره الحرب كراهية للموت، وإن من الناس من يظن أنك في شك من قتال أهل الشام! فقال عليه السلام: ومتى كنت كارها للحرب قط! إن من العجب حبي لها غلاما ويفعا، وكراهيتي لها شيخا بعد نفاد العمر وقرب الوقت! وأما شكّي في القوم، فلو شككت فيهم لشككت في أهل البصرة! والله لقد ضربت هذا الأمر ظهرا وبطنا، فما وجدت يسعني إلا القتال أو أن أعصي الله ورسوله، ولكنني أستأني بالقوم عسى أن يهتدوا أو تهتدي منهم طائفة، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي يوم خيبر: لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس).

ويؤيد ذلك أن الرويات التي ذكرت قتالا في ذي الحجّة لم تذكر غير القتال على الماء، وقد تكون أحداثه وحربه استغرقت بضعة أيام.

ولعل أصل الروايات التي تذكر أن شهر ذي الحجّة كان كله قتالا، قول نصر ص ١٩٦ في سياق الحرب على الماء: (فاقتتل الناس ذا الحجّة كله، فلما مضى ذو

الحجة تدعى الناس أن يكف بعضهم عن بعض إلى أن ينقضي المحرم، لعل الله أن يجري صلحا واجتماعا. فكف الناس بعضهم عن بعض). انتهى.
لكن قوله: (ذا الحجة كله) لا يعني أكثر من أن حرب الماء امتدت إلى نهايته. **

كانت طريقة الحرب بأن يعبثوا الجيش بعد صلاة الفجر ويتقدموا إلى مواجهة بعضهم، فربما تقدم فارس يطلب المبارزة فيبرز اليه فارس من الطرف الآخر فيقف الناس يتفرجون عليهما، وربما حملت مجموعة على من يقابلها، وربما كانت الحرب زحفا من الجيش جله أو كله. لكن القتال كان ينتهي عند الغروب فيحجز بينهم الليل، ويدفنون قتلاهم، ويعود كل إلى معسكره.

وقد اشتدت الحرب في الأيام الثلاثة الأخيرة، كما ذكر ابن سعد في الطبقات: ٣ / ٢٦١: (وكان القتال الشديد ثلاثة أيام ولياليهن، آخرهن ليلة الهرير). وقال البلاذري في أنساب الأشراف ص ٣١٨: (وقال الواقدي في إسناده: كان القتال الشديد بصفين ثلاثة أيام ولياليهن، آخرهن ليلة الهرير). انتهى.

وسميت ليلة الهرير لكثرة أصوات المقاتلين وهممتهم وهرهم على بعضهم، وفيها استشهد عمار بن ياسر رحمه الله بيد الفئة الباغية كما أخبر النبي صلى الله عليه وآله، واتصلت فيها الحرب طول الليل تقريبا، وفي صبيحتها رفع معاوية المصاحف، وكان على اتفاق في ذلك مع أحد قادة جيش علي عليه السلام وهو الأشعث بن قيس رئيس قبيلة كندة اليمانية الكبيرة، وصاحب النفوذ في عدد من قبائل اليمن! قال في فتح الباري: ١١ / ١٠٤: (وقتل بين الفريقين تلك الليلة عدة آلاف وأصبحوا وقد أشرف علي وأصحابه على النصر، فرفع معاوية وأصحابه المصاحف فكان ما كان من الاتفاق على التحكيم، وانصراف كل منهم إلى بلاده).

وقال ابن كثير في النهاية: ٧ / ٣٠١: (وتوجه النصر لأهل العراق على أهل الشام، وذلك أن الأشتر النخعي صارت إليه إمرة الميمنة، فجعل بمن فيها على أهل الشام وتبعه علي فتنقضت غالب صفوفهم وكادوا ينهزمون، فعند ذلك رفع أهل الشام المصاحف فوق الرماح وقالوا: هذا بيننا وبينكم قد فني الناس فمن للثغور؟ ومن لجهاد المشركين والكفار).

وفي تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٨٨: (وزحف أصحاب علي وظهروا على أصحاب معاوية ظهوراً شديداً حتى لصقوا به، فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه، فقال له عمرو بن العاص: إلى أين؟ قال: قد نزل ما ترى، فما عندك؟ قال: لم يبق إلا حيلة واحدة أن ترفع المصاحف فتدعوهم إلى ما فيها، فتستكفهم وتكسر من حدهم وتفت في أعضادهم. قال معاوية: فشأنك! فرفعوا المصاحف ودعوهم إلى التحكم بما فيما، وقالوا: ندعوكم إلى كتاب الله! فقال علي: إنها مكيدة، وليسوا بأصحاب قرآن! فاعترض الأشعث بن قيس الكندي، وقد كان معاوية استماله وكتب إليه ودعاه إلى نفسه، فقال: قد دعا القوم إلى الحق! فقال علي: إنهم إنما كادوكم وأرادوا صرفكم عنهم. فقال الأشعث: والله لئن لم تجبهم انصرفت عنك. ومالت اليمانية مع الأشعث، فقال الأشعث: والله لتجيبنهم إلى ما دعوا إليه، أو لندفعنك إليهم برمتك! فتنازع الأشتر والأشعث في هذا كلاماً عظيماً حتى كاد أن يكون الحرب بينهم، وحتى خاف علي أن يفترق عنه أصحابه!

فلما رأى ما هو فيه أجابهم إلى الحكومة، وقال علي: أرى أن أوجه بعبد الله بن عباس. فقال الأشعث: إن معاوية يوجه بعمر بن العاص، ولا يحكم فينا مضرين، ولكن توجه أبا موسى الأشعري، فإنه لم يدخل في شئ من الحرب. وقال علي: إن أبا موسى عدو وقد خذل الناس عني بالكوفة ونهاهم أن يخرجوا معي! قالوا: لا نرضى بغيره! انتهى.

وقد جرت أحداث عديدة يوم الجمعة صبيحة ليلة الهرير، وفي الأيام الخمسة التي تلتها، غلب فيها الذين أرادوا إيقاف الحرب بزعامة الأشعث وزعماء الخوارج فيما بعد، وهددوا الأشر وأمير المؤمنين عليه السلام بالقتال إن لم يقبلوا!

وتم توقيع كتاب الهدنة بعد خمسة أيام، في يوم الأربعاء لثلاث عشرة (بقيت) من صفر سنة سبع وثلاثين، كما روى ابن مزاحم ص ٥١١: (وكتب عميرة يوم الأربعاء لثلاث عشرة بقيت من صفر سنة سبع وثلاثين)، وكذا في الأخبار الطوال ص ١٥٤، وشرح الأخبار: ٢ / ١٣٨، فتكون كلمة: (خلت) في رواية بعضهم وقعت اشتباها بدل: بقيت، ولعل هذا السبب في تردد الطبري في تاريخه: ٤ / ٤٠ قال: (فكتب كتاب القضية بين علي ومعاوية فيما قيل يوم الأربعاء لثلاث عشرة يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلّت من صفر، سنة سبع وثلاثين من الهجرة، على أن يوافي علي موضع الحكمين بدومة الجندل في شهر رمضان، ومعاوية ومع كل واحد منهما أربعمأة من أصحابه وأتباعه). انتهى.

ومهما فرضنا يوم كتابة وثيقة الصلح فقد انتهى القتال يوم الهرير، وكانت بعده المفاوضات، وكتابة الوثيقة وإعلان انتهاء الحرب.

* *

عمار وأويس.. من أعلام الهدى التي وضعها النبي صلى الله عليه وآله لأمة حاشا لرسول الله صلى الله عليه وآله أن يدع أمته دون أن يبين لها طريق الهدى بعده! فقد بينه لها وأكد عليها أن طريق أمنها من الضلال منحصر في اتباع عترته أهل بيته عليهم السلام، وأكد وصيته لها بالثقلين القرآن والعتره، في مواطن عديدة وأحاديث كثيرة، وبشرها في حجة الوداع بأن الله حل مشكلة القيادة فيها، كما حلها في الأمم بعد إبراهيم عليه السلام فاختار من عترته صلى الله عليه وآله اثني عشر إماما ربانيا، وخطب يوم الغدير ثم دعا عليا عليه السلام وأصعده معه على المنبر ورفع بيده ونصبه خليفة من بعده، وأعلن أن الولاية التي جعلها الله له هي لعلي ما عدا النبوة! (من كنت مولاه فعلي مولاه).

وأخبر أمته بأنها ستتحرف من بعده، وتغدر بأهل بيته وتظلمهم وتقتلهم وتشردهم في البلاد! وأن ذلك سيطول حتى تضعف الأمة فتدعى عليها الأمم وتتغلب عليها، حتى يبعث الله المهدي المنتظر من عترته فيعيد الحق إلى نصابه، وينهي الظلم على الأرض بإذن ربه، ويظهر الله به دينه على الدين كله، فتمتد دولة العدل الإلهي إلى يوم القيامة! ومضافا إلى هذه الأعلام الصريحة التي نصبها النبي صلى الله عليه وآله بأمر ربه، وضع لأمة أعلاما خاصة كثيرة، اهتدى بها من كتب الله لهم الهداية من أجيالها. وكان من هذه الأعلام: عمار بن ياسر، وأويس القرني، رحمهما الله، فقد روى الجميع أن النبي صلى الله عليه وآله شهد بأنهما مع الحق ومن خالفهما مع الباطل والضلال!

أما أويس القرني فقد روى في الطبقات: ٦ / ١٦١: (قال رسول الله (ص): خليلي من هذه الأمة أويس القرني.... أن عمر قال لأويس: استغفر لي. قال: كيف أستغفر لك وأنت صاحب رسول الله (ص)? قال: سمعت رسول الله (ص): إن خير التابعين رجل يقال له أويس!

وفي حلية الأولياء: ٢ / ٨٦: (نادى رجل من أهل الشام يوم صفين: أفيكم أويس القرني؟ قال قلنا: نعم، وما تريده منه؟ قال: إني سمعت رسول الله (ص) يقول: أويس القرني خير التابعين بإحسان. وعطف دابته فدخل مع أصحاب علي رضي الله تعالى عنهم). ورواه الحاكم في: ٣ / ٤٠٢ وأحمد: ٣ / ٤٨٠ نحوه، وقال في مجمع الزوائد: ١٠ / ٢٢: رواه أحمد وإسناده جيد.

وفي مستدرک الحاكم: ٢ / ٣٦٥: (فنادى علي يا خيل الله اركبي وأبشري. قال: فصف الثلثين لهم، فانتضى صاحب القطيفة أويس سيفه حتى كسر جفنه فألقاه، ثم جعل يقول: يا أيها الناس: تموا تموا، لتتمن وجوه ثم لا تنصرف حتى ترى الجنة. يا أيها الناس تموا تموا، جعل يقول ذلك ويمشي إذ جاءته رمية فأصابت فؤاده فبرد مكانه، كأنما مات منذ دهر.... هذا حديث صحيح على شرط مسلم). انتهى.

وفي ميزان الاعتدال: ١ / ٢٨١: (ثم عاد في أيام علي فقاتل بين يديه فاستشهد بصفين، فنظروا فإذا عليه نيف وأربعون جراحة). انتهى.

وفي خصائص الأئمة عليهم السلام للشريف الرضي رحمه الله ٥٣: (عن الأصبغ بن نباتة قال: كنت مع أمير المؤمنين بصفين فبايعه تسعة وتسعون رجلا، ثم قال: أين تمام المائة؟ فقد عهد إلي رسول الله صلى الله عليه وآله أنه يبايعني في هذا اليوم مائة رجل! قال فجاء رجل عليه قباء صوف متقلد سيفين فقال: هلم يدك أبايعك. فقال: على ما تبايعني؟ قال: على بذل مهجة نفسي دونك! قال: ومن أنت؟ قال: أويس القرني، فبايعه فلم يزل يقاتل بين يديه حتى قتل، فوجد في الرحالة مقتولا).

ونحوه في اختيار معرفة الرجال: ١ / ٣١٥، وقال: (وفي رواية أخرى قال له أمير المؤمنين عليه السلام: كن أويسا. قال: أنا أويس. قال: كن قرنيا، قال: أنا أويس القرني).

وفي البحار: ٢٩ / ٥٨٣: (وأتى أويس القرني متقلدا بسيفين ويقال: كان معه مرماة

ومخلاة من الحصى، فسلم على أمير المؤمنين عليه السلام وودعه، وبرز مع رجاله ربيعة فقتل من يومه، فصلى عليه أمير المؤمنين عليه السلام ودفنه). انتهى.
وفي المناقب / ٢٤٩: (وفي رواية: قتل من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك اليوم والليلة ألفا رجل وسبعون رجلا، وفيهم أويس القرني زاهد زمانه، وخزيمة بن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين، وقتل من أصحاب معاوية في ذلك اليوم سبعة آلاف رجل). انتهى.

وتدل النصوص على أن أويسا رحمه الله ملهم من الله تعالى حيث قال في بيعته لأمر المؤمنين عليه السلام يوم الجمل: (على السمع والطاعة والقتال بين يديك حتى أموت أو يفتح الله عليك) فكان الفتح. بينما قال يوم صفين: (على بذل مهجة نفسي دونك) ولم يذكر الفتح، فاستشهد! وتدل على مقادير الله تعالى لأويس، أن يكون تمام الألف في حرب الجمل، ثم تمام المئة في صفين، مبايعا على الموت في سبيل الله تعالى. (راجع سيرة أويس القرني رحمه الله في أول المجلد الرابع من كتابنا العقائد الإسلامية).
* *

وأما عمار رحمه الله فقد أجمعت الأمة على أن النبي صلى الله عليه وآله أخبر أنه ستقتله الفئة الباغية الذين يدعون إلى النار. وتقدم من البخاري: ١ / ١٢٢ قوله صلى الله عليه وآله: (ويح عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار). انتهى.

قال السيد الميلاني في نفحات الأزهار: ٣ / ٥٠: (وقال في شرح الشفاء في فصل الإخبار بالغيوب: وإن عمارا وهو ابن ياسر تقتله الفئة الباغية. رواه الشيخان، ولفظ مسلم: قال النبي (ص) لعمار: تقتلك الفئة الباغية. وزاد: وقاتله في النار. فقتله أي عمارا، أصحاب معاوية أي بصفين، ودفنه علي رضي الله تعالى عنه في ثيابه وقد نيف على سبعين سنة، فكانوا هم البغاة على علي بدلالة هذا الحديث ونحوه، وقد ورد: إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق، وقد كان مع علي

رضي الله تعالى عنهما. وأما تأويل معاوية أو ابن العاص بأن الباغي علي وهو قتله حيث حملة علي ما أدى إلى قتله، فجوابه: ما نقل عن علي كرم الله وجهه أنه يلزم منه أن النبي (ص) قاتل حمزة عمه). انتهى.

وقد اشتهر هذا الحديث النبوي لأن عمرو بن العاص كان يرويه قبل صفين ويكرره، فطالبه به عدد من أصحاب معاوية في صفين، وأنه هو الذي رواه لهم وهذا عمار مع علي عليه السلام! فأجابهم ابن العاص بأنه سوف يكون معنا!!
وقد روى نصر بن مزاحم في كتاب وقعة صفين، وابن الأعمش في الفتوح، مناظرة عمار في صفين مع ابن العاص، وأنها استغرقت يوماً تقريباً من المعركة!
قال في الفتوح: ٣ / ٧١: (ذكر ما جرى من المناظرة بين أبي نوح وذي الكلاع الحميري:

فأصبح القوم فدنا بعضهم من بعض ومع علي بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذ رجل من حمير يكنى بأبي نوح وكان مفوها متكلماً، وكان له فضل وقدر وطاعة في الناس، فقال لعلي: يا أمير المؤمنين أتأذن لي في كلام ذي الكلاع فإنه رجل من قومي وهو سيد عند أهل الشام، فلعلي أشككه فيما هو فيه؟
فقال له علي: يا أبا نوح إن رد مثل ذي الكلاع شديد عند أهل الشام، فإن أحببت لقاءه فالقه بالجميل، وإياك والكتب! قال: فبعث أبو نوح إلى ذي الكلاع: إني أريد لقاءك فأخرج إلي أكلمك. قال: فجاء ذو الكلاع إلى معاوية فقال: إن أبا نوح يريد كلامي ولست كلامه إلا بإذنك، فما ترى في كلامه أكلمه أم لا؟ فقال معاوية: وما تريد إلى كلامه؟ فوالله ما نشك في هداك، ولا في ضلالتته، ولا في حقك ولا في باطله!
فقال ذو الكلاع: على ذلك إئذن لي في كلامه، فقال معاوية: ذاك إليك.....
وأقبل أبو نوح حتى وقف بين الجمع، وخرج ذو الكلاع حتى وقف قبالتة،

فقال أبو نوح: يا ذا الكلاع! إنه ليس في هذين الجمعين أحد أولى بنصيحتك مني، إن معاوية بن أبي سفيان أخطأ وأخطأتم معه في خصال كثيرة، لخطأ واحدة إنه من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة، فأخطأ بادعائه إياها وأخطأتم باتباعه. وأخطأ في الطلب بدم عثمان وأخطأتم معه، لأن غيره أولى بطلب دم عثمان منه. وأخطأ أنه رمى عليا بدم عثمان وأخطأتم بتصديقكم إياه ونصركم له وهذا أمر قد شهدناه وغبتم عنه، فاتق الله ويحك يا ذا الكلاع، فإن عثمان بن عفان أتيح له قوم فقتلوه بدعوى ادعوا عليه، والله الحاكم في ذلك يوم القيامة، وقد بايعت الناس عليا برضاء منه ومنهم، لأنه لم يك للناس بد من إمام يقوم بأمرهم، وليس لأهل الشام مع المهاجرين والأنصار أمر. فإن قلت: إن عليا ليس بخير من معاوية ولا بأحق منه بهذا الأمر، فهات رجلا من قريش ممن ترضى دينه حتى يعدل بينهم في شئ من الدين والشرف والسابقة في الإسلام. فقال له ذو الكلاع: إنني قد سمعت كلامك أبا نوح ولم يخف علي منه شئ، ولكن هل فيكم عمار بن ياسر؟ فقال أبو نوح: نعم هو فينا، قال: فهل يتهياً لك أن تجمع بينه وبين عمرو بن العاص فيتكلمان وأنا أسمع؟ فقال أبو نوح: نعم، ثم ولى إلى عسكره، فصار إلى عمار وطلب إليه وسأله أن يلقي عمرو بن العاص. قال: فخرج عمار في ثلاثين رجلا من المهاجرين والأنصار ليس فيهم رجل إلا وقد شهد بدرا مع رسول الله (ص) غير رجلين: عمرو بن الحمق الخزاعي، ومالك بن الحارث الأشتري. (وهذا دليل على أن الأشتري صحابي). قال: وقام الصباح الحميري إلى معاوية، فقال له: إنني أرى لك أن لا تأذن لذي الكلاع أن يلقي أبا نوح فإنه قد طمع فيه، وأخاف أن يشككه في دينه! فقال معاوية: إنني قد نهيته فلم ينته عن ذلك، وهو رجل من سادات حمير، وأنا أرجو

أن لا يخذع. قال: فأقبل ذو الكلاع إلى عمرو بن العاص إذ هو واقف يحرض الناس على القتال فقال له: أبا عبد الله، هل لك في رجل ناصح صادق لبيب شفيق يخبرك عن عمار بن ياسر بالحق؟ فقال له عمرو: ومن هذا معك؟ فقال: هذا ابن عم لي من أهل العراق غير أنه جاء معي بالعهد والميثاق على أنه لا يؤذى ولا يهاج حتى يرجع إلى عسكره.

فقال عمرو: إنا لنرى عليه سيماء أبي تراب! فقال أبو نوح: بل سيماء محمد صلى الله عليه وآله وأصحابه علي، وعليك سيماء جهل بن أبي جهل وسيماء فرعون ذي الأوتاد! قال: فوثب أبو الأعور السلمي فسل سيفه ثم قال: أرى هذا الكذاب الأثيم يشاتمنا وهو بين أظهرنا، وعليه سيماء أبي تراب!

فقال ذو الكلاع: مهلا يا أبا الأعور! لأقسم بالله لو بسطت يدك إليه لأخطمن أنفك بالسيف! ابن عمي وجاري قد عقدت له ذمتي وجئت به إليكم ليخبركم عما تماريتم فيه، فتسل عليه السيف؟!

قال: فسكت أبو الأعور وتكلم عمرو بن العاص، فقال: أأنت أبا نوح؟ فقال: بلى أنا أبو نوح! قال عمرو: فأنا أذكرك الله أبا نوح إلا صدقتنا ولم تكذبنا، أفيكم عمار بن ياسر؟ قال أبو نوح: ما أنا بمخبرك حتى تخبرني لم تسألني عنه، فإن معنا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وكلهم جاد في قتالكم، فقال عمرو: لأنني سمعت رسول الله وهو يقول لعمار: تقتلك الفئة الباغية، وإنه: ليس ينبغي لعمار بن ياسر أن يفارق الحق ولا تأكل النار منه شيئا!

فقال أبو نوح: لا إله إلا الله والله أكبر! إن عمارا معنا وإنه لجاد في قتالكم، فقال عمرو: إنه والله لجاد على قتالنا؟! فقال أبو نوح: والله لقد حدثني يوم الجمل إننا سنظهر عليهم، فكان كما قال: ولقد حدثني بالأمس أن لو هزمتونا حتى

تبلغونا إلى سعفات هجر لعلمنا بأننا على حق وأنكم على باطل، وأن قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار! فقال عمرو: فهل تستطيع أن تجمع بيني وبينه؟
قال أبو نوح: نعم وها هو واقف في ثلاثين رجلا من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. فأقبل عمرو بن العاص حتى وقف قريبا من أصحاب علي، ومعه نفر من أصحاب معاوية. قال ونظر إليهم عمار، فأرسل إليهم برجل من عبد القيس يقال له عوف بن بشر، فأقبل حتى إذا كان قريبا منهم نادى بأعلى صوته: أين عمرو بن العاص؟ فقال عمرو: ها أنا فهات ما عندك، فقال: هذا عمار قد حضر، فإن شئت فتقدم إليه. قال عمرو: فسر إلينا حتى نكلمك، فقال: أنا أخاف غدراتك. قال عمرو: فما الذي جرأك وأنت على هذه الحالة؟ فقال له عوف بن بشر: الله جرأني عليك وبصرني فيك وفي أصحابك، فإن شئت نابذتك وإن شئت التقيت أنت وخصماؤك!
فقال له عمرو: من أنت يا أخي؟ قال: أنا عوف بن بشر الشني رجل من عبد القيس.
قال عمرو: فهل لك أن أبعث لك بفارس يوافقك؟ فقال له عوف: ما أنا بمستوحش من ذلك، فابعث إلي أشقى أصحابك. فقال عمرو لأصحابه: أيكم يخرج إليه فيكلمه؟ فقال أبو الأعور: أنا إليه أسير، ثم أقبل إليه أبو الأعور حتى واقفه فقال له عوف: إني لأرى رجلا لا أشك أنه من أهل النار إن كان مصرا على ما أرى، فقال له أبو الأعور: لقد أعطيت لسانا حديدا، أكبك الله في نار جهنم! فقال عوف: كلا والله إني لا أتكلم إلا بالحق ولا أنطق إلا بالصدق، وإني أدعو إلى الهدى، وأقاتل أهل الضلال وأفر من النار، وأنت رجل تشتري العقاب بالمغفرة والضلالة بالهدى، فانظر إلى وجوهنا ووجوهكم وسيماننا وسيمانكم، واسمع إلى دعوانا ودعواكم، فليس منا أحد إلا وهو أولى بمحمد صلى الله عليه وآله

وأقرب إليه منكم. فقال أبو الأعور: أكثرت الكلام وذهب النهار، فاذهب وادع أصحابك وأدعو أصحابي وأنا جار لك حتى تأتي موقفك هذا الذي أنت فيه، ولست أبدأك بغدر حتى تأتي أنت وأصحابك.

قال: فرجع عوف بن بشر إلى عمار بن ياسر ومن معه، فأخبرهم بذلك، وأقبل عمار ومعه الأجراء من أهل عسكره، وتقدم عمرو بن العاص في أجلاء عسكره حتى اختلفت أعناق الخيل، فنزلوا هؤلاء وهؤلاء عن خيولهم واحتبوا بحمائل سيوفهم، وذهب عمرو يتكلم التشهد، فقال عمار: أسكت! وقد تركتها في حياة محمد صلى الله عليه وآله وبعد موته، ونحن أحق بها منك، فاحطب بخطبة الجاهلية، وقل قول من كان في الإسلام دنيا ذليلا وفي الضلال رأسا محاربا، فإنك ممن قاتل النبي صلى الله عليه وآله في حياته وبعد موته، وفتن أمته من بعده، وأنت الأبر بن الأبر شاني محمد صلى الله عليه وآله وشاني أهل بيته!!

قال: فغضب عمرو ثم قال: أما إن فيك لهنات! ولو شئت أن أقول لقلت. فقال عمار: وما عسى أن تقول: إني كنت ضالا فهداني الله ووضعنا فرفعني الله، وذليلا فأعزني الله، فإن كنت تزعم هذا فقد صدقت، وإن كنت تزعم أنني خنت الله ورسوله يوما واحدا، أو تولينا غير الله يوما واحدا فقد كذبت! ولكن هلم إلى ما نحن فيه الآن، فإن شئت كانت خصومة فيدفع حقنا باطلك، وإن شئت كانت خطبا فنحن أعلم بفصل الخطاب منك، وإن شئت أخبرتك بكلمة تفصل بيننا وبينك، وتكفرك قبل القيام من مجلسك، وتشهد بها على نفسك، ولا تستطيع أن تكذبنني: هل تعلم أن عثمان بن عفان كان عليه الناس بين خاذل له ومحرض عليه وما هم فيه من نصره بيده ولا نهى عنه بلسانه؟ وقد حصر أربعين يوما في جوف داره ليس له جمعة ولا جماعة، وتظن ما كان فيه قبل أن يقتل ما كان من

طلحة والزبير وعائشة بنت أبي بكر حين منعها أرزاقها، فقالت فيه ما قالت وحرضت على قتله، فلما قتل خرجت فطلبت بدمه بغير حق ولا حكم من الله تعالى في يدها؟! ثم إن صاحبك هذا معاوية قد طلب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أن يترك له ما في يده، فأبى علي ذلك، فانظر في هذا، ثم سلط الحق على نفسك فاحكم لك وعليك.

قال: فقال عمرو: صدقت أبا اليقظان، قد كان ذلك كما ذكرت في أمر عائشة وطلحة والزبير. وأما معاوية فله أن يطلب بدم عثمان، لأنه رجل من بني أمية وعثمان من بني أمية وليس لهذا جئت إذا رسل هذا الأمر الذي قد شجر بيننا وبينكم، لأنني رأيتك أطوع هذا العسكر، فأذكرك الله إلا كفت سلاحهم وحقنت دماءهم وحرضت على ذلك، ويحك أبا اليقظان على ماذا تقاتلنا! ألسنا نعبد الله واحدا؟ ألسنا نصلي إلى قبلتكم وندعو بدعوتكم ونقرأ كتابكم ونؤمن بنبيكم؟!

فقال عمار: الحمد لله الذي أخرجها من فيك! القبلة والله لي ولأصحابي، ولنا الدين والقرآن وعبادة الرحمن، ولنا النبي والكتاب من دونك ودون أصحابك، وإن الله تبارك وتعالى، قد جعلك ضالا مضلا، وأنت لا تعلم أهدأ أنت أم ضال، ولقد أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أقاتل الناكثين فقد فعلت، وأمرني أن أقاتل القاسطين فأنتم هم، وأما المارقون فلا أدري أدرهم أم لا. أيها الأبتري! ألسنت تعلم أن النبي صلى الله عليه وآله قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله؟ فأنا مولى لله ولرسوله وعلي مولاي من بعده، وأنت فلا مولى لك. فقال عمرو بن العاص: ويحك أبا اليقظان! لم تشتمني ولست أشتمك؟ فقال عمرو: فما ترى في قتل عثمان؟

فقال عمار: قد أخبرتك كيف قتل عثمان. فقال عمرو: فعلي قتله، فقال عمار: بل الله قتله. قال عمرو: فهل كنت فيمن قتله؟ قال عمار: أنا مع من قتله وأنا اليوم أقاتل لمن قتله، لأنه أراد أن يقتل الدين فقتل!

فقال عمرو: يا أهل الشام إنه قد اعترف بقتل عثمان أمامكم! فقال عمار: قد قالها فرعون لقومه: (ألا تسمعون)! أخبرني يا ابن النابغة! هل أقررت أنني أنا الذي قتلت عثمان حتى تشهد علي أهل الشام؟! فقال عمرو يا هذا: إنه كان من أمر عثمان ما كان، وأنتم الذين وضعتم سيوفكم على عواتقكم وتحربتم علينا مثل لهب النيران حتى ظننا أن صاحبكم لا بقية عنده، فإن تنصفونا من أنفسكم فادفعوا إلينا قتلة صاحبنا وارجعوا من حيث جئتم، ودعوا لنا ما في أيدينا، وإن أبيتم ذلك فإن دون ما تطلبون منا والله خرط القتاد!

قال: ثم تبسم عمار ثم قال: ليس أول كلامك هذا يا ابن النابغة، يا دعي يا ابن الدعي! يا ابن حرار قريش! يا من ضرب على خمسة بسهامهم كل يدعيك حتى قاربك شرهم! أفي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب تغتمز؟ أما والله لقد علمت قريش قاطبة أن عليا لا يجلس له علا، ولا يقعقع له بالشنان، ولا يغمز غمز التين! قال: فقام أهل الشام فركبوا خيولهم ولهم زجل فصاروا إلى معاوية، فقال له معاوية: ما وراءكم؟ فقالوا: وراءنا والله إننا قد سمعنا من عمار بن ياسر كلاما يقطر الدم! ووالله لقد أحرص عمرو بن العاص حتى ما قدر له على الجواب!

فقال معاوية: هلكت العرب بعد هذا ورب الكعبة!
قال: ورجع عمار في أصحابه إلى علي بن أبي طالب فأخبره بالذي دار بينه وبين عمرو بن العاص، فأنشأ رجل من أصحاب علي يقول:
ما زلت يا عمرو قبل اليوم مبتدرا * تبغي الخصومة جهرا غير سرار

حتى رأيت أبا اليقظان منتصباً * لله در أبي اليقظان عمار
ما زال يقرع منك العظم منتقياً * مخ العظام بحق غير إنكار
حتى رمى بك في بحر له لجج * يرمي بك الموج في لجج من النار
قال: وقد كان مع معاوية رجل من حمير يقال له: الحصين بن مالك، وكان يكاتب
علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويدله على عورات معاوية، وكان له صديق من
أصحاب معاوية يقال له الحارث بن عوف السكسكي، فلما كان ذلك اليوم قال
الحصين بن مالك للحارث بن عوف: يا حارث إنه قد آتاك الله ما أردت، هذا عمرو
وعمار وأبو نوح وذو الكلاع قد التقوا، فهل لك أن تسمع من كلامهم؟ فقال الحارث
بن عوف: إنما هو حق وباطل، وفي يدي من الله هدى، فسر بنا يا حصين. قال: فجاء
الحصين والحارث حتى سمعا كلام عمرو وعمار، فلما سمع الحارث بن عوف كلام
عمار وتظاهر الحجة على عمرو بقي متحيراً، فقال له الحصين: ما عندك الآن يا
حارث؟ فقال الحارث: ما عندي وقعة والله بين العار والنار، ووالله لا أقاتل مع معاوية
بعد هذا اليوم أبداً! فقال له: ولا أنا أقاتل عليك بعد هذا اليوم أبداً. قال: ثم هربا من
عسكر معاوية جميعاً فصار أحدهم إلى حمص وأظهر التوبة، وصار الحارث بن عوف
إلى مصر تائباً من قتال علي رضي الله عنه، وأنشأ يقول:
قال الحصين ولم أعلم بنيته * يا حار هل لك في عمرو وعمار
يا حار هل لك في أمر له نبأ * فيه شريكان من عوف وإنكار
فاسمع وتسمع ما يأتي العيان به * إن العيان شفاء النفس يا حار
لما رأيت لجاج الأمر قلت له * قولاً ضعيفاً نعم والكراهة إضماري
سرنا إلى ذلك المرأتين مع نفر * شم كرام وجدنا زندهم واري
لما تشهد عمرو قال صاحبه * أسكت فإنك من ثوب الهدى عاري

فارتد عمرو على عقبه منكسرا * كالهـر يرقب ختلا عازم الفار
ما زال يرميه عمار بحجته * حتى أقر له من غير إكثار
قال الحصين لما أبصرت حجته * غراء مثل بياض الصبح للـساري
ما بعد هذين من عيب لمنتظر * فاختر فدى لك بين العار والنار
قلت الحياة فراق القوم معترفا * بالذنب حقا وليس العار كالنار
قال: وأقبل نفر من أصحاب معاوية إلى عمرو بن العاص، فقال له بعضهم: أبا عبد الله،
ألست الذي رويت لنا أن النبي صلى الله عليه وآله قال: يدور الحق مع عمار حيث ما
دار؟ فقال عمرو: بلى قد رويت ذلك ولكنه يصير إلينا ويكون معنا. فقال له ذو
الكلاع: هذا والله محال من الكلام! والله لقد أفحمتك عمار حيث بقيت وأنت لا
تقدر على إجابته! قال عمرو: صدقت وربما كان كلام ليس له جواب.....
قال: فأنشأ رجل من بني قيس يقول في ذلك:
والراقصات بركب عامدين له * إن الذي كان في عمرو لمأثور
قد كنت أسمع والأنباء شائعة * هذا الحديث فقلت الكذب والزور
حتى تلقيته عن أهل محنته * فالـيوم أرجع والمغرور مغرور
واليوم أبرأ من عمرو وشيعته * ومن معاوية المحذو به العير
لا لا أقاتل عمارا على طمع * بعد الرواية حتى ينفخ الصور
تركت عمروا وأشياعا له نكرا * إني بتركهم يا صاح معذور
يا ذا الكلاع فدع لي معشرا كفروا * أو لا فديتك دين فيه تعزير
ما في مقال رسول الله في رجل * شك ولا في مقال الرسل تحيير
قال: ثم هرب صاحب هذا الشعر حتى لحق بعلي بن أبي طالب فصار معه.
قال: فدعا معاوية عمرو بن العاص، فقال: يا هذا إنك أفسدت أهل الشام علي، أكل ما
سمعت من رسول الله تقوله وترويه؟! ما أكثر ما سمعنا منه فلم نروه!

فقال عمرو: يا هذا والله لقد رويت هذا الحديث وأنا لا أظن أن صنفين تكون، ولست أعلم الغيب! ولقد رويت أنت أيضا في عمار مثل الذي رويت أنا! انتهى. **

وفي كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر ص ١٢٠ عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار عن أبيه عن جده عمار رحمه الله قال: (كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض غزواته وقتل علي عليه السلام أصحاب الألوية وفرق جمعهم، وقتل عمرو بن عبد الله الجمجمي، وقتل شيبه بن نافع، أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت له: يا رسول الله، صلى الله عليك إن عليا قد جاهد في الله حق جهاده. فقال: لأنه مني وأنا منه، وهو وارث علمي وقاضي ديني ومنجز وعدي والخليفة بعدي، ولولاه لم يعرف المؤمن المحض. حربه حربي وحربي حرب الله، وسلمه سلمتي وسلمي سلم الله، ألا إنه أبو سبطي والأئمة من صلبه يخرج الله تعالى منه الأئمة الراشدين، ومنهم مهدي هذه الأمة. فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما هذا المهدي؟ قال: يا عمار إن الله تبارك وتعالى عهد إلي أنه يخرج من صلب الحسين تسعة والتاسع من ولده يغيب عنهم، وذلك قوله عز وجل: قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين، يكون له غيبة طويلة يرجع عنها قوم ويثبت عليها آخرون، فإذا كان في آخر الزمان يخرج فيملا الدنيا قسطا وعدلا، ويقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل، وهو سممي، وأشبه الناس بي.

يا عمار ستكون بعدي فتنة، فإذا كان ذلك فاتبع عليا وحزبه، فإنه مع الحق والحق معه. يا عمار إنك ستقاتل بعدي مع علي صنفين: الناكثين والقاسطين، ثم تقتلك الفئة الباغية. قلت: يا رسول الله أليس ذلك على رضا الله ورضاك؟ قال: نعم على رضا الله ورضاي، ويكون آخر زادك من الدنيا شربة من لبن تشربه.

فلما كان يوم صنفين خرج عمار بن ياسر إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: يا أخا رسول الله، أتأذن لي في القتال؟ قال: مهلا رحمك الله، فلما كان بعد ساعة أعاد

عليه الكلام فأجابه بمثله فأعاد عليه ثالثاً، فبكى أمير المؤمنين عليه السلام وقال: إنه اليوم الذي وصفه لي رسول الله صلى الله عليه وآله فنزل أمير المؤمنين عليه السلام عن بغلته وعانق عماراً وودعه، ثم قال: يا أبا اليقظان جزاك الله عن نبيك خيراً، فنعم الأخ كنت، ونعم الصاحب كنت! ثم بكى عليه السلام وبكى عمار ثم قال: والله يا أمير المؤمنين ما تبعتك إلا ببصيرة، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم خيبر: يا عمار ستكون بعدي فتنة، فإذا كان ذاك فاتبع علياً وحزبه فإنه مع الحق والحق معه، وستقاتل الناكثين والقاسطين، فجزاك الله يا أمير المؤمنين عن الإسلام أفضل الجزاء، فلقد أديت وأبلغت ونصحت. ثم ركب وركب أمير المؤمنين عليه السلام ثم برز إلى القتال ثم دعا بشربة من ماء، فقيل له: ما معنا ماء، فقام إليه رجل من الأنصار فأسقاها شربة من لبن، فشربه ثم قال: هكذا عهد إلي رسول الله صلى الله عليه وآله أن يكون آخر زادي من الدنيا شربة من لبن. ثم حمل على القوم فقتل ثمانية عشر نفساً، فخرج إليه رجلاً من أهل الشام فطعناه وقتل رحمه الله.

فلما كان في الليل طاف أمير المؤمنين عليه السلام في القتلى، فوجد عماراً ملقى بين القتلى، فجعل رأسه على فخذه ثم بكى عليه السلام وأنشأ يقول:

ألا أيها الموت الذي لست تاركي * أرحني فقد أفنيت كل خليل
أراك بصيراً بالذين أحبهم * كأنك تمضي نحوهم بدليل). انتهى.

أقول: صدق الله تعالى حيث قال في الأنبياء والأوصياء وأنصارهم الربانيين: (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون). (يوسف: ١١١)

* *

الراهب شمعون.. شاهد من أهل الكتاب في حرب صفين
روى في الخرائج والجرائح: ١ / ٢٢٢: (عن أبي سعيد عقيصا قال: خرجنا مع علي
عليه السلام نريد صفين، فمررنا بكرבלاء فقال: هذا موضع الحسين عليه السلام
وأصحابه.

ثم سرنا حتى انتهينا إلى راهب في صومعة، وتقطع الناس من العطش وشكوا إلى علي
عليه السلام ذلك، وأنه قد أخذ بهم طريقا لا ماء فيه من البر، وترك طريق الفرات فدنا
من الراهب، فهتف به وأشرف إليه فقال: أقرب صومعتك ماء؟ قال: لا. فثنى رأس بغلته
فنزل في موضع فيه رمل، وأمر الناس أن يحفروا هذا الرمل فحفروا فأصابوا تحته صخرة
بيضاء، فاجتمع ثلاثمائة رجل فلم يحركوها. فقال عليه السلام: تنحوا فإنني صاحبها، ثم
أدخل يده اليمنى تحت الصخرة فقلعها من موضعها حتى رآها الناس على كفه فوضعها
ناحية، فإذا تحتها عين ماء أرق من الزلال وأعذب من الفرات، فشرب الناس وسقوا
واستقوا وتزودوا، ثم رد الصخرة إلى موضعها وجعل الرمل كما كان! وجاء الراهب
فأسلم وقال: إن أبي أخبرني عن جده وكان من حوارى عيسى: إن تحت هذا الرمل
عين ماء، وإنه لا يستنبطها إلا نبي أو وصي نبي! وقال لعلي عليه السلام: أتأذن لي أن
أصحبك في وجهك هذا؟ قال عليه السلام: الزمني ودعا له، ففعل فلما كان ليلة الهرير
قتل الراهب فدفنه عليه السلام بيده وقال: لكأني أنظر إليه وإلى منزله في الجنة ودرجته
التي أكرمه الله بها). (البحار: ٤٢ / ١، ومدينة المعاجز ص ٢٠٠).

وفي المناقب لمحمد بن سليمان: ١ / ١٤٤: (عن حبة العرنى قال: لما أن خرجنا مع
علي بن أبي طالب عليه السلام في مسيره إلى صفين حتى نزلنا ب " البليخ " وكان فيه
دير فيه راهب يقال له شمعون، فنزل إلى علي فقال: يا أمير المؤمنين إنه كان عند آبائي
كتاب كتبه لهم أصحاب عيسى بن مريم فإن شئت تلوته عليك؟ قال: قد

شئت قال شمعون: وهذا نصه: بسم الله الرحمن الرحيم الذي قضى فيما قضى وصدر فيما كتب أنه باعث في الأميين رسولا يتلو عليهم آياته ويدلهم على سبيل الجنة لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، لا يجزي بالسيئة سيئة، ولكن يعفو ويصفح. أمته الحامدون يحمدون الله على كل حال، تذلل ألسنتهم بالتهليل والتكبير، تنصر نبهم على كل من ناواه، فإذا توفي ذلك النبي اختلفت أمته، ثم اجتمعت، ثم اختلفت، فيمر رجل من أمته يجر الجيش بشاطئ هذا الوادي وهو أولى الناس بذلك النبي الأمي في الدين والقراة، يقضي بالحق ولا يرتشي في الحكم، يخاف الله في السر وينصحه في العلانية، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم الدنيا، أهون عليه من رماد عصفت به الريح والموت، أهون عليه في جنب الله من شربة الماء العذب على الظمان. فمن أدرك ذلك النبي فليؤمن به، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فليتبعه، فإن القتل معه شهادة.

ثم قال: فلما سمعت بالنبي آمنت به ولم أره، ولما مررت بي أنت الآن يا أمير المؤمنين نزلت إليك وأنت صاحبي ولست أفارقك حتى يصيبني ما أصابك! قال: فبكى علي عليه السلام طويلا وبكى أصحابه لبكائه ثم قال: الحمد لله الذي لم يجعلني عنده نسيا منسيا، الحمد لله الذي ذكرني في كتاب الأبرار.

قال حبة العرني: كان شمعون رفيقي وكان علي إذا تعشى أو تغدى أرسل إليه فلما كان يوم الهرير أصبح الناس يطلبون قتلاهم، قال علي: أطلبوا لي شمعون. فطلبوه فوجدوه مقتولا بين القتلى، فصلى عليه ودفنه، ثم التفت إلينا فقال: هذا منا أهل البيت). (راجع أيضا: شرح الأخبار: ٢ / ٣٦٩ والهداية للحضيني ص ١٤٨) *

معاوية والروم في حرب صفين!
كان النبي صلى الله عليه وآله يدعو الناس في مكة إلى الإسلام ويخبرهم بأن الله تعالى وعده أن يورث أمته ملك كسرى وقيصر! فكل من قرأ سيرته صلى الله عليه وآله يجد أن فتح فارس والروم كانا وعدا نبويا من أول إعلان الدعوة، وكان المشركون يسخرون من ذلك! واستمر هذا الوعد عنصرا ثابتا في مراحل دعوته صلى الله عليه وآله، فكان برنامجا إلزاميا للسلطة الجديدة بعد وفاته صلى الله عليه وآله، أيا كانت تلك السلطة. * *

وفي رأيي أن السلطة بعد النبي صلى الله عليه وآله خافت من حرب مسيلمة التي يسمونها حروب الردة، كما خافت من التوجه إلى فتح بلاد فارس والشام، وأن الفضل في دفعها إلى الفتوحات يعود إلى علي عليه السلام وتلاميذه الفرسان، الذين لم تعطهم السلطة مناصب قيادية، لكنهم كانوا القادة الميدانيين الذين حققوا الانتصارات! وكان بقية هؤلاء القادة مع علي عليه السلام في صفين، وهم كثر منهم الأشر بطل معركة اليرموك الذي برز إلى فارس الروم وقتله، فغير ميزان المعركة! وهاشم المرقال الذي أبلى فيها بلاء مميذا... الخ! وأشارنا إلى ذلك في آخر الفصل الثاني. * *

وفي السنة السابعة والثلاثين للهجرة وهي سنة صفين، كان الفرس قد يئسوا من العراق وقسم من إيران، وكان المسلمون يواصلون فتح بقية إيران وما وراءها في حالة كرف مع الفرس. فوجه علي عليه السلام بعد حرب البصرة ابن أخته جعدة بن هبيرة، وكان فارسا بطلا، وقد تقدم ذكر فتحه لبقية خراسان وما وراءها. كما كانت الشام وفلسطين ومصر استقرت في حكم المسلمين، وقد يئس منها الروم، لكن عاصمتهم القسطنطينية (استانبول) كانت قوية، وكان أكثر تركيا

الحالية في حكمهم، والمسلمون يغزونهم، وربما غزا الروم المسلمين. وعندما تفاقمت نقمة الصحابة على عثمان وحاصروه، كانت خطة معاوية أن لا يدخل في معركة مع الصحابة من أجل عثمان، بل يصبر حتى يقتلوه، فيطالب بدمه! ويكون قتل الخليفة الأموي حجة له لادعاء الخلافة! فقد تقدم أن عثمان استصرخه فلم ينصره على قرب المسافة بينهما، بل أرسل جيشا إلى ذي خشب، وهو على مسيرة ساعات من المدينة! (معجم البلدان: ٢ / ٣٧٢). وحرم على قائده أن يدخل المدينة مهما كان السبب! قال ابن شبة في تاريخ المدينة: ٤ / ١٢٨٨: (أرسل عثمان إلى معاوية يستمده، فبعث معاوية يزيد بن أسد جد خالد القسري وقال له: إذا أتيت ذا خشب فأقم بها ولا تتجاوزها، ولا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب قال: أنا الشاهد وأنت الغائب! فأقام بذي خشب حتى قتل عثمان! فقلت لجويرية: لم صنع هذا؟ قال: صنعه عمدا ليقتل عثمان فيدعو إلى نفسه)!! انتهى.

**

وعندما أشعلت عائشة وطلحة والزبير حرب الجمل على علي عليه السلام تعمد معاوية الانتظار أيضا، وقد ساءه انتصار علي عليه السلام، لكن وزيره ابن العاص كان يصرح بأنهما كانا يتمنيان أن يقتل علي عليه السلام عائشة ليستفيدا من ذلك! فقد بلغت وقاحة ابن العاص أن قال لعائشة: (لوددت أنك قتلت يوم الجمل! قالت: ولم لا أبا لك! قال: كنت تموتين بأجلك وتدخلين الجنة، ونجعلك أكبر التشنيع على علي بن أبي طالب). (شرح النهج: ٦ / ٣٢٢، وعن الكامل للمبرد ص ١٥١).

**

فقد كانت سياسة معاوية إذن، إعداد قوته وتوفيرها استعدادا لمعركة الخلافة مع علي عليه السلام! فمن الطبيعي أن يعقد اتفاقية هدنة مع الروم، بل من الطبيعي أن نقرأ أنها كانت أكثر من هدنة ووصلت إلى شبه اتفاقية بينه وبينهم أنه إذا انهزم

في معركته مع علي عليه السلام يتدخل الروم إلى جانبه في حربه لعلي عليه السلام! فقد نقل ابن الأعمش شهادة علي عليه السلام بذلك! قال في الفتوح: ٢ / ٥٣٩: (فنادى علي في الناس فجمعهم: أيها الناس إن معاوية بن أبي سفيان قد وادع ملك الروم، وسار إلى صفين عازما على حربكم، فإن غلبتموهم استعانوا عليكم بالروم! وإن غلبوكم فلا عراق حجاز ولا عراق). انتهى.

ويؤيد مضمون هذا النص مؤثران:

أولهما: أن بيت معاوية كان على صلة بالروم وكان أبو سفيان لا يخفي إعجابه بهم! وعندما أرسل النبي صلى الله عليه وآله رسالة إلى هرقل يدعوها إلى الإسلام، كان أبو سفيان في الشام، فأحضره هرقل يسأله عن النبي صلى الله عليه وآله فتنقص أبو سفيان من النبي صلى الله عليه وآله ليحرك هرقل عليه، فرد عليه زميله علقمة بن علاثة العامري!

قال ابن الأثير في النهاية: ٢ / ٤٧٨: (لما بلغه (ص) هجاء الأعشى علقمة بن علاثة العامري نهى أصحابه أن يرووا هجاءه وقال: إن أبا سفيان شعث مني عند قيصر فرد عليه علقمة وكذب أبا سفيان. يقال شعثت من فلان إذا غضضت منه وتنقصته).

(ونحوه في تاريخ دمشق: ٤١ / ١٤٨، ولسان العرب: ٢ / ١٦١)

وقال البخاري: ١ / ٦: (قال أبو سفيان فلما قال (هرقل) ما قال، وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا، فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة! إنه يخافه ملك بني الأصفر). انتهى.

وأبو كبشة مولى للنبي صلى الله عليه وآله كان كفار قريش لعنهم الله، يبنزونه به! وقال ابن عقيل في النصائح الكافية ص ١٠٩: (كان أبو سفيان في الجاهلية أشد قريش عداوة للنبي صلى الله عليه وآله وأعظمهم حرصا على إطفاء نور الله، وهو ممن أنزل الله فيهم قوله تعالى: فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم. ولم يزل ذلك دأبه وديده إلى أن أرغم الله أنفه بفتح مكة ودخل في الإسلام مكرها هو وبنوه وزوجته، ثم

حضر مع المؤلفة غزوة حنين وكانت الأزمات في كنانته! ولما انهزم المسلمون قال: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، والله قد غلبت هوازن!! فقال له صفوان: بفيك الكثكث، أي الحجارة والتراب.

قال ابن عبد البر في الإستيعاب: وقد اختلف في حسن إسلامه، فطائفة ترى أنه لما أسلم حسن إسلامه... قال: ونقل عن سعيد بن المسيب. وطائفة ترى أنه كان كهفا للمنافقين منذ أسلم، وكان في الجاهلية زنديقا.

ثم قال: وفي خبر ابن الزبير أنه رآه يوم اليرموك قال: فكانت الروم إذا ظهرت قال: أبو سفيان إيه بني الأصفر! وإذا كشفهم المسلمون قال أبو سفيان:

وبنو الأصفر الملوك ملوك الروم لم يبق منهم مذكور

فحدث به ابن الزبير أباه لما فتح الله على المسلمين، فقال الزبير: قاتله الله يأبى إلا نفاقا، أولسنا خيرا له من بني الأصفر؟! انتهى.

لهذه الأسباب وغيرها، من الطبيعي أن يفضل الروم بيت أبي سفيان الذي قاد الحرب على النبي صلى الله عليه وآله إلى آخر نفس، على آل النبي صلى الله عليه وآله!

ويفضلوا معاوية على علي عليه السلام لأنه كان محبا لليهود والنصارى أليفا لهم، فقد تزوج منهم وأعطاهم مناصب مهمة في دولته!

والمؤشر الثاني: أن كعب الأحبار وقف إلى جانب معاوية وجاء إلى صفين!

قال ابن الأعمش في الفتوح: ٣ / ١٣٨: (وأصبح القوم وقدم كعب على معاوية من حمص، فقربه معاوية وأدناه وكساه، فجعل كعب يحدث معاوية بالرخص، ولا ينكر ما هو فيه من قتاله عليا). انتهى. وكعب الأحبار صاحب ثقافة يهودية يعمل لها، فهو متعاطف بطبعه مع الروم!

ومن هنا نعرف كم هو التزوير في خطة معاوية والأشعث بن قيس لوقف القتال

في صفين عندما لاحت الهزيمة لمعاوية، فقد خطب الأشعث ليلة الهرير أو قبلها بليلة في جيش علي عليه السلام وطالب بوقف القتال بحجة الخوف من الروم والفرس! قال نصر بن مزاحم ص ٤٨١: (قال صعصعة: فانطلقت عيون معاوية إليه بخطبة الأشعث فقال: أصاب ورب الكعبة، لئن نحن التقينا غدا لتميلن الروم على ذرارينا ونسائنا، ولتميلن أهل فارس على نساء أهل العراق وذراريهم. وإنما يبصر هذا ذووا الأحلام والنهي. اربطوا المصاحف على أطراف القنا)!! يقول ذلك معاوية وقد عقد هدنة مع الروم، بل عقد اتفاقية معهم أنه إذا انهزم في صفين، تدخلوا وفتحوا جبهة إلى جانبه ضد علي عليه السلام!

**

من نبل أمير المؤمنين عليه السلام وفروسيته في صفيين
في مناقب آل الرسول لابن طلحة ص ٢٢٣: (خرج العباس بن ربيعة بن الحارث (بن
عبد المطلب) فأبلى، وخرج إليه من أصحاب معاوية فارس معروف يقال له غرار بن
أدهم فقال: يا عباس هل لك في المبارزة؟ فقال له العباس: هل لك في النزول فإنه أيسر
من القفول؟ فقال: نعم، فرمى بنفسه عن فرسه وسلم فرسه إلى غلام له فأخذه، ورمى
غرار بن أدهم بنفسه عن فرسه، ثم تلاقيا وكف أهل الجيشين أعنة خيولهم ينظرون إلى
الرجلين! ثم تضاربا بسيفيهما فما قدر أحدهما على صاحبه لكامل لأمته وعلي يراهما.
ونظر العباس إلى وهن في درع الشامي فضربه العباس على ذلك الوهن ففده باثنين!
فكبر جيش علي عليه السلام وجيش معاوية ثم عطف العباس فركب فرسه. فقال معاوية
لأصحابه: من خرج منكم إلى هذا فقتله فله عندي من المال كذا وكذا، فوثب رجالان
من بني لخم من اليمن فقالا نحن نخرج إليه. فقال: أخرجوا فأيكما سبق إلى قتله فله من
المال ما بذلت له، وللآخر مثل ذلك! فخرجوا جميعا ووقفا في مقر المبارزة، ثم صاحا
بالعباس ودعواه. فقال: أستأذن صاحبي وأبرز إليكما. وجاء إلي علي ليستأذنه فقال له
علي عليه السلام: ود معاوية أنه لا يبقي من بني هاشم نافخ ضرمة. ثم قال: إلى هاهنا،
أذن مني، فلما دنا منه أخذ منه سلاحه وأخذ فرسه، وخلع علي عليه السلام لباسه ولبس
سلاح العباس وما كان عليه، وركب فرس العباس وخرج إلى بين الصفيين كأنه العباس،
فقال له اللخميان: استأذنت فأذن لك مولاك؟ فتخرج علي عليه السلام من الكذب
فقرا: أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير!
فتقدم إليه أحد الرجلين فالتقيا بضربتين فضربه علي على مراق بطنه فقطعه

بأثنتين، فظن الناس بأنه أخطأه فلما تحرك الفرس سقط الرجل قطعتين، وعاد فرسه
وصار إلى عسكر علي عليه السلام! فتقدم الآخر فضربه علي فألحقه بصاحبه، ثم جال
عليه السلام جولة ثم رجع إلى موضعه!
وعلم معاوية أنه علي فقال: قبح الله اللجاج إنه ليعود ما ركبتة إلا خذلت. فقال له
عمرو بن العاص: المخذول والله اللخميان لا أنت. فقال له معاوية: أسكت أيها
الإنسان ليس هذه الساعة من ساعاتك. قال عمرو: فإن لم تكن من ساعاتي فرحم الله
اللخميان، ولا أظنه يفعل). انتهى. (راجع تفصله في ابن الأعمش: ٣ / ١٤٠) * *

وفي وقعة صفين لابن مزاحم ص ٣١٥: (عن صعصعة بن صوحان أن علي بن أبي
طالب صاف أهل الشام حتى برز رجل من حمير من آل ذي يزن، اسمه كريب بن
الصباح، ليس في أهل الشام يومئذ رجل أشهر شدة بالبأس منه، ثم نادى: من يبارز؟
فبرز إليه المرتفع بن الوضاح الزبيدي، فقتل المرتفع. ثم نادى: من يبارز؟ فبرز إليه
الحارث بن الجلاح فقتله؟ ثم نادى: من يبارز؟ فبرز إليه عائد بن مسروق الهمداني
فقتل عائدا، ثم رمى بأجسادهم بعضها فوق بعض، ثم قام عليها بغيا واعتداء ثم نادى:
هل بقي من مبارز؟! فبرز إليه علي عليه السلام ثم ناداه: ويحك يا كريب، إنني أحذرك
الله وبأسه ونقمته وأدعوك إلى سنة الله وسنة رسوله، ويحك لا يدخلنك ابن آكلة
الأكباد النار! فكان جوابه أن قال: ما أكثر ما قد سمعنا هذه المقالة منك فلا حاجة لنا
فيها، أقدم إذا شئت. من يشتري سيفي وهذا أثره؟ فقال عليه عليه السلام: لا حول ولا
قوة إلا بالله. ثم مشى إليه فلم يمهل أن ضربه ضربة خر منها قتيلا يتشحط في دمه. ثم
نادى عليه السلام: من يبارز؟ فبرز إليه الحارث بن وداعة الحميري فقتل الحارث. ثم
نادى: من يبارز؟ فبرز إليه المطاع بن المطلب القيني فقتل مطاعا، ثم نادى: من يبارز؟
فلم يبرز إليه أحد!

ثم إن عليا نادى: يا معشر المسلمين: الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمت قصاص
فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع
المتقين. ويحك يا معاوية هلم إلي فبارزني ولا يقتلن الناس فيما بيننا!
فقال عمرو: اغتنمه منتهزا قد قتل ثلاثة من أبطال العرب، وإني أطمع أن يظفرك الله به.
فقال معاوية: ويحك يا عمرو، والله إن تريد إلا أن أقتل فتصيب الخلافة بعدي! إذهب
إليك، فليس مثلي يخذع!
**

وفي وقعة صفين ص ٤٥٧: (أن أبرهة بن الصباح بن أبرهة الحميري قام فقال: ويلكم
يا معشر أهل اليمن، والله إنني لأظن أن قد أذن بفنائكم، ويحكم خلوا بين هذين
الرجلين فليقتلا، فأيهما قتل صاحبه ملنا معه جميعا. وكان أبرهة من رؤساء أصحاب
معاوية. فبلغ ذلك عليا فقال: صدق أبرهة بن الصباح، والله ما سمعت بخطبة منذ
وردت الشام أنا بها أشد سرورا مني بهذه.
وبلغ معاوية كلام أبرهة فتأخر آخر الصفوف وقال لمن حوله: إنني لأظن أبرهة مصابا
في عقله. فأقبل أهل الشام يقولون: والله إن أبرهة لأفضلنا دينا ورأيا وبأسا ولكن معاوية
كره مبارزة علي. فقال أبرهة في ذلك...) انتهى.
ثم أورد أبياتا لأبرهة يظهر منها أنه ترك معاوية، ولو بقي معه لقتله!
**

قال ابن أبي الحديد: (وأما العبادة، فكان أعبد الناس، وأكثرهم صلاة وصوما، ومنه تعلم
الناس صلاة الليل وملازمة الأوراد وقيام النافلة! وما ظنك برجل يبلغ من محافظته على
ورده أن يبسط له نطع بين الصفين ليلة الهرير فيصلبي عليه ورده والسهام تقع بين يديه،
وتمر على صماخيه يمينا وشمالا فلا يرتاع لذلك، ولا يقوم حتى
يفرغ من وظيفته! وما ظنك برجل كانت جبهته كثفنة البعير لطول

سجوده! وأنت إذا تأملت دعواته ومناجاته ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه وإجلاله، وما تتضمنه من الخضوع لهيئته والخشوع لعزته والإستخذاء له عرفت ما ينطوي عليه من الإخلاص، وفهمت من أي قلب خرجت، وعلى أي لسان جرت!).
(شرح النهج: ١ / ٢٧)

وفي كشف الغمة لابن أبي الفتح الإربلي: ١ / ٢٥٤: (وأمر المؤمنين فارس ذلك الجمع وأسده، وإمامه ومولاه وسيده، وهادي من اتبعه ومرشده، يهدر كالفحل ويزأر كالأسد، ويفرقهم ويجمعهم كفعله بالنقد، لا يعترضه في إقامة الحق وإدحاض الباطل فتور، ولا يلم به في إعلاء كلمة الله وخزي أعدائه قصور، يختطف النفوس ويقتطف الرؤوس، ويلقى بطلاقة وجهه اليوم العبوس، ويذل بسطوة بأسه الأسود السود، والفرسان الشؤوس، ويخجل بأنواره في ليل القتام الأقمار والشموس، فما لقي شجاعا إلا وأراق دمه، ولا بطلا إلا وزلزل قدمه، ولا مريدا إلا أعدمه، ولا قاسطا إلا قصر عمره وأطال ندمه، ولا جمع نفاق إلا فرقه، ولا بناء ضلال إلا هدمه، وكان كلما قتل فارسا أعلن بالتكبير فأحصيت تكبيراته ليلة الهرير فكانت خمسمائة وثلاثا وعشرين تكبيرة، بخمسمائة وثلاث وعشرين قتيلا من أصحاب السعير! وقيل: إنه في تلك الليلة فتق نيفق درعه، لثقل ما كان يسيل من الدم على ذراعه! وقيل: إن قتلاه عرفوا في النهار، فإن ضرباته كانت على وتيرة واحدة، إن ضرب طولاً قد! أو عرضاً قط! وكانت كأنها مكواة بالنار!)

وقال العلامة الحلبي في كشف اليقين ص ١٥٨: (وفي ليلة الهرير باشر الحرب بنفسه خاصة، وكان كلما قتل قتيلا كبر، فعد تكبيره فبلغ خمسمائة وثلاثا وعشرين تكبيرة، وعد قتلى الفريقين في صبيحة تلك الليلة، فبلغت ستة وثلاثين

ألف قتيل. واستظهر حينئذ أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وزحف مالك الأشتر حتى ألجأهم إلى معسكرهم. فلما رأى عمرو بن العاص الحال قال لمعاوية: نرفع المصاحف وندعوهم إلى كتاب الله. فقال معاوية: أصبت. ورفعوها فرجع القراء عن القتال. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إنها خديعة عمرو العاص، ليسوا من رجال القرآن! فلم يقبلوا وقالوا: لا بد أن ترد الأشتر وإلا قتلناك أو سلمناك إليهم!! فأنفذ يطلب الأشتر فقال: قد أشرفت على الفتح وليس وقت طلبي! فعرفه اختلال أصحابه وأنه إن لم يرجع قتلوه أو سلموه إلى معاوية! فرجع وعنف القراء وضرب وجه دوابهم فلم يرجعوا! فوضعت الحرب أوزارها....!

فعين معاوية عمرو بن العاص، وعين أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن العباس، فلم يوافقوا قال: فأبو الأسود، فأبوا واختاروا أبا موسى الأشعري. فقال عليه السلام: أبو موسى مستضعف وهواه مع غيرنا. فقالوا: لا بد منه، وحكموه، فخدع عمرو بن العاص أبا موسى وحمله على خلع أمير المؤمنين وأنه يخلع معاوية، وأمره بالتقدم حيث هو أكبر سنا ففعل أبو موسى ذلك، ثم قال: يا عمرو قم فافعل كذلك. فقام وأقرها في معاوية، فشتمه أبو موسى وتلاعنا!

**

من حساسة أعداء أمير المؤمنين عليه السلام في صفين يعرف القرشيون جيدا السمو الأخلاقي الذي يتصف به بنو هاشم، ولذلك ابتكر فرسان قريش أسلوبا في الدفاع عن أنفسهم عند مبارزتهم لبني هاشم. روى ابن كثير في السيرة: ٣ / ٣٩، ناقلا عن ابن هشام: (لما اشتد القتال يوم أحد، جلس رسول الله (ص) تحت راية الأنصار، وأرسل إلى علي أن قدم الراية، فقدم علي وهو يقول: أنا أبو القضم، فناداه أبو سعد بن أبي طلحة، وهو صاحب لواء المشركين: هل لك يا أبا القضم في البراز من حاجة؟ قال: نعم. فبرزوا بين الصفين فاختلعا ضربتين، فضربه علي فصرعه ثم انصرف ولم يجهز عليه! فقال له بعض أصحابه: أفلا أجهزت عليه؟ فقال: إنه استقبلني بعورته فعطفني عليه الرحم، وعرفت أن الله قد قتله! وقد فعل ذلك علي رضي الله عنه يوم صفين مع بسر بن أبي أرطاة، لما حمل عليه ليقتله أبدى له عورته، فرجع عنه.

وكذلك فعل عمرو بن العاص حين حمل عليه علي في بعض أيام صفين، أبدى عن عورته، فرجع علي أيضا. ففي ذلك يقول الحارث بن النضر: أفي كل يوم فارس غير منته * وعورته وسط العجاجة بادية يكف لها عنه علي سنانه * ويضحك منها في الخلاء معاويه!! انتهى كلام ابن كثير، لكنه لم يورد بقية أبيات الحارث بن النضر، وهي: بدت أمس من عمرو فقنع رأسه * وعورة بسر مثلها حذو حاذيه فقولوا لعمرو وابن أرطاة أبصرا * سبيلكما لا تلقيا الليث ثانيه ولا تحمدا إلا الحيا وخصاكما * هما كانتا والله للنفس واقيه فلولاهما لم تنجوا من سنانه * وتلك بما فيها عن العود ناهيه متى تلقيا الخيل المشيخة صبحه * وفيها علي فاتر كا الخيل ناحية

وكونا بعيدا حيث لا يبلغ القنا* وحمى الوغى إن التجارب كافيته
وإن كان منه بعد في النفس حاجة* فعودا إلى ما شئتما هي ماهية
فكان بسر بعد ذلك إذا لقي الخيل التي فيها علي تنحى ناحية). انتهى.
وقد روى هذه التكملة نصر بن مزاحم ص ٤٦٢ وجاء في القصة: (فغدا علي منقطعا
من خيله ومعه الأشر، وهو يريد التل... فاستقبله بسر قريبا من التل وهو
مقنع في الحديد لا يعرف، فناده: أبرز إلي أبا حسن، فانحدر إليه علي على تؤدة غير
مكترث، حتى إذا قاربه طعنه وهو دارع فألقاه على الأرض، ومنع الدرع السنان أن
يصل إليه، فاتقاه بسر بعورته وقصد أن يكشفها يستدفع بأسه، فانصرف عنه علي
مستدبرا له، فعرفه الأشر حين سقط فقال: يا أمير المؤمنين، هذا بسر بن أرطاة، عدو
الله وعدوك. فقال: دعه عليه لعنة الله، أبعد أن فعلها؟!
.... وقام بسر من طعنة علي موليا وولت خيله وناداه علي: يا بسر، معاوية كان أحق
بهذا منك. فرجع بسر إلى معاوية فقال له معاوية: إرفع طرفك قد أدال الله عمرا منك.
فقال في ذلك النضر بن الحارث.... الخ).

أما قصة ابن العاص فقد أوردتها العلامة الحلبي رحمه الله في كشف اليقين، قال ١٥٧:
(وخرج أمير المؤمنين عليه السلام يوما آخر متنكرا وطلب البراز، فخرج إليه عمرو بن
العاص وهو لا يعلم أنه علي، وعرفه علي عليه السلام فاطرد بين يديه ليبعده عن عسكره
فتبعه عمرو، ثم عرفه فولى ركضا! فلحقه علي عليه السلام فطعنه فوق الرمح في فضول
درعه فسقط وحشي أن يقتله، فرفع رجله فبدت سوءته! فصرف أمير المؤمنين عليه
السلام عنه وجهه، وانصرف إلى عسكره! وجاء عمرو إلى معاوية فضحك منه. قال:
مم تضحك؟ والله لو بدا لعلي من صفحتك ما بدا له من صفحتي إذا لأوجع قذالك،
وأيتم عيالك، وانتهب مالك!) انتهى.*

نجاح الأشعث والمنافقين

في إجبار أمير المؤمنين عليه السلام على إيقاف الحرب!
قال البلاذري في أنساب الأشراف ص ٣٣٧: (عن علقمة بن قيس قال: قلت لعلي:
أتقاضي معاوية على أن يحكم حكمان! فقال: ما أصنع؟ أنا مضطهد!).
وفي تاريخ دمشق: ٣٢ / ٩٤، عن ابن عباس: (قلت لعلي يوم الحكمين: لا تحكم
الأشعري... قال: يا ابن عباس ما أصنع؟! إنما أوتى من أصحابي، قد شعفت نيّتهم
وكلوا في الحرب. هذا الأشعث يقول: لا يكون فيها مضريان أبدا حتى يكون أحدهما
يمان! قال ابن عباس: فعذرتة وعرفت أنه مضطهد، وأن أصحابه لا نية لهم في
الحرب). انتهى. (ونسبه الذهبي في سيره: ٢ / ٢١٦ إلى ابن سعد، ولم نجده في
الطبقات).

وقال ابن مزاحم ص ٥٠٩: (فكتبت: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن
عمرو، فقال: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك. قال علي: فغضبت فقلت: بلى
والله إنه لرسول الله وإن رغم أنفك. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أكتب ما
يأمرك، إن لك مثلها، ستعطيها وأنت مضطهد).

وقال ابن مزاحم ص ٤٧٨: عن تميم بن حذيم قال (لما أصبحنا من ليلة الهرير نظرنا
فإذا أشباه الرايات أمام صف أهل الشام وسط الفيلق، من حيال موقف معاوية، فلما
أسفرنا إذا هي المصاحف قد ربطت على أطراف الرماح...!!
فقال علي: اللهم إنك تعلم أنهم ما الكتاب يريدون، فاحكم بيننا وبينهم، إنك أنت
الحكم الحق المبين). انتهى.

وفي تاريخ الطبري: ٤ / ٣٥: عن جندب الأزدي (أن عليا قال: عباد الله أمضوا على
ححكم وصدقكم قتال عدوكم، فإن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط وحبیب

بن مسلمة وابن أبي سرح والضحاك بن قيس، ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن! أنا أعرف بهم منكم، قد صحبتهم أطفالا وصحبتهم رجالا، فكانوا شر أطفال وشر رجال، ويحكم إنهم رفعوها ولا يعلمون بما فيها، وما رفعوها لكم إلا خديعة ودهنا ومكيدة! فقالوا له: ما يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله عز وجل فنأبى أن نقبله! فقال لهم: فإني إنما قاتلتهم ليدينوا بحكم هذا الكتاب، فإنهم قد عصوا الله عز وجل فيما أمرهم، ونسوا عهده ونبذوا كتابه! فقال له مسعر بن فدكي التميمي وزيد بن حصين الطائي ثم السنبيسي في عصابة معهما من القراء الذين صاروا خوارج بعد ذلك: يا علي أجب إلى كتاب الله عز وجل إذ دعيت إليه وإلا ندفعك برمتك إلى القوم، أو نفعل كما فعلنا بابن عفان! إنه علينا أن نعمل بما في كتاب الله عز وجل فقبلناه، والله لتفعلنها أو لنفعلنها بك!! قال قال: فاحفظوا عني نهبي إياكم واحفظوا مقالتيكم لي! أما أنا فإن تطيعوني تقاتلوا وإن تعصوني فاصنعوا ما بدا لكم! قالوا له: أما لا، فابعث إلى الأشتر فليأتك... قال فأرسل علي إلى الأشتر يزيد بن هانئ السبيعي أن ائني فأتاه فبلغه فقال: قل له ليس هذه الساعة التي ينبغي لك أن تزيلني فيها عن موقفي، إني قد رجوت أن يفتح لي فلا تعجلني! فرجع يزيد بن هانئ إلى علي فأخبره، فما هو إلا أن انتهى إلينا، فارتفع الرهج وعلت الأصوات من قبل الأشتر! فقال له القوم: والله ما نراك إلا أمرته أن يقاتل! قال: من أين ينبغي أن تروا ذلك رأيتموني ساررته أليس إنما كلمته على رؤوسكم علانية وأنتم تسمعوني! قالوا: فابعث إليه فليأتك وإلا والله اعتزلناك! قال له: ويحك يا يزيد قل له أقبل إلي فإن الفتنة قد وقعت! فأبلغه ذلك فقال له: لرفع المصاحف؟! قال نعم. قال: أما والله لقد ظننت حين رفعت أنها ستوقع اختلافا وفرقة، إنها مشورة ابن العاهرة! ألا ترى ما صنع الله لنا، أينبغي أن أدع هؤلاء وأنصرف عنهم! وقال يزيد بن هانئ: فقلت له أتحب أنك ظفرت هاهنا، وأن أمير المؤمنين بمكانه

الذي هو به يفرج عنه أو يسلم؟! قال: لا والله، سبحان الله! قال: فإنهم قد قالوا لترسلن إلى الأشر فليأتينك أو لنقتلنك كما قتلنا ابن عفان!! فأقبل حتى انتهى إليهم فقال: يا أهل العراق يا أهل الذل والوهن! حين علوتم القوم ظهرا وظنوا أنكم لهم قاهرون، رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها، وقد والله تركوا ما أمر الله عز وجل به فيها، وسنة من أنزلت عليه صلى الله عليه وآله فلا تجيبوهم! أمهلوني عدو الفرس، فإنني قد طمعت في النصر! قالوا: إذا ندخل معك في خطيئتك! قال فحدثوني عنكم وقد قتل أمثالكم وبقي أراذلكم: متى كنتم محقين أحين كنتم تقاتلون وخياركم يقتلون، فأنتم الآن إذ أمسكنم عن القتال مبطلون، أم الآن أنتم محقون فقتلكم الذين لا تنكرون فضلهم فكانوا خيرا منكم في النار إذا؟! قالوا: دعنا منك يا أشر قاتلناهم في الله عز وجل وندع قتالهم لله سبحانه، إنا لسنا مطيعيك ولا مطيعي صاحبك فاجتنبنا!

فقال: خدعتم والله فانخدعتم ودعيتم إلى وضع الحرب فأجبتهم! يا أصحاب الجباه السود! كنا نظن صلواتكم زهادة في الدنيا وشوقا إلى لقاء الله عز وجل، فلا أرى فراركم إلا إلى الدنيا من الموت! ألا قبحا يا أشباه النيب الجلالة! وما أنتم برائين بعدها عزا أبدا! فأبعدوا كما بعد القوم الظالمون! فسبوه فسبهم، فضربوا وجه دابته بسياطهم، وأقبل يضرب بسوطه وجوه دوابهم! وصاح بهم علي فكفوا، وقال للناس: قد قبلنا أن تجعل القرآن بيننا وبينهم حكما.

فجاء الأشعث بن قيس إلى علي فقال له: ما أرى الناس إلا قد رضوا وسرهم أن يجيبوا القوم إلى ما دعوهم إليه من حكم القرآن، فإن شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد فنظرت ما يسأل!! قال: إئته إن شئت فسله! فأتاه فقال يا معاوية لأي شيء رفعتهم هذه المصاحف؟ قال لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله عز وجل به في

كتابه، تبعثون منكم رجلا ترضون به ونبعث منا رجلا، ثم نأخذ عليهما أن يعملما بما في كتاب الله لا يعدوانه، ثم نتبع ما اتفقا عليه!
فقال له الأشعث بن قيس: هذا الحق، فانصرف إلى علي فأخبره بالذي قال معاوية، فقال الناس: فإننا قد رضينا وقبلنا. فقال أهل الشام: فإننا قد اخترنا عمرو بن العاص، فقال الأشعث وأولئك القوم الذين صاروا خوارج بعد: فإننا قد رضينا بأبي موسى الأشعري. قال علي: فإنكم قد عصيتموني في أول الأمر فلا تعصوني الآن! إني لا أرى أن أولي أبا موسى! فقال الأشعث وزيد بن حصين الطائي ومسعر بن فدكي: لا نرضى إلا به فإنه ما كان يحذرنا وقعنا فيه. قال علي: فإنه ليس لي بثقة قد فارقتني وخذل الناس عني ثم هرب مني حتى آمنتته بعد أشهر، ولكن هذا ابن عباس نوليه ذلك. قالوا: ما نبالي أنت كنت أم ابن عباس، لا نريد إلا رجلا هو منك ومن معاوية سواء، ليس إلى واحد منكم بأدنى منه إلى الآخر!

فقال علي: فإنني أجعل الأشر، قال أبو محنف حدثني أبو جناب الكلبي أن الأشعث قال: وهل سعر الأرض غير الأشر! قال أبو محنف عن عبد الرحمن بن جندب عن أبيه أن الأشعث قال: وهل نحن إلا في حكم الأشر؟ قال علي: وما حكمه؟ قال: حكمه أن يضرب بعضنا بعضا بالسيوف حتى يكون ما أردت وما أراد! قال: فقد أبيتتم إلا أبا موسى؟! قالوا: نعم، قال: فاصنعوا ما أردتم!!

وفي الطبري: ٤ / ٤٠: (أن عليا قال للناس يوم صفين: لقد فعلتم فعلة ضعفت قوة، وأسقطت منة، وأوهنت وأورثت وهنا وذلة، ولما كنتم الأعلىين وخاف عدوكم الاجتياح، واستحر بهم القتل ووجدوا ألم الجراح، رفعوا المصاحف ودعوكم إلى ما فيها ليفتؤوكم عنهم، ويقطعوا الحرب فيما بينكم وبينهم، ويتربصوا ريب المنون خديعة ومكيدة، فأعطيتموهم ما سألوها، وأبيتتم إلا أن تدهنوا وتجاوزوا! وأيم الله ما أظنكم بعدها توافقون رشدا، ولا تصيبون باب حزم)!!

وفي نهج البلاغة: ٢ / ١٨٦: (ومن كلام له عليه السلام قاله لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة: أيها الناس، إنه لم يزل أمري معكم علي ما أحب حتى نهكتكم الحرب، وقد والله أخذت منكم وتركت، وهي لعدوكم أنهك. لقد كنت أمس أميراً فأصبحت اليوم مأموراً! وكنت أمس ناهياً فأصبحت اليوم منهيماً! وقد أحببتم البقاء وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون!)
**

نص وثيقة التحكيم في صفين
في تاريخ الطبري: ٤ / ٣٧: (فبعثوا إليه (يعني أبا موسى الأشعري) وقد اعتزل القتال
وهو يعرض، فأناه مولى له فقال إن الناس قد اصطلحوا، فقال: الحمد لله رب العالمين،
قال: قد جعلوك حكما، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون. وجاء أبو موسى حتى دخل
العسكر، وجاء الأشتر حتى أتى عليا فقال: لزني بعمر بن العاص، فوالله الذي لا إله إلا
هو لئن ملأت عيني منه لأقتلنه!

وجاء الأحنف فقال: يا أمير المؤمنين إنك قد رميت بحجر الأرض وبمن حارب الله
ورسوله أنف الإسلام، وإني قد عجمت هذا الرجل وحلبت أشطره فوجدته كليل
الشفرة قريب القعر، وإنه لا يصح لهؤلاء القوم إلا رجل يدنو منهم حتى يصير في
أكفهم، ويبعد حتى يصير بمنزلة النجم منهم، فإن أبيت أن تجعلني حكما فاجعلني ثانيا
أو ثالثا، فإنه لن يعقد عقدة إلا حللتها ولن يحل عقدة أعقدها إلا عقدت لك أخرى
أحكم منها! فأبى الناس إلا أبا موسى والرضى بالكتاب، فقال الأحنف: فإن أبيتم إلا أبا
موسى فأدفتوا ظهره بالرجال...

فكتبوا: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تقاضى عليه علي أمير المؤمنين، فقال عمرو:
أكتب اسمه واسم أبيه، هو أميركم، فأما أميرنا فلا. وقال له الأحنف: لا تمح اسم إمارة
المؤمنين، فإني أتخوف إن محوتها ألا ترجع إليك أبدا، لا تمحها وإن قتل الناس
بعضهم بعضا، فأبى ذلك علي مليا من النهار، ثم إن الأشعث بن قيس قال: أمح هذا
الاسم ترحه الله! فقال علي: الله أكبر سنة بسنة، ومثل بمثل! والله إني لكاتب بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الحديبية إذ قالوا لست رسول الله ولا نشهد لك به،
ولكن اكتب اسمك واسم أبيك فكتبه، فقال عمرو بن العاص: سبحان الله ومثل هذا أن
نشبه بالكفار ونحن مؤمنون! فقال علي: يا ابن

النابغة ومتى لم تكن للفاسقين وليا وللمسلمين عدوا، وهل تشبه إلا أمك التي وضعت بك! فقام فقال: لا يجمع بيني وبينك مجلس أبدا بعد هذا اليوم! فقال له علي: وإني لأرجو أن يطهر الله عز وجل مجلسي منك ومن أشباهك!

وفي صفين لابن مزاحم ص ٥٠٩: أن أمير المؤمنين عليه السلام قال: (إني والله لأنا كتبت الكتاب بيدي يوم الحديبية، وكتبت: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل: لا أرضى أكتب: باسمك اللهم، فكتبت: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو، فقال: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك. قال علي: فغضبت فقلت: بلى والله إنه لرسول الله وإن رغم أنفك. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أكتب ما يأمرك، وإن لك مثلها ستعطيها وأنت مضطهد!

وفي تاريخ الطبري: ٤ / ٣٨: (وكتب الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، قاضى علي على أهل الكوفة ومن معهم من شيعتهم من المؤمنين والمسلمين، وقاضى معاوية على أهل الشام ومن كان معهم من المؤمنين والمسلمين: أنا ننزل عند حكم الله عز وجل وكتابه، ولا يجمع بيننا غيره، وأن كتاب الله عز وجل بيننا من فاتحته إلى خاتمته، نحیی ما أحیا ونمیت ما أمات، فما وجد الحكمان في كتاب الله عز وجل وهما أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص القرشي عملا به، وما لم يجدا في كتاب الله عز وجل فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة.

وأخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين من العهود والميثاق والثقة من الناس، أنهما آمنان على أنفسهما وأهلهما، والأمة لهما أنصار على الذي يتقاضيان عليه، وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كليهما عهد الله وميثاقه أنا على ما في هذه الصحيفة، وأن قد وجبت قضيتهما على المؤمنين، فإن الأمن والاستقامة ووضع السلاح بينهم أينما ساروا، على أنفسهم وأهليهم وأموالهم

وشاهدتهم وغائبهم. وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الأمة، ولا يرداها في حرب ولا فرقة، حتى يعصيا. وأجل القضاء إلى رمضان وإن أحبا أن يؤخرا ذلك أخراه على تراض منهما، وإن توفى أحد الحكمين فإن أمير الشيعة يختار مكانه ولا يألو من أهل المعدلة والقسط، وإن مكان قضيتهما الذي يقضيان فيه مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل الشام. وإن رضيا وأحبا فلا يحضرهما فيه إلا من أرادا، ويأخذ الحكمان من أرادا من الشهود، ثم يكتبان شهادتهما على ما في هذه الصحيفة، وهم أنصار على من ترك ما في هذه الصحيفة، وأراد فيه إلحادا وظلما. اللهم إنا نستنصرك على من ترك ما في هذه الصحيفة. شهد من أصحاب علي: الأشعث بن قيس الكندي، وعبد الله بن عباس، وسعيد بن قيس الهمداني، وورقاء بن سمي البجلي، وعبد الله بن محل العجلي، وحجر بن عدي الكندي، وعبد الله بن الطفيل العامري، وعقبة بن زياد الحضرمي ويزيد بن حجية التيمي، ومالك بن كعب الهمداني. ومن أصحاب معاوية: أبو الأعور السلمي عمرو بن سفيان، وحبيب بن مسلمة الفهري، والمخارق بن الحارث الزبيدي، وزمل بن عمرو العذري، وحمزة بن مالك الهمداني، وعبد الرحمن بن خالد المخزومي، وسبيع بن يزيد الأنصاري، وعلقمة بن يزيد الأنصاري، وعتبة بن أبي سفيان، ويزيد بن الحر العبسي). انتهى.

ملاحظة: تقدم من فتوح ابن الأعمش: ٢ / ١١٠: أن بقية الصحابة غير الطلقاء والأنصار كلهم كانوا مع علي عليه السلام في صفين، وأنه لم يكن مع معاوية من الأنصار إلا النعمان بن بشير ومسلمة بن مخلد. بينما وصفت رواية الطبري المتقدمة بسبيع بن يزيد وعلقمة بن يزيد بالأنصارين، وهو وصف غير دقيق أو

مكذوب، فقد نص البلاذري في أنساب الأشراف ص ٣٣٥، على أنهما أخوان
وحضرميان، قال: (ومن أهل الشام أبو الأعور عمرو بن سفيان السلمي... وسبيع بن
يزيد الحضرمي وعلقمة بن يزيد أخو سبيع هذا). انتهى.
وكذا وصفهما ابن عساكر في تاريخه: ٢ / ١٤٠، و ٤١ / ٢٠١، بالحضرميين وأنهما
من وجوه أصحاب معاوية. ووصف ابن مزاحم ص ٥٠٧ سبيعا بالهمداني وعلقمة
بالجرمي. وورد في الغارات ص ٢٧٥ اسم سبيع الحضرمي وأنه مولى لمعاوية!
فلا تصح نسبتها إلى الأنصار!
* *

وقال نصر بن مزاحم ص ٥١٢، والطبري: ٤ / ٨٤: (لما كتبت الصحيفة دعي لها
الأشتر فقال: لا صحبتني يميني ولا نفعتني بعدها الشمال، إن كتب لي خط في هذه
الصحيفة إسم علي صلح ولا موادة! أولست على بينة من ربي، ويقين من ضلالة
عدوي؟! أو لستم قد رأيتم الظفر إن لم تجمعوا على الخور؟!
فقال له الأشعث بن قيس: إنك والله رأيت ظفرا ولا خورا، هلم فاشهد على نفسك،
وأقر بما كتب في هذه الصحيفة، فإنه لا رغبة بك عن الناس. قال: بلى والله، إن بي
لرغبة عنك في الدنيا للدنيا وفي الآخرة للآخرة. ولقد سفك الله بسيفي هذا دماء رجال
ما أنت بخير منهم عندي ولا أحرم دما. فقال عمار بن ربيعة: فنظرت إلى الأشعث
و كأنما قصع على أنفه الحمم! ثم قال (الأشتر): ولكن قد رضيت بما صنع علي أمير
المؤمنين، ودخلت فيما دخل فيه، وخرجت مما خرج منه، فإنه لا يدخل إلا في هدى
وصواب! انتهى.
ومعنى قوله: (و كأنما قصع على أنفه الحمم): كأنما فرك أنف الأشعث بالفحم!
* *

زار علي كربلاء ومعه الحسين صلى الله عليه وآله
في ذهابهم إلى صفين وإيابهم منها!

روت ذلك مصادرهم ومصادرنا، ففي مسند أحمد بن حنبل: ١ / ٨٥: (عن عبد الله بن نجى عن أبيه، إنه سار مع علي كرم الله وجهه وكان صاحب مطهرته، فلما حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفين فنادى علي: إصبر أبا عبد الله! إصبر أبا عبد الله بشط الفرات! قلت وماذا؟ قال: دخلت على النبي (ص) ذات يوم وعيناه تفيضان قلت: يا نبي الله، أغضبك أحد؟ ما شأن عينيك تفيضان؟ قال: بل قام عندي جبريل فحدثني أن الحسين يقتل بشط الفرات. قال فقال: هل لك أن أشمك من تربته؟ قال قلت: نعم. فمد يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها فلم أملك عيني أن فاضت). (ورواه ابن أبي شيبه: ١٥ / ٩٨).

وروى ابن أبي شيبه: ١٥ / ٩٨: (عن أبي هرثمة قال: بعرت شاة له فقال لجارية له: يا جرداء لقد أذكركني في هذا البعر حديثا سمعته من أمير المؤمنين عليه السلام وكنت معه كربلاء فمر بشجرة تحتها بعر غزلان، فأخذ منه قبضة فشمها ثم قال: يحشرون من هذا الظهر سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب). (قال في الزوائد: ٩ / ١٩١: رواه الطبراني ورجاله ثقات).

وروى ابن أبي شيبه أيضا: ٥ / ٩٧: (عن هانئ بن هانئ، عن علي كرم الله وجهه قال: ليقتلن الحسين عليه السلام قتلا، وإنني لأعرف تربة الأرض التي بها يقتل يقتل قريبا من النهرين وليقتلن الحسين ظلما). (وثق رجاله الزوائد: ٩ / ١٩٠ وكذا الآتي عن الطبراني).

وروى الطبراني في المعجم الكبير: ٣ / ١١٠: (عن علي كرم الله وجهه قال: ليقتلن الحسين وإنني لأعرف التربة التي يقتل فيها قريبا من النهرين).

وروته مصادرنا مفصلاً، ففي إرشاد المفيد: ١ / ٣٣٢: (عن جويرية بن مسهر العبدي قال: لما توجهنا مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى صفين فبلغنا طفوف كربلاء وقف عليه السلام ناحية من العسكر، ثم نظر يمينا وشمالا واستعبر، ثم قال: هذا والله مناخ ركابهم وموضع منيتهم! فقيل له: يا أمير المؤمنين ما هذا الموضع؟ قال: هذا كربلاء، يقتل فيه قوم يدخلون الجنة بغير حساب! ثم سار. فكان الناس لا يعرفون تأويل ما قال حتى كان من أمر أبي عبد الله الحسين بن علي صلى الله عليه وآله وأصحابه بالطف ما كان، فعرف حينئذ من سمع مقاله مصداق الخبر فيما أنبأهم به عليه السلام).

وفي كامل الزيارات ص ٤٥٣، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (مر أمير المؤمنين عليه السلام بكربلاء في أناس من أصحابه، فلما مر بها اغرورقت عيناه بالبكاء، ثم قال: هذا مناخ ركابهم وهذا ملقى رحالهم، وهنا تهرق دماؤهم، طوبى لك من تربة عليك تهرق دماء الأحياء). (ورواه في قرب الاسناد ص ٢٦، وخصائص الأئمة ص ٤٧) وفي أمالي الصدوق ص ١٩٩: (عن جرداء بنت سمين، عن زوجها هرثمة بن أبي مسلم قال: غزونا مع علي بن أبي طالب صفين، فلما انصرفنا نزل كربلاء فصلى بها الغداة، ثم رفع إليه من تربتها فشمها، ثم قال: واها لك أيتها التربة، ليحشرن منك أقوام يدخلون الجنة بغير حساب. فرجع هرثمة إلى زوجته، وكانت شيعة لعلي فقال: ألا أحدثك عن وليك أبي الحسن؟ نزل بكربلاء فصلى ثم رفع إليه من تربتها وقال: واها لك أيتها التربة، ليحشرن منك أقوام يدخلون الجنة بغير حساب! قالت: أيها الرجل، فإن أمير المؤمنين لم يقل إلا حقا. فلما قدم الحسين عليه السلام قال هرثمة: كنت في البعث الذين بعثهم عبید الله ابن زياد، فلما رأيت المنزل والشجر ذكرت الحديث، فجلست علي بعيري، ثم صرت إلى الحسين عليه السلام، فسلمت عليه وأخبرته بما سمعت من أبيه في ذلك المنزل الذي نزل به الحسين عليه السلام فقال: معنا أنت أم علينا؟ فقلت: لا معك ولا عليك، خلفت صببية أخاف

عليهم عبيد الله بن زياد. قال: فامض حيث لا ترى لنا مقتلا، ولا تسمع لنا صوتا، فوالذي نفس الحسين بيده، لا يسمع اليوم واعيتنا أحد فلا يعيننا، إلا كبه الله لوجهه في جهنم). انتهى. (راجع أيضا: كامل الزيارات: ١٠٨ / ٣، وشرح الأخبار: ١٤١ / ٣، والبحار: ٤٤: ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٨٤، والمناقب لمحمد بن سليمان: ٢ / ٢٦، وشرح الأخبار: ١٤١ / ٣).

ورواه ابن مزاحم في وقعة صفين ص ١٤٠، ثم روى (عن أبي جحيفة قال جاء عروة البارقي إلى سعيد بن وهب فسأله وأنا أسمع فقال: حديث حدثتني عن علي بن أبي طالب؟ قال: نعم، بعثني مخنف بن سليم إلى علي فأتيته بكربلاء: فوجدته يشير بيده ويقول: هاهنا هاهنا. فقال له رجل: وما ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: ثقل لآل محمد ينزل هاهنا فويل لهم منكم، وويل لكم منهم. فقال له الرجل: ما معنى هذا الكلام يا أمير المؤمنين؟ قال: ويل لهم منكم: تقتلونهم! وويل لكم منهم: يدخلكم الله بقتلهم إلى النار.... عن الحسن بن كثير عن أبيه: أن عليا أتى كربلاء فوقف بها، فقيل يا أمير المؤمنين هذه كربلاء. قال: ذات كرب وبلاء. ثم أوما بيده إلى مكان فقال: هاهنا موضع رحالهم، ومناخ ركابهم، وأوما بيده إلى موضع آخر فقال: هاهنا مهراق دمائهم!!

**

محكمة لاهاي القرشية في دومة الجندل!
الدومة: واحة الشجر الضخام. (النهاية لابن الأثير: ٢ / ١٤١)، والجندل: الصخر.
وفي معجم البلدان: ٢ / ٤٨٧: (دومة الجندل... وحصنها مارد، وسميت دومة
الجندل لأن حصنها مبني بالجندل، وقال أبو عبيد السكوني: دومة الجندل حصن وقرى
بين الشام والمدينة، قرب جبلي طيء). انتهى.
وفي التنبيه والإشراف ص ٢٥٥: (وبين وقعة صفين والتقاء الحكيمين أبي موسى
الأشعري وعمرو بن العاص بدومة الجندل في شهر رمضان سنة ٣٨، سنة وخمسة
أشهر وأربعة وعشرون يوما. وبين التقائهما وخروج علي إلى الخوارج بالنهروان وقتله
إياهم، سنة وشهران).
وفي تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٩٠، عن عبد الرحمن بن حصين بن سويد، قال: إني
لأساير أبا موسى الأشعري على شاطئ الفرات، وهو إذ ذاك عامل لعمر، فجعل
يحدثني، فقال: إن بني إسرائيل لم تزل الفتن ترفعهم وتخفضهم أرضا بعد أرض حتى
حكّموا ضالين أضلا من اتبعهما. قلت: فإن كنت يا أبا موسى أحد الحكيمين، قال فقال
لي: إذا لا ترك الله لي في السماء مصعدا ولا في الأرض مهربا إن كنت أنا هو. فقال
سويد: لربما كان البلاء موكلا بالمنطق! ولقيته بعد التحكيم، فقلت: إن الله إذا قضى
أمرا لم يغالب!). انتهى.
وروى نحوه في المناقب: ٢ / ٣٦٣، قال: (وروى ابن مردويه بأسانيده، عن سويد بن
غفلة أنه قال: كنت مع أبي موسى على شاطئ الفرات فقال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وآله يقول: إن بني إسرائيل اختلفوا فلم يزل الاختلاف بينهم حتى بعثوا
حكّمين ضالين ضل من اتبعهما، ولا تنفك أموركم تختلف حتى تبعثوا حكّمين
يضلان ويضل

من تبعهما! فقلت أعيذك بالله أن تكون أحدهما قال: فخلع قميصه فقال: برأني الله من ذلك كما برأني من قميصي): (ونحوه في شرح النهج: ١٣ / ٥٠٧).

وفي تاريخ خليفة بن خياط ص ١٤٤: (فبعث علي ابن عباس ولم يحضره، وحضر معاوية. فلم يتفق الحكمان على شيء، وافترق الناس وبايع أهل الشام لمعاوية بالخلافة في ذي القعدة سنة سبع وثلاثين). انتهى. والصحيح أنه عام ٣٨.

وفي تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٨٨: (ووجه علي بعبد الله بن عباس في أربعمئة من أصحابه، ونفذ معاوية أربعمئة من أصحابه، واجتمعوا بدومة الجندل في شهر ربيع الأول سنة ٣٨. فخدع عمرو بن العاص أبا موسى، وذكر له معاوية فقال: هو ولي ثار عثمان وله شرف في قريش، فلم يجد عنده ما يحب، قال: فابني عبد الله؟ قال: ليس بموضع لذلك. قال: فعبد الله بن عمر؟ قال: إذا نحى سنة عمر الآن حيث به. فقال: فاخلع عليا وأخلع أنا معاوية، ويختار المسلمون.

وقدم عمرو أبا موسى إلى المنبر فلما رآه عبد الله بن عباس قام إلى عبد الله بن قيس فدنا منه فقال: إن كان عمرو فارقك على شيء، فقدمه قبلك فإنه غدر. فقال: لا، قد اتفقنا على أمر، فصعد المنبر، فخلع عليا، ثم صعد عمرو بن العاص فقال: قد ثبت معاوية كما ثبت خاتمي هذا في يدي. فصاح به أبو موسى: غدرت يا منافق، إنما مثلك مثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث!

قال عمرو: إنك مثلك مثل الحمار يحمل أسفارا!! وتنادى الناس: حكم والله الحكمان بغير ما في الكتاب، والشرط عليهما غير هذا! وتضارب القوم بالسياط وأخذ قوم بشعور بعض! وافترق الناس ونادت الخوارج: كفر الحكمان، لاحكم إلا لله. وقيل: أول من نادى بذلك عروة بن أديّة التميمي قبل أن يجتمع الحكمان وكانت الحكومة في شهر رمضان سنة ٣٨). انتهى.

وروت شبيها بما تقدم كل مصادر التاريخ والحديث، بتفصيلات عديدة، كالطبري: ٤ / ٤٨، وجاء فيه: (قال وشهد جماعتهم تلك عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المنخزومي، وعبد الرحمن بن عبد يغوث الزهري، وأبو جهم بن حذيفة العدوي، والمغيرة بن شعبة الثقفي...
قال أبو موسى: أما والله لئن استطعت لأحيين اسم عمر بن الخطاب، فقال له عمرو: إن كنت تحب بيعة ابن عمر فما يمنعك من ابني وأنت تعرف فضله وصلاحه؟! فقال إن ابنك رجل صدق، ولكنك قد غمسته في هذه الفتنة!)
وقال الطبري: ٤ / ٥٢: (أخذ عمرو يقدم أبا موسى في الكلام يقول: إنك صاحب رسول الله، وأنت أسن مني فتكلم وأتكلم! فكان عمرو قد عود أبا موسى أن يقدمه في كل شيء، اغتره بذلك كله أن يقدمه فيبدأ بخلع علي!
قال فنظر في أمرهما وما اجتماعا عليه فأراده عمرو علي معاوية فأبى، وأراده علي ابنه فأبى، وأراد أبو موسى عمروا علي عبد الله بن عمر فأبى عليه، فقال له عمرو: خبرني ما رأيك؟ قال رأيي أن نخلع هذين الرجلين ونجعل الأمر شورى بين المسلمين فيختار المسلمون لأنفسهم من أحبوا، فقال له عمرو: فإن الرأي ما رأيت...!! فتقدم أبو موسى ليتكلم فقال له ابن عباس: ويحك والله إنني لأظنه قد خدعك، إن كنتما قد اتفقتما علي أمر فقدمه فليتكلم بذلك الأمر قبلك، ثم تكلم أنت بعده، فإن عمرا رجل غادر، ولا آمن أن يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك وبينه، فإذا قمت في الناس خالفك! وكان أبو موسى مغفلا، فقال له إنا قد اتفقنا! فتقدم أبو موسى فحمد الله عز وجل وأثنى عليه ثم قال: يا أيها الناس إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر أصحح لأمرها ولا ألم لشعثها من أمر قد جمع رأيي ورأي عمرو عليه، وهو أن نخلع عليا ومعاوية وتستقبل هذه الأمة هذا الأمر

فيولوا منهم من أحبوا عليهم، وإني قد خلعت عليا ومعاوية، فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلا! ثم تنحى.

وأقبل عمرو بن العاص فقام مقامه فحمد الله وأثنى عليه وقال: إن هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه، وأثبت صاحبي معاوية! فإنه ولي عثمان بن عفان والطالب بدمه، وأحق الناس بمقامه.

فقال أبو موسى: مالك لا وفقك الله غدرت وفجرت؟! إنما مثلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث! قال عمرو: إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفارا! وحمل شريح بن هانئ على عمرو فقنعه بالسوط! وحمل على شريح ابن عمرو فضربه بالسوط! وقام الناس فحجزوا بينهم، وكان شريح بعد ذلك يقول ما ندمت على شيء ندامتي على ضرب عمرو بالسوط، ألا أكون ضربته بالسيف آتيا به الدهر ما أتى).

انتهى.

* *

ومن الطبيعي أن أحدا من المسلمين لم يقبل نتيجة هذه المهزلة التي دبرها معاوية وابن العاص في دومة الجندل، فكانت نتيجتها أن المسلمون تمسكوا بخلافة علي عليه السلام، لكن معاوية اعتبر النتيجة شرعية وأن الحكامين حكما بكتاب الله تعالى، وبدأ بأخذ البيعة لنفسه بالخلافة وإمرة المؤمنين من أهل الشام!

* *

أما انعكاس محكمة دومة الجندل في أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام فكان إدانة غاضبة لأبي موسى وعمرو العاص، وتمسكا بخلافة أمير المؤمنين عليه السلام وتجديدا لبيعته، وقد استثمر ذلك عليه السلام في دعوتهم إلى الاستعداد لحرب معاوية، وتحرك بالفعل إلى معسكر الكوفة بالنخيلة، وبدأت استجابة الناس وتجمعهم في النخيلة.

قال عليه السلام في خطبته بعد التحكيم: كما في نهج البلاغة: ١ / ٨٤:

(الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح والحدث الجليل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ليس معه إله غيره وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله. أما بعد فإن معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحسرة، وتعقب الندامة. وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري، ونخلت لكم مخزون رأبي، لو كان يطاع لقصير أمر، فأبيتم علي إباء المخالفين الجفافة والمنابذين العصاة! حتى ارتاب الناصح بنصحه، وضمن الزند بقدحه، فكنت وإياكم كما قال أخو هوازن:

أمرتكم أمري بمنعرج اللوى * فلم تستبينوا النصح إلا ضحى الغد!!
وقال عليه السلام كما في نهج البلاغة: ٢ / ٩٦: (فأجمع رأي ملئكم على أن اختاروا رجلين، فأخذنا عليهما أن يجعجا عند القرآن ولا يجاوزاه، وتكون ألسنتهما معه وقلوبهما تبعه. فتأها عنه وتركا الحق وهما يبصرانه، وكان الجور هواهما، والاعوجاج دأبهما، وقد سبق استثناءنا عليهما في الحكم بالعدل والعمل بالحق سوء رأيهما وجور حكمهما، والثقة في أيدينا لأنفسنا حين خالفا سبيل الحق، وأتيا بما لا يعرف من معكوس الحكم). انتهى.

لكن المشكلة في العراق كانت استفحال أمر الخوارج، الذين رأوا في لعبة ابن العاص وغباء أبي موسى الأشعري دليلا على صحة موقفهم في تكفير الذين قبلوا بالتحكيم وأولهم هم، ولم ينفذ معهم حث الإمام لهم على التوجه معه إلى حرب معاوية، بل أخذوا يتجمعون في معسكرات مطالبين عليا عليه السلام بأن يشهد على نفسه بالكفر ويتوب مثلهم لكي يبايعوه ويتوجهوا معه إلى حرب معاوية!

ففي نهج البلاغة: ١ / ٢٣٣: (من كلامه عليه السلام وقد قام إليه رجل فقال: نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها، فما ندري أي الأمرين أرشد! فصفق عليه السلام إحدى يديه على الأخرى ثم قال: هذا جزاء من ترك العقدة! أما والله لو أنني حين أمرتكم بما أمرتكم به حملتكم على المكروه الذي يجعل الله فيه خيرا، فإن استقمتم هديتكم، وإن اعوججتم قومتمكم، وإن أبيتم تداركتكم، لكانت الوثقى، ولكن بمن وإلى من؟ أريد أن أدأوي بكم

وأنتم دائي، كناقش الشوكة بالشوكة وهو يعلم أن ضلعها معها. اللهم قد ملت أطباء هذا الداء الدوي، وكلت النزعة بأشطان الركي.

أين القوم الذين دعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرأوا القرآن فأحكموه، وهيجوا إلى القتال فولهوا وله اللقاح إلى أولادها، وسلبوا السيوف أغمادها، وأخذوا بأطراف الأرض زحفا زحفا وصفوا صفا. بعض هلك وبعض نجا، لا يبشرون بالأحياء، ولا يعززون عن الموتى! مره العيون من البكاء، خمص البطون من الصيام، ذبل الشفاه من الدعاء، صفر الألوان من السهر! على وجوههم غبرة الخاشعين. أولئك إخواني الذاهبون، فحق لنا أن نظماً إليهم، ونعض الأيدي على فراقهم! إن الشيطان يسني لكم طريقه، ويريد أن يحل دينكم عقدة عقدة، ويعطيكم بالجماعة الفرقة، فأصدفوا عن نزغاته ونفثاته، واقبلوا النصيحة ممن أهداها إليكم، واعقلوها على أنفسكم).

وفي نهج البلاغة: ١ / ٥٦: من كلامه عليه السلام للأشعث بن قيس عندما اعترض عليه في خطبته المتقدمة فقال له: (يا أمير المؤمنين هذه عليك لا لك! فخفض عليه السلام إليه بصره فقال: ما يدريك ما علي مما لي؟! عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين! حائك بن حائك منافق بن كافر! والله لقد أسرك الكفر مرة والإسلام أخرى، فما فداك من واحدة منهما مالك ولا حسبك! وإن امرأ دل على قومه السيف، وساق إليهم الحتف لحري أن يمقته الأقرب، ولا يأمنه الأبعد).

وفي شرح النهج: ١ / ٢٩٦: (فصنف عليه السلام بإحدى يديه على الأخرى، وقال: هذا جزاء من ترك العقدة. وكان مراده عليه السلام هذا جزاؤكم إذ تركتم الرأي والحزم وأصرتم على إجابة القوم إلى التحكيم، فظن الأشعث أنه أراد: هذا جزائي حيث تركت الرأي والحزم وحكمت... فلما قال له: هذه عليك لا لك، قال له: وما يدريك ما علي مما لي، عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين!) وقال الشيخ محمد عبده في شرحه: (كان الأشعث في أصحاب علي كعبد الله

بن أبي بن سلول في أصحاب رسول الله (ص) كل منهما رأس النفاق في زمنه! أسر مرتين مرة وهو كافر في بعض حروب الجاهلية وذلك أن قبيلة مراد قتلت قيسا الأشج أبا الأشعث فخرج الأشعث طالبا بثأر أبيه فخرجت كندة متساندين إلى ثلاثة ألوية على أحدها كبش بن هاني، وعلى أحدها القشعم بن الأرقم وعلى أحدها الأشعث فأخطأوا مرادا، ووقعوا على بني الحارث بن كعب، فقتل كبش والقشعم، وأسر الأشعث وفدى بثلاثة آلاف بعير! لم يفد بها عربي قبله ولا بعده، فمعنى قول أمير المؤمنين: فما فداك لم يمنعك من الأسر.

وأما أسر الإسلام له، فذلك أن بني وليعة لما ارتدوا بعد موت النبي (ص) وقاتلهم زياد بن لبيد البياضي الأنصاري لجؤوا إلى الأشعث مستنصرين به فقال: لا أنصركم حتى تملكوني، فتوجه كما يتوج الملك من قحطان! فخرج معهم مرتدا يقاتل المسلمين! وأمد أبو بكر زيادا بالمهاجرين أبي أمية، فالتقوا بالأشعث فتحصن منهم فحاصروه أياما، ثم نزل إليهم على أن يؤمنوه وعشرة من أقاربه حتى يأتي أبا بكر فيرى فيه رأيه، وفتح لهم الحصن فقتلوا كل من فيه من قوم الأشعث إلا العشرة الذين عزلهم، وكان المقتولون ثمانمائة! ثم حملوه أسيرا مغلولا إلى أبي بكر فعفا عنه وعمن كان معه، وزوجه أخته أم فروة بنت أبي قحافة!... وكان نساء قومه يسمينه: عرف النار، وهو اسم للغادر عندهم!

وفي تاريخ الطبري: ٢ / ٥٤٨: (وبعث به إلى أبي بكر مع السبي فكان معهم يلعنه المسلمون ويلعنه سبايا قومه! وسماه نساء قومه عرف النار كلام يمان يسمون به الغادر.... فقدم القوم على أبي بكر..... فتجافى له عن دمه وقبل منه.... فزوجه أم فروة ابنة أبي قحافة). انتهى. وفي تاريخ دمشق: ٩ / ١٢٨، تفصيلات عن رده! وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج: ٢ / ٢٧٩: (كل فساد كان في خلافة علي

وكل اضطراب حدث فأصله الأشعث، ولولا محاقته أمير المؤمنين في معنى الحكومة في هذه المرة لم تكن حرب النهروان، ولكان أمير المؤمنين ينهض بهم إلى معاوية ، ويملك الشام فإنه حاول أن يسلك معهم مسلك التعريض والمواربة، وفي المثل النبوي صلوات الله على قائله: الحرب خدعة، وذلك أنهم قالوا له: تب إلى الله مما فعلت كما تبنا ننهض معك إلى حرب أهل الشام، فقال لهم كلمة مجملة مرسلتها قالها الأنبياء والمعصومون، وهي قوله: أستغفر الله من كل ذنب، فرضوا بها وعدوها إجابة لهم إلى سؤالهم، وصفت له نياتهم، واستخلص بها ضمائرهم، من غير أن تتضمن تلك الكلمة اعترافا بكفر أو ذنب،

فلم يتركه الأشعث، وجاء إليه مستفسرا وكاشفا عن الحال). انتهى.

وفي تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٣٧: قال أبو بكر في مرضه الذي توفي فيه وهو يتحسر على أشياء ليته لم يفعلها منها هجومه على بيت فاطمة الزهراء عليها السلام، وأشياء ليته لم يفعلها منها قتل الأشعث قال: (فليتني قدمت الأشعث بن قيس تضرب عنقه، فإنه يخيل إلي أنه لا يري شيئا من الشر إلا أعان عليه!). انتهى

وتاريخ الأشعث ملئ بالغدر والنفاق، فقد جاء في وفد كندة إلى النبي في سنة وفاته صلى الله عليه وآله، ثم أعلن ارتداده مع قبيلة بني وليعة في حضرموت كما رأيت، ثم استطاع بدهائه أن ينال عفو أبي بكر ويتزوج أخته أم فروة! وكان علي عليه السلام يعرف نفاقه وعمله مع معاوية، لكنه كان مجبورا على مداراته بسبب قبيلته، وكان يقول له في نفسه قولا بليغا!

وقد تأمر الأشعث مع معاوية في صفين على علي عليه السلام، ثم تأمر مع الخوارج وربما مع معاوية على قتل أمير المؤمنين عليه السلام! ففي الكافي: ٨ / ١٦٧: عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (إن الأشعث بن قيس شرك في دم أمير المؤمنين عليه السلام، وابنته جعدة سمت الحسن عليه السلام، ومحمد ابنه شرك في دم الحسين عليه السلام)!!

الفصل الثامن
خلاصة حرب النهروان

(٣٤٥)

بذرة الخوارج وغرستهم وشجرتهم
اتفق الجميع على أن بذرة الخوارج هو حرقوص بن زهير التميمي، الذي اعترض على
النبي صلى الله عليه وآله في حنين! وروى الجميع قصته، وعرف باسم المخدج، وذي
الخويصرة، وذي الثدية، لأن إحدى يديه كانت كثدي المرأة!
روى البخاري: ٤ / ١٧٩، عن أبي سعيد الخدري قال: (بينما نحن عند رسول الله
(ص) وهو يقسم قسما إذ أتاه ذو الخويصرة، وهو رجل من بني تميم فقال: يا رسول
الله (يا محمد) إعدل! فقال: ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل! قد خبت وخسرت إن لم
أكن أعدل! فقال عمر: يا رسول الله إئذن لي فيه فأضرب عنقه، فقال: دعه فإن له
أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز
تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه
شئ، ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شئ، ثم ينظر إلى نضيه وهو قدحه فلا يوجد فيه
شئ، ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شئ، قد سبق الفرث والدم. آيتهم رجل أسود
غحدي عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر، ويخرجون على حين فرقة من
الناس! قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله (ص) وأشهد أن
علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس فأنتى به حتى نظرت إليه
على نعت النبي (ص) الذي نعته!)
ورواه البخاري بنحوه في مواضع متعددة، ورواه غيره من رواةهم ورواها بتفاصيل أكثر
ومديح عظيم لمن يقتلهم، ففي مجمع الزوائد: ٦ / ٢٢٨: (عن شريك

بن شهاب قال كنت أتمنى أن ألقى رجلا من أصحاب رسول الله (ص) يحدثني عن الخوارج فلقيت أبا برزة في يوم عرفة في نفر من أصحابه، فقلت يا أبا برزة حدثنا بشيء سمعته من رسول الله (ص) يقوله في الخوارج. قال: أحدثك بما سمعت أذناي ورأت عيناي: أتى رسول الله (ص) بدنانير فكان يقسمها وعنده رجل أسود مطموم الشعر عليه ثوبان أبيضان بين عينيه أثر السجود، فتعرض لرسول الله (ص) فأتاه من قبل وجهه فلم يعطه شيئا، فأتاه من قبل يمينه فلم يعطه شيئا، ثم أتاه من خلفه فلم يعطه شيئا، فقال: والله يا محمد ما عدلت في القسمة منذ اليوم! فغضب رسول الله (ص) غضبا شديدا ثم قال: والله لا تجدون بعدي أحدا أعدل عليكم مني قالها ثلاثا! ثم قال: يخرج من قبل المشرق رجال كأن هذا منهم هديهم هكذا، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، لا يرجعون إليه ووضع يده على صدره، سيماهم التحليق لا يزالون يخرجون حتى يخرج آخرهم، فإذا رأيتموهم فاقتلوهم! قالها ثلاثا، شر الخلق والخلقة، قالها ثلاثا. وقال حماد لا يرجعون فيه، وفي رواية لا يزالون يخرجون حتى يخرج آخرهم مع الدجال. رواه أحمد والأزرقي بن قيس وثقة ابن حبان، وبقية رجاله رجال الصحيح). انتهى. (راجع فتح الباري: ١٢ / ٢٥٣).

وفي الإرشاد: ١ / ١٤٨: (ولما قسم رسول الله صلى الله عليه وآله غنائم حنين أقبل رجل طوال آدم أجنا، بين عينيه أثر السجود، فسلم ولم يخص النبي صلى الله عليه وآله ثم قال: قد رأيتك وما صنعت في هذه الغنائم. قال: وكيف رأيت؟ قال: لم أرك عدلت! فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: ويلك! إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون؟! فقال المسلمون: ألا نقتله؟ فقال: دعوه سيكون له أتباع يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، يقتلهم الله على يد أحب الخلق إليه من بعدي. فقتله أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب عليه السلام في من قتل يوم النهروان من الخوارج).
ويظهر أن حرقوصا أجاد العمل في البصرة والأهواز وكرمان، فصار له حزب وأتباع،
فقد ظهروا في حرب الجمل عندما نادى منادي أمير المؤمنين عليه السلام بعد النصر:
(أن لا يقتل مدبر، ولا يدف على جريح، ولا يكشف ستر، ولا يؤخذ مال، فقال قوم
يومئذ: ما يحلل لنا دماءهم ويحرم علينا أموالهم؟! فيومئذ تكلمت
الخوارج! وكان متكلمهم رجل اسمه عباد بن قيس، قال: يا أمير المؤمنين والله ما
قسمت بالسوية، ولا عدلت بالرعية! فقال: ولم ويحك؟! قال: لأنك قسمت ما في
العسكر وتركت الأموال والنساء والذرية. فقال: أيها الناس من كانت به جراحة
فليداوها بالسمن! (أي أعرض عنه، وعلم المسلمون مداواة الجراحة) فقال عباد: جئنا
نطلب غنائمنا فجاءنا بالترهات! فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إن كنت كاذبا فلا
أماتك الله حتى يدركك غلام ثقيف.... يا أخا بكر أنت أمرؤ ضعيف الرأي، أو ما
علمت أنا لا نأخذ الصغير بذنوب الكبير، وأن الأموال كانت لهم قبل الفرقة، وتزوجوا
على رشدة، وولدوا على فطرة، وإنما لكم ما حوى عسكرهم، وما كان في دورهم فهو
ميراث، فإن عدا أحد منهم أخذناه بذنبه، وإن كف عنا لم نحمل عليه ذنب غيره...
فمهلا مهلا رحمكم الله، فإن لم تصدقوني وأكثرتم علي، وذلك أنه تكلم في هذا غير
واحد، فأياكم يأخذ عائشة بسهمه؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين أصبت وأخطأنا وعلمت
وجهلنا، فنحن نستغفر الله تعالى! انتهى.
لكن حرقوصا، وعبادا، ومسعر بن فدكي، وعبد الله بن وهب الراسبي، وغيرهم من
قيادات الخوارج، لم يقتنعوا! وواصلوا عملهم في نشر أفكارهم ووجدوا أتباعا على
شاكلتهم، وكثروا في البصرة والكوفة والأهواز ومناطق أخرى، يحملون أفكارهم
العنيفة التي تكفر من خالفهم، ثم وصلوا إلى تكفير

أنفسهم! وكانت صنفين فرصة لهم لإعلان وجودهم كطائفة لها قاداتها وجنودها ومنطقها الخشن، وميلها الدائم إلى القتال وإثبات الذات! وكانوا الجمهور الذين لعب بعقولهم الأشعث في صنفين ودفعتهم إلى مواجهة علي عليه السلام فطالبوه أن يوقف القتال وقبول التحكيم والحكمين، وإلا قتلوه أو سلموه إلى معاوية! لكنهم بعد توقيع وثيقة التحكيم التي أجبروا عليها السلام عليها، قلبوا موقفهم رأساً على عقب، وقالوا إنهم كفروا بقبولهم تحكيم الرجال في دين الله، وإنهم تابوا ورجعوا إلى الإسلام، وطلبوا من علي عليه السلام وشيعته أن يعترفوا مثلهم على أنفسهم بالكفر، ويتوبوا ليصيروا مسلمين! وتدل الرواية التالية على أن تغيير موقفهم حدث بعد توقيع الوثيقة مباشرة، وأنهم واجهوا به صاحبهم وعراهم الأشعث!

قال الطبري في تاريخه: ٤ / ٣٨: (خرج الأشعث بذلك الكتاب يقرؤه على الناس ويعرضه عليهم فيقرؤنه، حتى مر به على طائفة من بني تميم فيهم عروة بن أديه وهو أخو أبي بلال، فقرأه عليهم، فقال عروة بن أديه: تحكمون في أمر الله عز وجل الرجال! لا حكم إلا لله، ثم شد بسيفه فضرب به عجز دابته ضربة خفيفة، واندفعت الدابة وصاح به أصحابه: أن أملك يدك، فرجع فغضب للأشعث قومه وناس كثير من أهل اليمن، فمشى الأحنف بن قيس السعدي، ومعقل بن قيس الرياحي، ومسعر بن فدكي، وناس كثير من بني تميم، فتنصلوا إليه واعتذروا فقبل وصفح)! انتهى.

ويمكن أن نفسر هذا التغير الحاد في موقفهم، بعد إصرارهم الحاد على إيقاف الحرب والقبول بالتحكيم، بأن (ماكنة) أذهانهم تعمل بشكل غير متناسق، فقد توصلت أذهانهم بعد خطبة الأشعث وتوجيه بعض رؤسائهم إلى وجوب التحكيم، ثم توصلت بتوجيه بعض رؤسائهم إلى أن التحكيم كفر محض!

كما يمكن أن نفسره بأن معاوية أرسل أموالا إلى الأشعث فوزع منها على بعض رؤسائهم فوقفوا معه، ثم غلب على جوهم الرؤساء الذين لم يقبضوا، وكان أكثرهم حماسا عروة بن أديّة التميمي الذي صاح بشعار (لا حكم إلا لله) ونهض إلى الأشعث ليقتله! وهذا الذي أرجحه!

وقد وصف نصر بن مزاحم في صفيين ص ٥١٧، سرعة تغيير موقفهم بعد إمضاء وثيقة الهدنة، فقال: (فنادت الخوارج أيضا في كل ناحية: لا حكم إلا لله، لا نرضى بأن نحكم الرجال في دين الله، قد أمضى الله حكمه في معاوية وأصحابه أن يقتلوا أو يدخلوا معنا في حكمنا عليهم، وقد كانت منا خطيئة وزلة حين رضينا بالحكمين، وقد تبنا إلى ربنا ورجعنا عن ذلك، فارجع كما رجعنا وإلا فنحن منك براء. فقال علي عليه السلام: ويحكم أبعده الرضا والعهد والميثاق أرجع؟! أو ليس الله يقول: وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون. قال: فبرئوا من علي وشهدوا عليه بالشرك، وبرئ علي منهم!) (راجع أيضا كتاب صفيين ص ٥١٤ و ٥١٨).

* *

أهم صفات الخوارج وأفكارهم
يسهل على المسلم المعاصر أن يفهم أفكار الخوارج، لأنه شاهد ورثتهم المتطرفين
السلفيين! ورأى أن دينهم وسلوكهم يقوم على (العيون الأربعة): العجب، والعنف،
والعامية، والعشوائية في انتقاء أدلتهم المزعومة!

١ - فعاميتهم تظهر لك في أنهم جميعا مجتهدون! فهم يتكلمون في المسائل ويفتون،
ويحطب أحدهم من الكتاب والسنة وأقوال الرواة ما يتصور أنه يسند رأيه المتطرف،
فيفرح بذلك ويردده، دون أن يتعمق وينظر إلى مجموع الآيات والأحاديث، وآراء أهل
العلم في المسألة!

فباب الإجهاد عندهم مفتوح لكل أحد! وحتى نساؤهم تجتهد وتفتي في الفقه
والعقائد، وتحكم بالكفر، وتهدر الدماء، وتبيح الأعراض!

وقد كان هذا الإفراط والتطرف هو السبب لما وقع بينهم من اختلاف وانشقاق وتكفير
بعضهم لبعض وتكاثر فرقهم باستمرار! حتى زادت على المئة!

ونلاحظ أنها زادت في زمن أمير المؤمنين عليه السلام على العشرين، شبيها بتكاثر
فرقهم في عصرنا إلى أكثر من عشرين طائفة وحزب ومجموعة!

٢ - ويتمثل العنف عندهم في تكفيرهم لكل من خالفهم من المسلمين، وهدرهم
دمائهم، وإباحتهم أعراضهم!

وأسباب التكفير عندهم سهلة وكثيرة! فيكفي أن تخالفهم في تفسير آية، أو في رأيهم
بشخص، حتى يكفروك ويهدروا دمك!

قال الطبري: ٤ / ٦٠: (فخرجت عصابة منهم فإذا هم برجل يسوق بامرأة على حمار،
فعبروا إليه فدعوه فتهددوه وأفرعوه، وقالوا له: من أنت؟ قال: أنا عبد الله

ابن خباب صاحب رسول الله (ص) ثم أهوى إلى ثوبه يتناوله من الأرض وكان سقط عنه لما أفرغوه، فقالوا له: أفرغناك؟ قال: نعم، قالوا: له لا روع عليك فحدثنا عن أبيك بحديث سمعه من النبي (ص) لعل الله ينفعنا به. قال: حدثني أبي عن رسول الله (ص) أن فتنة تكون يموت فيها قلب الرجل كما يموت فيها بدنه يمسي فيها مؤمنا ويصبح فيها كافرا، ويصبح فيها كافرا ويمسي فيها مؤمنا. فقالوا: لهذا الحديث سألناك، فما تقول في أبي بكر وعمر؟ فأثنى عليهما خيرا قالوا: ما تقول في عثمان في أول خلافته وفي آخرها قال: إنه كان محقا في أولها وفي آخرها. قالوا: فما تقول في علي قبل التحكيم وبعده؟ قال: إنه أعلم بالله منكم وأشد توقيا على دينه وأنفذ بصيرة. فقالوا: إنك تتبع الهوى وتوالي الرجال على أسمائها لا على أفعالها! والله لنقتلنك قتلة ما قتلناها أحدا! فأخذوه فكنفوه ثم أقبلوا به وبامراته وهي حبلى متم حتى نزلوا تحت نخل موافر فسقطت منه رطبة فأخذها أحدهم فقذف بها في فمه، فقال أحدهم: بغير حلها وبغير ثمن! فلفظها وألقاها من فمه! ثم أخذ سيفه فأخذ يمينه، فمر به خنزير لأهل الذمة فضربه بسيفه، فقالوا: هذا فساد في الأرض! فأتى صاحب الخنزير فأرضاه من خنزيره! فلما رأى ذلك منهم ابن خباب قال: لئن كنتم صادقين فيما أرى فما علي منكم بأس، إني لمسلم ما أحدثت في الإسلام حدثا، ولقد آمنتونني قلتكم لا روع عليك! فجاءوا به فأضجعوه فذبحوه وسال دمه في الماء! وأقبلوا إلى المرأة فقالت إني إنما أنا امرأة ألا تتقون الله! فبقروا بطنها!

وقتلوا ثلاث نسوة من طيء وقتلوا أم سنان الصيداوية! فبلغ ذلك عليا ومن معه من المسلمين من قتلهم عبد الله بن خباب واعتراضهم الناس، فبعث إليهم الحارث بن مرة العبدي ليأتيهم فينظر فيما بلغه عنهم، ويكتب به إليه على وجهه ولا يكتبه، فخرج حتى انتهى إلى النهر ليسألهم فخرج القوم إليه فقتلوه! وأتى

الخبر أمير المؤمنين والناس فقام إليه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين علام تدع هؤلاء ورائنا يخلفوننا في أموالنا وعيالنا، سر بنا إلى القوم فإذا فرغنا مما بيننا وبينهم سرنا إلى عدونا من أهل الشام....

ثم جاء مقبلا إليهم ووافاه قيس وسعد بن مسعود الثقفي بالنهر، وبعث إلى أهل النهر: ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم نقتلهم بهم، ثم أنا تارككم وكاف عنكم حتى ألقى أهل الشام، فلعن الله يقلب قلوبكم ويردكم إلى خير مما أنتم عليه من أمركم، فبعثوا إليه فقالوا: كلنا قتلتم، وكلنا نستحل دماءهم ودماءكم!! انتهى.

فقد رأينا أنهم لم يستوعبوا في حرب الجمل التفريق بين جواز قتال البغاة، وتحريم أموالهم إلا ما حواه معسكرهم، فطالبوا أمير المؤمنين عليه السلام بإباحة أموال أنصار عائشة ونساءهم، لأن جواز قتالهم حسب فهمهم يستوجب إباحة نسائهم!

ورأينا أنهم كفروا الصحابي عبد الله بن خباب رحمه الله لأنه خالف رأيهم في علي عليه السلام ولم يتبرأ منه! ثم قتلوا امرأته وجنينها من شدة تقواهم!

ثم رأينا استحلالهم لدم علي عليه السلام ودماء المسلمين الذين خالفوهم جميعا. وفي نفس الوقت رأيناهم يحرمون علي أنفسهم التمرة الساقطة من النخلة! ويحكمون على صاحبهم بأنه مفسد في الأرض لأنه قتل خنزيرا اعترضه!

أما لماذا صار التكفير عندهم سهلا محببا إلى قلوبهم كالماء البارد في الصحراء القاحلة؟! فجوابه: أن الجماعة لشدة تقواهم يعيشون شوقا قويا إلى (الجهاد في سبيل

الله تعالى) والروح إلى الجنة! وجهاد من خالفهم يتوقف على تكفيرهم واستحلال قتلهم! فهم مضطرون إلى ترتيب مواد (شرعية) متعددة، إذا انطبقت واحدة منها على

المسلم يصير كافرا واجب القتل شرعا، ويكون قتاله جهادا!!

وهذا نفس منهج خوارج عصرنا، لافرق فيه إلا في تغيير بعض مواد التكفير!

٣ - وتظهر لك عشوائيتهم، من إنتقائهم لعقائدهم وفتاواهم وأفكارهم، فهم يبحثون عن أي شيء يوافق أمزجتهم المتطرفة، في أي مصدر من حديث أو فقه أو تفسير، أو كلام شخص مهما كان، فيأخذونه علما ويزينونه لأنفسهم!

ويكفيك لذلك أن الأصل الذي قامت عليه دعوتهم كلها (لاحكم إلا لله) والذي صار شعارهم أخذوه من قوله تعالى: قل إني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين) (الأنعام: ٥٧).

وقوله تعالى: (ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (يوسف: ٤٠). وقوله تعالى: (وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون). (يوسف: ٦٧).

ففهموا من هذه الآيات أن تحكيم رجلين في الحرب بين المسلمين كفر، ويجب على المسلمين قتال من يفعله! مع أن الله تعالى أمر بتحكيم شخصين بين الزوجين فقال: (وإن خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدوا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا). (النساء: ٣٥).

وأمر بتحكيم شخصين في تقدير كفارة صيد المحرم فقال: (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام) (المائدة: ٩٥) ولكنهم كانوا وما زالوا عندما يصطدمون بآيات وأحاديث وأدلة تخالف آراءهم، يعرضون عن نصها الصريح ويؤولونها، ويتشبهون بمتشابهات تؤيد آراءهم في العنف والتكفير والقتل والقتال!

٤ - أما عجبهم بأنفسهم فهو الداء الدوي حسب تعبير أمير المؤمنين عليه السلام وهو أصل بلائهم وأبرز (جينات) شخصياتهم! فهم من أبرز من قال الله تعالى فيهم: (إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير). (غافر: ٥٦).

ويكفي دليلا على ذلك أن حرقوصا مؤسس مذهبهم واجه النبي صلى الله عليه وآله في حنين بمقولته المتكبرة: إعدل يا محمد! أو: لم تعدل يا محمد! وفي رواية البخاري: ٤ / ١٧٩: يا رسول الله إعدل! ومعناها أنك لست عادلا وأنا أعدل منك وأمرك أن تعدل! وقد عرف الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله بأن مصيبة حرقوص هذا من عجبه بنفسه حتى انه ليرى أنه أفضل من رسول الله صلى الله عليه وآله والناس أجمعين!

ففي مسند أبي يعلى: ١ / ٩٠: (فبينما نحن نذكره إذ طلع الرجل قلنا: ها هو ذا! قال (ص): إنكم لتخبروني عن رجل إن علي وجهه سفعة من الشيطان، فأقبل حتى وقف عليهم ولم يسلم! فقال له رسول الله: أنشدتك بالله هل قلت حين وقفت على المجلس: ما في القوم أحد أفضل مني أو أخير مني؟ قال: اللهم نعم!! ثم دخل يصلي! فقال رسول الله: من يقتل الرجل؟ فقال أبو بكر أنا، فدخل عليه فوجده قائما يصلي فقال: سبحان الله أقتل رجلا يصلي وقد نهى رسول الله عن قتل المصلين! فخرج! فقال رسول الله: ما فعلت؟ قال: كرهت أن أقتله وهو يصلي وقد نهيت عن قتل المصلين! قال عمر: أنا، فدخل فوجده واضعا وجهه فقال عمر: أبو بكر أفضل مني فخرج! فقال رسول الله: مه؟ قال وجدته واضعا وجهه فكرهت أن أقتله! فقال: من يقتل الرجل؟ فقال علي: أنا، قال: أنت إن أدركته. قال فدخل علي فوجده قد خرج فرجع إلى رسول الله، فقال: مه؟ قال وجدته قد خرج! قال: لو قتل ما اختلف في أمتي رجلا، كان أولهم آخرهم.

قال موسى سمعت محمد بن كعب يقول: هو الذي قتله علي (ذا النديه)! انتهى. (وهو حديث موثق على موازينهم رواه الدارقطني: ٢ / ٤١، ومجمع الزوائد: ٦ / ٢٢٦، وغيرهما).

فالذي يزايد على رسول الله صلى الله عليه وآله في التدين، ويرى أنه أعدل منه وأفضل منه! إنما هو صاحب مشروع دنيوي، لا يعرف ربا ولا نبيا إلا نفسه! مهما ظهر تقيا! ولذلك كان أمير المؤمنين عليه السلام ينصحهم بأن لا يقاتلوا من أجل الدنيا! قال الطبري في تاريخه: ٤ / ٥٢: (أتاه رجلان من الخوارج زرعة بن البرج الطائي وحرقوص بن زهير السعدي فدخلا عليه فقالا له: لاحكم الا لله! فقال علي: لا حكم إلا لله. فقال له حرقوص: تب من خطيئتك وارجع عن قضيتك واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا. فقال لهم علي: قد أردتكم على ذلك فعصيتموني وقد كتبنا بيننا وبينهم كتابا وشرطنا شروطا وأعطينا عليها عهدنا وموآثيقنا وقد قال الله عز وجل: وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون.

فقال له حرقوص: ذلك ذنب ينبغي أن تتوب منه! فقال علي: ما هو ذنب ولكنه عجز من الرأي وضعف من الفعل، وقد تقدمت إليكم فيما كان منه ونهيتكم عنه. فقال له زرعة بن البرج: أما والله يا علي لئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله عز وجل قاتلتك أطلب بذلك وجه الله ورضوانه! فقال له علي: بؤسا لك ما أشقاك كأني بك قتيلا تسفي عليك الريح! قال: وددت أن قد كان ذلك!

فقال له علي: لو كنت محقا كان في الموت على الحق تعزية عن الدنيا! إن الشيطان قد استهواكم فاتقوا الله عز وجل، إنه لا خير لكم في دنيا تقاتلون عليها! فخرجوا من عنده يحكمان). انتهى.

ولالإمام الصادق عليه السلام تعليل عميق لشجاعتهم ودعوتهم إلى المبارزة، فقد سأله

جميل بن دراج هل يرى أنهم شكاك لا يقين لهم؟ فقال نعم. فقال بعض أصحابه: كيف وهم يدعون إلى البراز؟ قال: ذلك مما يجدون في أنفسهم). (تهذيب الأحكام: ٦ / ١٤٥). يقصد عليه السلام أن ادعاءهم وتصورهم الخيالي عن أنفسهم، وكبرهم الذي ما هم بباليغ، يولد فيهم مركب نقص يدفعهم لإثبات أنهم على يقين! وقد ظهر ذلك في رئيسهم ابن وهب الراسبي، عندما دعا أصحابه إلى بدء القتال ونادوا: (روحوا بنا روحاً إلى الجنة. فقال عبد الله بن وهب الراسبي: لعلها روحاً إلى النار! قالوا: شككت! قال: أتألون على الله؟ فاعتزل منهم فروة بن نوفل الأشجعي بألف رجل! فقال لهم أصحابهم: أشككتم؟ أما لو أن تبقى منا عصاة من بعدنا يدعون إلى أمرنا لبدأنا بكم). (شرح الأخبار: ٢ / ٥٥).

إنها عقدة إثبات الذات بالمزايدة في الدين حتى على رسول الله صلى الله عليه وآله! ولا يختلف المعاصرون منهم عن أسلافهم إلا بأن رسول الله صلى الله عليه وآله ليس حاضراً ليقف ضدهم، فتظهر عند ذلك أضغانهم!

**

تحركات الخوارج إلى معركة النهروان!
ظهر رئيسهم حرقوص في عهد النبي صلى الله عليه وآله في حنين قرب الطائف، ثم في المدينة، ثم سكن البصرة، ثم كان من وفد البصرة المعترضين على عثمان والمحاصرين له، وبعد قتل عثمان عاد إلى البصرة، وعندما وصلت عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة حاربهم مع حكيم بن جبلة دفاعاً عن البصرة!
وذلك فيما سمي معركة الجمل الصغرى، قبل وصول أمير المؤمنين عليه السلام، فقتل جيش عائشة كل المدافعين ما عدا حرقوص، الذي هرب إلى عشيرته بني سعد!
قال الطبري في تاريخه: ٣ / ٤٨٧: (فكان حكيم بحيال طلحة، وذريح بحيال الزبير وابن المحرش بحيال عبد الرحمن بن عتاب، وحرقوص بن زهير بحيال عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فرحف طلحة لحكيم وهو في ثلاثمائة رجل....
وقتل ذريح ومن معه، وأفلت حرقوص بن زهير في نفر من أصحابه، فلاجأوا إلى قومهم، ونادى منادى الزبير وطلحة بالبصرة: ألا من كان فيهم من قبائلكم أحد ممن غزا المدينة فليأتنا بهم، فجئ بهم كما يجاء بالكلاب فقتلوا، فما أفلت منهم من أهل البصرة جميعاً إلا حرقوص بن زهير، فإن بني سعد منعوه! وكان من بني سعد فمسهم في ذلك أمر شديد، وضربوا لهم فيه أجلاً، وخشوا صدور بني سعد، وإنهم لعثمانية حتى قالوا: نعتزل!). انتهى.
أي أن بني سعد حموا حرقوصاً مع أنهم عثمانيون مع عائشة وطلحة، وهددوا إن أصروا على تسليمه وقتله كالباقين أن لا يشاركوا في الحرب مع عائشة!
وعندما وصل علي عليه السلام إلى البصرة لم يحارب حرقوص في حرب الجمل مع بني سعد الذين حموه! بل شارك ضدهم مع علي عليه السلام! ثم كان مع علي عليه السلام في

حرب صفين، ثم كان من قادة الخوارج الذين هددوا أمير المؤمنين عليه السلام على قبول التحكيم، ثم غيروا رأيهم بعد توقيع كتاب الهدنة! وعندما رجعوا من صفين إلى الكوفة مع أمير المؤمنين عليه السلام اختلفوا هل يدخلون إلى الكوفة أم يبقون في معسكر خارجها! فبقي بعضهم في النخيلة وهي المعسكر العام لأهل الكوفة، ونشطوا لأكثر من سنة في تشكيل أنفسهم والدعوة إلى مذهبهم، وعملوا بكل وسيلة لإبطال الهدنة قبل موعد التحكيم، لكنهم اصطدموا بإصرار أمير المؤمنين عليه السلام على احترام عهده، ولما أرسل أبا موسى إلى التحكيم في دومة الجندل ذهب بعضهم معه، ورفضوا حيلة عمرو بن العاص في التحكيم كغيرهم من المسلمين. وكان المفترض فيهم أن يتفقوا مع أمير المؤمنين عليه السلام لأنه رفض مثلهم نتيجة التحكيم ودعا إلى مواصلة قتال معاوية، لكن ذلك لم يرض (حضراتهم) حتى يشهد علي عليه السلام والمسلمون على أنفسهم بالكفر ويتوبوا مثلهم!! وفي تلك الفترة اختارت طائفة منهم أن يتجمعوا في قرية حروراء قرب الكوفة فسموا الحرورية، وخرجت طائفة أخرى من الكوفة راكبة رأسها تخبط الأرض! كما وصفها أمير المؤمنين عليه السلام في حديثه لليهودي عندما سأله عما امتحنه الله به في حياة النبي صلى الله عليه وآله وبعد وفاته، وهو في الخصال ص ٣٨١، وسنورده إن شاء الله.

قال الطبري: ٤ / ٤٦: (فنزل بها (حروراء) منهم اثنا عشر ألفا، ونادى مناديبهم إن أمير القتال شبت بن ربيعي التميمي وأمير الصلاة عبد الله بن الكواء اليشكري، والأمر شورى بعد الفتح، والبيعة لله عز وجل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).
* *

وقد أرسل إليهم أمير المؤمنين عليه السلام ابن عباس وذهب هو إليهم واحتج عليهم،

ونورد فيما يلي بعض احتجاجه عليه السلام من نهج البلاغة: ٢ / ٧: (فإن أبيتم إلا أن تزعموا أنني أخطأت وضللت! فلم تضللون عامة أمة محمد صلى الله عليه وآله بضلالي وتأخذونهم بخطي وتكفرونهم بذنوبي؟! سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البرء والسقم، وتخلطون من أذنّب بمن لم يذنّب! وقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وآله رجم الزاني المحصن ثم صلى عليه ثم ورثه أهله، وقتل القاتل وورث ميراثه أهله، وقطع السارق وجلد الزاني غير المحصن، ثم قسم عليهما من الفئ ونكح المسلمات، فأخذهم رسول الله صلى الله عليه وآله بذنوبهم وأقام حق الله فيهم، ولم يمنعهم سهمهم من الإسلام ولم يخرج أسماءهم من بين أهله....

وإنما حكم الحكمان ليحييا ما أحيا القرآن ويميتا ما أمات القرآن، وإحياءه الاجتماع عليه، وإماتته الافتراق عنه، فإن جرننا القرآن إليهم اتبعناهم، وإن جرهم إلينا اتبعونا! فلم آت لأبا لكم بجرا، ولا ختلتكم عن أمركم ولا ليسته عليكم، إنما اجتمع رأي ملئكم على اختيار رجلين أخذنا عليهما أن لا يتعديا القرآن فتاها عنه، وتركنا الحق وهما يبصرانه، وكان الجور هوأهما فمضيا عليه! وقد سبق استثناءنا عليهما في الحكومة بالعدل، والصمد للحق).

وقد تقدمت خطبته له عليه السلام بعد التحكيم من نهج البلاغة: ١ / ٨٤ التي قال فيها: (أما بعد فإن معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحسرة، وتعقب الندامة. وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري، ونخلت لكم مخزون رأبي، لو كان يطاع لقصير أمر، فأبيتم علي إباء المخالفين الجفاة والمنابذين العصاة! حتى ارتاب الناصح بنصحه، وذن الزند بقده، فكنت وإياكم كما قال أخو هوازن: أمرتكم أمري بمنعرج اللوى * فلم تستبينوا النصح إلا ضحى الغد!!

وفي نهج البلاغة: ١ / ٢٣٥: (ومن كلام له عليه السلام قاله للخوارج وقد خرج إلى معسكرهم وهم مقيمون على إنكار الحكومة، فقال عليه السلام: أكلكم شهد معنا صفيين؟ فقالوا: منا من شهد ومنا من لم يشهد. قال: فامتازوا فرقتين، فليكن من شهد صفيين فرقة، ومن لم

يشهدها فرقة حتى أكلم كلا بكلامه. ونادى الناس فقال: أمسكوا عن الكلام وأنصتوا لقولي وأقبلوا بأفئدتكم إلي، فمن نشدناه شهادة فليقل بعلمه فيها. ثم كلمهم عليه السلام بكلام طويل، منه: ألم تقولوا عند رفعهم المصاحف حيلة وغيلة، ومكرا وخديعة: إخواننا وأهل دعوتنا، استقالونا واستراحوا إلى كتاب الله سبحانه، فالرأي القبول منهم والتنفيس عنهم، فقلت لكم: هذا أمر ظاهره إيمان وباطنه عدوان وأوله رحمة وآخره ندامة، فأقيموا على شأنكم، والزموا طريقكم، وعضوا على الجهاد بنواجذكم، ولا تلتفتوا إلى ناعق نعق: إن أجيب أضل، وإن ترك ذل. وقد كانت هذه الفعلة وقد رأيتكم أعطيتموها! والله لئن أبيتها ما وجبت علي فريضتها ولا حملني الله ذنبها، والله إن جئتها إني للمحق الذي يتبع، وإن الكتاب لمعي ما فارقت مذ صحبتته! فلقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وإن القتل ليدور على الآباء والأبناء والإخوان والقربات، فما نزداد على كل مصيبة وشدة إلا إيماننا ومضيا على الحق، وتسليما للأمر، وصبرا على مضض الجراح. ولكننا إنما أصبحنا نقاتل إخواننا في الإسلام على ما دخل فيه من الزيغ والاعوجاج والشبهة والتأويل. فإذا طمعنا في خصلة يلم الله بها شعثنا ونداننا بها إلى البقية فيما بيننا، رغبتنا فيها وأمسكنا عما سواها). انتهى.

* *

وفيما يلي فقرات من تاريخ الطبري: ٤ / ٥٤، في تحركاتهم إلى معركة النهروان: (لما بعث أبا موسى لإنفاذ الحكومة لقيت الخوارج بعضها بعضا فاجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبي، فحمد الله عبد الله بن وهب وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فوالله ما ينبغي لقوم يؤمنون بالرحمن وينيبون إلى حكم القرآن، أن يكون هذه الدنيا التي الرضا بها والركون بها والإيثار إياها عناء وتبار، أثر عندهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقول بالحق. وإن من وضر فإنه في يمن ويضر في هذه الدنيا، فإن ثوابه يوم القيامة رضوان الله عز وجل والخلود

في جناته. فأخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض كور الجبال أو إلى بعض هذه المدائن، منكرين لهذه البدع المضلة!

فقال له حرقوص بن زهير: إن المتاع بهذه الدنيا قليل، وإن الفراق لها وشيك، فلا تدعونكم زينتها وبهجتها إلى المقام بها، ولا تفتنكم عن طلب الحق وإنكار الظلم، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

فقال حمزة بن سنان الأسدي: يا قوم إن الرأي ما رأيتم، فولوا أمركم رجلا منكم فإنه لا بد لكم من عماد وسناد، وراية تحفون بها وترجعون إليها.

فعرضوها على زيد بن حصين الطائي فأبى، وعرضوها على حرقوص بن زهير فأبى، وعلى حمزة بن سنان وشريح بن أوفى العبسي فأبيا، وعرضوها على عبد الله بن وهب فقال: هاتوها أما والله لا آخذها رغبة في الدنيا، ولا أدعها فرقا من الموت! فبايعوه لعشر خلون من شوال، وكان يقال له ذو الثفنيات!

ثم اجتمعوا في منزل شريح بن أوفى العبسي فقال ابن وهب: إيشخصوا بنا إلى بلدة نجتمع فيها لإنفاذ حكم الله، فإنكم أهل الحق. قال شريح نخرج إلى المدائن فننزلها ونأخذ بأبوابها ونخرج منها سكانها، ونبعث إلى إخواننا من أهل البصرة فيقدمون علينا.

فقال زيد بن حصين: إنكم إن خرجتم مجتمعين اتبعتم، ولكن أخرجوا وحدانا مستخفين، فأما المدائن فإن بها من يمنعكم، ولكن سيروا حتى تنزلوا جسر النهروان، وتكاتبوا إخوانكم من أهل البصرة. قالوا: هذا الرأي، وكتب عبد الله بن وهب إلى من بالبصرة منهم يعلمهم ما اجتمعوا عليه ويحثهم على اللحاق بهم، وسير الكتاب إليهم فأجابوه أنهم على اللحاق به!

فلما عزموا على المسير تعبدوا ليلتهم وكانت ليلة الجمعة ويوم الجمعة، وساروا يوم السبت، فخرج شريح بن أوفى العبسي وهو يتلو قول الله تعالى:

فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين. ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل....

وسار جماعة من أهل الكوفة يريدون الخوارج ليكونوا معهم فردهم أهلوهم كرها، منهم القعقاع بن قيس الطائي عم الطرماح بن حكيم، وعبد الله بن حكيم بن عبد الرحمن البكائي، وبلغ عليا أن سالم بن ربيعة العبسي يريد الخروج فأحضره عنده ونهاه، فأنتهى.

ولما خرجت الخوارج من الكوفة أتى عليا أصحابه وشيعته فبايعوه وقالوا: نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت، فشرط لهم فيه سنة رسول الله (ص) فجاءه ربيعة بن أبي شداد الخثعمي، وكان شهد معه الجمل وصفين ومعه راية خثعم، فقال له: بايع علي كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله فقال ربيعة: علي سنة أبي بكر وعمر! قال له علي: ويلك لو أن أبا بكر وعمر عملا بغير كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكونا علي شيء من الحق! فبايعه، فنظر إليه علي وقال: أما والله لكأنني بك وقد نفرت مع هذه الخوارج فقتلت، وكأنني بك وقد وطئت الخيل بحوافرها! فقتل يوم النهر مع خوارج البصرة! وأما خوارج البصرة فإنهم اجتمعوا في خمسمائة رجل وجعلوا عليهم مسعر بن فدكي التميمي، فعلم بهم ابن عباس فأتبعهم أبا الأسود الدؤلي فلحقهم بالجسر الأكبر فتوافقوا حتى حجز بينهم الليل وأدلى مسعر بأصحابه وأقبل يعترض الناس وعلى مقدمته الأشرس بن عوف الشيباني، وسار حتى لحق بعبد الله بن وهب بالنهر.

لما خرجت الخوارج وهرب أبو موسى إلى مكة (بعد التحكيم وخوفه من غضب الناس عليه) قام (علي عليه السلام) في الكوفة فخطبهم فقال: الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح والحدثان الجليل... وقد تقدم بعضها من نهج البلاغة، وزاد الطبري فيها:

ألا إن هذين الرجلين اللذين اخترتموها حكمين قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما

وأحييا ما أمت القرآن، واتبع كل واحد منهما هواه بغير هدى من الله، فحكما بغير حجة بينة ولا سنة ماضية، واختلفا في حكمهما وكلاهما لم يرشد، فبرئ الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين. استعدوا وتأهبوا للسير إلى الشام، وأصبحوا في معسكرهم إن شاء الله يوم الاثنين. ثم نزل وكتب إلى الخوارج بالنهر:

بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله على أمير المؤمنين إلى زيد بن حصين وعبد الله بن وهب ومن معهما من الناس. أما بعد، فإن هذين الرجلين اللذين ارتضينا حكمهما قد خالفا كتاب الله واتبعوا أهواءهما بغير هدى من الله، فلم يعملوا بالسنة ولم ينفذا للقرآن حكما، فبرئ الله ورسوله منهما والمؤمنون. فإذا بلغكم كتابي هذا فأقبلوا فإننا سائرون إلى عدونا وعدوكم، ونحن على الأمر الأول الذي كنا عليه والسلام.

وكتبوا إليه: أما بعد فإنك لم تغضب لربك إنما غضبت لنفسك، فإن شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة، نظرنا فيما بيننا وبينك، وإلا فقد نابذناك على سواء إن الله لا يحب الخائنين! فلما قرأ كتابهم أيس منهم، فرأى أن يدعهم ويمضي بالناس إلى أهل الشام حتى يلقاهم فيناجزهم....

ثم روى الطبري تباطأ أهل البصرة وأنه لم يلتحق منهم بمعسكر علي عليه السلام في النخيلة إلا ثلاثة آلاف ومئتا نفر، مع أن واليه ابن عباس حثهم!

ثم قال الطبري: (وبلغ عليا أن الناس يقولون لو سار بنا إلى هذه الحرورية فبدأنا بهم فإذا فرغنا منهم وجهنا من وجهنا ذلك إلى المحليين، فقام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإنه قد بلغني قولكم لو أن أمير المؤمنين سار بنا إلى هذه الخارجة التي خرجت عليه فبدأنا بهم فإذا فرغنا منهم وجهنا إلى المحليين، وإن غير هذه الخارجة أهم إلينا منهم، فدعوا ذكرهم وسيروا إلى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبارين ملوكا ويتخذوا عباد الله خوولا....

فبلغ ذلك عليا ومن معه من المسلمين من قتلهم عبد الله بن خباب واعتراضهم

الناس، فبعث إليهم الحارث بن مرة العبدي ليأتيهم فينظر فيما بلغه عنهم، ويكتب به إليه على وجهه ولا يكتبه، فخرج حتى انتهى إلى النهر ليسألهم فخرج القوم إليه فقتلوه! وأتى الخبر أمير المؤمنين والناس، فقام إليه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين علام تدع هؤلاء وراءنا يخلفوننا في أموالنا وعيالنا؟! سر بنا إلى القوم فإذا فرغنا مما بيننا وبينهم سرنا إلى عدونا من أهل الشام، وقام إليه الأشعث بن قيس الكندي فكلمه بمثل ذلك....

فنادى بالرحيل، وخرج فعبر الجسر فصلى ركعتين بالقنطرة، ثم نزل دير عبد الرحمن، ثم دير أبي موسى، ثم أخذ على قرية شاهي، ثم على دباها، ثم على شاطئ الفرات.... وبعث إلى أهل النهر: ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم نقتلهم بهم، ثم أنا تارككم وكاف عنكم حتى ألقى أهل الشام، فلعل الله يقلب قلوبكم ويردكم إلى خير مما أنتم عليه من أمركم. فبعثوا إليه فقالوا: كلنا قتلتم، وكلنا نستحل دماءهم ودماءكم!!... قيس بن سعد بن عبادة قال لهم: عباد الله أخرجوا إلينا طلبتنا منكم وادخلوا في هذا الأمر الذي منه خرجتم، وعودوا بنا إلى قتال عدونا وعدوكم، فإنكم ركبتم عظيما من الأمر: تشهدون علينا بالشرك والشرك ظلم عظيم، وتسفكون دماء المسلمين، وتعدونهم مشركين!! فقال عبد الله بن شجرة السلمي: إن الحق قد أضاء لنا، فلسنا نتابعكم أو تأتونا بمثل عمر! فقال: ما نعلمه فينا غير صاحبنا فهل تعلمونه فيكم؟! وقال: نشدتكم بالله في أنفسكم أن تهلكوها فإني لأرى الفتنة قد غلبت عليكم! وخطبهم أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري فقال: عباد الله إنا وإياكم على الحال الأولى التي كنا عليها، ليست بيننا وبينكم فرقة، فعلام تقاتلوننا؟ فقالوا: إنا لو بايعناكم اليوم حكمتم غدا! قال: فإني أنشدكم الله أن تعجلوا فتنة العام مخافة ما يأتي في قابل!!

معركة النهروان!

قال الطبري: ٤ / ٦٢: عن زيد بن وهب أن عليا أتى أهل النهر، فوقف عليهم فقال: أيتها العصابة التي أخرجها عداوة المراء واللحاجة، وصدها عن الحق الهوى وطمح بها النزق، وأصبحت في اللبس والخطب العظيم، إني نذير لكم أن تصبحوا تليفكم الأمة غدا صرعى بأثناء هذا النهر، وبأهضام هذا الغائط، بغير بينة من ربكم، ولا برهان بين! ألم تعلموا أنني نهيتكم عن الحكومة، وأخبرتكم أن طلب القوم إياها منكم دهن ومكيدة لكم، ونبأتكم أن القوم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، وأني أعرف بهم منكم، عرفتهم أطفالا ورجالا، فهم أهل المكر والغدر، وأنكم إن فارقتم رأيي جانبتم الحزم، فعصيتموني! حتى إذا أقررت بأن حكمت، فلما فعلت شرطت واستوثقت، فأخذت على الحكمين أن يحييا ما أحيا القرآن، وأن يميتا ما أمات القرآن، فاختلفا وخالفا حكم الكتاب والسنة، فنبذنا أمرهما ونحن على أمرنا الأول، فما الذي بكم ومن أين أتيتم؟! قالوا: إنا حكمنا فلما حكمنا وأثمنا وكنا بذلك كافرين! وقد تبنا فإن تبنا كما تبنا فنحن منك ومعك، وإن أبيت فاعتزلنا فإننا منا بذك على سواء، إن الله لا يحب الخائنين! فقال علي: أصابكم حاصب، ولا بقي منكم وأبر، أبعث إيماني برسول الله صلى الله عليه وآله وهجرتي معه وجهادي في سبيل الله، أشهد على نفسي بالكفر، لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين. ثم انصرف عنهم....

... أن عليا قال لأهل النهر: يا هؤلاء إن أنفسكم قد سولت لكم فراق هذه الحكومة التي أنتم ابتدأتموها وسألتموها وأنا لها كاره، وأنبأتكم أن القوم سألوكموها مكيدة ودهنا، فأبيتهم علي إباء المخالفين، وعدلتم عني عدول النكداء العاصين، حتى صرفت رأيي إلى رأيكم، وأنتم والله معاشر أخفاء الهام سفهاء الأحلام، فلم آت لا

أبا لكم حراما. والله ما خبلتكم عن أموركم ولا أخفيت شيئا من هذا الأمر عنكم، ولا أوطأتكم عشوة، ولا دنيت لكم الضراء، وإن كان أمرنا لأمر المسلمين ظاهرا فأجمع رأيي ملئكم على أن اختاروا رجلين، فأخذنا عليهما أن يحكما بما في القرآن ولا يعدوا، فتاها وتركا الحق وهما يبصرانه، وكان الجور هواهما، وقد سبق استيثاقنا عليهما في الحكم بالعدل والصمد للحق، بسوء رأيهما وجور حكمهما والثقة في أيدينا لأنفسنا حين خالفا سبيل الحق وأتيا بما لا يعرف، فبينوا لنا بماذا تستحلون قتالنا والخروج من جماعتنا إن اختار الناس رجلين أن تضعوا أسيافكم على عواتقكم ثم تستعرضوا الناس تضربون رقابهم وتسفكون دماءهم؟! إن هذا لهو الخسران المبين! والله لو قتلتم على هذا دجاجة لعظم عند الله قتلها، فكيف بالنفس التي قتلها عند الله حرام؟! حرام!

فتنادوا: لا تخاطبوهم ولا تكلموهم، وتهيؤا للقاء الرب! الرواح الرواح إلى الجنة! فخرج علي فعبا الناس، فجعل علي ميمنته حجر بن عدي، وعلي ميسرته شيبث بن ربعي أو معقل بن قيس الرياحي، وعلي الخيل أبا أيوب الأنصاري، وعلي الرجالة أبا قتادة الأنصاري، وعلي أهل المدينة وهم سبعمائة أو ثمانمائة رجل، قيس بن سعد بن عبادة. قال: وعبأت الخوارج فجعلوا علي ميمنتهم زيد بن حصين الطائي، وعلي الميسرة شريح بن أوفى العبسي، وعلي خيلهم حمزة بن سنان الأسدي، وعلي الرجالة حرقوص بن زهير السعدي.

قال: وبعث علي الأسود بن يزيد المرادي في ألفي فارس حتى أتى حمزة بن سنان وهو في ثلاثمائة فارس من خيلهم. ورفع علي راية أمان مع أبي أيوب فناداهم أبو أيوب: من جاء هذه الراية منكم ممن لم يقتل ولم يستعرض، فهو آمن، ومن انصرف منكم إلى الكوفة أو إلى المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو آمن، إنه لا حاجة لنا بعد أن نصيب قتلة إخواننا منكم في سفك دمائكم!

فقال فروة بن نوفل الأشجعي: والله ما أدرى على أي شيء نقاتل عليا؟! لا أرى إلا أن أنصرف حتى تنفذ لي بصيرتي في قتاله أو اتباعه! وأنصرف في خمسمائة فارس حتى نزل البنديجين والدسكرة. وخرجت طائفة أخرى متفرقين فنزلت الكوفة. وخرج إلى علي منهم نحو من مائة، وكانوا أربعة آلاف.

فكان الذين بقوا مع عبد الله بن وهب منهم ألفين وثمانمائة، وزحفوا إلى علي وقدم على الخيل دون الرجال، وصف الناس وراء الخيل صفين، وصف المرامية أمام الصف الأول وقال لأصحابه: كفوا عنهم حتى يبدؤوكم، فإنهم لو قد شدوا عليكم وجلهم رجال لم ينتهوا إليكم إلا لاغبين، وأنتم رادون حامون.

وأقبلت الخوارج.... ثم نادوا الرواح الرواح إلى الجنة، فشدوا على الناس والخيل أمام الرجال، فلم تثبت خيل المسلمين لشدتهم، وافترقت الخيل فرقتين فرقة نحو اليمينه وأخرى نحو الميسرة، وأقبلوا نحو الرجال، فاستقبلت المرامية وجوههم بالنبل، وعطفت عليهم الخيل من اليمينه والميسرة، ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف، فوالله ما لبثوهم أن أناموهم.

ثم إن حمزة بن سنان صاحب خيلهم لما رأى الهلاك نادى أصحابه أن أنزلوا فذهبوا لينزلوا، فلم يتقاروا حتى حمل عليهم الأسود بن قيس المرادي، وجاءتهم الخيل من نحو علي، فأهمدوا في الساعة....

حدثني عبد الملك بن أبي حرة أن عليا خرج في طلب ذي الثدية، ومعه سليمان بن ثمامة الحنفي أبو جبرة، والريان بن صبرة بن هوذة، فوجده الريان بن صبرة بن هوذة في حفرة على شاطئ النهر في أربعين أو خمسين قتيلا. قال فلما استخرج نظر إلى عضده فإذا لحم مجتمع على منكبه كثدي المرأة له حلمة عليها شعرات سود، فإذا مدت امتدت حتى تحاذى طول يده الأخرى، ثم ترك

فتعود إلى منكبه كثندي المرأة، فلما استخرج قال علي: الله أكبر، والله ما كذبت ولا كذبت! أما والله لولا أن تنكلوا عن العمل لأخبرتكم بما قضى الله على لسان نبيه صلى الله عليه وآله لمن قاتلهم مستبصرا في قتالهم، عارفا للحق الذي نحن عليه! قال: ثم مر وهم صرعى فقال: بؤسا لكم لقد ضركم من غركم! فقالوا يا أمير المؤمنين من غرهم؟ قال: الشيطان وأنفس بالسوء أمارة غرتهم بالآماني، وزينت لهم المعاصي، ونبأتهم أنهم ظاهرون!...

قال: وطلب من به رمق منهم فوجدناهم أربعمئة رجل، فأمر بهم علي فدفعوا إلى عشائهم وقال: إحملوهم معكم فداووهم فإذا برئوا فوافوا بهم الكوفة، وخذوا ما في عسكرهم من شيء، قال: وأما السلاح والدواب وما شهدوا به عليه الحرب فقسمه بين المسلمين، وأما المتاع والعبيد والإماء، فإنه حين قدم رده علي أهله! وطلب عدي بن حاتم ابنه طرفة فوجده مدفنه، ثم قال: الحمد لله الذي ابتلاني بيومك علي حاجتي إليك). انتهى.

وقد اختصر الطبري المعركة، واختصرناها منه، وقد روت المصادر نقاطا مهمة ومفيدة، وهذه نماذج منها:

تهيب المسلمون أن يقاتلوا الخوارج بسبب مظهرهم الخادع، وقد استهم المزيفة! فظاهرهم الصلاح وأنهم عباد وقراء قرآن، وأهل تدين وتنسك! فلم يكن باستطاعة أحد أن يسفك دم هذه القداسة المزيفة إلا صاحب القداسة الحقيقية علي عليه السلام، المشهود له من رسول الله صلى الله عليه وآله بمعجزاته التي رآها منه المسلمون في فتنة الخوارج وغيرها، فخشعوا لها وكبروا، ومنها هذا النموذج:

في مجمع الزوائد: ٦ / ٢٤١: (عن جنذب قال: لما فارقت الخوارج عليا خرج في طلبهم وخرجنا معه، فانتبهنا إلى عسكر القوم وإذا لهم دوي كدوي النحل من

قراءة القرآن، وإذا فيهم أصحاب الثفنات وأصحاب البرانس، فلما رأيتهم دخلني من ذلك شدة، فتنحيت فركزت رمحي ونزلت عن فرسي ووضعت برنسي فنشرت عليه درعي، وأخذت بمقود فرسي فقممت أصلى إلى رمحي، وأنا أقول في صلاتي: اللهم إن كان قتال هؤلاء القوم لك طاعة فائذن لي فيه، وإن كان معصية فأرني براءتك! قال: فأنا كذلك إذ أقبل علي بن أبي طالب على بغلة رسول الله (ص) فلما حاذاني قال: تعوذ بالله، تعوذ بالله يا جندب من شر الشك! فجئت أسعى إليه ونزل فقام يصلي، إذ أقبل رجل على بردون يقرب به، فقال يا أمير المؤمنين؟ قال: ما شأنك؟ قال ألك حاجة في القوم؟ قال: وما ذاك؟ قال: قد قطعوا النهر. قال: ما قطعوه! قلت: سبحان الله! ثم جاء آخر أرفع منه في الجري فقال يا أمير المؤمنين؟ قال: ما تشاء؟ قال ألك حاجة في القوم؟ قال: وما ذاك؟ قال: قد قطعوا النهر فذهبوا. قلت: الله أكبر. قال علي: ما قطعوه، ثم جاء آخر يستحضر بفرسه فقال يا أمير المؤمنين؟ قال: ما تشاء؟ قال ألك حاجة في القوم قال: وما ذاك؟ قال: قد قطعوا النهر. قال: ما قطعوه ولا يقطعونه وليقتلن دونه، عهد من الله ورسوله! قلت: الله أكبر، ثم قمت فأمسكت له بالركاب فركب فرسه، ثم رجعت إلى درعي فلبستها، والى قوسي فعلقتها وخرجت أسايره، فقال لي: يا جندب، قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال: أما أنا فأبعث إليهم رجلا يقرأ المصحف يدعو إلى كتاب

الله ربهم وسنة نبيهم فلا يقبل علينا بوجهه حتى يرشقوه بالنبل! يا جندب أما إنه لا يقتل منا عشرة ولا ينجو منهم عشرة! فانتبهينا إلى القوم وهم في معسكرهم الذي كانوا فيه لم يبرحوا! فنادى علي في أصحابه فصفهم، ثم أتى الصف من رأسه ذا إلى رأسه ذا مرتين وهو يقول: من يأخذ هذا المصحف فيمشي به إلى هؤلاء القوم فيدعوهم إلى كتاب الله ربهم وسنة نبيهم وهو مقتول وله الجنة؟ فلم يجبه إلا شاب من بني عامر بن صعصعة، فلما رأى علي حداثة سنه قال له: إرجع إلى موقفك، ثم نادى الثانية فلم يخرج إليه إلا ذلك الشاب، فقال له علي: خذ، فأخذ المصحف فقال له: أما إنك مقتول ولست مقبلا علينا بوجهك حتى يرشقوك بالنبل! فخرج الشاب بالمصحف إلى القوم فلما دنا منهم حيث يسمعون، قاموا ونشبو الفتى قبل أن يرجع! قال: فرماه إنسان فأقبل علينا بوجهه فقعد فقال علي: دونكم القوم! قال جندب فقتلت بكفي هذه بعد ما دخلني ما كان دخلني ثمانية قبل أن أصلي الظهر، وما قتل منا عشرة ولا نجا منهم عشرة كما قال!

رواه الطبراني في الأوسط من طريق أبي السابغة عن جندب، ولم أعرف أبا السابغة، وبقية رجاله ثقات). انتهى. *

في تاريخ بغداد: ١٤ / ٣٦٨: (فقال علي لأصحابه: لا تبدؤوهم. قال فبدأ الخوارج فرموا فقيلا يا أمير المؤمنين قد رموا، قال فأذن لهم بالقتال. قال: فحملت الخوارج على الناس حملة حتى بلغوا منهم شدة، ثم حملوا عليهم الثانية فبلغوا من الناس أشد من الأولى، ثم حملوا الثالثة حتى ظن الناس أنها الهزيمة. قال: فقال علي: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لا يقتلون منكم عشرة ولا يبقى منهم عشرة. قال: فلما سمع الناس ذلك حملوا عليهم). *

في مناقب آل أبي طالب: ٢ / ٣٧١: (فلما أتاهم أمير المؤمنين عليه السلام فاستعطفهم فأبوا إلا قتاله، وتنادوا أن دعوا مخاطبة علي عليه السلام وأصحابه وبادروا الجنة، وصاحوا الرواح الرواح إلى الجنة، وأمير المؤمنين يعبئ أصحابه، ونهاهم أن يتقدم إليهم أحد، فكان أول من خرج أحنس بن العيزار الطائي فقتله أمير المؤمنين عليه السلام....

وخرج إلى أمير المؤمنين عليه السلام الوضاح بن الوضاح من جانب وابن عمه حرقوص من جانب، فقتل الوضاح، وضرب ضربة علي رأس الحرقوص فقطعه، ووقع رأس سيفه علي الفرس فشرد ورجله في الركاب، حتى أوقعه في دولاب).
**

وفي شرح النهج: ٢ / ٢٧٦: (قال علي: نقتل اليوم أربعة آلاف من الخوارج، أحدهم ذو الثدية، فلما طحن القوم ورام استخراج ذا الثدية، أمرني أن أقطع له أربعة آلاف قصبه، وركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: إطرح علي كل قتيل منهم قصبه فلم أزل كذلك وأنا بين يديه وهو راكب خلفي، والناس يتبعونه حتى بقيت في يدي واحدة، فنظرت إليه وإذا وجهه أربد وإذا هو يقول: والله ما كذبت ولا كذبت، فإذا خرير ماء عند موضع دالية فقال: فتش هذا، ففتشته فإذا قتيل قد صار في الماء، وإذا رجله في يدي فجذبتها وقلت: هذه رجل إنسان، فنزل عن البغلة مسرعا، فجذب الرجل الأخرى وجررناه، حتى صار علي التراب، فإذا هو المنخدج! فكبر علي بأعلى صوته ثم سجد، فكبر الناس كلهم).
**

قال اليعقوبي: ٢ / ١٩٣: (فرجع يومئذ من الخوارج ألفان وأقام أربعة آلاف، والتحمت الحرب بينهم مع زوال الشمس فأقامت مقدار ساعتين من النهار، فقتلوا من عند آخرهم وقتل ذو الثدية، ولم يفلت من القوم إلا أقل من عشرة، ولم يقتل من أصحاب علي إلا أقل من عشرة. وكانت وقعة النهروان سنة ٣٩).
وقال اليعقوبي في تاريخه: ٢ / ١٩٣: (ولما قدم علي الكوفة (بعد النهروان) قام خطيبا فقال بعد حمد الله والثناء عليه والتذكير لنعمه والصلاة على محمد وذكره بما فضله الله به: أما بعد أيها الناس فأنا فقأت عين الفتنة ولم يكن ليجتري عليها أحد

غيري، ولو لم أكن فيكم ما قوتل الناكثون ولا القاسطون ولا المارقون، ثم قال: سلوني قبل أن تفقدوني فإنني عن قليل مقتول فما يحبس أشقاها أن يخضبها بدم أعلاها! فوالذي فلق البحر وبراأ النسمة لا تسألوني عن شئ فيما بينكم وبين الساعة، ولا عن فتنة تضل مائة أو تهدي مائة، إلا أنبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها إلى يوم القيامة).
* *

في كتاب علي والخوارج: ١ / ٢٠٠: (يقال إن هؤلاء الذين أفلتوا من القتل كانوا تسعة، وقد أصبحوا بذرات أخرى للخوارج في مناطق عديدة فيما بعد.. فقد سار منهم رجلاان إلى سجستان، ورجلان إلى عمان، ورجلان إلى اليمن، ورجلان إلى ناحية الجزيرة، ورجل إلى تل مورون في اليمن، فالخوارج في هذه البلاد من أتباع هؤلاء. (راجع: الملل والنحل: ١ / ١١٧ والفرق ص ٨٠ و ٨١ والفتوح لابن أعثم: ٤ / ١٣٢)....

فاختلط القوم، فلم تكن إلا ساعة حتى قتلوا بأجمعهم وكانوا أربعة آلاف، فما فلت منهم إلا تسعة نفر. فهرب منهم رجلاان إلى خراسان إلى أرض سجستان وفيها نسلهما إلى الساعة، ورجلان صارا إلى بلاد الجزيرة إلى موضع يقال له سوق التوربخ، وإلى شاطئ الفرات، فهناك نسلهما إلى الساعة. وصار رجل إلى تل يقال له: تل موزن). (الفتوح لابن أعثم: ٤ / ١٣٢).
* *

عائشة تروي أن عليا عليه السلام أفضل الأمة!
فرح المسلمون بالآيات والمعجزات التي رأوها من أمير المؤمنين عليه السلام في أمر الخوارج، وخاصة بمقتل حرقوص بن زهير، أو المخدج، أو ذي الخويصرة، أو ذي الندية، أو ذي الشدوة، أو سفعة الشيطان، أو شيطان الردهة، أو شيطان الوهدة، وكلها أسماء لحرقوص الذي كانوا رووا حديثه عن النبي صلى الله عليه وآله وأنه وحزبه (شر الخلق والخليقة)! لكن بقي النصف الآخر من الحديث وأنه (يقتلهم خير الخلق بعدي، أو خير الخلق والخليقة وأقربهم إلى الله وسيلة)! فقد غص به رواة الخلافة القرشية وتحيروا به؟! فكيف يعترفون لعلي عليه السلام بأنه خير الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فيدينون السقيفة وما تعبت قريش على إشاعته من أن أبا بكر وعمر وعثمان خير الخلق بعد النبي صلى الله عليه وآله؟! لكنهم في نفس الوقت يحتاجون إلى هذا الحديث في شرعية قتال الخوارج، ليكون حجة لمعاوية ومن بعده في قتالهم إياهم! لهذا السبب، صرت تجد العجائب في مصادرهم! فبعضهم يروي الحديث، ويحذف نصفه الأخير! وبعضهم يستبدل آخره بأن النبي صلى الله عليه وآله قال: (طوبى لمن قتلهم)! وبعضهم يستبدله بأن النبي صلى الله عليه وآله قال: (تقتلهم أقرب الطائفتين إلى الحق)! وبعضهم يبدل كلمة: خير الخلق بخيار الخلق، حتى لا تختص بعلي عليه السلام! وبعضهم يروي أن النبي صلى الله عليه وآله وصف عبد الله بن مسعود بأنه أقرب الخلق وسيلة إلى الله! فليس هذا الوصف لعلي عليه السلام، أو ليس مختصا به! أما من يرويه كاملا، فتراه يعمل معوله في تأويله ليفرغه من معناه! وقد شاء الله تعالى أن تروي عائشة هذا الحديث كاملا! وأن يكون السبب أن عمرو بن العاص كذب عليها فكتب لها أنه هو قتل ذا الندية بمصر وليس عليا! ففي شرح النهج: ٢ / ٢٦٨: (وفي كتاب صفين أيضا للمدائني عن مسروق، أن

عائشة قالت له لما عرفت أن عليا قتل ذا النديّة: لعن الله عمرو بن العاص، فإنه كتب إليّ يخبرني أنه قتله بالإسكندرية! ألا أنه ليس يمنعني ما في نفسي أن أقول ما سمعته من رسول الله (ص) يقول: يقتله خير أمّتي من بعدي).

وفي فتح الباري: ١٢ / ٢٥٣: (وعند البزار من طريق الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت: ذكر رسول الله (ص) الخوارج فقال هم شرار أمّتي يقتلهم خيار أمّتي وسنده حسن. وعند الطبراني من هذا الوجه مرفوعا هم شر الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة. وفي حديث أبي سعيد عند أحمد: هم شر البلية!).

وقد نقل في شرح النهج: ٢ / ٢٦٧، عن مسند أحمد، أي عن نسخة أحمد في القرن السابع، عن مسروق قال قالت لي عائشة: إنك من ولدي ومن أحبهم إليّ فهل عندك علم من المخدج؟ فقلت: نعم قتله علي بن أبي طالب على نهر يقال لأعلاه تأمرا ولأسفله النهروان، بين لخافيق وطرفاء، قالت: أبغني على ذلك بينة، فأقمت رجلا شهدوا عندها بذلك، قال: فقلت لها: سألتك بصاحب القبر ما الذي سمعت من رسول الله (ص) فيهم؟ فقالت: نعم سمعته يقول: إنهم شر الخلق والخليقة، يقتلهم خير الخلق والخليقة، وأقربهم عند الله وسيلة). انتهى.

ولا وجود له في نسخة أحمد في عصرنا! فربما حذفوه منها! ولعل أحمد رواه في غير المسند. (ورواه القاضي النعمان في شرح الاخبار: ١ / ١٤١، عن مسروق عن عائشة، ومحمد بن سليمان في المناقب: ٢ / ٥٣٤، والشريف المرتضى في تنزيه الأنبياء عليهم السلام ص ٢٠٢).

وقال الصدوق في علل الشرائع: ١ / ٢٢٢: (وهذا سعد بن أبي وقاص لما أنهى إليه أن عليا صلوات الله عليه قتل ذا النديّة، أخذه ما قدم وما أحر، وقلق ونزق، وقال: والله لو علمت أن ذلك كذلك لمشيت إليه ولو حبوا). انتهى.

(راجع كتاب علي عليه السلام والخوارج للسيد جعفر مرتضى: ١ / ٢٤١، فصل: موقف عائشة من الخوارج. وكتابنا العقائد الإسلامية: ٤ / ٣٤٤، عنوان: علي عليه السلام أقرب الخلق إلى الله وسيلة).

**

الخوارج بعد النهروان
قال السيد جعفر مرتضى في كتاب علي والخوارج: (إن هناك أقواما من الناس قد يكون
أكثرهم من أولئك الذين استأمنوا في النهروان، أو أنهم رجعوا بسبب احتجاجات علي
عليه السلام وأصحابه عليهم، أو ممن يشبهون الخوارج في عقلياتهم، ونظرتهم إلى
الأمر.. إن هذه الجماعات والأقوام قد جنح بهم شذوذهم وجهلهم وحماسهم الأعمى
إلى أن يغامروا بحياتهم وبمستقبلهم، فيعلنوا العصيان، ويخرجوا عن الطاعة، فكانت
لهم بعد النهروان خرجات على الإمام عليه السلام في شراذم قليلة، في بضعة مئات، أو
أقل أو أكثر، وخرج في بعضها عليه ألفان منهم.. فكان يقضي على تلك الحركات
الواحدة تلو الأخرى بيسر وسهولة.. فخرجوا عليه بالإضافة إلى النخيلة في: الأنبار، وما
سندان، وججرايا، والمدائن وسواد الكوفة. (راجع الفرق بين الفرق ص ٨١، ومقالات
الإسلاميين: ١ / ١٩٥ / ١٩٦ وتاريخ ابن خلدون: ٣ / ١٤٢ / ١٤٣ والكامل لابن الأثير: ٢ /
٣٧٢ / ٣٧٣ وغير ذلك). وحين خرج أبو مريم وظفر بهم أمير المؤمنين عليه السلام
فآمن خمسين رجلا منهم استأمنوا، وقتل سائرهم) (راجع أنساب الأشراف بتحقيق
المحمودي: ٢ / ٤٨٦). انتهى.
**

آخر خارجة على أهل البيت عليهم السلام في منطقة النهروان!
من أحاديث الملاحم ما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه: ٨ / ٦٧٣: (عن عبيد الله بن بشير بن جرير البجلي قال قال علي: إن آخر خارجة تخرج في الإسلام بالرميلة رميلة الدسكرة، فيخرج إليهم ناس فيقتلون منهم ثلثا، ويدخل ثلث، ويتحصن ثلث في الدير دير مرمار، فمنهم الأشمط، فيحضرهم الناس فينزلونهم فيقتلونهم فهي آخر خارجة تخرج في الإسلام). انتهى. (وعنه في كنز العمال: ١١، ٢٦٠)
وأصل هذا الحديث أن هذه الخارجة تكون على الإمام المهدي عليه السلام، وقد روت أحاديثها مصادرنا:

منها هذا الحديث في مروج الذهب: ٢ / ٤١٨: (ثم ركب ومر بهم وهم صرعى، فقال: لقد صرعتكم من غركم، قيل ومن غرهم؟ قال: الشيطان وأنفس السوء، فقال أصحابه: قد قطع الله دابرهم إلى آخر الدهر، فقال: كلا والذي نفسي بيده، وإنهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء، لا تخرج خارجة إلا خرجت بعدها مثلها، حتى تخرج خارجة بين الفرات ودجلة مع رجل يقال له الأشمط، يخرج إليه رجل منا أهل البيت فيقتله، ولا تخرج بعدها خارجة إلى يوم القيامة). انتهى.
والأشمط: من خالط بياض رأسه سواد، وقد تقال للطويل.

وفي بصائر الدرجات ص ٣٣٦، عن يونس بن ظبيان عن الإمام الصادق عليه السلام: (أول خارجة خرجت على موسى بن عمران بمرج دابق وهو بالشام، وخرجت على المسيح بحران، وخرجت على أمير المؤمنين عليه السلام بالنهروان، وتخرج على القائم بالدسكرة دسكرة الملك. ثم قال لي: كيف مالح دير بين ماكي مالح، يعني عند قرينك وهو بالنبطية، وذاك أن يونس كان من قرية دير بين ما. يقال: الدسكرة

التي عند دير بين ما). انتهى. ولعله سقط من هذا الحديث وصفهم بأنهم آخر خارجة. ودسكرة الملك من توابع النهروان قرب شهر آبان، من محافظة بعقوبة. وفي الأنساب للسمعاني: ٢ / ٤٧٦: (يقال لها دسكرة الملك، وهي قرية كبيرة تنزلها القوافل، نزلت بها في التوجه والانصراف وبت بها ليلتين). وفي معجم البلدان: ٢ / ٤٥٥: (والدسكرة أيضا: قرية في طريق خراسان قريبة من شهر آبان، وهي دسكرة الملك، كان هرمز بن سابور بن أردشير بن بابك يكثر المقام بها فسميت بذلك).

وفي معجم البلدان: ٥ / ٣٢٤: (نهروان: وأكثر ما يجري على الألسنة بكسر النون، وهي ثلاثة نهروانات: الأعلى والأوسط والأسفل، وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي حدها الأعلى متصل ببغداد وفيها عدة بلاد متوسطة، منها: إسكاف وجرجرايا والصفافية ودير قني، وغير ذلك، وكان بها وقعة لأمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه مع الخوارج مشهورة، وقد خرج منها جماعة من أهل العلم والأدب، فمن كان من مدنها نسب إلى مدينة ومن كان من قراها الصغار نسب إلى الكورة، وهو نهر مبتدؤه قرب تأمرا أو حلوان، فإني لا أحققه ولم أر أحدا ذكره، وهو الآن خراب ومدنه وقراه تلال يراها الناس بها والحيطان قائمة، وكان سبب خرابه اختلاف السلاطين وقتال بعضهم بعضا في أيام السلجوقية، إذ كان كل من ملك لا يحتفل بالعمارة إذ كان قصده أن يوصل ويطير (يجمع الحاصل قبل أن يعزل)! وكان أيضا في ممر العساكر فجلا عنه أهله واستمر خرابه، وقد استشأم الملوك أيضا من تجديد حفر نهره، وزعموا أنه ما شرع فيه أحد إلا مات قبل تمامه، وكان قد شرع فيه نهروان الخادم وغيره فمات وبقي على حاله، وكان من أجمل نواحي بغداد وأكثرها دخلا، وأحسنها منظرا، وأبهاها مخبرا).

وفي معجم البلدان: ١ / ١٨١: (كان قد انسد نهر النهروان واشتغل الملوك عن إصلاحه وحفره باختلافهم، وتطرقها عساكرهم، فخربت الكورة بأجمعها)!!
أقول: إن لله تعالى أسراراً كثيرة في أحداث الماضي وأماكنها، وأحداث المستقبل وأماكنها، نعرف أصل وجود الحكمة والسر ولا نعرف تفصيلها، ويبدو منها أن هناك دورة في التاريخ كدورة تأسيس القدس وإعادة الكعبة الشريفة على يد إبراهيم عليه السلام، مقدمة لبعثة نبينا صلى الله عليه وآله، ودورة عودة العراق بعد نوح وإبراهيم صلى الله عليه وآله إلى عاصمة الإسلام على يد علي عليه السلام، ثم الوعد الإلهي بأن يكون العراق عاصمة العالم على يد الإمام المهدي عليه السلام، وأن يكون آخر الخوارج عليه في نفس المكان الذي كان الخوارج على علي عليه السلام!
هذا، وتوجد رواية أخرى تذكر أن آخر خارجة على الإمام المهدي عليه السلام تكون في الكوفة، ففي تفسير العياشي: ٢ / ٥٦، عن عبد الأعلى الحلبي، عن الإمام الباقر عليه السلام من حديث طويل: (والله لكأني أنظر إليه وقد أسند ظهره إلى الحجر، ثم ينشد الله حقه ثم يقول: يا أيها الناس من يحاجني في الله فأنا أولى الناس بالله ومن يحاجني في آدم فأنا أولى الناس بآدم، يا أيها الناس من يحاجني في نوح فأنا أولى الناس بنوح، يا أيها الناس من يحاجني في إبراهيم فأنا أولى بإبراهيم، يا أيها الناس من يحاجني في موسى فأنا أولى الناس بموسى، يا أيها الناس من يحاجني في عيسى فأنا أولى الناس بعيسى، يا أيها الناس من يحاجني في محمد فأنا أولى الناس بمحمد صلى الله عليه وآله، يا أيها الناس من يحاجني في كتاب الله فأنا أولى بكتاب الله، ثم ينتهي إلى المقام.... قال أبو جعفر عليه السلام: يقاتلون والله حتى يوحد الله ولا يشرك به شيئاً، وحتى تخرج العجوز الضعيفة من المشرق تريد المغرب ولا ينهاها أحد، ويخرج الله من الأرض بذرها، وينزل من السماء قطرها.....

فبينما صاحب هذا الأمر قد حكم ببعض الأحكام وتكلم ببعض السنن، إذ خرجت خارجة من المسجد يريدون الخروج عليه، فيقول لأصحابه: انطلقوا فتلحقوا بهم في التمارين فيأتونه بهم أسرى ليأمر بهم فيذبحون، وهي آخر خارجة تخرج على قائم آل محمد صلى الله عليه وآله). انتهى.

ويمكن أن يكون خوارج مسجد الكوفة جزء من خوارج دسكرة بعقوبة، فيقبض عليهم قبل أن يصلوا إليهم. وتوجد احتمالات أخرى، لا مجال لذكرها.

أما أول خارجة على الإمام المهدي عليه السلام في العراق فهم البترية الذين يزعمون أنهم يتولون أهل البيت عليهم السلام وظالمهم! ففي دلائل الإمامة ص ٢٤١، عن أبي الجارود أنه سأل الإمام الباقر عليه السلام: (متى يقوم قائمكم؟ قال: يا أبا الجارود لا تدركون. فقلت: أهل زمانه؟ فقال: ولن تدرك أهل زمانه، يقوم قائمنا بالحق بعد إياس من الشيعة يدعو الناس ثلاثا فلا يجيبه أحد، فإذا كان اليوم الرابع تعلق بأستار الكعبة، فقال: يا رب انصرنى، ودعوته لا تسقط، فيقول تبارك وتعالى للملائكة الذين نصرنا رسول الله يوم بدر ولم يحطوا سروجهم ولم يضعوا أسلحتهم، فيبايعونه، ثم يبايعه من الناس ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا! يسير إلى المدينة فيسير الناس.... ويسير إلى الكوفة فيخرج منها ستة عشر ألفا من البترية شاكين في السلاح، قراء القرآن فقهاء في الدين، قد قرحوا جباههم وسمروا ساماتهم وعمهم النفاق، وكلهم يقولون: يا بن فاطمة إرجع لا حاجة لنا فيك، فيضع السيف فيهم على ظهر النجف عشية الاثنين من العصر إلى العشاء، فيقتلهم أسرع من جزر جزور، فلا يفوت منهم رجل ولا يصاب من أصحابه أحد! دماؤهم قربان إلى الله!

ثم يدخل الكوفة فيقتل مقاتليها حتى يرضى الله تعالى. قال: فلم أعقل المعنى فمكثت قليلا ثم قلت: جعلت فداك وما يدرىه جعلت فداك متى يرضى الله عز

وجل؟ قال: يا أبا الجارود إن الله أوحى إلى أم موسى وهو خير من أم موسى، وأوحى الله إلى النحل وهو خير من النحل، فعقلت المذهب؟ فقال لي: أعقلت المذهب؟ قلت: نعم. فقال: إن القائم ليملك ثلاثمائة وتسع سنين كما لبث أصحاب الكهف في كهفهم، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً ويفتح الله عليه شرق الأرض وغربها). انتهى. *

لا تقاتلوا الخوارج بعدي!
نلاحظ في موقف أمير المؤمنين عليه السلام من الخوارج أنه نهى عن قتالهم بعده لأن غيرهم ممن سيحكم الأمة بعده أحق بالقتال منهم، حتى يظهر المهدي عليه السلام! ففي نهج البلاغة: ١ / ١٠٧: (ولما قتل الخوارج فليل له يا أمير المؤمنين هلك القوم بأجمعهم. قال عليه السلام: كلا والله إنهم نطف في أصلاب الرجال وقرارات النساء! كلما نجم منهم قرن قطع، حتى يكون آخرهم لصوصاً سلابين!)
وقال عليه السلام: لا تقاتلوا الخوارج بعدي، فليس من طلب الحق فأخطأه، كمن طلب الباطل فأدركه. يعني معاوية وأصحابه).

وفي تهذيب الأحكام للطوسي رحمه الله: ٦ / ١٤٤، عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام قال: (لما فرغ أمير المؤمنين عليه السلام من أهل النهروان قال: لا يقاتلهم بعدي إلا من هم أولى بالحق منه). انتهى. *

الفصل التاسع
تراجع الأمة عن مشروع إعادة العهد النبوي

(٣٨٣)

تعبت الأمة من العمل مع علي عليه السلام لإعادة العهد النبوي!
في السنة التاسعة والثلاثين للهجرة كان علي عليه السلام قد ذرف على الستين من عمره
الشريف، وأمضى أكثر من نصف قرن في الجهاد منذ بعثة النبي صلى الله عليه وآله!
والذي يقرأ الخط البياني لشخصيته عليه السلام يتعجب من عظمة هذه النفس الكبيرة
وثبات حيويتها في جميع فصول حياته الحافلة بالتغيرات!
إن عليا عليه السلام إنسان من نوع آخر، لا يتعامل مع الأشياء من أفق حاجاته، ولا من
أفق الأرض وحطامها! بل من أفقه الشامل للدنيا والآخرة، المشرف على الدنيا من
أعلى! أرأيت كيف كان رسول الله صلى الله عليه وآله أكبر من الدنيا، فكذلك علي
عليه السلام؟!

لهذا لا فرق في حيوية علي وزخمه الفكري والروحي والعملي، وهو محاصر في شعب
أبي طالب يحرس النبي صلى الله عليه وآله ليل نهار من شياطين قريش.. وحيويته وهو
يقطف النصر للإسلام في بدر وأحد وخيبر وحنين، ويهزم قريشا ويهود وهوازن!
ولا فرق في حالته وقد هاجمت قريش بيته وأجبرته على بيعة صاحبها! وحالته وقد
جاءته الأمة بعد مقتل عثمان معتذرة إليه، راجية أن يقبل خلافتها!
ولا فرق بين علي الذي تحزبت عليه قريش وأشعلت الحرب لإسقاط نظامه، فلم
يستطع أن يجند في حرب الجمل إلا اثني عشر ألفا، مقابل مئة وعشرين ألف مقاتل
مجهز مع طلحة والزبير وعائشة.. وبين علي الذي اكتسح في اليوم السابع لحرب
الجمل جيش عائشة في موجات متتالية قاد فيها مجموعة فرسان

اختارهم من أصحابه، يشق أمامهم صفوف مئة وعشرين ألفا فيضرب بسيفه قدما ويمينا وشمالا يجدل الأبطال وييري بسيفه الرماح! حتى ولوا فرارا وصاح الباقون منهم: (آمنا يا ابن أبي طالب)! فكف عنهم وأعطاهم الأمان على دمائهم وأموالهم، وما بقي من كرامتهم!

وكما تجد أفق علي عليه السلام وحيويته على السواء في حالتي خوفه وأمنه، كذلك تراه في فقره وغناه! فعلي الذي كان يجوع في شعب مكة فلا يجد القرص، ويضطر في المدينة لاقتراض صاع شعير من يهودي ليطعم زوجته وأولاده.. هو علي الذي صار يملك بساتين واسعة عديدة في المدينة وذي الحليفة وينبع، استنبط عيونها المتدفقة بعلمه ومعوله، وغرسها ورباها حتى اشتبكت أشجارها وأينعت ثمارها، فأوقفها في سبيل الله، وأطعم أولاده منها كما يأكل الفقراء!

وهو نفسه الذي صار حاكما لدولة مترامية الأطراف، فكان يقول لعماله حكام الولايات: (ألا وإن لكل مأموم إماما يقتدي به ويستضيء بنور علمه. ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه... ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشعب. أو أبيت مبطانا وحولي بطون غرثى وأكباد حرى؟!).

العجب من علي الذي كان مشغولا بمراسم دفن النبي صلى الله عليه وآله فرأى يد طلقاء قريش تخطف دولة الإسلام، ووجد نفسه معزولا مهددا بالقتل مع بقية عترة النبي صلى الله عليه وآله! كيف بقي نفسه عليا الذي آمن بالنبي صلى الله عليه وآله وعمل معه من صباه فكان عضده ووزيره فأرسي معه رسالة، وبنى أمة، وأسس دولة، ووهب لها كل وجوده وإخلاصه! فلم يتغير همه ولا همته بإقصائهم له، ولا اهتز عالمه الذي

يعيش في آفاقه العليا!!
يقول عليه السلام: (فوالله ما كان يلقي في روعي ولا يخطر ببالي أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده عن أهل بيته، ولا أنهم منحوه عني من بعده، فما راعني إلا انثيال الناس على فلان يباعونه، فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلما أو هدمًا تكون المصيبة به علي أعظم من فوت ولايتكم، التي إنما هي متاع أيام قلائل يزول منها ما كان، كما يزول السراب، أو كما يتقشع السحاب، فنهضت في تلك الأحداث، حتى زاح الباطل وزهق، واطمأن الدين وتنهنه). (نهج البلاغة: ٣ / ١١٨).

وفي السنة التاسعة والثلاثين للهجرة بقي علي عليه السلام في سموه وقوته وحيويته، رغم أنه كان يرى أمة النبي صلى الله عليه وآله التي استجابت لمشروعه في إعادة النبوي، وخطت معه خطوات مهمة، يراها ضعفت عن همته، وأخلدت إلى الأرض، وتحولت بين يديه إلى تراب! وأبت أن تتحمل معه تعب سنة واحدة، فتزيح أصعب عقبة من طريقها، وتجتث أخبث شجرة حذرنا منها الله ورسوله صلى الله عليه وآله، ولعننا الله في قرآنه، والرسول على منبره!

فمنذ رجوع أمير المؤمنين عليه السلام من صفين مجبراً، ومنذ انكشفت للناس حيلة معاوية في التحكيم والتستر بالقرآن، ما زال يخطب ويبين، وينذر ويحذر، ويفيض عن لسان أخيه رسول الله صلى الله عليه وآله، ويظهر للأمة مكنون علمه وآياته، ويحثها على جهاد عدوها، الذي أمرها نبيها بجهاده، وأخبرها بأن أخوف ما يتخوفه عليها فتنة معاوية وبني أمية، الذين ستتجمع فيهم أخطار قريش واليهود والروم للقضاء على الإسلام، وكل ذلك باسم الإسلام وخلافة نبيه صلى الله عليه وآله!

* *

كانت الأولوية في سياسة علي عليه السلام بعد حرب صفين، أن يكشف للأمة خطر

معاوية، ويوجه المسلمين إلى المعركة الفاصلة معه، وقد واصل عليه السلام العمل لهذا الهدف في عاصمة الخلافة، وكتب إلى عماله في مناطق الدولة الإسلامية. ثم تحرك عليه السلام قبل حرب النهروان، إلى معسكر الكوفة بالنخيلة، وأمر الناس بالتحرك معه إلى حرب معاوية، فاستجاب له قليل منهم، وأرسل إلى البصرة وراسل الخوارج أن يوافوه إلى النخيلة للتوجه إلى صفين، فوافاه الأحنف بن قيس في بضعة ألوف من البصرة.

وعندما كان عليه السلام معسكرا في النخيلة، توالت عليه أخبار الخوارج، وطلب منه المسلمون أن يتوجه إلى حربهم قبل معاوية، فلم يقبل حتى وجب عليه، بل كان يؤكد في خطبه ورسائله على أن العدو الأساس لهم: بنو أمية.

ففي تاريخ الطبري: ٤ / ٥٧: (فاتقوا الله وقاتلوا من حاد الله وحاول أن يطفئ نور الله. قاتلوا الخاطئين الضالين القاسطين المجرمين، الذين ليسوا بقراء للقرآن ولا فقهاء في الدين، ولا علماء في التأويل، ولا لهذا الأمر بأهل في سابقة الإسلام. والله لو ولوا عليكم لعملوا فيكم بأعمال كسرى وهرقل! تيسروا وتهيؤا للمسير إلى عدوكم من أهل المغرب، وقد بعثنا إلى إخوانكم من أهل البصرة ليقدموا عليكم، فإذا قدموا فاجتمعتم شخصنا إن شاء الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله). انتهى.

ثم زادت شكايات المسلمين من إفساد الخوارج، واستحلالهم قتل كل من خالفهم حتى النساء والأطفال، فطلبوا منه أن يتوجهوا إلى حربهم قبل معاوية حتى لا يعيشوا فسادا في البلاد في غياب حمايتها، فأرسل إليهم رسولا فقتلوه! عند ذلك توجه إليهم! وبعد انتصاره على الخوارج حث المسلمين على مواصلة سيرهم من هناك إلى صفين، فتعللوا بأنهم يحتاجون إلى فترة استراحة! فرجع إلى معسكر النخيلة، وأمرهم أن يقلوا المكث عند عوائلهم في الكوفة، ويعودوا إلى المعسكر:

قال الطبري: ٤ / ٦٧: (عن أبي الدرداء قال: كان علي لما فرغ من أهل النهروان حمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله قد أحسن بكم وأعز نصركم، فتوجهوا من فوركم هذا إلى عدوكم. قالوا: يا أمير المؤمنين نفدت نبالنا، وكلت سيوفنا ونصلت أسنة رماحنا، وعاد أكثرها قصدا، فارجع إلى مصرنا فلنستعد بأحسن عدتنا، ولعل أمير المؤمنين يزيد في عدتنا عدة من هلك منا، فإنه أوفى لنا على عدونا! وكان الذي تولى ذلك الكلام: الأشعث بن قيس!

فأقبل حتى نزل النخيلة فأمر الناس أن يلزموا عسكرهم ويوطنوا على الجهاد أنفسهم، وأن يقلوا زيارة نسائهم وأبنائهم، حتى يسيروا إلى عدوهم، فأقاموا فيه أياما ثم تسللوا من معسكرهم، فدخلوا إلا رجالا من وجوه الناس قليلا، وترك العسكر خاليا، فلما رأى ذلك دخل الكوفة! انتهى.

وفي الغارات: ١ / ٢٨: (أقاموا بالنخيلة مع علي أياما، ثم أخذوا يتسللون ويدخلون المصر، فنزل وما معه من الناس إلا رجال من وجوههم قليل، وترك المعسكر خاليا، فلا من دخل الكوفة خرج إليه، ولا من أقام معه صبرا! فلما رأى ذلك دخل الكوفة!). وقد ذكر المحدثون مداولاته عليه السلام مع رؤساء القوم، وخطبه العصماء وكلماته البليغة، التي تشد همة المسلم والإنسان، لو كانت بقيت فيهم مسكة! ثم صعد لهجته معهم إلى الشكوى المرة، والتوبيخ، وإتمام الحجة، كما يأتي.

مخزون الأمة النبوي نفذ.. ولم تستجب لعلي عليه السلام لتجديد شحنتها!
المتأمل في حياة الأمة الإسلامية، يرى أنها استسلمت بمجرد وفاة النبي صلى الله عليه وآله بل في مرض وفاته إلى زعماء قريش وجمهورهم الطلقاء، الذين كانوا حشدوهم في المدينة! فقد استخذى الأنصار عن نصرته نبيهم عندما طلب من الأمة أن يلتزموا بتنفيذ عهده الذي يريد أن يكتبه لهم، فمنعته قريش الطلقاء!
واستخذى الأنصار عن نصرته عترة نبيهم صلى الله عليه وآله، وتراجعوا أمام نشاط عمر وحزبه! وساعد على ذلك اشتداد الاختلاف بين الأوس والخزرج، ومرض رئيس الخزرج القوي سعد بن عبادة رحمه الله.
وغاية ما فكر فيه الأنصار أن قريشا ما دامت قررت أن تصرف الخلافة عن أهل بيت نبيها، فلماذا لا يطالبون بها لأنفسهم فهم أحق بخلافة النبي صلى الله عليه وآله من القرشيين الطلقاء الذين دخلوا في الإسلام بالأمس، بسيوف الأنصار!
لكن خطة سهيل بن عمرو وأبي بكر وعمر كانت أقوى من خطتهم، فعندما أغمض النبي صلى الله عليه وآله عينيه كان عمر متقلدا سيفه يصيح لا تقولوا مات النبي!
ويقسم إنه لم يمت وإنه سيرجع! وأنه سيقتل من يقول إنه مات! وكان ينتظر مجيء أبي بكر فلما جاء دخل إلى الحجرة وكشف عن وجه النبي صلى الله عليه وآله قال نعم إنه مات! وغطى وجهه وقال لبني هاشم (دونكم صاحبكم) وخرج هو وعمر (يتعاديان) إلى السقيفة، ليصفق عمر على يده في مجلس سعد بن عبادة المريض!
(ثم قام (أبو بكر) فقال: عندكم صاحبكم، يغسلونه.. ثم خرج!) (مجمع الزوائد: ٥ / ١٨٢) (فانطلق أبو بكر وعمر يتعاديان حتى أتوهم في السقيفة). (سيرة ابن كثير: ٤ / ٤٩٠). وغلب عمر وأبو بكر سعدا وابنه قيسا بأن النبي صلى الله عليه وآله من قريش وهم أولى بسلطانه!

وصفق عمر على يد أبي بكر، وصفق معه أبو عبيدة بن الجراح القرشي واثنان من الأوس أحضروهما لهذا الغرض، فاعترض سعد فعنفوه وأرادوا قتله!
فالنتيجة: أن الأنصار استسلموا لجو الإرهاب القرشي، وبايعوا أبا بكر!
واستمر خضوعهم لقريش طيلة عهد أبي بكر وعمر وعثمان، حتى طفح كيل عثمان، فانضموا إلى الناقلين عليه من الأمصار، والمطالبين بخلافة علي عليه السلام!
إن الأحداث التي جاءت بخلافة علي عليه السلام كانت استثناء في مسار الأمة الذي خضع للحزب القرشي الحاكم! وقد وظف علي عليه السلام هذا الاستثناء أحسن توظيف لإعادة العهد النبوي في العدالة، وتصحيح مسار الأمة.
لكن معاوية استطاع أن يحرك الشخصيات المنافقة التي ستخسر امتيازاتها بإعادة العهد النبوي، وفي طليعتهم الأشعث بن قيس، رئيس قبيلة كندة اليمانية، وصاحب النفوذ على أكثر القبائل اليمانية! وقد خدم الأشعث معاوية خدمات كبيرة، وأوقع بعلي عليه السلام ومشروعه أضرارا بليغة، فقد أجبر عليا عليه السلام على إيقاف حرب صفين وهو قاب قوسين من النصر! كما حرك الخوارج ضد علي عليه السلام، وخذل الناس عن الاستجابة له لحرب صفين الثانية! ولذلك قال معاوية: (حاربت عليا بعد صفين بغير جيش ولا عناء)!!
قال البلاذري في أنساب الأشراف ص ٣٨٣: (قالوا وخطبهم بعد ذلك خطبا كثيرة وناجاهم وناداهم فلم يربعوا إلى دعوته، ولا التفتوا إلى شيء من قوله! وكان يقول لهم كثيرا: إنه ما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا. وقام أبو أيوب الأنصاري وذلك قبل تولية علي إياه المدينة بيسير فقال: إن أمير المؤمنين قد أسمع من كانت له أذنان وقلب حفيظ، إن الله قد أكرمكم به كرامة بينة فاقبلوها حق قبولها، إنه أنزل ابن عم نبيكم بين ظهرانيكم يفقهكم ويرشدكم، ويدعوكم إلى ما فيه الحظ لكم....).

ويضيف البلاذري: (إن معاوية لما بويع وبلغه قتال علي أهل النهروان، كاتب وجوه من معه مثل الأشعث بن قيس وغيره، ووعدهم ومناهم وبذل لهم حتى مالوا إليه، وتناقلوا عن المسير مع علي، كان يقول فلا يلتفت إلى قوله، ويدعو فلا يسمع لدعوته! فكان معاوية يقول: لقد حاربت عليا بعد صفيين بغير جيش ولا عناء أو قال: ولا عتادا! ثم وصف البلاذري استعدادات معاوية وإطاعة أهل الشام له فقال: (لما بلغ معاوية أن عليا يدعو الناس إلى غزوه وإعادة الحرب بينه وبينه، هاله ذلك فخرج من دمشق معسكرا، وبعث إلى نواحي الشام الصرخاء ينادون أن عليا قد أقبل إليكم ظالما ناكثا باغيا، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، فتجهزوا رحمكم الله للحرب بأحسن الجهاز، وكتب إليهم كتبا قال فيها: إنا كنا كتبنا بيننا وبين علي كتابا واشترطنا فيه شروطا، وحكمنا الرجلين ليحكمنا بحكم الكتاب علينا، وإن حكمي أثبتني وخلعه حكمه، وقد أقبل إليكم ظالما ناكثا باغيا، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، فتجهزوا رحمكم الله للحرب بأحسن الجهاز، واستعدوا لها بأكمل العدة، وانفروا خفافا وثقالا! فاجتمعوا له من كل أوب، وأرادوا المصير إلى صفيين ثانية، حتى بلغهم اختلاف أصحاب علي، وكتب إليه بذلك عمارة بن عقبة، فعسكر ينتظر ما يكون، إلى أن جاءه خبر مقتله عليه السلام).

**

غزو الجيش الأموي لمصر وشهادة محمد بن أبي بكر رحمه الله
كان أهل مصر من أشد الثائرين على عثمان لتسليطه بني أمية عليهم، وقد شارك منهم
ست مئة مقاتل في محاصرة عثمان وقتله.
وعندما أرسل أمير المؤمنين عليه السلام قيس بن سعد بن عبادة حاكما على مصر، لم
يخضع لحكمه أنصار عثمان، كما لم يستطيعوا مقاومته، فاعتزلوا في قرية عند
الإسكندرية، وشكلوا قاعدة لبني أمية، فساندهم معاوية!
وبعد صفيين أخذ معاوية يدبر مع ابن العاص لانقلاب في مصر، أو لغزوها.
قال الطبري: ٣ / ٤٦٢: (ولما دخلت سنة ٣٦ فرق علي عماله..... على الأمصار
فبعث عثمان بن حنيف على البصرة، وعمارة بن شهاب على الكوفة وكانت له هجرة،
وعبيد الله بن عباس على اليمن، وقيس بن سعد على مصر، وسهل بن حنيف على
الشام. فأما سهل فإنه خرج حتى إذا كان بتبوك لقيته خيل فقالوا: من أنت؟ قال: أمير.
قالوا: على أي شيء؟ قال: على الشام قالوا: إن كان عثمان بعثك فحيهلا بك، وإن كان
بعثك غيره فارجع. قال: أو ما سمعتم بالذي كان؟ قالوا: بلى! فرجع إلى علي.
وأما قيس بن سعد فإنه لما انتهى إلى أيلة لقيته خيل فقالوا: من أنت؟ قال: من فل
عثمان، فأنا أطلب من آوى إليه وانتصر به! قالوا: من أنت؟ قال قيس بن سعد! قالوا:
إمض فمضى حتى دخل مصر، فافترق أهل مصر فرقا، فرقة دخلت في الجماعة وكانوا
معه، وفرقة وقفت واعتزلت إلى خربتنا، وقالوا إن قتل قتلة عثمان فنحن معكم، وإلا
فنحن على جديلتنا، حتى نحرك أو نصيب حاجتنا. وفرقة قالوا نحن مع علي ما لم يقدر
إخواننا، وهم في ذلك مع الجماعة، وكتب قيس إلى أمير المؤمنين بذلك). انتهى.

ومعنى قول قيس رحمه الله: (من فل عثمان) أي من فلول الخليفة الهاربي بعد قتله جاؤوا يطلبون ملجأ في مصر! قال ذلك ليتخلص من تلك الحامية التي كانت موالية لعثمان! فلما دخل إلى مصر أظهر أمره، كما ذكر ابن خلدون وغيره. ومعنى قولهم (ما لم يقدر إخواننا)، أي نحن مع علي ما لم يقتص من المصريين الذين شاركوا في حصار عثمان وقتله.

وقد نشطت المجموعة العثمانية في مصر، وكانوا بقيادة مسلمة بن مخلد، ومعاوية بن حديج، وبسر بن أرطاة، وسيطروا على قرية خربتا، وراسل معاوية قيس بن سعد، واستطاع أن يسكته عنهم، فكانوا دولة داخل الدولة، فأرسل أمير المؤمنين عليه السلام إلى سعد أن يعرض عليهم الدخول في الطاعة أو يناجزهم فلم يفعل قيس! أمام ذلك بعث أمير المؤمنين عليه السلام محمد بن أبي بكر حاكما على مصر فتسلم ولايتها من قيس وأخذ يعالج وضعها، وكان جماعة معاوية وصلوا إلى عشرة آلاف مقاتل! وتسارعت الأحداث في مصر ضد محمد بن أبي بكر رحمه الله وخاض صراعا سياسيا مع جماعة معاوية، ثم خاض معهم مواجهات عسكرية.

ومع تفاقم الخطر على محمد، بادر أمير المؤمنين عليه السلام إلى إرسال شخصية قوية في الإدارة والحرب، هو مالك الأشتر رحمه الله، لكن معاوية وعمرا دبرا له السم عند مشارف القاهرة، فاستشهد رحمه الله قبل أن يتسلم عمله من محمد بن أبي بكر. وقام معاوية بإرسال جيش إلى مصر بقيادة عمرو بن العاص، للسيطرة عليها وجعلها طعمة لابن العاص كل حياته، كما كان شرط له!

قال اليعقوبي في تاريخه: ٢ / ١٩٣: (ووجه معاوية بن أبي سفيان عمرو بن العاص على مصر على شرط له، فقدمها سنة ٣٨، ومعه جيش عظيم من أهل الشام،

فكان على أهل دمشق يزيد بن أسد البجلي، وعلى أهل فلسطين شمير الخثعمي وعلى أهل الأردن أبو الأعور السلمي، ومعاوية بن حديج الكندي على الخارجة فلقبهم محمد بن أبي بكر بموضع يقال له المسناة، فحاربهم محاربة شديدة، وكان عمرو يقول: ما رأيت مثل يوم المسناة، وقد كان محمد استدم إلى اليمانية فمايل عمرو بن العاص اليمانية، فحلفوا محمد بن أبي بكر وحده! فجالد ساعة ثم مضى فدخل منزل قوم خرابة، واتبعه ابن حديج الكندي فأخذه وقتله، وأدخله جيفة حمار، وحرقه بالنار في زقاق يعرف بزقاق الحوف.

وبلغ عليا ضعف محمد بن أبي بكر وممالأة اليمانية معاوية وعمرو بن العاص فقال: ما أتني محمد من حرض! انتهى. ومعناه لم تكن غلبة أعدائه عليه من ضعف في دينه أو عقله أو بدنه، ولكنها المقادير.

وفي الغارات: ١ / ٢٨٥: (فلما بلغ ذلك عائشة أم المؤمنين جزعت عليه جزعا شديدا، وقتت في دبر كل صلاة تدعو على معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ومعاوية بن حديج، وقبضت عيال محمد أخيها وولده إليها، فكان القاسم بن محمد بن أبي بكر في عيالها.... عن أبي إسحاق: أن أسماء بنت عميس لما أتتها نعي محمد بن أبي بكر وما صنع به، كظمت حزنها وقامت إلى مسجدها حتى تشخبت دما). انتهى. وفي رواية تشخب ثديها دما، وقد يفسر ذلك إن صحت الرواية بارتفاع ضغط الجسم من الحزن!

أما (أم المؤمنين) أم حبيبة بنت أبي سفيان فزادت حقدًا على أخيها معاوية وابتكرت أسلوبًا لئيمًا في الشماتة بعائشة لمقتل محمد بن أبي بكر التيمي! ففي الغارات للثقفى: ٢ / ٧٥٧: (لما قتل ووصل خبره إلى المدينة مع مولاه سالم ومعه قميصه، ودخل به داره اجتمع رجال ونساء! فأمرت أم حبيبة بنت أبي

سفيان زوج النبي صلى الله عليه وآله بكبش فشوي وبعثت به إلى عائشة وقالت: هكذا قد شوي أخوك! فلم تأكل عائشة بعد ذلك شواء حتى ماتت!! (والحيوان للدميري: ١ / ٤٠٤).

وفي الغارات: ١ / ٢٨٧: (حلفت عائشة لا تأكل شواء أبدا، فما أكلت شواء بعد مقتل محمد (سنة ٣٨) حتى لحقت بالله (سنة ٥٧)! وما عثرت قط إلا قالت: تعس معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ومعاوية بن حديج). (ونحوه أنساب الأشراف ص ٤٠٣).

لكن مع ذلك لم تقم عائشة بالتحريض على معاوية كما فعلت مع عثمان! ففي سير الذهبي: ٢ / ١٨٦: (إن معاوية لما حج، قدم فدخل على عائشة، فلم يشهد كلامها إلا ذكوان مولى عائشة، فقالت لمعاوية: أأمنت أن أخبئ لك رجلا يقتلك بأخي محمد؟ قال: صدقت! وفي رواية أخرى قال لها: ما كنت لتفعلين).

وفي الإستيعاب: ١ / ٢٣٨: (قالت له: يا معاوية أأمنت أن أخبئ لك من يقتلك بأخي محمد بن أبي بكر؟ فقال: بيت الأمان دخلت! قالت: يا معاوية أما خشيت الله في قتل حجر وأصحابه؟ قال إنما قتلهم من شهد عليهم!) (ونحوه في الطبري: ٤ / ٢٠٥). وفي شرح الأخبار: ٢ / ١٧١: (أما خفت أن أقعد لك رجلا من المسلمين يقتلك؟ فقال لها معاوية: لا أخاف ذلك لأنني في دار أمان، لكن كيف أنا في حوائجك؟! قالت: صالح. قال: فدعيني وإياهم حتى نلتقي عند الله). انتهى.

والصحيح أن معاوية لا يخاف منها لأنه أرضاها بالمال فجعلها تقول عنه (صالح) ولأن معه جيشه من الشام، بل عليها هي أن تحذر منه على نفسها، فقد كان قتلها على يده، كما ستعرف!

وفي كتاب الشيعة في مصر لصالح الورداني ص ١٠٩: (قال صاحب النجوم الزاهرة: أعدم محمد بن أبي بكر حرقا في جيفة حمار ميت، بعد أن وقع في أسر جند معاوية عام ٣٧ هـ - . وقيل إنه قطعت رأسه وأرسلت إلى معاوية بدمشق

وطيف به وهو أول رأس طيف به في الإسلام! ويقع مرقده في بلدة ميت دمسيس التابعة للمنصورة، وهناك قبر ناحية الفسطاط يقال له محمد الصغير، والعامّة يعتقدون أنه محمد بن أبي بكر، إلا أن الراجح أن مرقده ناحية المنصورة). انتهى. *

سياسة معاوية في الغارات على العراق والحجاز واليمن!
بدأ معاوية بعد صفين بتطبيق سياسة الغارات على أطراف العراق والحجاز واليمن، فكان يرسل جيشا صغيرا من ألف مقاتل أو أكثر، ويأمرهم بقتل كل من صادفوه من أتباع علي عليه السلام، وسلب كل ما وصلت إليه أيديهم!
وتزايدت غارات معاوية في سنة ٣٨، بعد حيلة الحكمين، وبعد أن أخذ لنفسه البيعة بالخلافة من أهل الشام. ثم اشتدت سنة ٣٩، بعد أن استولى على مصر، وبعد تزايد نشاط عملائه في تخذيل المسلمين في العراق عن الحرب!
وكان القتل والنهب والتخريب أهدافا مقصودة من هذه الغارات، يؤكد عليها معاوية لقادتها! وقد حققت أهدافها في إرعاب الناس من معاوية!
وكان الأسوأ وقعا فيها تخاذل المسلمين عن مقاومتها، إلا قليلا! وأمير المؤمنين عليه السلام يحثهم ويتحرق ألما من تخاذلهم!
وقد فصل المحدثون والمؤرخون ذلك، وكتب المؤرخ الثقفي كتابه (الغارات) في الأصل للتأريخ لها، ونكتفي هنا بذكر نماذج منها:
(١) غارة الضحاك بن قيس على السماوة والثعلبية
في الغارات للثقفي: ٢ / ٤٢١: (دعا معاوية الضحاك بن قيس الفهري وقال له: سر حتى تمر بناحية الكوفة وترتفع عنها ما استطعت، فمن وجدته من الأعراب في طاعة علي فأغر عليه، وإن وجدت له مسلحة أو خيلا فأغر عليها، وإذا أصبحت في بلدة فأمس في أخرى، ولا تقيمن لخيل بلغك أنها قد سرحت إليك لتلقاها فتقاتلها، فسرحه فيما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف، جريدة خيل (بدون جمال).

قال: فأقبل الضحاك يأخذ الأموال ويقتل من لقي من الأعراب، حتى مر بالثعلبية فأغار خيله على الحاج فأخذ أمتعتهم، ثم أقبل فلقي عمرو بن عميس بن مسعود الدهلي، هو ابن أخي عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله فقتله في طريق الحاج عند القطقطانة، وقتل معه ناسا من أصحابه!

قال أبو روق: فحدثني أبي أنه سمع عليا عليه السلام وقد خرج إلى الناس وهو يقول على المنبر: يا أهل الكوفة أخرجوا إلى العبد الصالح عمرو بن عميس وإلى جيوش لكم قد أصيب منها طرف، أخرجوا فقاتلوا عدوكم وامنعوا حريمكم إن كنتم فاعلين. قال: فردوا عليه ردا ضعيفا ورأى منهم عجزا وفشلا، فقال: والله لو ددت أن لي بكل مائة منكم رجلا منهم، ويحكم أخرجوا معي ثم فروا عني إن بدا لكم! فوالله ما أكره لقاء ربي على نيتي وبصيرتي، وفي ذلك روح لي عظيم وفرج من مناجاتكم ومقاساتكم ومداراتكم مثل ما تدارى البكار العمدة (الناقة المجروح سنامها) والثياب المتهترئة، كلما خيبت من جانب تهتك علي صاحبها من جانب آخر!!

ثم نزل فخرج يمشي حتى بلغ الغريين، ثم دعا حجر بن عدي الكندي من خيله فعقد له ثم راية على أربعة آلاف ثم سرحه، فخرج حتى مر بالسماوة وهي أرض كلب، فلقي بها امرؤ القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم الكلبي، أصهار الحسين بن علي بن أبي طالب صلى الله عليه وآله، فكانوا أدلاءه على طريقه وعلى المياه، فلم يزل مغذا في أثر الضحاك حتى لقيه بناحية تدمر، فواقفه فاقتتلوا ساعة فقتل من أصحاب الضحاك تسعة عشر رجلا، وقتل من أصحاب حجر رجلا، عبد الرحمن وعبد الله الغامدي، وحجز الليل بينهم فمضى الضحاك فلما أصبحوا لم يجدوا له ولأصحابه أثرا. (أيضا: تاريخ الطبري: ٤ / ١٠٣) *

(٢) غارة النعمان بن بشير على عين التمر
وفي الغارات: ٢ / ٤٥٠: (فأقبل النعمان بن بشير في ألف رجل حتى أغار على العين
(عين التمر)، فاستعان مالك بن كعب مخنف بن سليم، وكان معه ناس كثير كانوا
متفرقين. قال عبد الله بن مخنف: فندب معي أبي مخنف خمسين رجلا ولم يوافه
يومئذ غيرهم، فبعثني عليهم فانتهيت إلى مالك بن كعب وهو في مائة والنعمان
وأصحابه قاهرون لمالك، فانتهينا إليه مع الماء فلما رأوني ظنوا أن ورائي جيشا
فانحازوا، فالتقيناهم فقاتلناهم وحجز الليل بيننا وبينهم وهم يظنون أن لنا مددا
فانصرفوا، فقتل من أصحاب مالك بن كعب عبد الرحمن بن حرم الغامدي، وضرب
مسلم بن عمرو الأزدي على قمته فكسر، وانصرف النعمان. فبلغ الخبر عليا فصعد
المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أهل الكوفة، المنسر من مناسر أهل الشام إذا
أظلم عليكم أغلقتكم أبوابكم وانجحرتكم في بيوتكم انجحار الضبة في جحرها، والضبع
في وجارها! الدليل من نصرتموه، ومن رمى بكم رمى بأفوق ناصل، أف لكم لقد لقيت
منكم ترحا، ويحكم يوما أناجيكم ويوما أناديكم، فلا أجب عند النداء، ولا إخوان
صدق عند اللقاء، أنا والله منيت بكم، صم لا تسمعون، بكم لا تنطقون، عمي لا
تبصرون! فالحمد لله رب العالمين! ويحكم أخرجوا إلى أخيكم مالك بن كعب فإن
النعمان بن بشير قد نزل به في جمع من أهل الشام ليس بالكثير، فانهضوا إلى إخوانكم
لعل الله يقطع بكم من الظالمين طرفا، ثم نزل. فلم يخرجوا! فأرسل إلى وجوههم
وكبرائهم فأمرهم أن ينهضوا ويحثوا الناس على المسير، فلم يصنعوا شيئا!.....
لما دخل علي عليه السلام منزله قام عدي بن حاتم فقال: هذا والله الخذلان القبيح،
هذا والله الخذلان غير الجميل، ما على هذا بايعنا أمير المؤمنين! ثم دخل علي أمير
المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين إن معي ألف رجل

من طى لا يعصونني، فإن شئت أن أسير بهم سرت؟ قال: ما كنت لأعرض قبيلة واحدة من قبائل العرب للناس، ولكن أخرج إلى النخيلة فعسكر بهم، فخرج فعسكر وفرض علي عليه السلام سبعمائة لكل رجل، فاجتمع إليه ألف فارس عدا طيئا أصحاب عدي بن حاتم، فسار بهم على شاطئ الفرات فأغار في أداني الشام، ثم أقبل).
(أيضا تاريخ الطبري: ٤ / ١٠٢ واليعقوبي: ٢ / ١٩٥).

(٣) غارة ابن مسعدة التي لم تصل إلى المدينة ومكة
تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٩٦: (وبعث معاوية عبد الله بن مسعدة بن حذيفة بن بدر الفزاري في جريدة خيل وأمره أن يقصد المدينة ومكة، فسار في ألف وسبعمائة فلما أتى عليا الخبر وجه المسيب بن نجبة الفزاري، فقال له: يا مسيب إنك ممن أثق بصلاحه وبأسه ونصيحته، فتوجه إلى هؤلاء القوم وأثر فيهم، وإن كانوا قومك. فقال له المسيب: يا أمير المؤمنين إن من سعادتني أن كنت من ثقاتك، فخرج في ألفي رجل من همدان وطيء وغيرهم وأخذ السير، وقدم مقدمته فلقوا عبد الله بن مسعدة فقاتلوه، فلحقهم المسيب فقاتلهم حتى أمكنه أخذ بن مسعدة فجعل يتحاماها، وانهمز ابن مسعدة فتحصن بتيماء وأحاط المسيب بالحصن، فحصر ابن مسعدة وأصحابه ثلاثا فناده: يا مسيب! إنما نحن قومك فليمسك الرحم، فخلى لابن مسعدة وأصحابه الطريق ونجا من الحصن! فلما جنهم الليل خرجوا من تحت ليلتهم حتى لحقوا بالشام، وصبح المسيب الحصن فلم يجد أحدا. فقال عبد الرحمن بن شبيب: داهنت والله يا مسيب في أمرهم، وغششت أمير المؤمنين، وقدم على علي فقال له علي: يا مسيب كنت من نصاحي ثم فعلت ما فعلت! فحبسه أياما ثم أطلقه وولاه قبض الصدقة بالكوفة). انتهى.
(أيضا: تاريخ الطبري: ٤ / ١٠٣).

(٤) غارة بسر بن أرطاة على المدينة ومكة واليمن وهي أشرس غارات معاوية وأكثرها فتكا وتخريبا ونهبا وحرقا وتقتيلا، فقد بلغ قتلها ثلاثون ألفا! قال اليعقوبي: ٢ / ١٩٧: (ووجه معاوية بسر بن أبي أرطاة، وقيل ابن أرطاة، العامري من بني عامر بن لؤي، في ثلاثة آلاف رجل، فقال له: سر حتى تمر بالمدينة فاطرد أهلها، وأخف من مررت به، وأنهب مال كل من أصبت له مالا ممن لم يكن دخل في طاعتنا، وأوهم أهل المدينة أنك تريد أنفسهم، وأنه لا براءة لهم عندك ولا عذر، وسر حتى تدخل مكة ولا تعرض فيها لأحد، وأرهب الناس فيما بين مكة والمدينة، واجعلهم شراذات، ثم امض حتى تأتي صنعاء، فإن لنا بها شيعة، وقد جاءني كتابهم.

فخرج بسر، فجعل لا يمر بحي من أحياء العرب إلا فعل ما أمره معاوية، حتى قدم المدينة، وعليها أبو أيوب الأنصاري فتنحى عن المدينة، ودخل بسر فصعد المنبر ثم قال: يا أهل المدينة! مثل السوء لكم، قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون، ألا وإن الله قد أوقع بكم هذا المثل وجعلكم أهله، شأهت الوجوه. ثم ما زال يشتمهم حتى نزل! قال: فانطلق جابر بن عبد الله الأنصاري إلى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله فقال: إني قد خشيت أن أقتل وهذه بيعة ضلال! قالت: إذا فبايع، فإن التقية حملت أصحاب الكهف على أن كانوا يلبسون الصلب، ويحضرون الأعياد مع قومهم. وهدم بسر دورا بالمدينة، ثم مضى حتى أتى مكة، ثم مضى حتى أتى اليمن، وكان على اليمن عبيد الله بن عباس عامل علي. وبلغ عليا الخبر، فقام خطيبا فقال: أيها الناس إن أول نقصكم ذهاب أولي النهي

والرأي منكم الذين يحدثون فيصدقون ويقولون فيفعلون، وإنني قد دعوتكم عودا وبدأ، وسرا وجهرا، وليلا ونهارا، فما يزيدكم دعائي إلا فرارا، ما ينفعكم الموعظة ولا الدعاء إلى الهدى والحكمة، أما والله إنني لعالم بما يصلحكم، ولكن في ذلك فسادي، أمهلوني قليلا، فوالله لقد جاءكم من يحزنكم ويعذبكم ويعذبه الله بكم، إن من ذل الإسلام وهلاك الدين أن ابن أبي سفيان يدعو الأراذل والأشرار فيجيئون، وأدعوكم وأنتم لا تصلحون فتراعون! هذا بسر قد صار إلى اليمن وقبلها إلى مكة والمدينة! فقام جارية بن قدامة السعدي فقال: يا أمير المؤمنين! لا عدمننا الله قربك، ولا أرانا فراقك، فنعم الأدب أدبك، ونعم الإمام والله أنت، أنا لهؤلاء القوم فسرحتني إليهم! قال: تجهز فإنك ما علمتك رجل في الشدة والرخاء، المبارك الميمون النقيبة، ثم قام وهب بن مسعود الخثعمي فقال: أنا أنتدب يا أمير المؤمنين. قال: انتدب بارك الله عليك. فخرج جارية في ألفين ووهب ابن مسعود في ألفين وأمرهما علي أن يطلبها بسرا حيث كان حتى يلحقاه، فإذا اجتمعا فرأس الناس جارية، فخرج جارية من البصرة ووهب من الكوفة حتى التقيا بأرض الحجاز، ونفذ بسر من الطائف حتى قدم اليمن وقد تنحى عبيد الله بن عباس عن اليمن، واستخلف بها عبد الله بن عبد المدان الحارثي، فأتاه بسر فقتله وقتل ابنه مالك بن عبد الله، وقد كان عبيد الله خلف ابنه عبد الرحمن وقتم عند جويرية ابنة قارظ الكنانية وهي أمهما، وخلف معها رجلا من كنانة، فلما انتهى بسر إليها دعا ابني عبيد الله ليقتلها، فقام الكناني فانتضى سيفه وقال: والله لأقتلن دونهما فألاقي عذرا لي عند الله والناس فضارب بسيفه حتى قتل!

وخرجت نسوة من بني كنانة فقلن: يا بسر! هذا، الرجال يقتلون فما بال الولدان؟! والله ما كانت الجاهلية تقتلهم، والله إن سلطانا لا يشتد إلا بقتل الصبيان ورفع الرحمة لسلطان سوء! فقال بسر: والله لقد هممت أن أضع فيكن السيف!

وقدم الطفلين فذبحهما (بيده بخنجر)! فقالت أمهما ترثيهما:
ها من أحس بنبي اللذين هما * سمعي وقلبي فقلبي اليوم مختطف
ها من أحس بنبي اللذين هما * مخ العظام فمخي اليوم مزدهف
ها من أحس بنبي اللذين هما * كالدرتين تشظى عنهما الصدف
نبئت بسرا وما صدقت ما زعموا * من قولهم ومن الإفك الذي اقترفوا
أنحى على ودجي ابني مرهفة * مشحوذة وكذاك الأمر مقترف
من دل والهة حرى وثاكلة * على صبيين ضلا إذ غدا السلف
ثم جمع بسر أهل نجران فقال: يا إخوان النصارى! أما والذي لا إله غيره لئن بلغني
عنكم أمر أكرهه لأكثرن قتلاكم. ثم سار نحو جيشان، وهم شيعة لعلي، فقاتلهم
فهمزهم وقتل فيهم قتلا ذريعا، ثم رجع إلى صنعاء.
وسار جارية بن قدامة السعدي حتى أتى نجران وطلب بسرا، فهرب منه في الأرض ولم
يقم له، وقتل من أصحابه خلقا، وأتبعهم بقتل وأسر حتى بلغ مكة، ومر بسر حتى دخل
الحجاز لا يلوي على شيء، فأخذ جارية بن قدامة أهل مكة بالبيعة، فقالوا: قد هلك علي
فلمن نبايع؟ قال: لمن بايع له أصحاب علي بعده....
حدثني أبو خالد الوالبي قال: قرأت عهد علي لجارية بن قدامة:
أوصيك يا جارية بتقوى الله، فإنها جموع الخير، وسر علي عون الله، فالق عدوك الذي
وجهتك له، ولا تقاتل إلا من قاتلك، ولا تجهز على جريح، ولا تسخرن دابة وإن
مشيت ومشى أصحابك! ولا تستأثر على أهل المياه بمياههم، ولا تشربن إلا فضلهم
عن طيب نفوسهم، ولا تشتمن مسلما ولا مسلمة فتوجب على نفسك ما لعلك تؤدب
غيرك عليه، ولا تظلمن معاهدا ولا معاهدة، واذكر الله ولا تفتري ليلا ولا نهارا، واحملوا
رجالكم، وتواسوا في ذات أيديكم، وأجدد السير، وأجل العدو من حيث كان، واقتله
مقبلا وارده بغیظه صاغرا، واسفك الدم في الحق واحقنه في الحق،

ومن تاب فاقبل توبته. وأخبارك في كل حين بكل حال، والصدق الصدق، فلا رأي لكذوب. قال وحدث أبو الكنود أن جارية مر في طلب بسر فما كان يلتفت إلى مدينة ولا يعرج على شيء حتى انتهى إلى اليمن ونجران، فقتل من قتل. وهرب منه بسر، وحرقت تحريقاً فسمي محرقة). انتهى.

وذكر المؤرخون أن أبا هريرة ساعد بسرا على ظلم أهل المدينة فنصبه واليا عليها من قبل معاوية! ولما قدم جارية بن قدامة رحمه الله هرب منه أبو هريرة! قال الطبري في تاريخه: ٤ / ١٠٧: (وهرب بسر وأصحابه منه واتبعهم حتى بلغ مكة فقال لهم جارية: بايعونا، فقالوا: قد هلك أمير المؤمنين فلمن نبايع؟ قال لمن بايع له أصحاب علي، فتناقلوا ثم بايعوا. ثم سار حتى أتى المدينة وأبو هريرة يصلي بهم فهرب منه، فقال جارية: والله لو أخذت أبا سنور لضربت عنقه، ثم قال لأهل المدينة: بايعوا الحسن بن علي فبايعوه، وأقام يومه ثم خرج منصرفاً إلى الكوفة، وعاد أبو هريرة فصلى بهم). انتهى. (ومثله في النهاية لابن كثير: ٧ / ٣٥٧).

* *

(٥) غارة سفيان بن عوف الغامدي على الأنبار

في تاريخ الطبري: ٤ / ١٠٣: (ووجه معاوية في هذه السنة سفيان بن عوف في ستة آلاف رجل، وأمره أن يأتي هيت فيقطعها، وأن يغير عليها، ثم يمضي حتى يأتي الأنبار والمدائن فيوقع بأهلها، فسار حتى أتى هيت فلم يجد بها أحداً ثم أتى الأنبار وبها مسلحة لعلها تكون خمسمائة رجل وقد تفرقوا فلم يبق منهم إلا مائة رجل، فقاتلهم فصبر لهم أصحاب علي مع قتلهم، ثم حملت عليهم الخيل والرجالة فقتلوا صاحب المسلحة وهو أشرس بن حسان البكري في ثلاثين رجلاً، واحتملوا ما كان في الأنبار من الأموال وأموال أهلها، ورجعوا إلى

معاوية! وبلغ الخبر عليا فخرج حتى أتى النخيلة، فقال له الناس: نحن نكفيك! قال: ما تكفونني ولا أنفسكم، وسرح سعيد بن قيس في أثر القوم، فخرج في طلبهم حتى جاز هيت فلم يلحقهم فرجع).

وفي نهج البلاغة: ٤ / ٦٢: (وقال عليه السلام لما بلغه إغارة أصحاب معاوية على الأنبار فخرج بنفسه ماشيا حتى أتى النخيلة، فأدركه الناس وقالوا يا أمير المؤمنين نحن نكفيكم، فقال: والله ما تكفونني أنفسكم فكيف تكفونني غيركم! إن كانت الرعايا قبلي لتشكو حيف رعاتها، وإنني اليوم لأشكو حيف رعيتي، كأني المقود وهم القادة، أو الموزوع وهم الوزعة! فلما قال عليه السلام هذا القول في كلام طويل قد ذكرنا مختاره في جملة الخطب، تقدم إليه رجلان من أصحابه فقال أحدهما: إني لا أملك إلا نفسي وأخي فمرنا بأمرك يا أمير المؤمنين ننفذ له. فقال: وأين تقعان مما أريد! انتهى. والخطبة التي أشار إليها الشريف الرضي أوردتها في نهج البلاغة: ١ / ٦٧، وهي: (أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشملة البلاء، وديث بالصغار والقماء، وضرب على قلبه بالأسداد، وأدب الحق منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف، ومنع النصف. ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا، وسرا وإعلانا، وقلت لكم أغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا، فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت الغارات عليكم وملكت عليكم الأوطان. وهذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار، وقد قتل حسان بن حسان البكري وأزال خيلكم عن مسالحها! ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعاتها، ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام! ثم انصرفوا وافرین، ما نال رجلا منهم كلم، ولا أريق لهم دم! فلو أن امرأ مسلما مات من بعد

هذا أسفا ما كان به ملوما، بل كان به عندي جديرا. فيا عجبنا والله يميت القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم! فقبحا لكم وترحا حين صرتم غرضا يرمى، يغار عليكم ولا تغيرون، وتغزون ولا تغزون، ويعصى الله وترضون! فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر قلتم هذه حمارة القيظ أمهلنا يسبخ عنا الحر، وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم هذه صبارة القر، أمهلنا ينسلخ عنا البرد، كل هذا فرارا من الحر والقر!! فإذا كنتم من الحر والقر تفرون، فإذا أنتم والله من السيف أفر! يا أشباه الرجال ولا رجال، حلوم الأطفال، وعقول ربات الحجال! لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم! معرفة والله جرت ندما وأعقت سدما! قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحا، وشحنتم صدري غيظا، وجرعتموني نغب التهمام أنفاسا، وأفسدتم على رأيي بالعصيان والخذلان، حتى لقد قالت قريش إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب! لله أبوهم وهل أحد منهم أشد لها مراسا، وأقدم فيها مقاما مني، لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وها أنا ذا قد ذرفت على الستين، ولكن لا رأي لمن لا يطاع). انتهى.

وأضاف في دعائم الإسلام في آخرها: ١ / ٣٩١: (أبدلني الله بكم من هو خير منكم، وأبدلكم بي من هو شر لكم. أصبحت والله لا أرجو نصركم ولا أصدق قولكم، وما سهم من كنتم سهمه إلا السهم الأخب! فقام إليه جندب بن عبد الله فقال: يا أمير المؤمنين هذا أنا وأخي أقول كما قال موسى: رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي، فمرنا بأمرك فوالله لنضربن دونك وإن حال دون ما تريده جمر الغضا وشوك القتاد. فأثنى عليهما علي صلوات الله عليه خيرا وقال: وأين تبلغان رحمكما الله مما أريد؟ ثم انصرف).

**

تحريك معاوية موالي أبي بكر وعمر ضد علي عليه السلام!
كان معاوية يرى أن في أوساط المسلمين قبولاً لأبي بكر وعمر، وأن علياً عليه السلام له موقف سلبي منهما، لذلك عمل كل ما في وسعه لاستغلال هذه النقطة! وسجلت مصادر السنة وأكثر منها مصادرنا، أن الأشعث بن قيس رجل معاوية في الكوفة، كان يعترض على أمير المؤمنين عليه السلام أمام الناس في المسجد، ويقطع خطبه وكلامه بأسئلته وإشكالاته، ويثير موضوع أبي بكر وعمر بمناسبة ودون مناسبة ليعبئ الخوارج وغيرهم بالحق على أمير المؤمنين عليه السلام لموقفه السلبي منهما! ومن المعروف أن الخوارج كانوا يقدسون أبا بكر وعمر ويكفرون عثمان ومعاوية وعلياً! وقد اشتهر مذهبهم القائل: (نتولى الشيخين ونتبرأ من الصهرين)!

نقرأ في الطبري: ٤ / ٥٦: (فجاءه ربيعة بن أبي شداد الخثعمي، وكان شهد معه الجمل وصفين ومعه راية خثعم فقال له: بايع علي كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله فقال ربيعة: على سنة أبي بكر وعمر! قال له علي: ويلك لو أن أبا بكر وعمر عملاً بغير كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكونا على شيء من الحق! فبايعه فنظر إليه علي وقال: أما والله لكأنني بك وقد نفرت مع هذه الخوارج فقتلت، وكأنني بك وقد وطئت الخيل بحوافرها! فقتل يوم النهر مع خوارج البصرة)! انتهى.
وينبغي أن نتساءل هنا: ما معنى أن يأتي الآن رئيس قبيلة يمانية كانت بايعت أمير المؤمنين عليه السلام وقاتلت معه في حربي الجمل وصفين، ليحدد بيعته مع أمير المؤمنين عليه السلام على شرط جديد هو: سنة أبي بكر وعمر؟! لا سبب له إلا تحريك الأشعث وأمثاله من المنافقين عملاء معاوية!
وفي رواية ابن قتيبة في الإمامة والسياسة: ١ / ١٦٦: (فأبى الخثعمي إلا سنة أبي

بكر وعمر، وأبي علي أن يبایعه إلا على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله... فقال له علي: أما والله لكأني بك قد نفرت في هذه الفتنة، وكأني بحوافر خيلي قد شدخت وجهك، فلحق بالخوارج فقتل يوم النهروان! قال قبيصة: فرأيت يوم النهروان قتيلاً قد وطأت الخيل وجهه وشدخت رأسه ومثلت به، فذكرت قول علي وقلت: لله در أبي الحسن! ما حرك شفتيه قط بشيء إلا كان كذلك). انتهى.

وهذا يدل على أن الأشعث وزمرته استطاعوا أن يحركوا أشخاصاً وقبائل لمطالبة علي بالبيعة على سنة أبي بكر وعمر، أو يتبرؤوا منه ويقاتلونه!

وتوجد ظواهر أخرى كهذا الخثعمي، فقد جاء شخص إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: (إني أحبك في السر والعلانية. فنظر إليه وقال: كذبت، لا والله ما تحبني ولا أحببتني قط. فبكى الرجل فقال: تستقبلني بهذا وقد علم الله خلافه، أبسط يدك أبايعك. فقال له عليه السلام: على ماذا؟ قال: على ما عمل عليه أبو بكر وعمر، ومد يده نحوه فقال عليه السلام: إقبض يدك! والله لكأني بك قد قتلت علي ضاللك!! (الإختصاص للمفيد ص ٣١٢).

* *

وفي مقابل ذلك كان أمير المؤمنين عليه السلام يجامل الذين يقدسون أبا بكر وعمر عن جهل، ويعرف غرض الذين يثيرونهم عليه! لكنه كان في نفس الوقت يرى أن طرحهم للموضوع فرصة لبيان الحق، وتوعية الأمة على مؤامرة قريش في السقيفة، وأنها صادرت السلطة من عترة النبي صلى الله عليه وآله وسلمتها إلى بني أمية، وأن عثمان الذي نعمت عليه الأمة فقتلته، ومعاوية الذي يقاتله بقية الصحابة وأبرار الأمة، إنما هما ثمرة سقيفة قريش! فقدم أمير المؤمنين عليه السلام بذلك لأجيال الأمة والتاريخ، مجموعة نصوص ومناقشات، مليئة بالحقائق، تكشف أمر السقيفة وأصحابها، وتبين فداحة ظلام العترة النبوية عليهم السلام على يد القرشيين! نقتطف فيما

يلي بعض فقراتها:

فمن ذلك: منشور كتبه بعد النهروان، وأمر أن يقرأ على الناس كل أسبوع، وقد روته مصادرنا ومنها كتاب الرسائل للكليبي رحمه الله، وروت مصادرهم أجزاء منه كالبلاذري وابن قتيبة وغيرهما، وسنذكر مصادرته التي ذكرها الباحث الشيخ المحمودي في كتابه نهج السعادة، وهي أوسع مما ذكره، ونورد العهد بتمامه باستثناء فقرات نقدر أنها تعليقات وهوامش، أدخلها النساخ في متنه.

روى الكليبي رحمه الله عن علي بن إبراهيم رحمه الله بسنده قال: (كتب أمير المؤمنين عليه السلام بعد منصرفه من النهروان كتابا، وأمر أن يقرأ على الناس، وذلك أن الناس سألوه عن أبي بكر وعمر وعثمان، فغضب عليه السلام لذلك وقال: قد تفرغتم للسؤال عما لا يعينكم وهذه مصر قد افتتحت وقتل معاوية بن خديج محمد بن أبا بكر! فيا لها من مصيبة ما أعظمها مصيبتني بمحمد، فوالله ما كان إلا كبعض بني. سبحان الله، بينا نحن نرجو أن نغلب القوم على ما في أيديهم، إذ غلبونا على ما في أيدينا، وأنا أكتب لكم كتابا فيه تصريح ما سألتهم إن شاء الله تعالى، فدعا كاتبه عبيد الله بن أبي رافع فقال له: أدخل علي عشرة من ثقتي، فقال: سمهم يا أمير المؤمنين

، فقال: أدخل أصبغ بن نباتة، وأبا الطفيل عامر بن واثلة الكناني، وزر بن حبيش الأسدي، وجويرية بن مسهر العبدي، وخندف بن زهير الأسدي، وحارثة بن مضرب الهمداني، والحارث بن عبد الله الأعور الهمداني، ومصايح النخعي، وعلقمة ابن قيس، وكميل بن زياد، وعمير بن زرارة، فدخلوا إليه فقال لهم: خذوا هذا الكتاب وليقرأه عبيد الله بن أبي رافع وأنتم شهود، كل يوم جمعة، فإن شغب شاغب عليكم فأنصفوه بكتاب الله بينكم وبينه.

بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله علي أمير المؤمنين، إلى شيعته من المؤمنين والمسلمين، فإن الله يقول: وإن من شيعته لإبراهيم، وهو إسم شرفه الله تعالى في

الكتاب، وأنتم شيعة النبي محمد صلى الله عليه وآله كما أنه من شيعة إبراهيم. إسم غير مختص، وأمر غير مبتدع، وسلام الله عليكم، والله هو السلام، المؤمن أولياءه من العذاب المهين، الحاكم عليكم بعدله.

أما بعد، فإن الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وآله وأنتم معاشر العرب على شر حال، يغذو أحدكم كلبه، ويقتل ولده! ويغير على غيره، فيرجع وقد أغير عليه! تأكلون العلهز والهييد والميتة والدم! تنيخون على أحجار خشن، وأوثان مضلة، وتأكلون الطعام الجشب، وتشربون الماء الآجن، تسافكون دماءكم، ويسبي بعضكم بعضا!

وقد خص الله قريشا بثلاث آيات وعم العرب بآية، فأما الآيات اللواتي في قريش فهي قوله تعالى: واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون.

والثانية: وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون. والثالثة: قول قريش لنبي الله تعالى حين دعاهم إلى الإسلام والهجرة، فقالوا: إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا، فقال الله تعالى: أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبي إليه ثمرات كل شئ رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون.

وأما الآية التي عم بها العرب فهي قوله تعالى: واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون.

فيا لها من نعمة ما أعظمها إن لم تخرجوا منها إلى غيرها، ويا لها من مصيبة ما أعظمها إن لم تؤمنوا بها وترغبوا عنها. فمضى نبي الله صلى الله عليه وآله وقد بلغ ما أرسل به، فيا لها مصيبة خصت الأقربين، وعمت المؤمنين، لن تصابوا بمثلها، ولن تعانوا بعدها مثلها! فمضى صلى الله عليه وآله لسبيله وترك كتاب الله وأهل بيته، إمامين لا يختلفان، وأخوين لا

يتخاذلان، ومجتمعين لا يتفرقان. ولقد قبض الله محمدا نبيه صلى الله عليه وآله ولأننا أولى الناس به مني بقميصي هذا، وما ألقى في روعي، ولا عرض في رأيي، أن وجه الناس إلى غيري، فلما أبطأوا عني بالولاية لهممهم، وتشبث الأنصار وهم أنصار الله وكتيبة الإسلام وقالوا: أما إذا لم تسلموها لعلي فصاحبنا أحق بها من غيره! (يقصد عليه السلام أن هذا كان أمرا غير معقول لا يتصور، وإلا فقد أخبره النبي صلى الله عليه وآله بما سيجري وصرح هو بذلك مرارا).

فوالله ما أدري إلى من أشكو، فإما أن تكون الأنصار ظلمت حقها، وإما أن يكونوا ظلموني حقي، بل حقي المأخوذ وأنا المظلوم، فقال قائل قريش: الأئمة من قريش، فدفعوا الأنصار عن دعوتها ومنعوني حقي منها! فأتاني رهط يعرضون علي النصر، منهم ابنا سعيد، والمقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، وسلمان الفارسي، والزيبر بن العوام، والبراء بن عازب، فقلت لهم: إن عندي من النبي صلى الله عليه وآله عهدا وله إلي وصية لست أخالفه عما أمرني به، فوالله لو خزموني بأنفي لأقررت لله تعالى سمعا وطاعة، فلما رأيت الناس قد اثنالوا على أبي بكر بالبيعة أمسكت يدي، وظننت أنني أولى وأحق بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله منه ومن غيره، وقد كان نبي الله أمر أسامة بن زيد على جيش وجعلهما في جيشه، وما زال النبي إلى أن فاضت نفسه يقول: أنفذوا جيش أسامة، أنفذوا جيش أسامة!

فلما رأيت راجعة من الناس قد رجعت عن الإسلام تدعو إلى محو دين محمد وملة إبراهيم صلى الله عليه وآله، خشيت إن أنا لم أنصر الإسلام وأهله، أن أرى فيه ثلما وهدما تكون المصيبة علي فيه أعظم من فوت ولاية أموركم، التي إنما هي متاع أيام قلائل ثم تزول وتنقشع كما يزول وينقشع السحاب! فنهضت مع القوم في تلك الأحداث حتى زهق الباطل، وكانت كلمة الله هي العليا، وإن رغب الكافرون.... فولي أبو بكر فقارب واقتصد، فصحبته مناصحا وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهدا، حتى إذا احتضر قلت في نفسي ليس يعدل بهذا الأمر عني، ولولا خاصة بينه وبين عمر، وأمر كانا رضياه بينهما، لظننت أنه لا يعدله عني، وقد سمع قول النبي صلى الله عليه وآله

لبريدة الأسلمي حين بعثني وخالد بن الوليد إلى اليمن، وقال: إذا افترقتما فكل واحد منكما على حياله وإذا اجتمعتما فعلي عليكم جميعا، فغزونا وأصبنا سبيا فيهم خولة بنت جعفر جار الصفا، فأخذت الحنفية خولة، واغتنمها خالد مني وبعث بريدة إلى رسول الله محشرا علي، فأخبره بما كان من أخذي خولة فقال: يا بريدة حظي في الخمس أكثر مما أخذ، إنه وليكم بعدي! سمعها أبو بكر وعمر! وهذا بريدة حي لم يمت، فهل بعد هذا مقال لقائل.

فبايع عمر دون المشورة، فكان مرضي السيرة من الناس عندهم، حتى إذا احتضر قلت في نفسي ليس يعدل بهذا الأمر عني، للذي قد رأى مني في المواطن، وسمع من رسول الله صلى الله عليه وآله، فجعلني سادس ستة! وأمر صهيبا أن يصلي بالناس، ودعا أبا طلحة زيد بن سعد الأنصاري فقال له: كن في خمسين رجلا من قومك فاقتل من أبي أن يرضى من هؤلاء الستة!... (وقال) هؤلاء الرهط الذين قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وهو عنهم راض، فكيف يأمر بقتل قوم رضي الله عنهم ورسوله، إن هذا لأمر عجيب! ولم يكونوا لولاية أحد منهم أكره منهم لولايتي، كانوا يسمعون وأنا أحاج أبا بكر وأقول: يا معشر قريش إنا أحق بهذا الأمر منكم ما كان منا من يقرأ القرآن ويعرف السنة ويدين بدين الله الحق، وإنما حجتي أنني ولي هذا الأمر من دون قريش أن نبي الله صلى الله عليه وآله قال: الولاء لمن أعتق، فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله بعثت الرقاب من النار وأعتقها من الرق، فكان للنبي صلى الله عليه وآله ولواء هذه الأمة، وكان لي بعده ما كان له، فما جاز لقريش من فضلها عليها بالنبي صلى الله عليه وآله جاز لبني هاشم على قريش، وجاز لي على بني هاشم بقول النبي صلى الله عليه وآله يوم غدير خم: من كنت مولاه فعلي مولاه، إلا أن تدعي قريش فضلها على العرب بغير النبي صلى الله عليه وآله، فإن شاؤوا فليقولوا ذلك. فخشى القوم إن أنا وليت عليهم أن آخذ بأنفاسهم وأعرض في حلوقهم، ولا يكون لهم في الأمر نصيب! فأجمعوا علي إجماع رجل واحد، حتى صرفوا الولاية عني إلى عثمان، رجاء أن ينالوها ويتداولوها في ما بينهم... فدعوني إلى بيعة عثمان

فبايعت مستكرها وصبرت محتسبا... فقال عبد الرحمن بن عوف: يا ابن أبي طالب إنك على هذا الأمر لحريص! فقلت: لست عليه حريصا وإنما أطلب ميراث رسول الله صلى الله عليه وآله وحقه وأن ولاء أمته لي من بعده وأنتم أحرص عليه مني، إذ تحولون بيني وبينه، وتضربون وجهي دونه بالسيف.

اللهم إني أستعديك على قريش، فإنهم قطعوا رحمي وأضاعوا أيامي، ودفعوا حقي، وصغروا قدرتي وعظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي حقا كنت أولى به منهم فاستلبوني، ثم قالوا إصبر مغموما أو مت متأسفا!

وأيم الله لو استطاعوا أين يدفعوا قرابتي كما قطعوا سببي فعلوا، ولكنهم لن يجدوا إلى ذلك سبيلا! وإنما حقي على هذه الأمة كرجل له حق على قوم إلى أجل معلوم، فإن أحسنوا وعجلوا له حقه قبله حامدا، وإن أخروه إلى أجله أخذه غير حامد، وليس يعاب المرء بتأخير حقه، إنما يعاب من أخذ ما ليس له، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إلي عهدا فقال: يا ابن أبي طالب لك ولاء أمتي فإن ولوك في عافية وأجمعوا عليك بالرضا فقم بأمرهم، وإن اختلفوا عليك فدعهم وما هم فيه، فإن الله سيجعل لك مخرجا. فنظرت فإذا ليس لي رافد ولا معي مساعد إلا أهل بيتي فضننت بهم عن الهلاك، ولو كان لي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله عمي حمزة وأخي جعفر لم أبايع مكرها، ولكني بليت برجلين حديثي عهد بالإسلام العباس وعقيل، فضننت بأهل بيتي عن الهلاك، فأغضيت عيني على القدي، وتجرعت ريقى على الشجى، وصبرت على أمر من العلقم، وآلم للقلب من حز الشفار.

وأما أمر عثمان فكأنه علم من القرون الأولى علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى، خذله أهل بدر، وقتله أهل مصر، والله ما أمرت ولا نهيت، ولو أنني أمرت كنت قاتلا، ولو أنني نهيت كنت ناصرا، وكان الأمر لا ينفع فيه العيان، ولا يشفى منه الخبر، غير أن من نصره لا يستطيع أن يقول خذله من أنا خير منه، ولا يستطيع من خذله أن يقول نصره من هو خير مني. وأنا جامع لكم أمره: إستأثر فأساء

الأثرة وجزعتم فأسأتم الجزع، والله يحكم بينكم وبينه. والله ما يلزمني في دم عثمان تهمة، ما كنت إلا رجلا من المسلمين المهاجرين في بيتي، فلما قتلتموه أتيتموني تبايعوني فأبيت عليكم وأبيت علي، فقبضت يدي فبسطتموها وبسطتها فمددتموها، ثم تداككتم علي تذاك الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها، حتى ظننت أنكم قاتلي، وأن بعضكم قاتل بعض، حتى انقطعت النعل وسقط الرداء ووطئ الضعيف، وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إياي أن حمل إليها الصغير، وهدج إليها الكبير، وتحامل إليها العليل، وحسرت لها الكعاب فقالوا: بايعنا على ما بويع عليه أبو بكر وعمر، فإننا لا نجد غيرك ولا نرضى إلا بك، بايعنا لا نفرق ولا نختلف! فبايعتم علي كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله دعوت الناس إلى بيعتي فمن بايعني طائعا قبلت منه، ومن أبي تركته، فكان أول من بايعني طلحة والزبير فقالا: نبايعك على أنا شركاؤك في الأمر! فقلت: لا، ولكنكما شركائي في القوة، وعوناي في العجز، فبايعاني على هذا الأمر، ولو أبيا لم أكرههما كما لم أكره غيرهما! وكان طلحة يرجو اليمن، والزبير يرجو العراق، فلما علما أنني غير موليهما استأذناني للعمرة يريدان الغدرة، فأتيا عايشة واستخفاها مع كل شيء في نفسها علي... وقادهما عبد الله بن عامر إلى البصرة، وضمن لهما الأموال والرجال، فبيناهما يقودانها إذ هي تقودهما، فاتخذها فئة يقاتلان دونها! فأي خطيئة أعظم مما أتيا، أخرجنا زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله من بيتها فكشفا عنها حجابا ستره الله عليها، وصانا حلالهما في بيوتهما، ولا أنصفا الله ولا رسوله من أنفسهما! فمنييت بأطوع الناس في الناس عايشة بنت أبي بكر، وبأشجع الناس الزبير وبأخصم الناس طلحة بن عبيد الله، وأعانهم علي يعلى بن منية بأصوع الدنانير، والله لئن استقام أمري لأجعلن ماله فيئا للمسلمين!

ثم أتوا البصرة وأهلها مجتمعون علي بيعتي وطاعتي، وبها شيعتي خزان بيت مال الله ومال المسلمين، فدعوا الناس إلى معصيتي وإلى نقض بيعتي وطاعتي، فمن أطاعهم أكفروه ومن عصاهم قتلوه! فناجزهم حكيم بن جبلة فقتلوه في سبعين رجلا

من عباد أهل البصرة ومحبتيهم، يسمون المثفين كأن راح أكفهم ثفات الإبل، وأبى أن يبايعهم يزيد بن الحارث اليشكري فقال: إتقيا الله، إن أولكم قادننا إلى الجنة فلا يقودنا آخركم إلى النار، فلا تكلفونا أن نصدق المدعي ونقضي على الغائب، أما يميني فشغلها علي بن أبي طالب ببيعتي إياه، وهذه شمالي فارغة فخذها إن شئتما! فخنق حتى مات رحمه الله. وقام عبد الله بن حكيم التميمي فقال: يا طلحة هل تعرف هذا الكتاب؟ قال: نعم هذا كتابي إليك. قال: هل تدري ما فيه؟ قال: إقرأه علي. فقرأه فإذا فيه عيب عثمان ودعاؤه إلى قتله! فسيروه من البصرة!

وأخذوا عاملي عثمان بن حنيف الأنصاري غدرا فمثلوا به كل مثله، واتفوا كل شعرة في رأسه ووجهه! وقتلوا شيعتي طائفة صبرا، وطائفة غدرا، وطائفة عضوا بأسياهم حتى لقوا الله!

فوالله لو لم يقتلوا منهم إلا رجلا واحدا لحل لي به دماؤهم ودماء ذلك الجيش لرضاهم بقتل من قتل! دع أنهم قد قتلوا أكثر من العدة التي قد دخلوا بها عليهم، وقد أدال الله منهم، فبعدا للقوم الظالمين. فأما طلحة فرماه مروان بسهم فقتله، وأما الزبير فذكرته قول رسول الله صلى الله عليه وآله إنك تقاتل عليا وأنت ظالم له! وأما عايشة فإنها كانت نهاها رسول الله صلى الله عليه وآله عن مسيرها، فعضت يديها نادمة على ما كان منها!

وقد كان طلحة لما نزل ذا قار قام خطيبا فقال: أيها الناس إنا أخطأنا في عثمان خطيئة ما يخرجنا منها إلا الطلب بدمه، وعلي قاتله وعليه دمه...!

فلما بلغني قوله وقول كان عن الزبير قبيح، بعثت إليهما أناشدهما بحق محمد وآله ما أتيتماني وأهل مصر محاصرو عثمان فقلتما: إذهب بنا إلى هذا الرجل فإننا لا نستطيع قتله إلا بك، لما تعلم أنه سير أبا ذر رحمه الله، وفتق عمارا، وآوى الحكم بن أبي العاص وقد طرده رسول الله صلى الله عليه وآله وأبو بكر وعمر، واستعمل الفاسق علي كتاب الله الوليد بن عقبة، وسلط خالد بن عرفطة العذري على كتاب الله يمزقه ويحرقه، فقلت: كل هذا قد علمت ولا أرى قتله يومي هذا، وأوشك سقاؤه أن

يخرج المخض زبدته! فأقرا بما قلت! وأما قولكما إنكما تطلبان بدم عثمان، فهذا ابنه عمرو وسعيد، فخلوا عنهما يطلبان دم أبيهما، ومتى كان أسد وتيم أولياء بني أمية، فانقطعا عند ذلك! فقام عمران بن حصين الخزاعي صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: يا هذان لا تخرجانا ببيعتكما من طاعة علي، ولا تحملانا على نقض بيعته فإنها لله رضى، أما وسعتكما بيوتكما حتى أتيتما بأى المؤمنين! فالعجب لاختلافها وإياكما ومسيرها معكما، فكفا عنا أنفسكما وارجعا من حيث جئتما، فلسنا عبيد من غلب، ولا أول من سبق! فهما به ثم كفا عنه!

وكانت عايشة قد شكت في مسيرها وتعاضمت القتال، فدعت كاتبها عبيد الله بن كعب النميري فقالت أكتب: من عايشة بنت أبي بكر إلى علي بن أبي طالب، فقال: هذا أمر لا يجري به القلم. قالت: ولم؟ قال: لأن علي بن أبي طالب في الإسلام أول وله بذلك البدء في الكتاب. فقالت: أكتب: إلى علي بن أبي طالب من عايشة بنت أبي بكر، أما بعد فإنني لست أجهل قرابتك من رسول الله، ولا قدمك في الإسلام، ولا غناءك عن رسول الله، وإنما خرجت مصلحة بين بني لا أريد حربك إن كفت عن هذين الرجلين، في كلام لها كثير، فلم أجبها بحرف، وأخرت جوابها لقتالها. فلما قضى الله لي الحسنى سرت إلى الكوفة، واستخلفت عبد الله بن عباس على البصرة، فقدمت الكوفة وقد اتسقت لي الوجوه كلها إلا الشام، فأحببت أن أتخذ الحجة وأفضي العذر، أخذت بقول الله تعالى: وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين، فبعثت جرير بن عبد الله إلى معاوية معذرا إليه، متخذاً للحجة عليه، فرد كتابي ووجد حقي ودفع بيعتي، وبعث إلي أن ابعث إلي قتله عثمان، فبعثت إليه ما أنت وقتلة عثمان؟ أولاده أولى به، فادخل أنت وهم في طاعتي ثم خاصم القوم لأحملك وإياهم على كتاب الله، وإلا فهذه خدعة الصبي عن رضاع الملى! فلما يئس من هذا الأمر بعث إلي أن اجعل الشام لي حياتك، فإن حدث بك حادث من الموت لم يكن لأحد علي طاعة، وإنما أراد بذلك أن يخلع

طاعتي من عنقه، فأبيت عليه، فبعث إلي إن أهل الحجاز كانوا الحكام على أهل الشام، فلما قتلوا عثمان صار أهل الشام الحكام على أهل الحجاز! فبعثت إليه إن كنت صادقاً فسم لي رجلاً من قريش الشام تحل له الخلافة، ويقبل في الشورى، فإن لم تجده سميت لك من قريش الحجاز من يحل له الخلافة ويقبل في الشورى.

ونظرت إلى أهل الشام فإذا هم بقية الأحزاب، فراش نار وذباب طمع، تجمع من كل أوب، ممن ينبغي أن يؤدب ويحمل على السنة، ليسوا مهاجرين ولا أنصار، ولا تابعين بإحسان، فدعوتهم إلى الطاعة والجماعة فأبوا إلا فراقى وشقاقي، ثم نهضوا في وجه المسلمين ينضحونهم بالنبل ويشجرونهم بالرماح! فعند ذلك نهضت إليهم، فلما عضتهم السلاح ووجدوا ألم الجراح، رفعوا المصاحف فدعوكم إلى ما فيها، فأنبأتكم أنهم ليسوا بأهل دين ولا قرآن، وإنما رفعوها مكيدة وخديعة فامضوا لقتالهم، فقلتم إقبل منهم واكفف عنهم فإنهم إن أجابوا إلى ما في القرآن، جامعونا على ما نحن عليه من الحق، فقبلت منهم وكففت عنهم، فكان الصلح بينكم وبينهم على رجلين حكيمين ليحييا ما أحياه القرآن، ويميتا ما أماته القرآن، فاختلف رأيهما واختلف حكمهما، فنبذا ما في الكتاب، وخالفا ما في القرآن وكانا أهله.

ثم إن طائفة اعتزلت فتر كناهم ما تركونا، حتى إذا عاثوا في الأرض يفسدون ويقتلون، وكان فيمن قتلوه أهل ميرة من بني أسد، وخبابا وابنه وأم ولده، والحارث بن مرة العبدى، فبعثت إليهم داعياً فقلت ادفعوا إلينا قتلة إخواننا، فقالوا: كلنا قتلناهم، ثم شددت خيلهم ورجالهم، فصرعهم الله مصارع الظالمين.

فلما كان ذلك من شأنهم، أمرتكم أن تمضوا من فوركم ذلك إلى عدوكم فقلتم: كلت سيوفنا ونصلت أسنة رماحنا وعاد أكثرها قصيدا، فأذن لنا فلنرجع ولنستعد بأحسن عدتنا، وإذا نحن رجعنا زدنا في مقاتلتنا عدة من قتل منا، حتى إذا أظلمت على النخيلة أمرتكم أن تلزموا معسكركم، وأن تضموا إليه نواصيكم، وأن توطنوا على الجهاد نفوسكم، والتكثروا زيارة أبناءكم ونساءكم، فإن أصحاب الحرب

مصابروها، وأهل التشمير فيها الذين لا يتوجدون من سهر ليلهم ولا ظمأ نهارهم، ولا فقدان أولادهم ولا نساءهم! فأقامت طائفة منكم معدة، وطائفة دخلت المصر عاصية، فلا من دخل المصر عاد إلي، ولا من أقام منكم ثبت معي ولا صبر، فلقد رأيتني وما في عسكري منكم خمسون رجلا، فلما رأيت ما أنتم عليه دخلت عليكم فما قدر لكم أن تخرجوا معي إلى يومكم هذا!

لله أبوكم ألا ترون إلى مصر قد افتتحت، وإلى أطرافكم قد انتقصت، وإلى مسالحكم ترقى، وإلى بلادكم تغزى، وأنتم ذووا عدد جم، وشوكة شديدة، وأولوا بأس قد كان مخوفا! لله أنتم أين تذهبون، وأنى تؤفكون، ألا وإن القوم قد جدوا وتأسوا وتناصروا وتناصحوا، وإنكم قد أبيتم وونيتم وتخاذلتم وتغاششتهم، ما أنتم إن بقيتم على ذلك سعداء، فنبهوا رحمكم الله نائمكم، وتجردوا وتحروا لحرب عدوكم، فقد أبدت الرغوة عن الصريح، وأضاء الصبح لذي عينين، فانتبهوا إنما تقاتلون الطلقاء وأبناء الطلقاء، وأهل الجفاء ومن أسلم كرها، وكان لرسول الله أنفا وللإسلام كله حربا! أعداء السنة والقرآن، وأهل البدع والإحداث، ومن كانت نكايته تتقى، وكان على الإسلام وأهله مخوفا، وآكلة الرشا، وعبيد الدنيا!

ولقد أنهى إلي أن ابن النابغة لم يبايع معاوية حتى شرط له أن يؤتية أتيه هي أعظم مما في يديه من سلطانه، فصفرت يد هذا البائع دينه بالدنيا، وخزيت أمانة هذا المشتري بنصرة فاسق غادر بأموال المسلمين، وأي سهم لهذا المشتري بنصرة فاسق غادر، وقد شرب الخمر وضرب حدا في الإسلام، وكلكم يعرفه بالفساد في الدين وإن منهم من لم يدخل في الإسلام وأهله حتى رضخ له عليه رضىخة! فهؤلاء قادة القوم، ومن تركت لكم ذكر مساوية أكثر وأبور! وأنتم تعرفونهم بأعيانهم وأسمائهم كانوا على الإسلام ضدا، ولنبي الله صلى الله عليه وآله حربا، وللشيطان حزبا، لم يقدم إيمانهم ولم يحدث نفاقهم!

وهؤلاء الذين لو ولوا عليكم لأظهروا فيكم الفخر والتكبر، والتسلط بالجبرية،

والفساد في الأرض! وأنتم على ما كان منكم من تواكل وتخاذل خير منهم وأهدى سبيلا، منكم الفقهاء والعلماء والفهماء، وحملة الكتاب والمتهجدون بالأسحار، ألا تسخطون وتنقمون أن ينازعكم الولاية السفهاء البطاء عن الإسلام، الجفافة فيه؟! إسمعوا قولي يهدكم الله إذا قلت، وأطيعوا أمري إذا أمرت، فوالله لئن أطمعتموني لا تغوون، وإن عصيتموني لا ترشدون! قال الله تعالى: أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون. وقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله: إنما أنت منذر ولكل قوم هاد، فالهادي بعد النبي صلى الله عليه وآله هاد لأمته على ما كان من رسول الله صلى الله عليه وآله، فمن عسى أن يكون الهادي إلا الذي دعاكم إلى الحق، وقادكم إلى الهدى! خذوا للحرب أهبتها، وأعدوا لها عدتها، فقد شبت وأوقدت، وتجرد لكم الفاسقون لكيما يطفئوا نور الله بأفواههم، ويغروا عباد الله. ألا إنه ليس أولياء الشيطان من أهل الطمع والجفافة، أولى بالحق من أهل البر والإحسان والإخبات في طاعة ربهم ومناصحة إمامهم!

إني والله لو لقيتهم وحدي وهم أهل الأرض ما استوحشت منهم ولا باليت، ولكن أسف يريني وجزع يعتريني من أن يلي هذه الأمة فجارها وسفهاؤها، فيتخذون مال الله دولا، وكتاب الله دغلا، والفاسقين حزبا، والصالحين حربا!

وأيم الله لولا ذلك ما أكثرت تأنيبكم وتحريضكم، ولتركتكم إذ أبيتم حتى حم لي لقاءهم، فوالله إني لعلى الحق، وإني للشهادة لمحِب، وإني إلى لقاء الله ربي لمشتاق ولحسن ثوابه لمنتظر، إني نافر بكم فانفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله، ولا تناقلوا في الأرض فتغموا بالذل، وتقرؤا بالخسف، ويكون نصيبكم الأخرس! إن أخوا الحرب اليقظان الأرق، إن نام لم تنم عينه، ومن ضعف أوزدي، ومن كره الجهاد في سبيل الله كان المغبون المهين.

إني لكم اليوم على ما كنت عليه أمس، ولستم لي على ما كنتم عليه، من تكونوا ناصرته أخذ بالسهم الأخبب! والله لو نصرتم الله لنصركم وثبت أقدامكم، إنه حق

على الله أن ينصر من نصره، ويخذل من خذله، أترون الغلبة لمن صبر بغير نصر، وقد يكون الصبر جبنا ويكون حمية، وإنما النصر بالصبر، والورد بالصدر، والبرق بالمطر. اللهم اجمعنا وإياهم على الهدى، وزهدنا وإياهم في الدنيا، واجعل الآخرة خيرا لنا من الأولى). انتهى. (نهج السعادة للمحمودي: ٥ / ١٩٤، وذكر من مصادره في: ٥ / ٢٥٨: كشف المحجة لثمرة المهجة للسيد ابن طاووس ص ١٧٣، والبحار: ٨ / ١٨٤، ط الكمباني،.... ثم قال: وممن روى هذا الكتاب بألفاظه من أهل السنة إلا في ألفاظ نادرة وجمل يسيرة هو ابن قتيبة فإنه رواه في الجزء الأول من الإمامة والسياسة ص ١٥٤، ط مصر. في عنوان: ما كتبه علي لأهل العراق قبل بيان مقتله عليه السلام. ورواه أيضا بمغايرة طفيفة في بعض ألفاظه وجمله إبراهيم بن محمد الثقفي في الغارات، كما في بحار الأنوار: ٨ / ٦١٥، في عنوان: الفتن الحادثة بمصر، وشهادة محمد بن أبي بكر. وأشار إلى هذا الكتاب أحمد بن يحيى البلاذري، أنساب الأشراف ص ٤٠٠... ورواه أيضا محمد بن جرير بن رستم الطبري المتوفى أوائل القرن الرابع في آخر الباب الرابع من كتاب المسترشد، ٧٧ قال: وروي الشعبي عن شريح بن هانئ قال: خطب علي بن أبي طالب عليه السلام بعدما افتتحت مصر، ثم قال: وإني مخرج إليكم كتابا فيه جواب ما سألتكم عنه وكتب: (من عبد الله علي أمير المؤمنين، إلى من قرئ عليه كتابي من المؤمنين والمسلمين، أما بعد فإن الله بعث محمدا.... ثم ساق الكتاب كما تقدم برواية ثقة الإسلام باختلاف طفيف في بعض ألفاظه). انتهى. *

ومن ذلك: أجوبته عليه السلام على اعتراضات الأشعث بن قيس الخبيثة، وهي متعددة، نذكر منها قوله عليه السلام ذات: (إني كنت لم أزل مظلوما مستأثرا علي حقي، فقام إليه الأشعث بن قيس فقال: يا أمير المؤمنين لم لم تضرب بسيفك ولم تطلب بحقك؟ فقال: يا أشعث قد قلت قولا فاسمع الجواب وعه واستشعر الحجة: إن لي أسوة بستة من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين. أولهم نوح حيث قال: رب إني مغلوب فانتصر... الخ...). (الإحتجاج: ١ / ٢٧٩) وفي كتاب سليم رحمه الله ص ٢١٣: (فقام وخطب فقال: ألا إني قد استنفرتكم فلم تنفروا، ونصحتكم فلم تقبلوا، ودعوتكم فلم تسمعوا! فأنتم شهود كغياب وأحياء كأموات،

وصم ذوو أسماع! أتلو عليكم الحكمة وأعظكم بالموعظة الشافية الكافية، وأحثكم على الجهاد لأهل الجور، فما آتي على آخر كلامي حتى أراكم متفرقين حلقا شتى، تتناشدون الأشعار وتضربون الأمثال، وتسالون عن سعر التمر واللبن!

تبت أيديكم، لقد سئتم الحرب والاستعداد لها، وأصبحت قلوبكم فارغة من ذكرها، شغلتموها بالأباطيل والأضاليل والأعاليل! ويحكم، أغزوهم قبل أن يغزوكم فوالله ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا! وأيم الله ما أظن أن تفعلوا حتى يفعلوا ثم وددت أني قد رأيتهم فلقيت الله على بصيرتي ويقيني واسترحت من مقاساتكم ومن ممارستكم! فما أنتم إلا كإبل جملة ضل راعيها، فكلما ضمت من جانب انتشرت من جانب. كأنني بكم والله فيما أرى، لو قد حمس الوغى واستحر الموت، قد انفرجتم عن علي بن أبي طالب انفراج الرأس وانفراج المرأة عن ولدها، لا تمنع يد لامس!! قال الأشعث بن قيس الكندي: فهلا فعلت كما فعل ابن عفان؟! فقال علي عليه السلام: يا عرف النار، أو كما فعل ابن عفان رأيتموني فعلت؟ أنا عائد بالله من شر ما تقول! يا ابن قيس والله إن الذي فعل ابن عفان لمخزاة لمن لا دين له ولا الحق في يده، فكيف أفعل ذلك وأنا على بينة من ربي وحقته في يدي والحق معي؟ والله إن امرء مكن عدوه من نفسه حتى يجز لحمه ويفري جلده ويهشم عظمه ويسفك دمه، وهو يقدر على أن يمنعه، لعظيم وزره وضعيف ما ضمت عليه جوانح صدره! فكن أنت ذلك يا ابن قيس فأما أنا فدون والله أن أعطي بيدي ضرب بالمشرفي تطير له فراش الهام، وتطيح منه الكف والمعصم ويفعل الله بعد ما يشاء. ويملك يا بن قيس، المؤمن يموت بكل موتة غير أنه لا يقتل نفسه، فمن قدر على حقن دمه، ثم خلا بينه وبين قاتله، فهو قاتل نفسه...

فقال الأشعث بن قيس وغضب من قوله: فما يمنعك يا ابن أبي طالب حين بويح أخو تيم بن مرة وأخو بني عدي بن كعب وأخو بني أمية بعدهما، أن تقاتل وتضرب بسيفك؟ وأنت لم تخطبنا خطبة منذ كنت قدمت العراق إلا وقد قلت

فيها قبل أن تنزل عن منبرك: والله إني لأولى الناس بالناس وما زلت مظلوما منذ قبض الله محمدا. فما منعك أن تضرب بسيفك دون مظلمتك؟! فقال له علي عليه السلام: يا ابن قيس قلت فاسمع الجواب: لم يمنعني من ذلك الجبن ولا كراهية للقاء ربي، وأن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لي من الدنيا والبقاء فيها، ولكن منعني من ذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وعهده إلي!! أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله بما الأمة صانعة بي بعده، فلم أك بما صنعوا حين عاينته بأعلم مني ولا أشد يقينا مني به قبل ذلك، بل أنا بقول رسول الله صلى الله عليه وآله أشد يقينا مني بما عاينت وشهدت. فقلت: يا رسول الله فما تعهد إلي إذا كان ذلك؟ قال: إن وجدت أعوانا فانبذ إليهم وجاهدهم، وإن لم تجد أعوانا فاكفف يدك واحقن دمك حتى تجد على إقامة الدين وكتاب الله وسنتي أعوانا. وأخبرني صلى الله عليه وآله أن الأمة ستخذلني وتبايع غيري وتتبع غيري وأخبرني صلى الله عليه وآله أنه بمنزلة هارون من موسى، وأن الأمة سيصيرون من بعده بمنزلة هارون ومن تبعه والعجل ومن تبعه.... فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله مال الناس إلى أبي بكر فبايعوه وأنا مشغول برسول الله صلى الله عليه وآله بغسله ودفنه، ثم شغلت بالقرآن، فآليت على نفسي أن لا أرتدي إلا للصلاة حتى أجمعه في كتاب، ففعلت.

ثم حملت فاطمة وأخذت بيد ابني الحسن والحسين، فلم أدع أحدا من أهل بدر وأهل السابقة من المهاجرين والأنصار إلا ناشدتهم الله في حقي، ودعوتهم إلى نصرتي، فلم يستجب لي من جميع الناس إلا أربعة رهط: سلمان وأبو ذر والمقداد والزبير، ولم يكن معي أحد من أهل بيتي أصول به ولا أقوى به.... فقلت كما قال هارون لأخيه: ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني! فلي بهارون أسوة حسنة ولي بعهد رسول الله صلى الله عليه وآله حجة قوية....

إلى أن قال عليه السلام: ويلك يا ابن قيس كيف رأيتني صنعت حين قتل عثمان إذ وجدت أعوانا؟ هل رأيت مني فشلا أو تأخرا أو جبنا أو تقصيرا في وقعتي يوم البصرة وهم

حول جملهم، الملعون من معه، الملعون من قتل حوله، الملعون من رجع بعده لا تائباً ولا مستغفراً، فإنهم قتلوا أنصاري ونكثوا بيعتي ومثلوا بعاملي وبغوا علي، وسرت إليهم في اثني عشر ألفاً وهم نيف على عشرين ومائة ألف، فنصرني الله عليهم، وقتلهم بأيدينا وشفى صدور قوم مؤمنين!

وكيف رأيت يا ابن قيس وقعتنا بصفين وما قتل الله منهم بأيدينا خمسين ألفاً في صعيد واحد إلى النار! وكيف رأيتنا يوم النهروان إذ لقيت المارقين وهم مستمسكون يومئذ بدين الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، فقتلهم الله بأيدينا في صعيد واحد إلى النار، لم يبق منهم عشرة ولم يقتلوا من المؤمنين عشرة. ويلك يا ابن قيس هل رأيت لي لواء رد أو راية ردت؟ إياي تعير يا ابن قيس! وأنا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله في جميع موطنه ومشاهده، والمتقدم إلى الشدائد بين يديه لا أفر ولا أزول، ولا أعيا ولا أنحاز، ولا أمنح العدو دبري، لأنه لا ينبغي للنبي ولا للوصي إذا لبس لأمته وقصد لعدوه أن يرجع أو ينثني حتى يقتل أو يفتح الله له! هل سمعت لي بفرار قط أو نبوة؟

يا ابن قيس، والذي فلق الحبة وبرء النسمة، لو أن أولئك الأربعين الذين بايعوا وفوا لي وأصبحوا على بابي محلقين رؤوسهم قبل أن تحب لعتيق في عنقي بيعته، لناهضته وحاكمته إلى الله عز وجل! ولو وجدت قبل بيعة عثمان أعوانا لناهضتهم وحاكمتهم إلى الله، فإن ابن عوف جعلها لعثمان واشترط عليه فيما بينه وبينه أن يردها عليه عند موته! وأما بعد بيعتي إياهم فليس إلى مجاهدتهم سبيل!

فقال الأشعث: والله لئن كان الأمر كما تقول لقد هلكت أمة محمد صلى الله عليه وآله غيرك وغير شيعتك! فقال له علي عليه السلام: فإن الحق والله معي يا ابن قيس كما أقول، وما هلك من الأمة إلا الناصبون والناكثون والمكابرون والجاحدون والمعاندون، فأما من تمسك بالتوحيد والإقرار بمحمد صلى الله عليه وآله والإسلام ولم يخرج من الملة ولم يظاهر علينا

الظلمة ولم ينصب لنا العداوة، وشك في الخلافة ولم يعرف أهلها وولاتها، ولم يعرف لنا ولاية ولم ينصب لنا عداوة، فإن ذلك مسلم مستضعف يرجى له رحمة الله ويتخوف عليه ذنوبه.

قال أبان: قال سليم بن قيس: فلم يبق يومئذ من شيعة علي عليه السلام أحد إلا تهلل وجهه وفرح بمقالته، إذ شرح أمير المؤمنين عليه السلام الأمر وباح به وكشف الغطاء وترك التقية. ولم يبق أحد من القراء ممن كان يشك في الماضين ويكف عنهم ويدع البراءة منهم ورعا وتأثما، إلا استيقن واستبصر وحسن رأيه، وترك الشك يومئذ والوقوف. ولم يبق حوله ممن أبي بيعته إلا على وجه ما بويع عليه عثمان والماضون قبله، إلا رأي ذلك في وجهه وضاق به أمره وكره مقالته. ثم إنه استبصر عامتهم وذهب شكهم. قال أبان عن سليم: فما شهدت يوما قط على رؤوس العامة، كان أقر لأعيننا من ذلك اليوم، لما كشف أمير المؤمنين عليه السلام للناس من الغطاء، وأظهر فيه من الحق، وشرح فيه من الأمر والعاقبة، وألقى فيه من التقية، وكثرت الشيعة بعد ذلك المجلس من ذلك اليوم وتكلموا، وقد كانوا أقل أهل عسكره، وسائر الناس يقاتلون معه على غير علم بمكانه من الله ورسوله صلى الله عليه وآله، وصارت الشيعة بعد ذلك المجلس أجل الناس وأعظمهم). انتهى.

**

الفصل العاشر
شهادة أمير المؤمنين عليه السلام

(٤٢٧)

شاهد العصر.. يروي ظلامته قبيل شهادته!
نورد هذا النص بكامله لأنه شهادة كاملة من أمير المؤمنين عليه السلام على عصره،
وخالصة لسيرته بكلامه، وهي عقيدة الشيعة في تلك الأحداث وشخصياتها.
روى الصدوق في الخصال ص ٣٦٥، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (أتى رأس
اليهود علي بن أبي طالب عليه السلام عند منصرفه عن وقعة النهروان، وهو جالس في
مسجد الكوفة فقال: يا أمير المؤمنين إني أريد أن أسألك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي أو
وصي نبي! قال: سل عما بدا لك يا أخا اليهود؟ قال: إنا نجد في الكتاب أن الله عز
وجل إذا بعث نبيا أوحى إليه أن يتخذ من أهل بيته من يقوم بأمر أمته من بعده، وأن
يعهد إليهم فيه عهدا يحتذي عليه ويعمل به في أمته من بعده، وأن الله عز وجل يمتحن
الأوصياء في حياة الأنبياء ويمتحنهم بعد وفاتهم، فأخبرني كم يمتحن الله الأوصياء في
حياة الأنبياء، وكم يمتحنهم بعد وفاتهم من مرة، وإلى ما يصير آخر أمر الأوصياء إذا
رضي محتهم؟

فقال له علي عليه السلام: والله الذي لا إله غيره الذي فلق البحر لبني إسرائيل وأنزل
التوراة على موسى عليه السلام، لئن أخبرتك بحق عما تسأل عنه، لتقرن به؟ قال: نعم.
قال: والذي فلق البحر لبني إسرائيل وأنزل التوراة على موسى عليه السلام، لئن أجبتك
لتسلمن؟ قال: نعم.

فقال له علي عليه السلام: إن الله عز وجل يمتحن الأوصياء في حياة الأنبياء في سبعة
مواطن ليبتلي طاعتهم، فإذا رضي طاعتهم ومحتهم، أمر الأنبياء أن يتخذوهم أولياء في

حياتهم وأوصياء بعد وفاتهم، ويصير طاعة الأوصياء في أعناق الأمم ممن يقول بطاعة الأنبياء عليهم السلام. ثم يمتحن الأوصياء بعد وفاة الأنبياء عليهم السلام في سبعة مواطن ليلو صبرهم، فإذا رضي محتهم ختم لهم بالسعادة ليلحقهم بالأنبياء وقد أكمل لهم السعادة.

قال له رأس اليهود: صدقت يا أمير المؤمنين فأخبرني كم امتحنك الله في حياة محمد من مرة؟ وكم امتحنك بعد وفاته من مرة؟ وإلى ما يصير آخر أمرك؟ فأخذ علي عليه السلام بيده وقال: إنهض بنا أنبئك بذلك، فقام إليه جماعة من أصحابه فقالوا: يا أمير المؤمنين أنبئنا بذلك معه، فقال: إني أخاف أن لا تحتمله قلوبكم، قالوا: ولم ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: لأمر بدت لي من كثير منكم، فقام إليه الأشر فقال: يا أمير المؤمنين أنبئنا بذلك، فوالله إنا لنعلم أنه ما على ظهر الأرض وصي نبي سواك، وإنا لنعلم أن الله لا يبعث بعد نبينا صلى الله عليه وآله نبيا سواه، وأن طاعتك لفي أعناقنا موصولة بطاعة نبينا، فجلس علي عليه السلام وأقبل على اليهودي فقال: يا أخا اليهود، إن الله عز وجل امتحنني في حياة نبينا محمد صلى الله عليه وآله في سبعة مواطن فوجدني فيهن من غير تركية لنفسى، بنعمة الله له مطيعا قال: وفيم يا أمير المؤمنين؟

قال: أما أولاهن، فإن الله عز وجل أوحى إلى نبينا صلى الله عليه وآله وحمله الرسالة وأنا أحدث أهل بيتي سنا، أخدمه في بيته وأسعى بين يديه في أمره، فدعا صغير بني عبد المطلب وكبيرهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله، فامتنعوا من ذلك وأنكروه عليه وهجروه ونابدوه، واعتزلوه واجتنبوه وسائر الناس، مقصين له ومخالفين عليه، قد استعظموا ما أورده عليهم مما لم تحتمله قلوبهم وتدركه عقولهم، فأجبت رسول الله صلى الله عليه وآله وحدي إلى ما دعا إليه مسرعا مطيعا موقنا، لم يتخالجني في ذلك شك، فمكثنا بذلك ثلاث حجج، وما على وجه الأرض خلق يصلي أو يشهد لرسول الله صلى الله عليه وآله بما آتاه الله غيري وغير ابنة خويلد رحمها الله! ثم أقبل عليه السلام على أصحابه فقال: أليس كذلك قالوا: بلى يا أمير المؤمنين. فقال عليه السلام:

وأما الثانية يا أخوا اليهود، فإن قريشا لم تنزل تخيل الآراء وتعمل الحيل في قتل النبي حتى كان آخر ما اجتمعت في ذلك يوم الدار دار الندوة وإبليس الملعون حاضر في صورة أعور ثقيف، فلم تنزل تضرب أمرها ظهرا لبطن حتى اجتمعت آراؤها على أن ينتدب من كل فخذ من قريش رجل، ثم يأخذ كل رجل منهم سيفه ثم يأتي النبي صلى الله عليه وآله وهو نائم على فراشه فيضربونه جميعا بأسيا فمهم ضربة رجل واحد فيقتلوه، وإذا قتلوه منعت قريش رجالها ولم تسلمها فيمضي دمه هدرا! فهبط جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله، فأنبأه بذلك وأخبره بالليلة التي يجتمعون فيها والساعة التي يأتون فراشه فيها، وأمره بالخروج في الوقت الذي خرج فيه إلى الغار فأخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله بالخبر وأمرني أن أضطجع في مضجعه وأقيه بنفسي، فأسرعت إلى ذلك مطيعا له مسرورا لنفسي بأن أقتل دونه، فمضى عليه السلام لوجهه واضطجعت في مضجعه، وأقبلت رجالات قريش موقنة في أنفسها أن تقتل النبي صلى الله عليه وآله فلما استوى بي وبهم البيت الذي أنا فيه ، ناهضتهم بسيفي فدفعتهم عن نفسي بما قد علمه الله والناس، ثم أقبل عليه السلام على أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى يا أمير المؤمنين. فقال عليه السلام: وأما الثالثة يا أخوا اليهود، فإن ابني ربيعة وابن عتبة كانوا فرسان قريش، دعوا إلى البراز يوم بدر، فلم يبرز لهم خلق من قريش، فأنهضني رسول الله صلى الله عليه وآله مع صاحبي رضي الله عنهما وقد فعل، وأنا أحدث أصحابي سنا وأقلهم للحرب تجربة، فقتل الله عز وجل بيدي وليدا وشيبة، سوى من قتلت من جحاحجة قريش في ذلك اليوم، وسوى من أسرت، وكان مني أكثر مما كان من أصحابي، واستشهد ابن عمي في ذلك رحمة الله عليه. ثم التفت إلى أصحابه فقال: أليس كذلك قالوا: بلى يا أمير المؤمنين، فقال علي عليه السلام:

وأما الرابعة يا أخوا اليهود، فإن أهل مكة أقبلوا إلينا على بكرة أبيهم قد استحاشوا من يليهم من قبائل العرب وقريش، طالبين بثأر مشرقي قريش في يوم بدر، فهبط جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله فأنبأه بذلك فذهب النبي صلى الله عليه وآله وعسكر بأصحابه في سد أحد،

وأقبل المشركون إلينا فحملوا إلينا حملة رجل واحد، واستشهد من المسلمين من استشهد وكان ممن بقي من الهزيمة، وبقيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله ومضى المهاجرون والأنصار إلى منازلهم من المدينة كل يقول: قتل النبي صلى الله عليه وآله وقتل أصحابه! ثم صرف الله عز وجل وجوه المشركين، وقد جرحت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله نيفا وسبعين جراحة منها هذه وهذه، ثم ألقى رداءه وأمر يده على جراحاتي، وكان مني في ذلك ما على الله عز وجل ثوابه إن شاء الله، ثم التفت عليه السلام إلى أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى يا أمير المؤمنين، فقال عليه السلام:

وأما الخامسة يا أخا اليهود، فإن قريشا والعرب تجمعت وعقدت بينها عقدا وميثاقا لا ترجع من وجهها حتى تقتل رسول الله وتقتلنا معه معاشر بني عبد المطلب، ثم أقبلت بحدها وحديدها حتى أناخت علينا بالمدينة، واثقة بأنفسها فيما توجهت له، فهبط جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله فأنبأه بذلك، فخندق على نفسه ومن معه من المهاجرين والأنصار، فقدمت قريش فأقامت على الخندق محاصرة لنا، ترى في أنفسها القوة وفيها الضعف، ترعد وتبرق ورسول الله صلى الله عليه وآله يدعوها إلى الله عز وجل ويناشدها بالقرابة والرحم فتأبى، ولا يزيدنها ذلك إلا عتوا، وفارسها وفارس العرب يومئذ عمرو بن عبد ود، يهدر كالبعير المغتلم، يدعو إلى البراز ويرتجز ويخطر برمحه مرة، وبسيفه مرة، لا يقدم عليه مقدم، ولا يطمع فيه طامع، ولا حمية تهيجه ولا بصيرة تشجعه، فأنهضني إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وعممني بيده وأعطاني سيفه هذا، وضرب بيده إلى ذي الفقار، فخرجت إليه ونساء أهل المدينة بواك إشفاقا علي من ابن عبد ود، فقتله الله عز وجل بيدي، والعرب لا تعد لها فارسا غيره، وضربني هذه الضربة وأوماً بيده إلى هامته، فهزم الله قريشا والعرب بذلك، وبما كان مني فيهم من النكاية. ثم التفت عليه السلام إلى أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى يا أمير المؤمنين فقال عليه السلام: وأما السادسة يا أخا اليهود، فإننا وردنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله مدينة أصحابك خبير على رجال من اليهود وفرسانها من قريش وغيرها، فتلقونا بأمثال الجبال من

الخيل والرجال والسلاح، وهم في أمنع دار وأكثر عدد، كل ينادي ويدعو ويبادر إلى القتال، فلم يبرز إليهم من أصحابي أحد إلا قتلوه حتى إذا احمرت الحدق، ودعيت إلى النزال وأهمت كل امرئ نفسه، والتفت بعض أصحابي إلى بعض وكل يقول: يا أبا الحسن انهض، فأنهضني رسول الله صلى الله عليه وآله إلى دارهم فلم يبرز إلي منهم أحد إلا قتلته، ولا يثبت لي فارس إلا طحنته، ثم شددت عليهم شدة الليث على فريسته، حتى أدخلتهم جوف مدينتهم مسددا عليهم، فاقتلعت باب حصنهم بيدي حتى دخلت عليهم مدينتهم وحدي، أقتل من يظهر فيها من رجالها، وأسي من أجد من نسائها حتى افتتحها وحدي، ولم يكن لي فيها معاون إلا الله وحده، ثم التفت عليه السلام إلى أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى يا أمير المؤمنين، فقال عليه السلام: وأما السابعة يا أخا اليهود، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله لما توجه لفتح مكة، أحب أن يعذر إليهم ويدعوهم إلى الله عز وجل آخرا، كما دعاهم أولا، فكتب إليهم كتابا يحذرهم فيه وينذرهم عذاب الله، ويعددهم الصفح ويمنيهم مغفرة ربهم، ونسخ لهم في آخره سورة براءة ليقراها عليهم، ثم عرض على جميع أصحابه المضي به فكلهم يرى التثاقل فيه، فلما رأى ذلك ندب منهم رجلا فوجهه به فأتاه جبرئيل فقال: يا محمد لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك، فأنبأني رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك ووجهني بكتابه ورسالته إلى أهل مكة، فأتيت مكة وأهلها من قد عرفتم ليس منهم أحد إلا ولو قدر أن يضع على كل جبل مني إربا لفعل، ولو أن يبذل في ذلك نفسه وأهله وولده وماله، فبلغتهم رسالة النبي صلى الله عليه وآله وقرأت عليهم كتابه، فكلهم يلقاني بالتهدد والوعيد ويبدى لي البغضاء، ويظهر الشحنة من رجالهم ونسائهم، فكان مني في ذلك ما قد رأيتم! ثم التفت إلى أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى يا أمير المؤمنين. فقال عليه السلام: يا أخا اليهود هذه المواطن التي امتحنني فيه ربي عز وجل مع نبيه صلى الله عليه وآله فوجدني فيها كلها بمنه مطيعا، ليس لأحد فيها مثل الذي لي، ولو شئت لوصفت ذلك،

ولكن الله عز وجل نهى عن التزكية. فقالوا: يا أمير المؤمنين: صدقت والله، ولقد أعطاك الله عز وجل الفضيلة بالقرابة من نبينا صلى الله عليه وآله، وأسعدك بأن جعلك أخاه، تنزل منه بمنزلة هارون من موسى، وفضلك بالمواقف التي باشرت بها، والأهوال التي ركبته، وذخر لك الذي ذكرت وأكثر منه مما لم تذكره، ومما ليس لأحد من المسلمين مثله يقول ذلك من شهدك منا مع نبينا صلى الله عليه وآله ومن شهدك بعده، فأخبرنا يا أمير المؤمنين ما امتحنك الله عز وجل به بعد نبينا صلى الله عليه وآله فاحتملته وصبرت، فلو شئنا أن نصف ذلك لوصفناه، علما منا به وظهورا منا عليه، إلا أنا نحب أن نسمع منك ذلك، كما سمعنا منك ما امتحنك الله به في حياته فأطعته فيه. فقال عليه السلام:

يا أخا اليهود إن الله عز وجل امتحنني بعد وفاة نبيه صلى الله عليه وآله في سبعة مواطن فوجدني فيهن، من غير تزكية لنفسي، بمنه ونعمته صبورا. أما أولهن يا أخا اليهود، فإنه لم يكن لي خاصة دون المسلمين عامة أحد آنس به أو أعتمد عليه أو أستنيم إليه أو أتقرب به، غير رسول الله صلى الله عليه وآله، هو رباني صغيرا وبوأي كبيرا، وكفاني العيلة، وجبرني من اليتيم، وأغناني عن الطلب، ووقاني المكسب. وعال لي النفس والولد والأهل، هذا في تصاريف أمر الدنيا، مع ما خصني به من الدرجات التي قادتني إلى معالي الحق عند الله عز وجل، فنزل بي من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ما لم أكن أظن الجبال لو حملته عنوة كانت تنهض به، فرأيت الناس من أهل بيتي ما بين جازع لا يملك جزعه ولا يضبط نفسه، ولا يقوى على حمل فادح ما نزل به، قد أذهب الجزع صبره وأذهل عقله، وحال بينه وبين الفهم والإفهام والقول والإسماع! وسائر الناس من غير بني عبد المطلب بين معز يأمر بالصبر، وبين مساعد باك لبكائهم جازع لجزعهم، وحملت نفسي على الصبر عند وفاته بلزوم الصمت والانشغال بما أمرني به من تجهيزه وتغسيله وتحنيطه وتكفينه، والصلاة عليه، ووضعه في حفرته، وجمع كتاب الله وعهده إلى خلقه، لا يشغلني عن ذلك بادر دمعة، ولا هائج زفرة، ولا لاذع حرقة، ولا جزيل مصيبة، حتى أدت

في ذلك الحق الواجب لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وآله علي، وبلغت منه الذي أمرني به، واحتملته صابرا محتسبا. ثم التفت عليه السلام إلى أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى يا أمير المؤمنين. فقال عليه السلام:

وأما الثانية يا أبا اليهود، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني في حياته علي جميع أمته، وأخذ علي جميع من حضره منهم البيعة والسمع والطاعة لأمري، وأمرهم أن يبلغ الشاهد الغائب ذلك، فكنت المؤدى إليهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله أمره إذا حضرته والأمير علي من حضرني منهم إذا فارقتهم، لا تختلج في نفسي منازعة أحد من الخلق لي، في شيء من الأمر في حياة النبي صلى الله عليه وآله ولا بعد وفاته. ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بتوجيه الجيش الذي وجهه مع أسامة بن زيد عند الذي أحدث الله به من المرض الذي توفاه فيه، فلم يدع أحدا من أفناء العرب ولا من الأوس والخزرج وغيرهم من سائر الناس ممن يخاف علي نقضه ومنازعته، ولا أحدا ممن يراني بعين البغضاء ممن قد وترته بقتل أبيه أو أخيه أو حميمه، إلا وجهه في ذلك الجيش، ولا من المهاجرين والأنصار والمسلمين والمؤلفة قلوبهم والمنافقين. لتصفو قلوب من يبقى معي بحضرته، ولئلا يقول قائل شيئا مما أكرهه، ولا يدفعني دافع من الولاية والقيام بأمر رعيته من بعده، ثم كان آخر ما تكلم به في شيء من أمر أمته، أن يمضى جيش أسامة ولا يتخلف عنه أحد ممن أنهض معه، وتقدم في ذلك أشد التقدم، وأوعز فيه أبلغ الإيعاز، وأكد فيه أكثر التأكيد! فلم أشعر بعد أن قبض النبي صلى الله عليه وآله إلا برجال من بعث أسامة بن زيد وأهل عسكره قد تركوا مراكزهم وأخلوا مواضعهم، وخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وآله فيما أنهضهم له وأمرهم به وتقدم إليهم من ملازمة أميرهم، والسير معه تحت لوائه، حتى ينفذ لوجه الذي أنفذه إليه! فخلفوا أميرهم مقيما في عسكره وأقبلوا يتبادرون على الخيل ركضا إلى حل عقدة عقدها الله عز وجل لي ولرسوله صلى الله عليه وآله في أعناقهم فحلوها، وعهد عاهدوا الله ورسوله فنكثوه، وعقدوا لأنفسهم عقدا ضجت به أصواتهم واختصت به آراؤهم، من غير مناظرة لأحد منا بني عبد المطلب

أو مشاركة في رأيي، أو استقالة لما في أعناقهم من بيعتي!
فعلوا ذلك وأنا برسول الله صلى الله عليه وآله مشغول وبتجهيزه، عن سائر الأشياء
مصدود، فإنه كان أهمها وأحق ما بدئ به منها، فكان هذا يا أبا اليهود أقرح ما ورد
على قلبي، مع الذي أنا فيه من عظيم الرزية وفاجع المصيبة، وفقد من لا خلف منه إلا
الله تبارك وتعالى، فصبرت عليها إذ أتت بعد أختها على تقاربها وسرعة اتصالها، ثم
التفت عليه السلام إلى أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى يا أمير المؤمنين، فقال
عليه السلام:

وأما الثالثة يا أبا اليهود، فإن القائم بعد النبي صلى الله عليه وآله كان يلقاني معذرا في
كل أيامه، ويلوم غيره على ما ارتكبه من أخذ حقي ونقض بيعتي، وسألني تحليله،
فكنت أقول: تنقضي أيامه، ثم يرجع إلي حقي الذي جعله الله لي عفوا هنيئا من غير أن
أحدث في الإسلام مع حدوثه وقرب عهده بالجاهلية، حدثا في طلب حقي بمنازعة،
لعل فلانا يقول فيها نعم وفلانا يقول لا، فيؤول ذلك من القول إلى الفعل، وجماعة من
خواص أصحاب محمد صلى الله عليه وآله أعرفهم بالنصح لله ولرسوله ولكتابه ودينه
الإسلام يأتوني عودا وبدءا وعلانية وسرا فيدعوني إلى أخذ حقي، ويبدلون أنفسهم في
نصرتي، ليؤدوا إلي بذلك بيعتي في أعناقهم، فأقول رويدا وصبرا لعل الله يأتيني بذلك
عفوا بلا منازعة ولا إراقة دماء، فقد ارتاب كثير من الناس بعد وفاة النبي صلى الله عليه
وآله، وطمع في الأمر بعده من ليس له بأهل فقال كل قوم: منا أمير، وما طمع القائلون
في ذلك إلا لتناول غيري الأمر، فلما دنت وفاة القائم وانقضت أيامه صير الأمر بعده
لصاحبه، فكانت هذه أخت أختها، ومحلها مني مثل محلها، وأخذنا مني ما جعله الله
لي، فاجتمع إلي من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله ممن مضى وممن بقي ممن
أخره الله من اجتمع، فقالوا لي فيها مثل الذي قالوا في أختها، فلم يعد قولي الثاني قولي
الأول، صبرا واحتسابا ويقينا، وإشفاقا من أن تفنى عصبة تألفهم رسول الله صلى الله
عليه وآله باللين مرة وبالشدّة أخرى، وبالندم مرة، وبالسيف أخرى! حتى لقد كان من
تألفه لهم أن كان الناس في الكر والفرار والشبع والري، واللباس والوطاء والدثار،

ونحن أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله لا سقوف لبيوتنا، ولا أبواب ولا ستور إلا الجرائد، وما أشبهها، ولا وطاء لنا ولا دثار علينا، يتداول الثوب الواحد في الصلاة أكثرنا، ونطوي الليالي والأيام عامتنا، وربما أتانا الشيء مما أفاءه الله علينا وصيره لنا خاصة دون غيرنا، ونحن على ما وصفت من حالنا، فيؤثر به رسول الله صلى الله عليه وآله أرباب النعم والأموال تألفاً منه لهم، فكنت أحق من لم يفرق هذه العصابة التي ألفتها رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يحملها على الخطة التي لاخلاص لها منها، دون بلوغها أو فناء آجالها، لأنني لو نصبت نفسي فدعوتهم إلى نصرتي كانوا مني وفي أمري على إحدى منزلتين إما متبع مقاتل، وإما مقتول إن لم يتبع الجميع، وإما خاذل يكفر بخذلانه إن قصر في نصرتي أو أمسك عن طاعتي، وقد علم الله أنني منه بمنزلة هارون من موسى، يحل به في مخالفتي والإمساك عن نصرتي ما أحل قوم موسى بأنفسهم في مخالفة هارون وترك طاعته. ورأيت تجرع الغصص ورد أنفاس الصعداء، ولزوم الصبر حتى يفتح الله أو يقضى بما أحب،

أزيد لي في حظي، وأرفق بالعصابة التي وصفت أمرهم، وكان أمر الله قدرا مقدورا. ولو لم أتق هذه الحالة يا أبا اليهود ثم طلبت حقي، لكنت أولى ممن طلبه، لعلم من مضى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ومن بحضرتك منه أنني كنت أكثر عدداً وأعز عشيرة وأمنع رجالاً وأطوع أمراً وأوضح حجة، وأكثر في هذا الدين مناقب وآثاراً، لسوابقي وقرابتي ووراثتي، فضلاً عن استحقاقي ذلك بالوصية التي لا مخرج للعباد منها، والبيعة المتقدمة في أعناقهم ممن تناولها، وقد قبض محمد صلى الله عليه وآله وإن ولاية الأمة في يده وفي بيته، لا في يد الألى تناولوها ولا في بيوتهم، ولأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً أولى بالأمر من بعده من غيرهم في جميع الخصال، ثم التفت عليه السلام إلى أصحابه فقال: أليس كذلك؟ فقالوا: بلى يا أمير المؤمنين فقال عليه السلام:

وأما الرابعة يا أبا اليهود، فإن القائم بعد صاحبه كان يشاورني في موارد الأمور فيصدرها عن أمري، وينظرني في غوامضها فيمضيها عن رأيي، لا أعلم أحداً ولا

يعلمه أصحابي يناظره في ذلك غيري، ولا يطمع في الأمر بعده سواي، فلما أن أتته منيته على فجأة بلا مرض كان قبله، ولا أمر كان أمضاه في صحة من بدنه، لم أشك أني قد استرجعت حقي في عافية بالمنزلة التي كنت أطلبها، والعاقبة التي كنت التمسها، وأن الله سيأتي بذلك على أحسن ما رجوت، وأفضل ما أملت، وكان من فعله أن ختم أمره بأن سمى قوما أنا سادسهم، ولم يستوني بواحد منهم، ولا ذكر لي حالا في وراثة الرسول ولا قرابة ولا صهر ولا نسب، ولا لواحد منهم مثل سابقة من سوابقي ولا أثر من آثاري، وصيرها شورى بيننا وصير ابنه فيها حاكما علينا، وأمره أن يضرب أعناق النفر الستة الذين صير الأمر فيهم إن لم ينفذوا أمره، وكفى بالصبر على هذا يا أخا اليهود صبورا، فمكث القوم أيامهم كلها كل يخطب لنفسه وأنا ممسك، حتى سألوني عن أمري فناظرتهم في أيامي وأيامهم وآثاري وآثارهم، وأوضحت لهم ما لم يجهلوه من وجوه استحقاقي لها دونهم، وذكرتهم عهد رسول الله صلى الله عليه وآله إليهم وتأکید ما أكده من البيعة لي في أعناقهم، دعاهم حب الإمارة وبسط الأيدي والألسن في الأمر والنهي والركون إلى الدنيا، والافتداء بالماضين قبلهم، إلى تناول ما لم يجعل الله لهم، فإذا خلوت بالواحد ذكرته أيام الله وحذرت ما هو قادم عليه وصائر إليه، التمس مني شرطا أن أصيرها له بعدي! فلما لم يجدوا عندي إلا المحجة البيضاء والحمل على كتاب الله عز وجل ووصية الرسول صلى الله عليه وآله، وإعطاء كل امرئ منهم ما جعله الله له، ومنعه ما لم يجعل الله له، أزالها عني إلى ابن عفان، طمعا في الشحيح معه فيها! وابن عفان رجل لم يستو به وبواحد ممن حضره حال قط، فضلا عن دونهم، لا ببدر التي هي سنام فخرهم، ولا غيرها من المآثر التي أكرم الله بها رسوله صلى الله عليه وآله، ومن اختصه معه من أهل بيته عليه السلام! ثم لم أعلم القوم أمسوا من يومهم ذلك حتى ظهرت ندامتهم، ونكصوا على أعقابهم، وأحال بعضهم على بعض، كل يلوم نفسه ويلوم أصحابه!

ثم لم تطل الأيام بالمستبد بالأمر ابن عفان حتى أكفروه وتبرؤوا منه، ومشى (يقصد

ابن عوف) إلى أصحابه خاصة وسائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله عامة، يستقبلهم من بيعته ويتوب إلى الله من فلتته، فكانت هذه يا أخا اليهود أكبر من أختها وأفطع، وأحرى أن لا يصبر عليها! فنالني منها الذي لا يبلغ وصفه ولا يحد وقته، ولم يكن عندي فيها إلا الصبر على ما أمض وأبلغ منها، ولقد أتاني الباكون من الستة من يومهم كل راجع عما كان ركب مني! يسألني خلع ابن عفان والوثوب عليه وأخذ حقي، ويؤتيني صفقته وبيعته على الموت تحت رايتي، أو يرد الله عز وجل علي حقي. فوالله يا أخا اليهود ما منعني منها إلا الذي منعني من أختها قبلها، ورأيت الإبقاء على من بقي من الطائفة أبهج لي وآنس لقلبي من فنائها، وعلمت أنني إن حملتها على دعوة الموت ركبته، فأما نفسي فقد علم من حضر ممن ترى ومن غاب من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله أن الموت عندي بمنزلة الشربة الباردة في اليوم الشديد الحر من ذي العطش الصدي! ولقد كنت عاهدت الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله أنا وعمي حمزة وأخي جعفر وابن عمي عبيدة على أمر وفينا به لله عز وجل ورسوله، فتقدمني أصحابي وتخلفت بعدهم لما أراد الله عز وجل، فأنزل الله فينا: من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا. حمزة وجعفر وعبيدة، وأنا والله والمنتظر يا أخ اليهود وما بدلت تبديلا، وما سكتني عن ابن عفان وحثني على الإمساك عنه إلا أنني عرفت من أخلاقه فيما اختبرت منه بما لن يدعه حتى يستدعي الأبعاد إلى قتله وخلعه فضلا عن الأقارب، وأنا في عزلة، فصبرت حتى كان ذلك، لم أنطق فيه بحرف من لا، ولا نعم.

ثم أتاني القوم وأنا علم الله كاره، لمعرفتي بما تطاعموا به من اعتقال الأموال والمرح في الأرض، وعلمهم بأن تلك ليست لهم عندي، وشديد عادة منتزعة، فلما لم يجدوا عندي تعللوا الأعالي! ثم التفت عليه السلام إلى أصحابه فقال: أليس كذلك؟ فقالوا: بلى يا أمير المؤمنين، فقال عليه السلام:

وأما الخامسة يا أخا اليهود، فإن المتابعين لي لما لم يطمعوا في تلك مني،

وثبوا بالمرأة علي، وأنا ولي أمرها والوصي عليها، فحملوها على الجمل وشدوها على الرحال، وأقبلوا بها تخبط الفيافي وتقطع البراري وتبجح عليها كلاب الحوآب، وتظهر لهم علامات الندم في كل ساعة وعند كل حال، في عصابة قد بايعوني ثانية بعد بيعتهم الأولى في حياة النبي صلى الله عليه وآله! حتى أتت أهل بلدة قصيرة أيديهم طويلة لحاهم، قليلة عقولهم عازبة آراؤهم، وهم جيران بدو ووراد بحر، فأخرجتهم يخبطون بسيوفهم من غير علم، ويرمون بسهامهم بغير فهم، فوقفت من أمرهم على اثنتين، كلتاهما في محلة المكروه، ممن إن كفت لم يرجع ولم يعقل، وإن أقمت كنت قد صرت إلى التي كرهت، فقدمت الحجة بالإعذار والإنذار، ودعوت المرأة إلى الرجوع إلى بيتها، والقوم الذين حملوها على الوفاء ببيعتهم لي، والترك لنقضهم عهد الله عز وجل في، وأعطيتهم من نفسي كل الذي قدرت عليه، وناظرت بعضهم فرجع وذكرته فذكر، ثم أقبلت على الناس بمثل ذلك فلم يزدادوا إلا جهلا وتماديا وغيا، فلما أبوا إلا هي ركبته منهم فكانت عليهم الدبرة وبهم الهزيمة ولهم الحسرة، وفيهم الفناء والقتل، وحملت نفسي على التي لم أجد منها بدا، ولم يسعني إذ فعلت ذلك وأظهرته آخرا مثل الذي وسعني منه أولا، من الإغضاء والإمساك، ورأيتني إن أمسكت كنت معينا لهم علي بإمساكي علي ما صاروا إليه وطمعوا فيه، من تناول الأطراف وسفك الدماء وقتل الرعية، وتحكيم النساء النواقص العقول والحظوظ على كل حال، كعادة بني الأصفر ومن مضى من ملوك سبأ والأمم الخالية فأصير إلى ما كرهت أولا وآخرا، وقد أهملت المرأة وجندها يفعلون ما وصفت بين الفريقين من الناس، ولم أهجم على الأمر إلا بعدما قدمت وأخرت، وتأنيت وراجعت وأرسلت وسافرت، وأعدرت وأندرت، وأعطيت القوم كل شئ يلتمسونه بعد أن عرضت عليهم كل شئ لم يلتمسوه، فلما أبوا إلا تلك أقدمت عليها فبلغ الله بي وبهم ما أراد، وكان لي عليهم بما كان مني إليهم شهيدا، ثم التفت عليه السلام إلى أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى يا أمير المؤمنين، فقال عليه السلام:

وأما السادسة يا أبا اليهود، فتحكيمهم الحكيمين ومحاربة ابن آكلة الأكباد، وهو طليق معاند لله عز وجل ولرسوله والمؤمنين، منذ بعث الله محمدا إلى أن فتح الله عليه مكة عنوة، فأخذت بيعته وبيعة أبيه لي معه في ذلك اليوم، وفي ثلاثة مواطن بعده، وأبوه بالأمس أول من سلم علي بإمرة المؤمنين، وجعل يحثني على النهوض في أخذ حقي من الماضين قبلي، ويجدد لي بيعته كلما أتاني!

وأعجب العجب أنه لما رأى ربي تبارك وتعالى قد رد إلي حقي وأقر في معدنه، وانقطع طمعه أن يصير في دين الله رابعا، وفي أمانة حملناها حاكما، كر على العاصي بن العاص فاستماله فمال إليه، ثم أقبل به بعد أن أطعمه مصر، وحرام عليه أن يأخذ من الفيء دون قسمه درهما، وحرام على الراعي إيصال درهم إليه فوق حقه، فأقبل يخبط البلاد بالظلم ويطأها بالغشم، فمن بايعه أرضاه ومن خالفه ناواه، ثم توجه إلي ناكثا علينا مغيرا في البلاد شرقا وغربا ويمينا وشمالا، والأنباء تأتيني والأخبار ترد علي بذلك، فأتاني أعور ثقيف فأشار علي أن أوليه البلاد التي هو بها لأداريه بما أوليه منها، وفي الذي أشار به الرأي في أمر الدنيا، لو وجدت عند الله عز وجل في توليتي له مخرجا، وأصبت لنفسني في ذلك عذرا، فأعملت الرأي في ذلك، وشاورت من أثق بنصيحته لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وآله ولي وللمؤمنين، فإن رأيه في ابن آكلة الأكباد كراي، ينهاني عن توليته ويحذرنني أن أدخل في أمر المسلمين يده، ولم يكن الله ليراني أتخذ المضلين عضدا، فوجهت إليه أبا بجيلة مرة وأبا الأشعريين مرة، كلاهما ركن إلى الدنيا وتابع هواه فيما أرضاه، فلما لم أراه يزداد فيما انتهك من محارم الله إلا تماديا، وشاورت من معي من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله البدرين والذين ارتضى الله عز وجل أمرهم ورضي عنهم بعد بيعتهم، وغيرهم من صلحاء المسلمين والتابعين، فكل يوافق رأيه رأبي في غزوه ومحاربتة ومنعه مما نالت يده، وإني نهضت إليه بأصحابي، أنفذ إليه من كل موضع كتبي وأوجه إليه رسلي، أدعوه إلى الرجوع عما هو فيه، والدخول فيما فيه الناس معي، فكتب يتحكم علي ويتمني علي الأماني ويشترط علي شروطا لا يرضاها الله عز وجل

ورسوله ولا المسلمون، ويشترط في بعضها أن أدفع إليه أقواما من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله أبرارا، فيهم عمار بن ياسر وأين مثل عمار؟! والله لقد رأيتنا مع النبي صلى الله عليه وآله وما يعد منا خمسة إلا كان سادسهم، ولا أربعة إلا كان خامسهم، اشترط دفعهم إليه ليقتلهم ويصلبهم! وانتحل دم عثمان! ولعمر والله ما ألب على عثمان ولا جمع الناس على قتله إلا هو وأشباهه من أهل بيته، أغصان الشجرة الملعونة في القرآن، فلما لم أجب إلى ما اشترط من ذلك كر مستعليا في نفسه بطغيانه وبغيه، بحمير لا عقول لهم ولا بصائر، فموه لهم أمرا فاتبعوه، وأعطاهم من الدنيا ما أمالهم به إليه، فناجزناهم وحاكمناهم إلى الله عز وجل بعد الإعدار والإنذار، فلما لم يزد ذلك إلا تماديا وبغيا لقيناه بعادة الله التي عودناه من النصر على أعدائه وعدونا، وراية رسول الله صلى الله عليه وآله بأيدينا، لم يزل الله تبارك وتعالى يفيل حزب الشيطان بها حتى يقضي الموت عليه، وهو معلم رايات أبيه التي لم أزل أقاتلها مع رسول الله صلى الله عليه وآله في كل المواطن، فلم يجد من الموت منجى إلا الهرب فركب فرسه وقلب رايته، لا يدري كيف يحتال فاستعان برأي ابن العاص، فأشار عليه بإظهار المصاحف ورفعها على الأعلام والدعاء إلى ما فيها، فرفع المصاحف يدعو إلى ما فيها بزعمه! فمالت إلى المصاحف قلوب من بقي من أصحابي بعد فناء أخيارهم، وجهدهم في جهاد أعداء الله وأعدائهم على بصائرهم! وظنوا أن ابن آكلة الأكباد له الوفاء بما دعا إليه، فأصغوا إلى دعوته وأقبلوا بأجمعهم في إجابته، فأعلمتهم أن ذلك منه مكر ومن ابن العاص معه، وأنهما إلى النكث أقرب منهما إلى الوفاء، فلم يقبلوا قولي ولم يطيعوا أمري، وأبوا إلا إجابته كرهت أم هويت، شئت أو أبيت، حت أخذ بعضهم يقول لبعض: إن لم يفعل فألحقوه بابن عفان، أو ادفعوه إلى ابن هند برمته! فجهدت علم الله جهدي، ولم أدع غلة في نفسي إلا بلغتها، في أن يخلوني ورأيي فلم يفعلوا، وراودتهم على الصبر على مقدار فواق الناقة أو ركضة الفرس فلم يجيبوا، ما خلا هذا الشيخ وأوما بيده إلى الأشر وعصبة من أهل بيتي، فوالله ما منعتني أن أمضي على بصيرتي إلا مخافة أن يقتل هذان، وأوما بيده إلى الحسن والحسين صلى الله عليه وآله، فينقطع

نسل رسول الله صلى الله عليه وآله وذريته من أمته، ومخافة أن يقتل هذا وهذا وأوماً بيده إلى عبد الله بن جعفر ومحمد بن الحنفية، فإنني أعلم لولا مكاني لم يقفا ذلك الموقف فلذلك صبرت على ما أراد القوم مع ما سبق فيه من علم الله عز وجل، فلما رفعنا عن القوم سيوفنا تحكّموا في الأمور وتخبروا الأحكام والآراء، وتركوا المصاحف وما دعوا إليه من حكم القرآن، وما كنت أحكم في دين الله أحداً، إذ كان التحكيم في ذلك الخطأ الذي لا شك فيه ولا امتراء، فلما أبوا إلا ذلك أردت أن أحكم رجلاً من أهل بيتي أو رجلاً ممن أرضي رأيه وعقله، وأثق بنصيحته ومودته ودينه، وأقبلت لا أسمى أحداً إلا امتنع منه ابن هند، ولا أدعوه إلى شيء من الحق إلا أدبر عنه، وأقبل ابن هند يسومنا عسفاً، وما ذاك إلا باتباع أصحابي له على ذلك فلما أبوا إلا غلبتني على التحكم تبرأت إلى الله عز وجل منهم، وفوضت ذلك إليهم فقلدوه امرء فخدعه ابن العاص خديعة ظهرت في شرق الأرض وغربها وأظهر المخدوع عليها ندماً! ثم أقبل عليه السلام على أصحابه فقال: أليس كذلك قالوا: بلى يا أمير المؤمنين فقال عليه السلام:

وأما السابعة يا أخا اليهود، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله كان عهد إلي أن أقاتل في آخر الزمان من أيامي قوماً من أصحابي يصومون النهار ويقومون الليل ويتلون الكتاب، يمرقون بخلافهم علي ومحاربتهم إياي من الدين مروق السهم من الرمية، فيهم ذو الشدية، يختم لي بقتلهم بالسعادة، فلما انصرفت إلى موضعي هذا (يعني بعد الحكمين)، أقبل بعض القوم على بعض باللائمة فيما صاروا إليه من تحكيم الحكمين، فلم يجدوا لأنفسهم من ذلك مخرجاً إلا أن قالوا: كان ينبغي لأمرنا أن لا يبايع من أخطأ وأن يقضي بحقيقة رأيه على قتل نفسه وقتل من خالفه منا، فقد كفر بمتابعته إيانا وطاعته لنا في الخطأ، وأحل لنا بذلك قتله وسفك دمه! فتجمعوا على ذلك وخرجوا راكبين رؤوسهم ينادون بأعلى أصواتهم: لا حكم إلا لله، ثم تفرقوا فرقة بالنخيلة وأخرى بحروراء، وأخرى راكبة رأسها تخبط الأرض شرقاً، حتى عبرت دجلة، فلم تمر بمسلم إلا امتحنته فمن تابعها استحيته، ومن خالفها قتلته! فخرجت إلى الأوليين واحدة بعد أخرى أدعوهم إلى طاعة الله عز وجل والرجوع إليه، فأبوا

إلا السيف لا يقنعهما غير ذلك! فلما أعتت الحيلة فيهما حاكمتهما إلى الله عز وجل فقتل الله هذه وهذه، وكانوا يا أبا اليهود لولا ما فعلوا ركننا قويا وسدا منيعا، فأبى الله إلا ما صاروا إليه! ثم كتبت إلى الفرقة الثالثة ووجهت رسلي تترى وكانوا من جلة أصحابي وأهل التعبد منهم والزهد في الدنيا، فأبت إلا اتباع أختيها والاحتذاء على مثالهما، وأسرعت في قتل من خالفها من المسلمين وتتابعت إلي الأخبار بفعلهم، فخرجت حتى قطعت إليهم دجلة، أوجه السفراء والنصحاء وأطلب العتبي، بجهدى بهذا مرة وبهذا مرة، أو ما بيده إلى الأشر، والأحنف بن قيس، وسعيد بن قيس الأرحبي، والأشعث بن قيس الكندي، فلما أبوا إلا تلك ركبته منهم، فقتلهم الله يا أبا اليهود عن آخرهم، وهم أربعة آلاف أو يزيدون حتى لم يفلت منهم منخبر! فاستخرجت ذا الثدي من قتلهم بحضرة من ترى، له ثدي كثندي المرأة! ثم التفت عليه السلام إلى أصحابه فقال، أليس كذلك؟ قالوا، بلى يا أمير المؤمنين، فقال عليه السلام: قد وفيت سبعا وسبعا يا أبا اليهود وبقيت الأخرى وأوشك بها فكأن قد! فبكى أصحاب علي عليه السلام وبكى رأس اليهود وقالوا: يا أمير المؤمنين أخبرنا بالأخرى فقال: الأخرى أن تخضب هذه، وأوماً بيده إلى لحيته، من هذه، وأوماً بيده إلى هامته، قال: وارتفعت أصوات الناس في المسجد الجامع بالضجة والبكاء، حتى لم يبق بالكوفة دار إلا خرج أهلها فرحاً! وأسلم رأس اليهود على يدي علي عليه السلام من ساعته، ولم يزل مقيماً حتى قتل أمير المؤمنين عليه السلام وأخذ ابن ملجم لعنه الله، فأقبل رأس اليهود حتى وقف على الحسن عليه السلام والناس حوله وابن ملجم بين يديه فقال له: يا أبا محمد أقتله قتله الله، فإني رأيت في الكتب التي أنزلت على موسى عليه السلام أن هذا أعظم عند الله عز وجل جرماً من ابن آدم قاتل أخيه، ومن القدار عاقر ناقة ثمود)..

**

مقادير الله تعالى لرسوله وعترته صلى الله عليه وآله
قال أمير المؤمنين عليه السلام: (إن العرب كرهت أمر محمد صلى الله عليه وآله
وحسدته على ما آتاه الله من فضله، واستطالت أيامه حتى قذفت زوجته، ونفرت به
ناقته، مع عظيم إحسانه إليها، وجسيم مننه عندها! وأجمعت مذ كان حيا على صرف
الأمر عن أهل بيته بعد موته!) (شرح النهج: ٢٠ / ٢٩٨).
لكن الله تعالى شاء أن يحفظ مكانة نبيه صلى الله عليه وآله، فلا تقتله قريش طمعا في
ملكه، ولا ترتد عليه في حياته، وأن يتحمل نكسة الأمة من بعده وصيه علي عليه

السلام!

وكذلك الأمر في علي عليه السلام فقد رتبت قريش ضده السقيفة، وأجبرته أن يبايع
صاحبها، وبعد خمس وعشرين سنة نقت الأمة على حكم قريش حيث استأثر عثمان
الأموي بمقدراتها وأساء الاستئثار، فثار عليه بقية الصحابة والأمة وقتلوه، وتوجهوا إلى
علي عليه السلام وبايعوه بالخلافة، فبدأ علي عليه السلام مشروعه في إعادة العهد
النبي، واستجابت له الأمة فعملت معه فيه، حتى نفذ مخزونها في الجهاد، وصارت
بين يديه كالتراب!

وفي المقابل أخذت الموجة القرشية الجديدة بقيادة معاوية تلاقي استجابة من الأمة!
وكانت خطط دهاة قريش والعرب: معاوية، وعمرو العاص، والأشعث والمغيرة بن
شعبة، أن يجبروا عليا عليه السلام على تسليم الخلافة إلى معاوية، أو يعتقله المنافقون
في صفين، أو العراق، ويسلموه إلى معاوية، فيكون أسير معاوية وعبده، وربما من عليه
معاوية وأطلقه جزاء لأسر النبي صلى الله عليه وآله أبا سفيان وزعماء قريش عند فتح
مكة ومنه عليهم بالحياة، فتكون واحدة بواحدة!

لكن حكمة الله تعالى شاءت أن تبقى شخصية علي عليه السلام محفوظة، ومشروعه
لإعادة العهد النبوي مصونا في ضمير الأمة وتاريخها، وأن يتحمل انهيار الأمة

بالكامل واستسلامها إلى بني أمية، وصيه الإمام الحسن عليه السلام! كما كان من حكمة الله تعالى أن يكون قتل علي عليه السلام بيد طرف ثالث غير قريش خارج عن الأمة التي تعلن قريش انتماءها لها، وإن كان المحرك الأصلي له معاوية وعميله الأشعث!

مرآة غيب الله صلى الله عليه وآله يخبر عليا عن مستقبله في السنة الثانية للهجرة، فرض الله تعالى فريضة الصوم في شهر رمضان فبلغ النبي صلى الله عليه وآله رسالة ربه، وخطب فيهم في آخر جمعة من شعبان يهيوهم لاستقبال شهر الله تعالى، وبعد الخطبة سأله علي عليه السلام: يا رسول الله ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟ فقال صلى الله عليه وآله: يا أبا الحسن أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله عز وجل، ثم بكى صلى الله عليه وآله فقال له علي عليه السلام: يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال: يا علي أبكي لما يستحل منك في هذا الشهر! كأنني بك وأنت تصلي لربك وقد انبعث أشقى الأولين والآخرين، شقيق عاقر ناقة ثمود فضربك ضربة على قرنك، فخضب منها لحيتك. فقال عليه السلام: يا رسول الله وذلك في سلامة من ديني؟ فقال صلى الله عليه وآله: في سلامة من دينك، ثم قال: يا علي من قتلك فقد قتلني، ومن أبغضك فقد أبغضني، ومن سبك فقد سبني، لأنك مني كنفسي، روحك من روحي، وطينتك من طينتي، إن الله تبارك وتعالى خلقني وإياك، واصطفاني وإياك، واختارني للنبوّة واختارك للإمامة، فمن أنكر إمامتك فقد أنكر نبوتي. يا علي، أنت وصيي، وأبو ولدي، وزوج ابنتي، وخليفتي على أمتي في حياتي وبعد موتي، أمرك أمري، ونهيك نهبي أقسم بالذي بعثني بالنبوّة وجعلني خير البرية إنك لحجة الله على خلقه، وأمينه على سره، وخليفته على عباده. (أمالي الصدوق ص ١٥٥)

قال علي عليه السلام: (لقد خبرني حبيب الله وخيرته من خلقه، وهو الصادق المصدوق عن يومي هذا، وعهد إلي فيه فقال: يا علي، كيف بك إذا بقيت في حثالة من

الناس تدعو فلا تجاب، وتنصح عن الدين فلا تعان، وقد مال أصحابك وشنف لك نصحاؤك، وكان الذي معك أشد عليك من عدوك، إذا استنهضتهم صدوا معرضين وإن استحثتهم أدبروا نافرين، يتمنون فقدك لما يرون من قيامك بأمر الله عز وجل، وصرفك إياهم عن الدنيا...). (نهج السعادة: ٨ / ٣٧٠).

قال له رجل بعد خطبة في البصرة بعد افتتاحها: (يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الفتنة، هل سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال عليه السلام: نعم، إنه لما نزلت هذه الآية من قول الله عز وجل: أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، علمت أن الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله صلى الله عليه وآله حي بين أظهرنا، فقلت: يا رسول الله ما هذه الفتنة التي أخبرك الله بها؟ فقال صلى الله عليه وآله: يا علي، إن أمتي سيفتنون من بعدي. قلت: يا رسول الله أو ليس قد قلت لي يوم أحد حيث استشهد من استشهد من المسلمين وحيزت على الشهادة، فشق ذلك علي فقلت لي: أبشر يا صديق فإن الشهادة من ورائك؟ فقال لي صلى الله عليه وآله: فإن ذلك لكذلك فكيف صبرك إذا خضبت هذه من هذه؟ وأهوى بيده إلى لحيته ورأسي؟ فقلت: بأبي وأمي يا رسول الله ليس ذلك من مواطن الصبر، ولكن من مواطن البشرية والشكر. فقال لي: أجل، ثم قال: يا علي إنك باق بعدي ومبتلى بأمتي، ومخاصم يوم القيامة بين يدي الله تعالى فاعدد جوابا. فقلت: بأبي أنت وأمي، بين لي ما هذه الفتنة التي يتلون بها؟ وعلى ما أجاهدهم بعدك؟ فقال: إنك ستقاتل بعدي الناكثة والقاسطة والمارقة. وجلاهم وسماهم رجلا رجلا ثم قال لي: وتجاهد أمتي على كل من خالف القرآن، ممن يعمل في الدين بالرأي، ولا رأي في الدين، إنما هو أمر من الرب ونهيه). (الإحتجاج: ١ / ٢٩٠)

قال علي عليه السلام: (كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض طرق المدينة، فأتينا على حديقة، فقلت: يا رسول الله ما أحسنها من حديقة. قال صلى الله عليه وآله: ما أحسنها،

ولك في الجنة أحسن منها.... فلما خلاله الطريق اعتنقني ثم أجهش باكيا وقال: بأبي الوحيد الشهيد! فقلت: يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال: ضغائن في صدور أقوام لا يبدونها لك إلا من بعدي! أحقاد بدر وترات أحد.... يا علي ما بعث الله رسولا إلا وأسلم معه قوم طوعا وقوم آخرون كرها، فسلط الله الذين أسلموا كرها على الذين أسلموا طوعا، فقتلوهم ليكون أعظم لأجورهم!

يا علي، وإنه ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها، وإن الله قضى الفرقة والاختلاف على هذه الأمة، ولو شاء الله لجعلهم على الهدى حتى لا يختلف اثنان من خلقه، ولا يتنازع في شيء من أمره، ولا يجحد المفضول ذا الفضل فضله، ولو شاء عجل النقمة، فكان منه التغيير حتى يكذب الظالم، ويعلم الحق أين مصيره. ولكن جعل الدنيا دار الأعمال، وجعل الآخرة دار القرار، ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى. فقلت: الحمد لله شكرا على نعمائه، وصبرا على بلائه، وتسليما ورضا بقضائه). (كتاب سليم ص ١٣٧).

ما يحبس أشقاها أن يخضب هذه من هذا؟
(أما والله لو ددت أن ربي أخرجني من بين أظهركم إلى رضوانه! وإن المنية لترصدني، فما يمنع أشقاها أن يخضبها؟! عهد عهده إلى النبي الأمي صلى الله عليه وآله وقد خاب من افتري، ونجى من اتقى وصدق بالحسنى.

يا أهل الكوفة: قد دعوتكم إلى جهاد هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسرا وإعلانا، وقلت لكم أغزوهم قبل أن يغزوكم، فإنه ما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا، فتواكلتم وتخاذلتم، وثقل عليكم قولي واستصعب عليكم أمري، واتخذتموه وراءكم ظهريا، حتى شنت عليكم الغارات، وظهرت فيكم الفواحش والمنكرات تمسيكم وتصبحكم! كما فعل بأهل المثالات من قبلكم، حيث أخبر الله عز وجل عن الجبابرة العتاة الطغاة المستضعفين الغواة، في قوله تعالى: يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم. أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد حل بكم الذي توعدون! يا أهل الكوفة: عاتبتكم بمواعظ القرآن فلم أنتفع بكم! أدبتكم بالدرة فلم تستقيموا لي، وعاقبتكم بالسوط الذي يقام به الحدود فلم ترعوا، ولقد علمت أن الذي يصلحكم هو السيف! وما كنت متحريرا صلاحكم بفساد نفسي! ولكن سيسلط عليكم سلطان صعب لا يوقر كبيركم ولا يرحم صغيركم ولا يكرم عالمكم، ولا يقسم الفئ بالسوية بينكم، وليضربنكم وليذلنكم، وليجرينكم في المغازي، وليقطعن سبيلكم وليحجنكم على بابه، حتى يأكل قويكم ضعيفكم! ثم لا يبعد الله إلا من ظلم، وما أدبر شئ فأقبل! إني لأظنكم على فترة، وما علي إلا النصح لكم.

يا أهل الكوفة: منيت منكم بثلاث واثنتين: صم ذوو أسماع، وبكم ذوو ألسن، وعمي ذوو أبصار، لا إخوان صدق عند اللقاء، ولا إخوان ثقة عند البلاء!

اللهم إني قد مللتهم وملوني، وسئمتهم وسئموني! اللهم لا ترض عنهم أميرا، ولا ترضهم عن أمير، وأمث قلوبهم كإيمات الملح في الماء!....

يا أهل الكوفة قد أتاني الصريخ يخبرني أن ابن غامد قد نزل بالأنبار على أهلها ليلا، في أربعة آلاف فأغار عليهم... الخ). (الإرشاد: ١ / ٢٨٣).

يشكو لحبيبه رسول الله صلى الله عليه وآله!

قال الحسن بن علي يوم قتل علي صلى الله عليه وآله: (خرجت البارحة وأبي يصلي في

مسجد داره، فقال لي: يا بني إني بت أوقظ أهلي لأنها ليلة الجمعة صبيحة بدر،

فملكنتي عيناى فمنت فسنح لي رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: يا رسول الله

ماذا لقيت من أمتك من الأود واللدود! (الإعوجاج والجدل) فقال لي: أدع عليهم

. فقلت: اللهم أبدلني بهم من هو خير منهم، وأبدلهم بي من هو شر مني). (نهج

السعادة: ٧ / ١٢١)

(فشكوت إليه ما أنا فيه من مخالفة أصحابي، وقلة رغبتهم في الجهاد، فقال: أدع الله

أن يريحك منهم، فدعوت الله). (العقد الفريد: ٣ / ١٢٤).

**

يعلم أجله ويعرف قاتله!

نحن بسطاء في فهم كثير من الأمور، ومنها تصورنا عن الحياة والأجل! وبسطاء عندما نقيس حياة المعصوم عليه السلام بحياتنا ولا نفهم العالم الذي يحيط به! نتصور أن غيب الله تعالى يشبه معلوماتنا التي نعرفها ولا يعرفها الآخرون وأن إخبار الله للنبي أو للوصي عليهم السلام على شيء من غيبه، يشبه أن نخبر شخصا عن حدث في المستقبل!

لكن الموضوع والمحمول والشروط في الغيب الإلهي، مختلفة تماما! وقد أعطانا الله تعالى صورة عنها بقوله عز وجل: عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا، إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا. (الجن: ٢٦ - ٢٧).

فلا بد أن يكون الشخص بدرجة الرسول المرتضى، حتى يتحمل غيب الله تعالى، وحينئذ يخص له الله ملائكة يرافقونه ويسددونه، حتى لا يتضرر بالغيب الإلهي، وحتى يستعمله في غرضه الرسالي بشكل صحيح!

ولا بد أن يكون هذا الغيب الذي يظهره الله لخاصة أوليائه عليهم السلام من نوع الأمر الإلهي المقضي الذي لا بداء فيه، فقد سأل حمران بن بكير الإمام الباقر عليه السلام عن الغيب في هذه الآية، فأجابه: (إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا، وكان والله محمد صلى الله عليه وآله ممن ارتضى، وأما قوله: عالم الغيب فإن الله تبارك وتعالى عالم بما غاب عن خلقه، فما يقدر من شيء ويقضيه في علمه قبل أن يخلقه وقبل أن يقضيه إلى الملائكة، فذلك يا حمران علم موقوف عنده إليه في المشية، فيقضيه إذا أراد ويبدو له فيه فلا يمضيه. فأما العلم الذي يقدره الله ويمضيه، فهو العلم الذي انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ثم إلينا). (بصائر الدرجات ص ١٣٣).

وبهذه الإشارة إلى هذا البحث المفصل، نفهم أي غيب انضمت عليه جوانح أمير المؤمنين والأئمة من العترة النبوية الطاهرة عليهم السلام، وأي عالم يحيط بأحدهم

من ملائكة تحرسه وترصده، وترصد له ما ينبغي قوله وفعله وما لا ينبغي! وبه نعرف معنى الجنة الحصينة التي كانت ترافق أمير المؤمنين عليه السلام وتمنع عنه الموت قبل أجله! فقد كان مطمئنا إلى أنه لن يقتل في حرب وإن جرح بجروح خفيفة أو بليغة! وقد تضاعف خطر الاغتيال عليه بعد النهروان، فخوفه الناس من فتك الخوارج فقال: (وإن علي من الله جنة حصينة، فإذا جاء يومي انفرجت عني وأسلمتني، فحينئذ لا يطيش السهم، ولا يبرأ الكلم). (نهج البلاغة: ١ / ٢٨٣)

وبذلك نتصور المستوى الذي بلغه النبي صلى الله عليه وآله وعترته عليهم السلام! فهم مع علمهم بآجالهم وابتلاءاتهم، يعيشون بالعلم الظاهر ويتعاملون به، ويستعملون الوسائل العادية لا أكثر، لتجري مقادير الله تعالى!

(عن الحسن بن الجهم قال: قلت للرضا عليه السلام: إن أمير المؤمنين عليه السلام قد عرف قاتله والليلة التي يقتل فيها، والموضع الذي يقتل فيه، وقوله لما سمع صياح الإوز في الدار: صوائح تتبعها نوائح، وقول أم كلثوم: لو صليت الليلة داخل الدار وأمرت غيرك يصلي بالناس فأبى عليها، وكثر دخوله وخروجه تلك الليلة بلا سلاح، وقد عرف عليه السلام أن ابن ملجم لعنه الله قاتله بالسيف، كان هذا مما لم يجز تعرضه! فقال: ذلك كان، ولكنه خير في تلك الليلة، لتمضي مقادير الله عز وجل). (الكافي: ١ / ٢٥٩)

وبهذا ينتفي السؤال لماذا لم يحبس أمير المؤمنين عليه السلام ابن ملجم، بل استبشر بقدمه، كما يستبشر المحبوس بمجيء من يطلقه من سجنه؟! (وقدم عبد الرحمن بن ملجم المرادي الكوفة لعشر بقين من شعبان سنة أربعين فلما بلغ عليا عليه السلام قدمه قال: أوقد وافى؟ أما إنه ما بقي علي غيره، وهذا أوانه! قال: فنزل على الأشعث بن قيس الكندي، فأقام عنده شهرا يستحد سيفه). (تاريخ يعقوبي: ٢ / ٢٢٢).

إفطار أمير المؤمنين عليه السلام عند ابنته أم كلثوم
(قالت أم كلثوم رضي الله عنها: كان أمير المؤمنين عليه السلام يفطر في شهر رمضان
الذي قتل فيه ليلة عند الحسن، وليلة عند الحسين، وليلة عند أم كلثوم. فلما كانت ليلة
تسع عشرة من شهر رمضان، قدمت إليه عند إفطاره طبقا فيه قرصان من خبز الشعير
وقصعة فيها لبن وملح جريش، فلما فرغ من صلاته أقبل على فطوره... فأكل قرصا
واحدا بالملح الجريش، ثم حمد الله وأثنى عليه، ولم يزل تلك الليلة قائما وقاعدا
وراكعا وساجدا، يخرج ساعة بعد ساعة يقلب طرفه في السماء وينظر في الكواكب
وهو يقول: والله ما كذبت ولا كذبت، إنها الليلة التي وعدت! ثم يعود إلى مصلاه
ويقول: اللهم بارك لي في الموت، ويكثر من قول لا إله إلا الله، إنا لله وإنا إليه
راجعون، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ويصلي على النبي وآله ويستغفر الله
كثيرا.

قالت أم كلثوم: فجعلت أرقب وقت الأذان، فلما لاح الوقت أتته ومعني إناء فيه ماء،
ثم أيقظته فأسبغ الوضوء وقام ولبس ثيابه وفتح بابه، ثم نزل إلى الدار وكان في الدار
إوز قد أهدي إلى أخي الحسين، فلما نزل خرجن ورائه وصحن في وجهه، وكن قبل
تلك الليل لم يصحن! فقال عليه السلام: لا إله إلا الله، صوائح تتبعها نوائح، وفي غداة
غد يظهر القضاء، فقلت له: يا أبة هكذا تتطير، قال: يا بنية ما منا أهل البيت من يتطير
ولا يتطير به.

ولما أراد الخروج تعلقت حديدة من الباب على مئزره، فشد إزاره وهو يقول:
أشدد حيازيمك للموت * فإن الموت لاقيك

ولا تجزع من الموت * إذا حل بواديك. (نهج السعادة: ٧ / ١٢٠)
(ورآه عدي بن حاتم وبين يديه ماء قراح وكسيرات من خبز الشعير، فقال: لا

أرى لك يا أمير المؤمنين أن تظل نهارك صائما مجاهدا، وبالليل ساهرا مكابدا ثم يكون هذا فطورك! فقال: علل النفس بالقليل وإلا طلبت منك فوق ما يكفيها! ولم يزل هذا دأبه وهذه سجيته، حتى ضربه أشقى الآخرين على رأسه في مسجد الكوفة صبيحة ليلة الأربعاء لتسعة عشر مضين من شهر رمضان المبارك وهو ساجد لله في محرابه، فبلغ السيف موضع السجود من رأسه، فقال:

بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله، فزت ورب الكعبة لا يفوتنكم ابن ملجم، واصطفقت أبواب الجامع، وهبت ريح سوداء مظلمة، ونادى جبرائيل بين السماء والأرض: تهدمت والله أركان الهدى، وانطمست والله أعلام التقى، وانفصمت والله العروة الوثقى، قتل ابن عم المصطفى، قتل الإمام المجتبي، قتل علي المرتضى، وجعل الدم يجري على وجهه، فيخضب به لحيته الشريفة). (المجالس الفاخرة ص ٣٠٩)

دخوله عليه السلام قبل الفجر إلى مسجد الكوفة وجاء أمير المؤمنين عليه السلام حتى دخل المسجد والقناديل قد خمد ضوءها، فصلى في المسجد ورده وعقب ساعة، ثم قام وصلى ركعتين، وكان في المسجد عدد من الناس يحيون ليله أو قسما منه بالعبادة.

وجاء ابن ملجم في تلك الليلة إلى قطام في خبائها الذي نصبته في المسجد بحجة أنها معتكفة لعبادة ربها! ودخل عليها ابن ملجم وشريكه شبيب بن بجرة، فدعت لهما ولوردان، وعصبت صدورهم بحرير! (فأقبل به حتى دخلا على قطام، وهي معتكفة في المسجد الأعظم قد ضربت لها قبة، فقالا لها: قد أجمع رأينا على قتل هذا الرجل، قالت لهما: فإذا أردتما ذلك فألقيا في هذا الموضع فانصرفا من عندها فلبثا أياما ثم أتياها، ومعهما وردان بن مجالد، الذي كلفته مساعدة ابن ملجم). (شر النهج: ٦ / ١١٤)

وأَمْضَى ابن ملجم ليلته ساهرا يتحدث مع الأشعث في مسجد الضرار الذي بناه الأشعث قرب بيته، فكان يصلي فيه مع جماعته المنافقين، ولا يصلون خلف علي عليه السلام في مسجد الكوفة الأعظم! وجاء الأشعث مع ابن ملجم إلى المسجد ليساعده، وسمعه حجر بن عدي يقول له: النجاء النجاء لحاجتك، فقد فضحك الصبح! فركض حجر نحو المسجد فسبقه ابن ملجم وشبيب وكمنوا لأمير المؤمنين عليه السلام مقابل السدة والمحراب، خلف أسطوانات المسجد.

كان أمير المؤمنين عليه السلام يصلي نافلة الفجر، فلما كان في السجدة الثانية من الركعة الثانية، هاجمه اللعينان فضربه شبيب بن بجره على رأسه فأخطأه ووقعت ضربته في الطاق، ثم ضربه اللعين ابن ملجم وهو يقول: الحكم لله لا لك يا علي ولا لأصحابك! فوقعت الضربة على قرنه على مكان ضربة عمرو بن ود، وأخذت من مفرق رأسه إلى موضع السجود! فلم يصرخ عليه السلام ولم يتأوه، بل قال: بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله، هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، فزت ورب الكعبة، ثم صاح: قتلني ابن ملجم، لا يفوتكم!

فلما سمع الناس الضجة قام كل من في المسجد وأحاطوا بأمير المؤمنين عليه السلام وهو يشد رأسه بمئزره، والدم يجري على وجهه ولحيته، وقد خضبت بدمائه، وهو يقول: هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله صلى الله عليه وآله. وارتفعت صرخات الناس ونداؤهم في المسجد: وا إماماه وا أمير المؤمنيناه، فلما سمعها الحسن والحسين صلى الله عليه وآله ناديا: وا أبتاه وا علياه ليت الموت أعدمنا الحياة! وجاء الحسن عليه السلام فصلى بالناس وأمير المؤمنين عليه السلام يصلي إيماء من جلوس، وهو يمسح الدم عن وجهه ولحيته الشريفة.

فما كان إلا ساعة وإذا بزمرة من الناس جاؤوا بعدو الله ابن ملجم مكتوفاً، هذا

يلعنه وهذا يبصق في وجهه، ويقولون له: يا عدو الله ماذا صنعت؟ أهلكت أمة محمد صلى الله عليه وآله وقتلت خير الناس! وهو صامت وبين يديه رجل يقال له حذيفة النخعي بيده سيف مشهور يرد الناس عن قتله وهو يقول: هذا قاتل أمير المؤمنين! فلما نظر إليه الحسن عليه السلام قال له: ويلك يا عدو الله أنت قاتل أمير المؤمنين ومثكلنا بإمام المسلمين، هذا جزاؤه منك؟! فقال له اللعين: يا أبا محمد فأنت تنقذ من في النار! فعند ذلك ضج الناس بالبكاء والنحيب فأمرهم الحسن عليه السلام بالسكوت).
أمرهم أن يحملوه إلى البيت

قال محمد بن الحنفية: ثم إن أبي قال: إحملوني إلى موضع مصلاي في منزلي. قال: فحملناه إليه وهو مدنف، والناس حوله، وهم في أمر عظيم، وقد أشرفوا على الهلاك من شدة البكاء والنحيب! ثم أدخل إلى حجرته عليه السلام في محرابه. وأقبلت زينب وأم كلثوم تندبانه وتقولان: يا أبتاه من للصغير حتى يكبر، ومن للكبير بين الملاء، يا أبتاه حزننا عليك طويل، وعبرتنا لا ترقأ!
فضج الناس بالبكاء من وراء الحجرة، وفاضت دموع أمير المؤمنين عليه السلام وجعل ينظر إلى أهل بيته وأولاده.

وجاؤا باللعين ابن ملجم مكتوفا، فقالت له أم كلثوم وهي تبكي: يا ويلك أما أبي فأرجو أن لا يكون عليه بأس، وأن الله يخزيك في الدنيا والآخرة، وأن مصيرك إلى النار خالدا فيها. فقال اللعين: إبك إن كنت باكية، فوالله لقد اشتريت سيفي بألف وسممته بألف، ولو كانت ضربتي هذه لجميع أهل الكوفة ما نجا منهم أحد! فصرخت أم كلثوم ونادت: وا أبتاه وا عليها!
وَأدخِلُوا ابْنَ مَلْجَمٍ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: أَطِيبُوا طَعَامَهُ، وَأَلِينُوا فَرَاشَهُ، فَإِنْ أَعَشَ فَأَنَا وَلِي دَمِي، إِمَّا عَفُوا وَإِمَّا قَصَّاصًا، وَإِنْ أَمَّتْ فَأَلْحِقُوهُ بِي ضَرْبَةً بَضْرِبَةٍ

ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين. يا بني عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوفا تقولون قتل أمير المؤمنين، لا يقتلن في إلا قاتلي، أنظروا إذا أنا مت من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة، ولا يمثل بالرجل، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور.

ثم دعا أمير المؤمنين الحسن والحسين فكلهما وحضنهما وقبلهما، ثم أغمي عليه ساعة طويلة وأفاق، فناوله الحسن قعبا من لبن فشرب منه قليلا، ثم نحا عن فيه، وقال: إحملوه إلى أسيركم! (الأنوار العلوية للنقدي ص ٣٨٣).

استدعوا طبيب الجراحات الصعبة

قال حبيب بن عمرو: دخلت على سيدي ومولاي أمير المؤمنين عليه السلام وعنده الأشراف من القبائل وشرطة الخميس، وما منهم أحد إلا وماء عينيه يترقرق على سوادها حزنا لأمر المؤمنين عليه السلام، ورأيت الحسن والحسين صلى الله عليه وآله ومن معهما من الهاشميين، وما تنفس منهم أحد إلا وظننت أن شظايا قلبه تخرج مع نفسه، وقد أرسلوا خلف أثير بن عمرو الجراح، وكان يعالج الجراحات الصعبة، فلما نظر أثير إلى جرح أمير المؤمنين عليه السلام دعا برئة شاة حارة، فاستخرج منها عرقا وأدخله في الجرح، ثم نفخه ثم استخرجه، وإذا عليه بياض الدماغ. فقال الناس: يا أثير كيف جرح أمير المؤمنين عليه السلام فخرس أثير عن جوابهم وتلجلج. ثم قال: يا أمير المؤمنين أعهد عهدك فإن عدو الله قد وصلت ضربته إلى أم رأسك! فدعا علي عليه السلام عند ذلك بدواة وصحيفة، وكتب وصيته:

هذا ما أوصى به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، أوصى بأنه يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، صلوات الله وبركاته عليه، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين.

أوصيك يا حسن وجميع ولدي وأهل بيتي ومن بلغه كتابي هذا، بتقوى الله ربنا وربكم
ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، فإني سمعت
رسول الله يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام، وإن المبيرة حالقة
الدين: إفساد ذات البين، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
أنظروا إلى ذوي أرحامكم فصلوها، يهون الله عليكم الحساب.
والله الله في الأيتام، فلا تغيرن أفواههم بجفوتكم.
والله الله في جيرانكم، فإنها وصية نبيكم صلى الله عليه وآله، فما زال يوصينا بهم حتى
ظننا أنه سيورثهم الله.
والله الله في القرآن، فلا يسبقنكم بالعمل به غيركم.
والله الله في الصلاة، فإنها عماد دينكم.
والله الله في صيام شهر رمضان، فإنه جنة من النار.
والله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم.
والله الله في زكاة أموالكم، فإنها تطفئ غضب ربكم.
والله الله في أهل بيت نبيكم، فلا يظلمن بين أظهركم.... الخ.
وكانت هذه هي وصيته العامة صلوات الله عليه.
فعند ذلك يئس الناس من أمير المؤمنين عليه السلام وقام لهم بكاء وعويل، فسكتهم
الحسن عليه السلام لكيلا تهيج النساء ويضطرب أمير المؤمنين عليه السلام، فسكتوا
وصاروا ينشجون نشيجا خفيفا، إلا الأصبغ بن نباتة شرق بعبرته وبكى بكاء عاليا،
فأفاق أمير المؤمنين من غشوته فقال: لا تبك فإنها والله الجنة، فقال نعم يا أمير
المؤمنين وأنا أعلم والله أنك تصير إلى الجنة، وإنما أبكي لفراقك يا سيدي.
قال حبيب بن عمرو: فما أحببت أن الأصبغ يتكلم بهذا الكلام مع أمير المؤمنين عليه
السلام، فأردت أن أرفع ما وقع في قلب أمير المؤمنين من كلام الأصبغ

فقلت: لا بأس عليك يا أبا الحسن، فإن هذا الجرح ليس بضائر، وما هو بأعظم من ضربة عمرو بن عبد ود، فإن البرد لا يزلزل الجبل الأصم، ولفحة الهجير لا تجفف البحر الخصم، والليث يضرى إذا خدش، والصل يقوى إذا ارتعش! فنظر إلي نظرة رافة ورحمة وقال: هيهات يا ابن عمرو، نفذ القضاء، وأبرم المحتوم، وجرى القلم بما فيه، وإني مفارقك. فسمعت أم كلثوم كلامه فبكت، فقال لها أمير المؤمنين: يا بنية لو رأيت مثل ما رأيت، لما بكيت على أبيك. قال حبيب فقلت له: وما الذي ترى يا أمير المؤمنين؟ قال: يا حبيب أرى ملائكة السماوات والنبين بعضهم في أثر بعض، وقوفا إلي يتلقوني، وهذا أخي محمد رسول الله صلى الله عليه وآله جالس عندي يقول: أقدم فإن أمامك خير لك مما أنت فيه، قال: فما خرجت من عنده حتى توفي صلوات الله عليه). (الأنوار العلوية للنقدي ص ٣٣٢).

ليلة العشرين من رمضان
قال محمد بن الحنفية: بتنا ليلة عشرين من شهر رمضان مع أبي، وقد نزل السم إلى قدميه، وكان يصلي تلك الليلة من جلوس، ولم يزل يوصينا بوصايا يعزينا عن نفسه، ويخبرنا بأمره إلى حين طلوع الفجر، فلما أصبح استأذن الناس عليه فأذن لهم بالدخول فدخلوا وأقبلوا يسلمون عليه وهو يرد عليهم ويكلمهم، ثم قال: أيها الناس سلوني قبل أن تفقدوني، وخففوا سؤالكم، لمصيبة إمامكم! قال فبكى الناس بكاء شديدا وأشفقوا ان يسألوه تخفيفا، فقام إليه حجر بن عدي الطائي وقال: يا أسفي على المولى التقي * أبي الأطهار حيدرة الزكي
قتيلا قد غدا بحسام نغل * لعين فاسق رجس شقي
فلما بصر به عليه السلام وسمع شعره قال له: كيف بك يا حجر إذا دعيت إلى البراءة مني فما عساك أن تقول؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين لو قطعت بالسيف إربا إربا

وأضرم لي النار وألقيت فيها، لآثرت ذلك على البراءة منك! فقال: وفقت لكل خير يا حجر، جزاك الله خيرا عنا أهل البيت). (الأنوار العلوية للنقدي ص ٣٨٤).
(قال الأصبغ بن نباتة: لما ضرب علي عليه السلام الضربة التي مات فيها، كنا عنده ليلا فأغمي عليه فأفاق فنظر إلينا، فقال: ما يجلسكم؟ فقلنا: حبك يا أمير المؤمنين. فقال: أما والذي أنزل التوراة على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود والفرقان على محمد رسول الله: صلى الله عليه وآله لا يحبني عبد إلا رأني حيث يسره، ولا يبغضني عبد إلا رأني حيث يكرهه. إن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرني أنني أضرب في ليلة تسع عشرة من شهر رمضان في الليلة التي مات فيها موسى عليه السلام، وأموت في ليلة إحدى وعشرين تمضي من شهر رمضان، في الليلة التي رفع فيها عيسى عليه السلام.

قال الأصبغ: فمات والذي لا إله إلا هو، فيها). (شرح الأخبار: ٢ / ٤٤٦).

ليلة إحدى وعشرين من رمضان
قال محمد بن الحنفية: لما كانت إحدى وعشرين وأظلم الليل، وهي الليلة الثانية من الكائنة، جمع أبي أولاده وأهل بيته وودعهم، ثم قال لهم: الله خليفتي عليكم وهو حسبي ونعم الوكيل، وأوصى الجميع بلزوم الإيمان والأحكام التي أوصى بها رسول الله صلى الله عليه وآله.

وفي الكافي: ١ / ٢٩٧: (عن سليم بن قيس قال: شهدت وصية أمير المؤمنين عليه السلام حين أوصى إلى ابنه الحسن، وأشهد على وصيته الحسين صلى الله عليه وآله ومحمدا وجميع ولده، ورؤساء شيعته وأهل بيته، ثم دفع إليه الكتاب والسلاح وقال لابنه الحسن: يا بني أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أوصي إليك وأن أدفع إليك كتبي وسلاحي، كما أوصى إلي رسول الله صلى الله عليه وآله ودفع إلي كتبه وسلاحه، وأمرني أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين، ثم أقبل علي ابنه الحسين فقال: أمرك رسول الله صلى الله عليه وآله أن تدفعها إلى ابنك هذا، ثم أخذ بيد علي بن الحسين، ثم قال

لعلي بن الحسين: وأمرك رسول الله صلى الله عليه وآله أن تدفعها إلى ابنك محمد بن علي، واقرأه من رسول الله صلى الله عليه وآله ومني السلام).
(قال الأصمغ بن نباتة: عدونا على أمير المؤمنين عليه السلام أنا والحرث بن سويد بن غفلة وجماعة، فقعدنا على الباب، فسمعنا البكاء فبكينا، فخرج إلينا الحسن بن علي عليه السلام فقال: يقول لكم أمير المؤمنين انصرفوا إلي منازلكم، فانصرف القوم غيري، واشتد البكاء في منزله فبكيت، وخرج الحسن فقال: ألم أقل لكم انصرفوا؟ فقلت لا والله يا بن رسول الله ما تتابعني نفسي ولا تحملي رجلاي أن أنصرف حتى أرى أمير المؤمنين عليه السلام. قال: فدخل ولم يلبث أن خرج فقال لي أدخل، فدخلت على أمير المؤمنين فإذا هو مستند معصوب الرأس بعمامة صفراء، قد نزف دمه واصفر وجهه، ما أدري وجهه أصفر أم العمامة! فأكبت عليه فقبلته وبكت، فقال لي: لا تبك يا أصمغ، فإنها والله الجنة، فقلت له: جعلت فداك إني أعلم والله أنك تصير إلى الجنة، وإنما أبكي لفقداني إياك يا أمير المؤمنين! ثم زاد ولوج السم في جسده الشريف، حتى نظرنا إلى قدميه وقد احمرتا جميعا، فكبر ذلك علينا وأيسنا منه، ثم أصبح ثقيلًا، فدخل الناس عليه فأمرهم ونهاهم، ثم أعرضنا عليه المأكول والمشروب فأبى أن يأكل أو يشرب، فنظرنا إلى شفثيه وهما يختلجان بذكر الله تعالى، وجعل جبينه يرشح عرقا وهو يمسحه بيده قلت: يا أبتاه أراك تمسح جبينك، فقال: يا بني إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول إن المؤمن إذا نزل به الموت ودنت وفاته عرق جبينه وصار كاللؤلؤ الرطب وسكن أنينه. ثم قال عليه السلام: يا أبا عبد الله ويا عون، ثم نادى أولاده كلهم بأسمائهم صغيرا وكبيرا واحدا بعد واحد، وجعل يودعهم ويقول: الله خليفتي عليكم، أستودعكم الله وهم ييكون.... ثم التفت إلى أولاده الذين هم من غير فاطمة عليها السلام وأوصاهم أن يطيعوا الحسن والحسين صلى الله عليه وآله ثم قال: أحسن الله لكم العزاء، ألا وإني

منصرف عنكم وراحل في ليلتي هذه ولاحق بحبيبي محمد صلى الله عليه وآله كما وعدني، وما زال يتشهد الشهادتين، ثم استقبل القبلة وغمض عينيه ومد رجليه وأسبل يديه، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ثم قضى نحبه صلوات الله عليه.

وارتفعت الصيحة في بيت الإمام عليه السلام وحوله في منطقة القصر، فعلم أهل الكوفة أن أمير المؤمنين عليه السلام قد قبض، فأقبل النساء والرجال يهرعون أفواجا أفواجا، وصاحوا صيحة عظيمة فارتجت الكوفة بأهلها، وكثر البكاء والنحيب والضجيج بالكوفة وقبائلها ودورها وأقطارها، فكان ذلك كيوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، وكنا نسمع جلبة وتسيحا في الهواء فعلمنا أنها أصوات الملائكة، فلم يزل كذلك إلى أن طلع الفجر). (الأنوار العلوية للنقدي ص ٣٨٣).

أوصى عليه السلام أن يدفنه سرا لئلا ينبش قبره بنو أمية! أوصى أمير المؤمنين ولده الإمام الحسن عليه السلام فقال له: (إذا أنا مت فغسلني وكفني وحنطني ببقية حنوط جدك رسول الله، فإنه من كافور الجنة جاء به جبرئيل عليه السلام إليه، ثم ضعني على سريري، ولا يتقدم أحد منكم يحمل السرير، واحملوا مؤخره واتبعوا مقدمه، فأى موضع وضع المقدم فضعوا المؤخر، فحيث أقام سريري فهو موضع قبري، ثم تقدم يا أبا محمد وصل علي يا بني يا حسن وكبر علي سبعا، واعلم أنه لا يحل ذلك لأحد غيري، إلا على رجل يخرج في آخر الزمان اسمه القائم المهدي من ولد الحسين عليه السلام، يقيم إعوجاج الحق. فإذا أنت صليت علي فنج السرير عن موضعه، ثم اكشف التراب عنه فترى قبراً محفورا ولحدا مثقوبا وساجة منقورة، فأضعجني فيها، فإذا أردت الخروج من قبري فافتقدني فإنك لا تجدني وإني لاحق بجدك رسول الله صلى الله عليه وآله، واعلم يا بني ما من نبي يموت وإن كان مدفونا بالمشرق ويموت وصيه بالمغرب إلا ويجمع الله عز وجل بين روحيهما وجسديهما ثم يفترقان

فيرجع كل واحد منهما إلى موضع قبره وإلى موضعه الذي حط فيه، ثم أشرح اللحد وأهل التراب علي، ثم غيب قبري.

قال محمد بن الحنفية: أخذنا في جهازه ليلاً، وكان الحسن يغسله والحسين يصب عليه الماء، وكان جسده يتقلب كما يريد الغاسل يمينا وشمالاً، وكانت رائحته أطيب من رائحة المسك والعنبر. ثم نادى الحسن عليه السلام أخته زينب وقال يا أختاه هلمي بحنوط جدي رسول الله صلى الله عليه وآله فأنته به، فلما فتحتة فاحت الدار وجميع الكوفة وشوارعها من رائحة طيبه، ثم لفوه بخمسة أثواب كما أمر ثم وضعوه على السرير، وتقدم الحسن والحسين صلى الله عليه وآله ورفعوا السرير من مؤخره، وإذا مقدمه قد ارتفع ولا يرى حامله، وكان حامله من مقدمه جبرئيل وميكائيل، والله لقد نظرت إلى السرير وإنه ليمر بالحيطان والنخل فتنحني له خشوعاً، فلما انتهينا إلى قبره وإذا مقدم السرير قد وضع، فوضع الحسن عليه السلام مؤخره وصلى عليه والجماعة خلفه، فكبر سبعا كما أمر به أبوه، ثم زحزحنا سريره وكشفنا التراب فإذا نحن بقبر محفور ولحد مشقوق وساجة منقورة مكتوب عليها: هذا ما ادخره نوح النبي للعبد الطاهر المطهر علي بن أبي طالب، فلما أرادوا نزوله سمعوا هاتفا يقول: أنزلوه إلى التربة الطاهرة، فقد اشتاق الحبيب إلى حبيبه، فدهش الناس عند ذلك. وألحد أمير المؤمنين عند طلوع الفجر. فدفناه فيها وانصرفنا ونحن مسرورون بإكرام الله لأمر المؤمنين عليه السلام). (البحار: ٤٢ / ٢٩٤).

* *

رثاء الخضر لأمير المؤمنين صلى الله عليه وآله
(عن أسيد بن صفوان صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لما كان اليوم الذي
قبض فيه أمير المؤمنين عليه السلام ارتج الموضع بالبكاء، ودهش الناس كيوم قبض
النبي صلى الله عليه وآله وجاء رجل باكيا وهو مسرع مسترجع وهو يقول: اليوم
انقطعت خلافة النبوة حتى وقف على باب البيت الذي فيه أمير المؤمنين عليه السلام
فقال:

رحمك الله يا أبا الحسن، كنت أول القوم إسلاما، وأخلصهم أيمانا، وأشدّهم يقينا،
وأخوفهم لله، وأعظمهم عناء، وأحوطهم على رسول الله صلى الله عليه وآله، وآمنهم
على أصحابه، وأفضلهم مناقب، وأكرمهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأقربهم من رسول
الله صلى الله عليه وآله، وأشبههم به هديا وخلقا وسمتا وفعلا، وأشرفهم منزلة،
وأكرمهم عليه، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسوله وعن المسلمين خيرا.
قويت حين ضعف أصحابه، وبرزت حين استكانوا، ونهضت حين وهنوا، ولزمت
منهاج رسول الله صلى الله عليه وآله إذ هم أصحابه، وكنت خليفته حقا، لم تنازع ولم
تضرع برغم المنافقين وغيظ الكافرين وكره الحاسدين وصغر الفاسقين! فقامت بالأمر
حين فشلوا، ونطقت حين تتعتعوا، ومضيت بنور الله إذ وقفوا، فاتبعوك فهدوا. وكنت
أخفضهم صوتا، وأعلاهم قنوتا، وأقلهم كلاما، وأصوبهم نطقا، وأكبرهم رأيا،
وأشجعهم قلبا، وأشدّهم يقينا، وأحسنهم عملا، وأعرفهم بالأمور.
كنت والله يعسوبا للدين أولا وآخرا: الأول حين تفرق الناس، والآخر حين فشلوا!
كنت للمؤمنين أبا رحيمًا، إذ صاروا عليك عيالا، فحملت أثقال ما عنه ضعفوا،
وحفظت ما أضعوا، ورعيت ما أهملوا، وشمرت إذ اجتمعوا، وعلوت إذ هلعوا،
وصبرت إذ أسرعوا، وأدركت أوتار ما طلبوا، ونالوا بك ما لم يحتسبوا.
كنت على الكافرين عذابا صبا ونهبا، وللمؤمنين عمدا وحصنا، فطرت والله بنعمائها
وفزت بحبائنها، وأحرزت سوابقها، وذهبت بفضائلها، لم تفلل حجتك،

ولم يزغ قلبك، ولم تضعف بصيرتك، ولم تجبن نفسك ولم تخر.
كنت كالجبل لا تحركه العواصف، وكنت كما قال: أمن الناس في صحبتك وذات
يدك، وكنت كما قال: ضعيفا في بدنك قويا في أمر الله، متواضعا في نفسك عظيما
عند الله، كبيرا في الأرض جليلا عند المؤمنين.

لم يكن لأحد فيك مهمز، ولا لقائل فيك مغمز، ولا لأحد فيك مطمع، ولا لأحد عندك
هوادة، الضعيف الدليل عندك قوي عزيز حتى تأخذ له بحقه، والقوي العزيز عندك
ضعيف ذليل حتى تأخذ منه الحق، والقريب والبعيد عندك في ذلك سواء، شأنك الحق
والصدق والرفق، وقولك حكم وحتم، وأمرك حلم وحزم، ورأيك علم وعزم فيما
فعلت.

وقد نهجت السبيل، وسهلت العسير، وأطفأت النيران، واعتدل بك الدين، وقوي بك
الإسلام، فظهر أمر الله ولو كره الكافرون، وثبت بك الإسلام والمؤمنون، وسبقت سبقا
بعيدا، وأتعبت من بعدك تعباً شديداً، فجللت عن البكاء، وعظمت رزيتك في السماء،
وهدت مصيبتك الأنام، فإننا لله وإنا إليه راجعون، رضينا عن الله قضاها، وسلمنا لله
أمره، فوالله لن يصاب المسلمون بمثلك أبداً.

كنت للمؤمنين كهفاً وحصناً، وقنة راسياً، وعلى الكافرين غلظة وغيظاً، فألحقك الله
بنبيه، ولا أحرماناً أجرك، ولا أضلنا بعدك.
وسكت القوم حتى انقضى كلامه، وبكى وبكى أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وآله، ثم طلبوه فلم يصادفوه). (الكافي: ١ / ٤٥٤) *

رثاء صعصعة بن صوحان لأمير المؤمنين عليه السلام
لما ألد أمير المؤمنين وقف صعصعة بن صوحان العبدى على القبر، ثم قال: بأبي أنت
وأمي يا أمير المؤمنين. هنيئاً لك يا أبا الحسن، فقد طاب مولدك

وقوي صبرك، وعظم جهادك، وظفرت برأيك، وربحت تجارتك، وقد قدمت على خالقك، فتلقاك الله بشارته، وحفتك ملائكته، واستقررت في جوار المصطفى، فأكرمك الله بجواره، ولحقت بدرجة أخيك المصطفى، وشربت بكأسه الأوفى. فأسأل الله أن يمن علينا باقتفاء أثرك، والعمل بسيرتك، والموالاتة لأوليائك والمعاداة لأعدائك، وأن يحشرنا في زمرة أوليائك، فقد نلت ما لم ينله أحد، وأدركت ما لم يدركه أحد، وجاهدت في سبيل ربك بين يدي أخيك المصطفى حق جهاده، وقمت بدين الله حق القيام، حتى أقمت السنن وأبرت الفتن، واستقام الإسلام وانتظم الإيمان، فعليك مني أفضل الصلاة والسلام.

بك اشتد ظهر المؤمنين، واتضحت أعلام السبل وأقيمت السنن، وما جمع لأحد مناقبك وخصالك، سبقت إلى إجابة النبي صلى الله عليه وآله مقدما مؤثرا، وسارعت إلى نصرته، ووقيته بنفسك، ورميت بسيفك ذا الفقار في مواطن الخوف والحذر، وقسم الله بك كل جبار عنيد، وذل بك كل ذي بأس شديد، وهدم بك حصون أهل الشرك والبغي والكفر والعدوان والردى، وقتل بك أهل الضلال من العدى، فهنيئا يا أمير المؤمنين، كنت أقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه وآله، وأولهم سلما، وأكثرهم علما وفهما.

فهنيئا لك يا أبا الحسن، لقد شرف الله مقامك، وكنت أقرب الناس إلى رسول الله نسبا، وأولهم إسلاما، وأكثرهم علما، وأوفاهم يقينا، وأشدهم قلبا، وأبذلهم لنفسه مجاهدا، وأعظمهم في الخير نصيبا، فلا حرمننا الله أجرك ولا أضلنا بعدك، فوالله لقد كانت حياتك مفتح للخير ومغالق للشر، وإن يومك هذا مفتاح كل شر، ومغلاق كل خير، ولو أن الناس قبلوا منك لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ولكنهم آثروا الدنيا على الآخرة!! ثم بكى بكاء شديدا

وأبكي كل من كان معه، وعدلوا إلى الحسن والحسين صلى الله عليه وآله ومحمد
وجعفر والعباس وعون وعبد الله فعزوهم في أبيهم عليه السلام). (الأنوار العلوية ص
٢٨٨).

* *

من رثاء الشعراء لأمير المؤمنين عليه السلام
قال أبو الأسود الدؤلي رحمه الله
ألا يا عين ويحك فاسعدينا * ألا أبكي أمير المؤمنين
قتلتهم خير من ركب المطايا * وأكرمهم ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها * ومن قرأ المثنائي والمئينا
إذا استقبلت وجه أبي حسين * رأيت البدر راع الناظرينا
يقيم الحد لا يرتاب فيه * ويقضي بالفرايض مستيينا
ألا أبلغ معاوية بن حرب * فلا قرت عيون الشامتينا
أفي الشهر الحرام فجعثمونا * بخير الناس طرا أجمعينا
ومن بعد النبي فخير نفس * أبو حسن وخير الصالحينا
كأن الناس إذ فقدوا عليا * نعام جال في بلد سنينا
وكنا قبل مهلكه بخير * نرى فينا وصي المسلمينا
فلا والله لا أنسى عليا * وحسن صلاته في الراكعينا
لقد علمت قريش حيث كانت * بأنك خيرهم حسبا وديننا
فلا تشمت معاوية بن حرب * فإن بقية الخلفاء فينا

وقال المصري رحمه الله
غصبتم ولي الحق مهجة نفسه * وكان لكم غضب الأمانة مقنعا
وألحمتم آل النبي سيوفكم * تفري من السادات سوقا وأذرعنا
ضغائن بدر أظهرتها وجاهرت * بما كان منها في الجوانح مودعا
لوى عذره يوم الغدير بحقه * وأعقبه يوم البعير واتبعنا
وحاربه القرآن عنه فما ارعوى * وعاتبه الإسلام فيه فما رعا
وقال دعبل الخزاعي رحمه الله
سلام بالغداة وبالعشي * على جدث بأكناف الغري
ولا زالت غزال النور تزجي * إليه صباة المزن الروي
ألا يا حبذا ترب بنجد * وقبر ضم أوصال الوصي
وصي محمد بأبي وأمي * وأكرم من مشى بعد النبي
(مناقب آل أبي طالب: ٣ / ٩٧ - ١٠١)

فرح معاوية وتأسفه لمقتل أمير المؤمنين عليه السلام!
في نهج السعادة: ٨ / ٥٠٧: (ولما بلغ نعي أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية فرح فرحا شديدا... وفي رواية الراغب عن شريك أنه كان متكئا فاستوى جالسا، ثم قال: يا جارية غيني، فاليوم قرت عيني). انتهى.
أقول: لكن العبارة المشهورة عن معاوية أنه لما بلغه مقتل علي عليه السلام تأسف على موت العلم والفقهاء بموته! وكلا الروايتين طبيعيتان.
أما فرحه وإقامته مجلس غناء وشراب فواضح، لأن أمير المؤمنين عليه السلام كان أكبر عقبة أمام مشروعه الدنيوي وهو إقامة إمبراطورية أموية!
وأما تأسفه على خسارة الأمة للعلم والفقهاء، فهو تأسف على خسارته هو لأنه كان كلما أشكلت عليه مسألة، أو سأله عنها الروم والنصارى واليهود، لجأ إلى علي عليه السلام وأرسل إليه بواسطة أحد وسأله عنها! وكان علي عليه السلام يعرف ذلك، لكنه يريد نصرة الإسلام وتطبيق شرع الله تعالى، حتى لو استفاد منه معاوية!
ففي كتاب فتح الملك العلي للحافظ المغربي ص ٧٤: (ذكر ابن عبد البر أنه كان يكتب فيما ينزل به ليسأل علي بن أبي طالب، فلما بلغه قتله قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب). (الإستيعاب ٢ / ٤٦٣).
وذكر السيد الأمين في عجائب أحكام أمير المؤمنين عليه السلام ص ١٣٩، أن معاوية بعث رجلا متخفيا ليسأل أمير المؤمنين عليه السلام عن مجموعة مسائل مشكلة.
وقال فقيه إيماني في آراء الخلفاء في الإمام علي عليه السلام ص ١٦٢: (أخرج الإمام مالك والشافعي، وسعيد بن منصور بن شعبة المروزي، وعبد الرزاق، والبيهقي بإسنادهم جميعا عن سعيد بن المسيب قال: إن رجلا من أهل الشام يقال له ابن

خبيري وجد مع امرأته رجلا فقتله أو قتلها معا، فأشكل علي معاوية بن أبي سفيان القضاء فيه، فكتب إلى أبي موسى الأشعري يسأل له علي بن أبي طالب عن ذلك. فسأل أبو موسى عن ذلك علي بن أبي طالب، فقال له علي: إن هذا الشيء ما هو بأرضي عزمت عليك لتخبرني! فقال له أبو موسى: كتب إلي معاوية بن أبي سفيان أن أسألك عن ذلك. فقال علي: أنا أبو الحسن القرم، إن لم يأت بأربعة شهداء فليعط برمته). انتهى.

وقال المناوي في فيض القدير: ٤ / ٤٦٩، في شرح قول النبي صلى الله عليه وآله (علي عيبة علمي): (أي مظنة استفصاحي وخاصتي، وموضع سري، ومعدن نفائسي. والعيبة ما يحرز الرجل فيه نفائسه. قال ابن دريد: وهذا من كلامه الموجز الذي لم يسبق ضرب المثل به في إرادة اختصاصه بأموره الباطنة التي لا يطلع عليها أحد غيره، وذلك غاية في مدح علي، وقد كانت ضمائر أعدائه منطوية على اعتقاد تعظيمه. وفي شرح الهمزية: أن معاوية كان يرسل يسأل عليا عن المشكلات فيجيبه، فقال له أحد بنيه: تجيب عدوك؟! قال: أما يكفيننا أن احتاجنا وسألنا). انتهى.

وفي نفس الوقت نجد أن أمير المؤمنين عليه السلام تأسف عندما وقعت الكتب التي كتبها لمحمد بن أبي بكر رحمه الله في يد معاوية، لأنه سيستطيل بها ويسئ استغلالها! قال الثقفى في الغارات: ١ / ٢٥٠: (فلما ظهر عليه (محمد بن أبي بكر رحمه الله) وقتله، أخذ عمرو بن العاص كتبه أجمع، فبعث بها إلى معاوية بن أبي سفيان، وكان معاوية ينظر في هذا الكتاب ويعجبه (كتاب القضاء الذي كتبه له علي عليه السلام) فقال الوليد بن عقبة وهو عند معاوية لما رأى إعجاب معاوية به: مر بهذه الأحاديث أن تحرق، فقال له معاوية: مه يا ابن أبي معيط، إنه لا رأي لك، فقال له الوليد: إنه لا رأي لك! أفمن الرأي أن يعلم الناس أن أحاديث أبي تراب عندك تتعلم منها وتقضي بقضائه! فعلام تقاتله! فقال معاوية: ويحك أتأمرني أن أحرق علما مثل هذا!

والله ما سمعت بعلم أجمع منه ولا أحكم ولا أوضح! فقال الوليد: إن كنت تعجب من علمه وقضائه فعلام تقاتله! فقال معاوية: لولا أن أبا تراب قتل عثمان، ثم أفتانا لأخذنا عنه! ثم سكت هنيئة ثم نظر إلى جلسائه فقال: إنا لا نقول إن هذه من كتب علي بن أبي طالب ولكننا نقول: إن هذه من كتب أبي بكر الصديق كانت عند ابنه محمد، فنحن نقضي بها ونفتي! فلم تزل تلك الكتب في خزائن بني أمية حتى ولي عمر بن عبد العزيز فهو الذي أظهر أنها من أحاديث علي بن أبي طالب! فلما بلغ علي أبي طالب أن ذلك الكتاب صار إلى معاوية اشتد ذلك عليه. قال أبو إسحاق..... صلى بنا علي فلما انصرف قال:

لقد عثرت عثرة لا أعتذر... سوف أكيس بعدها وأستمر... وأجمع الأمر الشتيت المنتشر

قلنا: ما بالك يا أمير المؤمنين سمعنا منك كذا؟ قال: إني استعملت محمد بن أبي بكر علي مصر، فكتب إلي أنه لا علم لي بالسنة، فكتبت إليه كتابا فيه السنة فقتل وأخذ الكتاب). انتهى.

أقول: في هذا النص دلالات عديدة، منها: اعتراف معاوية بعلم أمير المؤمنين عليه السلام وأنه ظالم في منازعة من هو أعلم منه. ومنها: أن معاوية الذي شهد له النبي صلى الله عليه وآله كما في البخاري بأنه إمام الفئة الباغية الداعية إلى النار، هو أيضا إمام في التزوير ونسبة كتب العلم إلى غير أصحابها! ومنها: أن خطة النبي والعترة صلى الله عليه وآله أن يصونوا العلم عن الأئمة المضلين، إلا قليلا منه، حتى لا يسيئوا استغلاله، وينكشف للمسلمين جهلهم وتسلطهم بغير حق! أما قول الراوي إن ابن عبد العزيز أظهر أنها أحاديث علي عليه السلام، فيكذبه الواقع! **

فرح عائشة بمقتل أمير المؤمنين عليه السلام وعدم تأسفها!
وقد وصلت إلينا نصوص عن فرحها أكثر مما وصل عن فرح معاوية!
قال المفيد رحمه الله في الحمل ص ٨٣: (هذا مع الأخبار التي لا ريب فيها ولا مريية
في صحتها لاتفاق الرواة عليها، أنها لما قتل أمير المؤمنين عليه السلام جاء الناعي فنعى
أهل المدينة، فلما سمعت عائشة بنعيه استبشرت وقالت متمثلة:

فإن يك ناعيا فلقد نعاه * لنا من ليس فيه التراب
فقال لها زينب بنت أبي سلمة: ألعلي تقولين هذا؟! فتضحكت، ثم قالت: أنسى، فإذا
نسيت فذكروني! ثم خرت ساجدة شكرا على ما بلغها من قتله، ورفعت رأسها وهي
تقول:

فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالإياب المسافر
هذا وقد روي عن مسروق أنه قال: دخلت عليها فاستدعت غلاما باسم عبد الرحمن،
قالت عبدي. قلت لها: فكيف سميت عبد الرحمن؟ قالت: جبا لعبد الرحمن بن ملجم،
قاتل علي)!

وقال الشيخ الطوسي في الإقتصاد ص ٢٢٨: (وروى الطبري في تاريخه أنه لما انتهى
قتل أمير المؤمنين عليه السلام إلى عائشة قالت:
فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالإياب المسافر
ثم قالت: من قتله؟ فقيل: رجل من مراد. فقالت:
فإن يك نائيا فلقد نعاه * غلام ليس فيه التراب
وهذا كله صريح بالإصرار وفقد التوبة).

وفي تقريب المعارف لأبي الصلاح الحلبي ص ٤١١:
(وقولها: وقد بشرها بعض عبيدها بقتل علي صلوات الله عليه:
فإن يك نائيا فلقد نعاه * ناع ليس فيه التراب!

ثم قالت للعبد: من قتله؟ قال: عبد الرحمن بن ملجم، قالت: فأنت حر لوجه الله، وقد سميتك عبد الرحمن. ثم تمثلت بيت آخر:
وألقت عصاها واستقر بها النوى* كما قر عينا بالإياب المسافر
مجاهرة بعداوة أمير المؤمنين، وغبطة بقتله!).
وشبيه به في الشافي: ٤ / ٣٥٥، عن الطبري، وهو في تاريخه: ٥ / ١٥٠، وقال
الشريف المرتضى: (وهذه سخرية منها بزینب وتمويه عليها، تخوفا من شناعتها،
ومعلوم ضرورة أن الناسي الساهي لا يتمثل بالشعر في الأغراض التي تطابق مراده، ولم
يكن ذلك منها إلا عن قصد ومعرفة). انتهى. (وذكر له في نهج السعادة: ٨ / ٥٠٧،
مصادر متعددة، وكذا في شرح إحقاق الحق: ٨ / ٨٠٣، منها الإستيعاب: ٢ / ٤٦٩.
وأورده السيد العاملي في خلفيات مأساة الزهراء: ٥ / ٤٢، وكتاب علي والخوارج: ١
/ ٢٥٠ و ذكر في مصادرہ: الطبقات: ٣ / ٤٠ ط سنة ١٤٠٥ هـ. وتلخيص الشافي: ٤
/ ١٥٧، وأخبار الموفقيات ص ١٣١. وذكر سجود عائشة شكرا السيد شرف الدين
في النص والاجتهاد ص ٤٧١ والمراجعات ٣١٩).

شركاء الجريمة: ابن ملجم والأشعث وقطام!
قال ابن سعد في الطبقات: ٣ / ٣٥: (انتدب ثلاثة نفر من الخوارج عبد الرحمن بن ملجم المرادي، وهو من حمير وعداده في مراد، وهو حليف بني جبلة من كندة والبرك بن عبد الله التميمي، وعمرو بن بكير التميمي، فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا وتعاهدوا ليقتلن هؤلاء الثلاثة: علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص، ويريدون العباد منهم. فقال عبد الرحمن بن ملجم: أنا لكم بعلي بن أبي طالب، وقال البرك: وأنا لكم بمعاوية، وقال عمرو بن بكير: أنا أكفيكم عمرو بن العاص، فتعاهدوا على ذلك وتعاهدوا وتوثقوا لا ينكص رجل منهم عن صاحبه الذي سمي ويتوجه إليه حتى يقتله، أو يموت دونه!

فاتعدوا بينهم ليلة سبع عشرة من شهر رمضان، ثم توجه كل رجل منهم إلى المصر الذي فيه صاحبه. فقدم عبد الرحمن بن ملجم الكوفة فلقي أصحابه من الخوارج، فكاتمهم ما يريد وكان يزورهم ويزورونه، فزار يوما نفرا من تيم الرباب فرأى امرأة منهم يقال لها قطام بنت شحنة بن عدي بن عامر بن عوف بن ثعلبة بن سعد بن ذهل بن تيم الرباب، وكان علي قتل أباه وأخاها يوم نهران فأعجبته فخطبها فقالت: لا أتزوجك حتى تسمي لي، فقال لا تسأليني شيئا إلا أعطيتك! فقالت: ثلاثة آلاف وقاتل علي بن أبي طالب! فقال: والله ما جاء بي إلى هذا المصر إلا قتل علي بن أبي طالب، وقد آتيتك ما سألت.

ولقي عبد الرحمن بن ملجم شبيب بن بجرة الأشجعي فأعلمه ما يريد ودعاه إلى أن يكون معه، فأجابه إلى ذلك، وبات عبد الرحمن بن ملجم تلك الليلة التي عزم فيها أن يقتل عليا في صبيحتها، يناجي الأشعث بن قيس الكندي في مسجده، حتى كاد أن يطلع الفجر فقال له الأشعث: فضحك الصبح فقم، فقام

عبد الرحمن بن ملجم وشبيب بن بجرة، فأخذا أسيافهما ثم جاءا حتى جلسا مقابل السدة التي يخرج منها علي... فقال بعض من حضر ذلك: فرأيت بريق السيف وسمعت قائلا يقول لله الحكم يا علي لا لك، ثم رأيت سيفا ثانيا فضربا جميعا، فأما سيف عبد الرحمن بن ملجم فأصاب جبهته إلى قرنه ووصل إلى دماغه، وأما سيف شبيب فوقع في الطاق، وسمعت عليا يقول لا يفوتنكم الرجل وشد الناس عليهما من كل جانب، فأما شبيب فأفلت، وأخذ عبد الرحمن بن ملجم فأدخل علي علي فقال: أطيبوا طعامه وألينوا فراشه، فإن أعش فأنا أولى بدمه عفوا أو قصاصا، وإن أمت فألحقوه بي أخاصمه عند رب العالمين!

وفي مناقب آل أبي طالب: ٣ / ٩٥. (وأما شبيب بن بجرة، فإنه خرج هاربا فأخذه رجل فصرعه وجلس على صدره، وأخذ السيف من يده ليقتله، فرأى الناس يقصدون نحوه، فخشى أن يعجلوا عليه فوثب عن صدره وخلاه، وطرح السيف عن يده ففاته، فخرج هاربا حتى دخل منزله، فدخل عليه ابن عم له فرآه يحل الحرير عن صدره، فقال له: ما هذا؟ لعلك قتلت أمير المؤمنين! فأراد أن يقول: لا، فقال: نعم، فمضى ابن عمه فاشتمل علي سيفه ثم دخل عليه فضربه حتى قتله). انتهى.

وفي أنساب الأشراف للبلاذري ص ٤٨٧: (فقدم ابن ملجم الكوفة وجعل يكتم أمره، فتزوج قطام بنت علقمة من تيم الرباب، وكان علي قتل أخاها، فأخبرها بأمره، وكان أقام عندها ثلاث ليال، فقالت له في الليلة الثالثة: لشد ما أحببت لزوم أهلك وبيتك، وأضربت عن الأمر الذي قدمت له! فقال: إن لي وقتا واعدت عليه أصحابي، ولن أجاوزه. ثم إنه قعد لعلي فقتله، ضربه على رأسه، وضرب ابن عم له عضادة الباب، فقال علي حين وقع به السيف: فزت ورب الكعبة).

الأشعث يتأكد من نجاح مؤامراته!
اتفقت الروايات على أن ابن ملجم من بني مراد، وكان عداؤه في كندة، أي تسجيل نفوسه ومسؤوليته الحقوقية والجنائية في كندة ورئسها الأشعث بن قيس!
وأن ابن ملجم دخل الكوفة قبل شهر من اغتياله لأمر المؤمنين عليه السلام ونزل ضيفا عند الأشعث! واتفقت الروايات على أن الأشعث كان رجل معاوية الأول في العراق، وأنه عمل بكل قدرته لإنجاح مؤامرة ابن ملجم في قتل أمير المؤمنين عليه السلام وأشرك عددا من رجاله فيها! فهل يعقل أن لا يكون معاوية وراءها أو في مجراها؟! قال في مقاتل الطالبين ص ٢٠: (وللأشعث بن قيس في انحرافه عن أمير المؤمنين أخبار يطول شرحها...). انتهى.

وقال البلاذري في أنساب الأشراف ص ٤٩٦: (وبعث الأشعث ابنه قيس بن الأشعث صبيحة ضرب علي فقال: أي بني أنظر كيف أصبح الرجل وكيف تره؟ فذهب فنظر إليه ثم رجع فقال: رأيت عينيه داخلتين في رأسه، فقال الأشعث: عيني دميغ ورب الكعبة). انتهى. (ومثله في طبقات ابن سعد: ٣ / ١٤٤،

وقال ابن الأثير في النهاية: ٢ / ١٣٣: (ومنه حديث علي: رأيت عينيه عيني دميغ. يقال رجل دميغ ومدموغ إذا خرج دماغه). (ومثله في لسان العرب: ٨ / ٤٢٤، وغيره). ولم يتنهأ الأشعث بقتل أمير المؤمنين عليه السلام، فقد هلك بعده بأيام يسيرة (تهذيب التهذيب: ١ / ٣١٣ وتاريخ دمشق: ٩ / ١٤٤) تاركا فرخيه جعدة ومحمد بن الأشعث، ليواسلا تأمر أبيهما على العترة النبوية، ويشتركا في قتل الإمامين الحسن والحسين صلى الله عليه وآله!
**

- من الذي انتصر.. معاوية أم علي عليه السلام؟
كان معاوية يتصور أنه سياسي عبقرى، يعرف كيف تؤكل الكتف!
- ١ - فقد استطاع أن يثبت أقدامه على حكم بلاد الشام في زمن عمر وعثمان، واستطاع أن يتجنب موجة النقمة على عثمان من الصحابة وأهل مصر والعراق والحجاز، وفي نفس الوقت أن يكون وارث عثمان والمطالب بدمه! ثم استطاع أن يتجنب حرب الجمل ومقتل طلحة والزبير وهزيمة عائشة، ويستثمر ذلك لمصلحته، فيجمع إليه كل قبائل قريش الطلقاء!
- ٢ - واستطاع أن يتهم عليا عليه السلام بدم عثمان أو بحماية قاتليه، فقد رفع قميص عثمان الملطخ بدمه علما وشعارا، ودار به في بلاد الشام، وعقد له مجالس النوح والبكاء، وأقنع أغلب أهل الشام بذلك أو جعلهم يشكون في مسؤولية علي عليه السلام!
- ٣ - وفي السنة الثانية لمقتل عثمان استطاع معاوية أن يعد جيشا من تسعين ألفا، من أهل الشام وأهل اليمن الشاميين، وطلقا قريش وأتباعهم، ويشن حربا على علي عليه السلام في صفين!
- ٤ - ثم عندما شارف على الهزيمة وتهدى للفرار في صفين، استطاع بمساعدة عمرو بن العاص الداهية، ونفوذ الأشعث بن قيس على جيش علي عليه السلام، أن يوقف الحرب برفع المصاحف، ويفرض الحكيم اللذين يرتضيها، ويعود إلى الشام ومعه مهلة سنة وخمسة أشهر، حتى يجتمع الحكمان!
- ٥ - ثم استطاع أن يجعل الحكم الذي يمثل طرف علي عليه السلام وهو أبو موسى الأشعري مضحكة للناس! فقد أقنعه ابن العاص أن يخطب في نهاية المحكمة

ويخلع عليا عليه السلام من الخلافة لعدم صلاحيته لها كما يخلع خاتمه من يده! وجاء بعده الحكم الذي يمثل طرف معاوية، وهو ابن العاص ليثبت معاوية في الخلافة كما يثبت خاتمه في يده!

٦ - كما كان معاوية يرى نفسه أنه حقق نجاحات باهرة على علي عليه السلام فقد أوقع الخلاف بين أصحابه، فانشق منهم الخوارج، ثم أعد لابن العاص جيشا فغزا مصر وانتصر على حاكمها محمد بن أبي بكر وقتله رحمه الله، وبذلك وفي بوعده لابن العاص، وصارت مصر وكل المناطق المفتوحة من إقريقيا تبعا لها، تحت حكمه، طعمة له كل حياته لا يأخذ معاوية شيئا من خراجها!

٧ - ثم بدأ سياسة الغارات على الحجاز والعراق واليمن، فأوجد الرعب في نفوس المسلمين الذين تحت حكم علي عليه السلام، ونشط عملاؤه في تخذيل المسلمين وعصيان دعوة علي عليه السلام واستنفاره إياهم للحرب.

٨ - كان معاوية يرى أن نجمه في صعود، ودولته تزداد قوة، فقد بايعه أهل الشام بالخلافة، وهم مطيعون له، جاهزون لتنفيذ أوامره مهما كانت!

بينما نجم علي عليه السلام في أفول، فقد خسر النصر المحقق في صفين، ثم خسر حكم لجنة التحكيم، ثم خسر مصر ووزيره الأشتر ومعاونه محمد بن أبي بكر! والأهم من ذلك أنه خسر طاعة أصحابه الذين هم ثقل الجيوش الإسلامية في الكوفة والبصرة، فالخوارج صار لهم ثأر عنده، وهم فاتكون يطلبون رأسه، وبقية الناس أكثرهم انحسروا عنه خوفا من جيش الشام، أو شكوا في علي بفعل دعايات معاوية وجماعته من رؤساء أصحاب علي عليه السلام وفي طليعتهم الأشعث بن قيس رئيس قبائل كندة، وصاحب النفوذ المتزايد على قبائل اليمن!

٩ - اهتم معاوية بالنشاط السياسي السري ضد علي عليه السلام حتى كان يقول:
(حاربت)

عليها بعد صفين بغير جيش ولا عناء!) (أنساب الأشراف ص ٣٨٣) وكانت مراسلاته وأمواله تصل إلى عملائه المنافقين في الكوفة وغيرها، خاصة رئيسهم الأشعث، لأغراض تحريك الخوارج على علي عليه السلام، وتقوية المعترضين عليه علنا في المسجد، والذين يبثون الدعاية ضده في الناس!
وكانت أهم دعاية معاوية ضده أنه شريك في دم عثمان، وأنه عدو لأبي بكر وعمر، وأنه يكذب على النبي صلى الله عليه وآله! ويخبر عن المستقبل كأنه يعلم الغيب!
وهذا التصور لمعاوية عن نفسه ونجاحه السياسي، يشاركه فيه الكتاب الغربيون والأمويون، ومن تأثر بهم من المسلمين.
وهو تصور صحيح بناء على الرؤية المادية التي تسقط من حسابها الآخرة، وتسقط كل القيم الإسلامية والإنسانية!
* * *

أما أهل النظرة الأعمق الذين ينظرون إلى الأمور بميزان الدين والعقل، والقيم الإنسانية، فيرون أن معاوية هو الخاسر، وعلياً عليه السلام هو الرابع.
فمعاوية بميزان الدين والإنسانية: شخص وصولي (ميكافيلي) طالب حكم، وإمام فئة شهد في حقها رسول الله صلى الله عليه وآله بأنها فئة باغية داعية إلى النار، فهو باغ خارج على إمام عصره، سفاك لدماء ألوف مؤلفة من خيار الصحابة والتابعين، منتهك لحرمت الإسلام، أكل للمال الحرام!
ولئن استطاع أن يتغلب بالقتل والغدر والمكر ويحكم المسلمين عشرين سنة، فقد ذهب إلى ربه يحمل أوزارا كافية لتخليده في عذاب جهنم، وبقيت أعماله وأساليبه مضرب مثل في مخالفة قيم الدين والإنسانية، من أجل هدف دنيوي!
فكل من قرأ معاوية يوافق على شهادة هؤلاء النسوة البدويات اللواتي صحن

في وجه بسر بن أرطاة لمنعه من قتل طفليين هاشميين: (وخرجت نسوة من بني كنانة فقلن: يا بسر ما هذا! الرجال يقتلون فما بال الولدان! والله ما كانت الجاهلية تقتلهم، والله إن سلطانا لا يشتد إلا بقتل الصبيان ورفع الرحمة، لسلطان سوء! فقال بسر: والله لقد هممت أن أضع فيكن السيف!) (تاريخ يعقوبي: ٢ / ١٩٧).

* *

أما علي عليه السلام فكان يفكر بشكل أرقى ويعمل لهدف أسمى:
١ - كان يرى أن الله تعالى سمح أن تجري في هذه الأمة بعد نبينا صلى الله عليه وآله سنن التاريخ في الأمم السابقة، وأن تتأمر قريش على أوصياء النبي الشرعيين من عترته صلى الله عليه وآله، وتغصب خلافة النبي صلى الله عليه وآله منهم وتعزلهم وتضطهدهم! (ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات، ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر، ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد). (البقرة: ٢٥٣)

وقد أخبره النبي صلى الله عليه وآله بذلك وفصل له أحداثه، وأمره أن يستنهض الأمة ويذكرها ببيعة الغدير، وبوصية النبي المؤكدة بالقرآن والعتره، وأن يستنهض الأنصار خاصة ويذكرهم ببيعتهم للنبي صلى الله عليه وآله على أن لا ينازعوا الأمر أهله، وأن يحموه وأهل بيته مما يحمون منه أنفسهم وأهليهم! فإن لم يجد أنصاراً، فعليه أن يحفظ نفسه وأهل بيته من القتل ويصبر، فإنه ستأتيه فرصة فتولية الأمة أمرها وسيقاتل المنحرفين على تأويل القرآن، كما قاتلهم النبي صلى الله عليه وآله على التنزيل!
٢ - كان علي عليه السلام يرى أن ما حققته السلطة القرشية بعد النبي صلى الله عليه وآله من فتوحات ونشر للإسلام، فهو بسبب ضغطه عليها وتدييره، وجهاد الفرسان القادة من شيعته والجنود المخلصين من الأمة، وقد تقدم كلامه في ذلك.
٣ - وكان يرى أن الأمة في زمن عثمان تحصد ما زرعه أبو بكر وعمر

وسهيل بن عمرو، فقد كانت نتيجة سقيفتهم أن نقلوا قيادة أمة النبي صلى الله عليه وآله ودولته من عترته إلى بني أمية، الذين قادوا الحروب ضده حتى عجزوا! وكان عليه السلام يرى أن عثمان أموي إلى العظم قبل أن يكون صحابيا وخليفة للنبي صلى الله عليه وآله، وليس عنده فهم بني عبد شمس ولا دهاؤهم، فهو ينقاد لمروان إلى حتفه كما ينقاد الجمل من خزامته! ومروان شيطان ملعون على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله!

قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف عثمان وخلافته: (إلى أن قام ثالث القوم نافجا حضنيه، بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع! إلى أن انتكث فتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته!) (نهج البلاغة: ١ / ٣١).

٤ - كان عليه السلام يرى في نقمة الصحابة والأمة على عثمان، ومحاصرته وقتله، ومجيئهم اليه مطالبين أن يقبل بيعتهم بالخلافة، أنها الفرج الذي وعده به النبي صلى الله عليه وآله، وأنه جاء الوقت لكي يقدم إلى الأمة مشروع التصحيح وإدانة الانحراف الأموي والقرشي، وإعادة العهد النبوي، وتركيز خط أهل البيت عليهم السلام. فكان يقول: (أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله بما الأمة صانعة بي بعده، فلم أك بما صنعوا حين عاينته بأعلم مني ولا أشد يقينا مني به قبل ذلك، بل أنا بقول رسول الله صلى الله عليه وآله أشد يقينا مني بما عاينت وشهدت!) (كتاب سليم بن قيس ص ٢١٣).

والسبب في ذلك أن الكشف عن الواقع بما فيه المستقبل الذي يخبر به النبي صلى الله عليه وآله إنما هو وحي من رب العالمين عز وجل، فلا يرد فيه أدنى احتمال خلاف، فهو أعلى درجة وأرقى في الكشف عن الواقع عن طريق المعاينة، مهما كان مستجمعا لشروط الحزم واليقين!

٥ - يرى علي عليه السلام وهو التلميذ الأول للنبي صلى الله عليه وآله والإسلام أن (ميكافيلية) معاوية والمكر والدهاء والعنف، مهما كانت وسائل نافعة ومفضلة عند أصحاب

المشاريع الدنيوية، ومهما حققت من أهداف قريبة، فهي لا تصلح وسائل عمل لمن يتقي الله تعالى ويريد الفوز برضوانه، ولا لمن يريد إرساء مبادئ رسالة إلهية في الأمة والعالم، ويعلم أجيالها على تطبيقاتها النظيفة.

وبما أن قضيته عليه السلام هي الغلبة الرسالية على خصومه وليست الدنيوية، وغلبة العقائد والقيم الإسلامية على مفاهيمهم المادية الجاهلية، فلا يصح أن يستعمل معهم وسائلهم التي يحاربها، ويدعو الأمة للابتعاد عنها!

كان يرى عليه السلام أنه وإن غلبه خصومه آنيا وانتصرت وصوليتهم القرشية على الإنسانية والنزاهة الإسلامية الهاشمية، فهو في الحقيقة المنتصر، لأنه بسلوكه وسياسته يتم الحجة على الأمة، ليحيى من حي بينه، ويعرف العالم وأجياله رسالة الإسلام وقيمته، حتى يأتي أمر الله تعالى! قال عليه السلام في خطبة له: (إن الوفاء توأم الصدق، ولا أعلم جنة أوقى منه، ولا يغدر من علم كيف المرجع. ولقد أصبحنا في زمان قد اتخذ أكثر أهله الغدر كيسا، ونسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة! ما لهم قاتلهم الله! قد يرى الحول القلب وجه الحيلة ودونه مانع من أمر الله ونهيه، فيدعها رأي عين بعد القدرة عليها وينتهاز فرصتها من لا حريجة له في الدين). (نهج البلاغة: ١ / ٩٢).

وقال عليه السلام: (والله ما معاوية بأدهى مني ولكنه يغدر ويفجر! ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ولكن كل غدره فجرة، وكل فجرة كفر، ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة! والله ما استغفل بالمكيدة، ولا أستغمز بالشديدة). (نهج البلاغة: ١ / ١٨٠).

وزيادة على هذا، فإن عليا وأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله يرون أن الذي يستعمل أساليب غير مشروعة، لا عقل له، مهما كان داهية في الوصول إلى هدفه! فقد سأل رجل الإمام الصادق عليه السلام: ما العقل؟ قال: ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان. قال قلت: فالذي كان في معاوية؟ فقال: تلك النكراء، تلك الشيطنة!

وهي شبيهة بالعقل، وليست بالعقل). انتهى. (الكافي: ١ / ١١)!

والسبب في ذلك أن الدهاء والمكر الذي تكون نتيجته حكم الناس عشرين سنة، أو ألف سنة، ثم الخلود في عذاب الجحيم، والسمة السيئة عند خيار الناس.. ليس من العقل في شيء!

٦ - كان باستطاعة علي عليه السلام أن يجبر الناس على بيعته كما فعل أبو بكر وعمر لنفسيهما ولعثمان! ولكنه لم يفعل لأن الواجب عنده إعادة الإرادة الحرة للإنسان المسلم التي صادرتها قريش بمجرد أن أغمض النبي صلى الله عليه وآله عينيه! فلا إجبار عنده على بيعة، ولا حطب عنده ولا حرق بيوت، مهما كانت الخسارة عليه!

وكان باستطاعته أن يمنع طلحة والزبير من مغادرة المدينة للتأمر مع عائشة، فقد كان على علم بذلك وأخبرهم به! ولكنه لا يفعل، بل يعطي الحرية لمن خالف النظام أن يفعل ما يريد، ولا يحرمه من شيء من حقوقه المدنية حتى يرفع السيف على النظام أو المجتمع! وهكذا كانت سياسته مع كل الخوارج عليه!

٧ - القضية عند علي عليه السلام ليست أن يحكم ويكون خليفة، بل أن ينفذ أمر ربه وأمر نبيه صلى الله عليه وآله، والفرق عميق وشاسع بين من يطلب الملك لنفسه، ومن يطلبه لرسالة ربه! إنهما يبدوان في المظهر سواء، لكن أين الثريا من الثرى؟! فلو كان علي يطلب الحكم لنفسه لقبل الخلافة عندما قدمت إليه على طبق من ذهب، طعاما شهيا يسيل له لعاب طلاب الحكم، فرآها مية ونفر منها!

كان ذلك في الشورى التي رتبها عمر، وجعل لعبد الرحمن بن عوف صهر عثمان حق النقض فيها، فعرض ابن عوف على علي أن يبايعه على كتاب الله وسنة رسوله وسنة أبي بكر وعمر! فبادر علي بالرفض ولم يحتج إلى تفكير ليجيب بالنفي! لأنه يرى أن قبوله بذلك إقرار بأن سنة شيخي قريش جزء من

الإسلام، وإن ألفت ضربة بسيف أهون على علي عليه السلام من أن يأتي ربه يوم القيامة فيسأله: لماذا جعلت سنة هذين جزء من ديني؟!

روى أحمد في مسنده: ١ / ٧٥: (عن عاصم عن أبي وائل قال: قلت لعبد الرحمن بن عوف كيف بايعتم عثمان وتركتم علياً؟ قال: ما ذنبي! قد بدأت بعلي فقلت أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة أبي بكر وعمر، قال فقال: فيما استطعت، قال: ثم عرضتها على عثمان، فقبلها).

وفي شرح النهج: ١ / ١٨٨: (فبدأ بعلي وقال له: أبايعك على كتاب الله وسنة رسول الله وسيرة الشيخين أبي بكر وعمر. فقال: بل على كتاب الله وسنة رسوله واجتهاد رأيي. فعدل عنه إلى عثمان فعرض ذلك عليه فقال: نعم، فعاد إلى علي فأعاد قوله، فعل ذلك عبد الرحمن ثلاثاً، فلما رأى أن علياً غير راجع عما قاله وأن عثمان ينعّم له بالإجابة، صفق على يد عثمان وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فيقال: إن علياً قال له: والله ما فعلتها إلا لأنك رجوت منه ما رجا صاحبكما من صاحبه، دق الله بينكما عطر منشم. قيل: ففسد بعد ذلك بين عثمان وعبد الرحمن، فلم يكلم أحدهما صاحبه حتى مات عبد الرحمن)!!

وفي الطبري: ٤ / ٥٦: (فجاءه ربيعة... فقال له: بايع علي كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله فقال ربيعة: على سنة أبي بكر وعمر! قال له علي: ويلك لو أن أبا بكر وعمر عملاً بغير كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكونا على شيء من الحق)!

فعلي إنما يريد الخلافة ليصحح المسار القرشي القبلي الذي وضعوا فيه الإسلام والأمة! وهو الذي يقول: (إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: كيف أنتم إذا لبستم فتنة يربو فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير، يجري الناس عليها ويتخذونها سنة، فإذا غير منها شيء قيل قد غيرت السنة، وقد أتى الناس منكراً! ثم تشتد البلية وتسبى الذرية وتدقهم الفتنة كما تدق النار الحطب وكما تدق الرحا بثفالها، ويتفقهون لغير الله

ويتعلمون لغير العمل، ويطلبون الدنيا بأعمال الآخرة!
ثم أقبل بوجهه وحوله ناس من أهل بيته وخاصته وشيعته، فقال: قد عملت الولاية قبلي
أعمالا خالفوا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدين لخلافه، ناقضين لعهد،
مغيرين لسنته، ولو حملت الناس على تركها وحولتها إلى مواضعها وإلى ما كانت في
عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، لتفرق عني جندي حتى أبقى وحدي! أو قليل من
شيعتي الذين عرفوا فضلي وفرض إمامتي من كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله صلى
الله عليه وآله! أرأيتم لو أمرت بمقام إبراهيم عليه السلام فرددته إلى الموضع الذي
وضعه فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، ورددت فدك إلى ورثة فاطمة عليها
السلام..... إلى أن قال عليه السلام: والله لقد أمرت الناس أن لا يجتمعوا في شهر
رمضان إلا في فريضة، وأعلمتهم أن اجتماعهم في النوافل بدعة، فتنادى بعض أهل
عسكري ممن يقاتل معي: يا أهل الإسلام غيرت سنة عمر! ينهانا عن الصلاة في شهر
رمضان تطوعا! ولقد خفت أن يثوروا في ناحية جانب عسكري! ما لقيت من هذه
الأمّة من الفرقة وطاعة أئمة الضلالة والدعاة إلى النار). (الكافي: ٨ / ٥٩).
٨ - وكان باستطاعة علي عليه السلام أن يستعمل أسلوب معاوية وعثمان، وأبي بكر
وعمر، في إجبار الناس وتخويفهم، والتميز بينهم في العطاء، واستمالة رؤساء القبائل
بالمال، وترويضهم بالإذلال، وبذلك يحكم قبضته على العالم الإسلامي الذي كان بيده
ما عدا الشام، ويعطي معاوية مطلبه فيجعله حاكم الشام من قبله مدى حياته، ثم يدبر
قتله بعد شهور!
ولعلي من شخصيته وشجاعته وعلمه وتاريخه، كل المقومات التي تجعل اسمه مرعبا
للناس كحاكم، كما كان صوته مرعبا للأبطال!
ولو فعل علي ذلك، لخضعت له العرب والعجم، وكان إمبراطورا دونه أبهة كسرى
وقيصر! ولرأيت كل المنافقين المعترضين عليه، والمعارضين الطامعين في الحكم إمعات
متزلفين له، آخذين بالركاب، أو مقتولين تحت التراب!

فما أسهل لعلي عليه السلام أن (يصلح) شعبه بالقوة والاضطهاد والقتل، كما فعل غيره!
لكنه لا يستحل ذلك، ولا هو قضيته، ولا من هدفه!
ليس هدف علي من الأمة مجرد الطاعة، بل القناعة بالطاعة! فطاعة الخوف طاعة أبدان
وأبشار، وغرض علي في العقول والأفكار!
نعم، كان باستطاعة علي عليه السلام أن يؤسس ملكا عريضا لبني هاشم، ويورث
الحسن والحسين إمبراطورية أعظم مما ورث الأكاصرة والقياصرة لأبنائهم! لكنها
إمبراطورية كغيرها تقوم على الدماء والأشلاء، وظلم العباد والبلاد، والغارة على أموال
الفقراء، دونها غارة الذئاب الكاسرة على المعزى الكسيرة!
ونتيجتها في الدنيا أن يعتمل الظلم في نفوس الشعوب بعد حين، فيستغله ثوار
محترفون، ويحدثون موجة كاسحة على بني هاشم، كما حدثت على بني أمية الذين
أخذهم طوفان ظلمهم بعد ثمانين سنة، حتى قال شاعر الثوار لقائدهم:
لا يغرنك ما ترى من رجال * إن تحت الضلوع داء دويا
فضع السيف وارفع السوط حتى * لا ترى فوق ظهرها أمويا
ودخل عليه آخر: (وقد أجلس ثمانين من بني أمية على سمط الطعام، فأنشده:
أصبح الملك ثابت الأساس * بالبهايل من بني العباس
طلبوا وتر هاشم وشفوها * بعد ميل من الزمان ويأس
لا تقيلن عبد شمس عثارا * واقطعن كل رقلة وأواصي
ذلهما أظهر التودد منها * وبها منكم كحز المواسي
ولقد غاظني وغاز سوائي * قربها من نمارق وكراسي
أنزلوها بحيث أنزلها الله * بدار الهوان والإتعاس
واذكروا مصرع الحسين وزيد * وقتيلا بجانب المهراس
والقتيل الذي بحران أضحى * ثاويا بين غربة وتناسي

فأمر بهم عبد الله فشدخوا بالعمد، وبسطت البسط عليهم وجلس عليها، ودعا بالطعام، وإنه ليسمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعاً! (شرح النهج: ٧ / ١٢٨ - ١٢٧).
فلو استعمل علي هذا الأسلوب، لكانت النتيجة القريية إمبراطورية بني هاشم! لكن لم يكن أثر ولا خبر عن مبادئ دين إلهي، ولا قيم إنسانية ولا عربية!
ثم لا تسأل كيف سيلاقي علي عليه السلام ربه ونبيه وحبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله!!

فهل هذا هدف علي عليه السلام؟ كلا ثم كلا، وحاشا لأصفي معدن إنساني من سلالة إبراهيم الخليل عليه السلام، ووصي أكرم الخلق وسيد المرسلين صلى الله عليه وآله! وحامل لواء النبي صلى الله عليه وآله لواء رئاسة المحشر يوم القيامة، وقسيم الجنة والنار بأمره!

قال عليه السلام: (والله قد دعوتكم عودا وبدء وسرا وجهارا، في الليل والنهار والغدو والآصال، فما يزيدكم دعائي إلا فرارا وإدبارا، أما تنفعمم العظة والدعاء إلى الهدى والحكمة! وإنني لعالم بما يصلحكم ويقيم أودكم، ولكني والله لا أصلحكم بإفساد نفسي! ولكن أمهلوني قليلا، فكأنكم والله قد جاءكم من يحزنكم ويعذبكم، فيعذبه الله كما يعذبكم! إن من ذل المسلمين وهلاك الدين أن ابن أبي سفيان يدعو الأراذل والأشرار فيجذب، وأدعوكم وأنتم الأفضلون الأخيار فتراوغون وتدافعون، ما هذا بفعل المتقين). (الغارات للثقفي: ٢ / ٦٢٤، وتاريخ يعقوبي: ٢ / ١٩٧).

٩ - أخبر النبي صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام بأن التناسب بين حالة الأمة ومن يتولى عليها قانون وسنة إلهية! فالهبوط الذي تشهده الأمم بعد أنبيائها عليهم السلام يعني أن كمية الخير ومعدله الكلي فيها ليس مرتفعا لتستحق به أن يحكمها وصي نبيها، فيجب أن يغلب على قيادتها من هو بمستواها أو دونه!
فقيادة النبوة فرض على الأمة، أما قيادة الإمامة فهي فرض واستحقاق! (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين. تلك الرسل فضلنا بعضهم على

بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات، وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس، ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات، ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر، ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد). (البقرة: ٢٥٢ - ٢٥٣).

وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام يتعجب من هذا الهبوط الذي كشف عنه موت النبي صلى الله عليه وآله حتى بميزان عادي، فضلا عن ميزان النص النبوي وبيعة الغدير، فيقول: (ألا إن العجب كل العجب من جهال هذه الأمة وضلالها وقادتها وساققتها إلى النار، لأنهم قد سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول عودا وبدءا: ما ولت أمة رجلا قط أمرها وفيهم أعلم منه إلا لم يزل أمرهم يذهب سفالا حتى يرجعوا إلى ما تركوا! فولوا أمرهم قبلي ثلاثة رهط ما منهم رجل جمع القرآن، ولا يدعي أن له علما بكتاب الله ولا سنة نبيه! وقد علموا يقينا أنني أعلمهم بكتاب الله وسنة نبيه وأفقههم وأقرؤهم لكتاب الله، وأقضاهم بحكم الله. وأنه ليس رجل من الثلاثة له سابقة مع رسول الله صلى الله عليه وآله ولا غناء معه في جميع مشاهدته، فلا رمى بسهم ولا طعن برمح ولا ضرب بسيف، جنبا ولؤما ورغبة في البقاء). (كتاب سليم ص ٢٤٧). وكان عليه السلام يعتبر أن دفعة الإيمان التي شهدتها الأمة في انتفاضها على عثمان وبيعتة عليه السلام، كانت استثناء من ذلك بتدبير إلهي، ليدخل في تاريخها وثقافتها مشروع عترة النبي صلى الله عليه وآله وقتالهم على التأويل، تكميلا لقتاله صلى الله عليه وآله على التنزيل!

١٠ - هذه الأمور تعني أن أمير المؤمنين عليه السلام حقق في مدة حكمه القصيرة رغم الحروب الثلاث التي شنت عليه، إنجازا غير عادي! فقد قدم للأمة المشروع الذي أوكله إليه النبي صلى الله عليه وآله في تصحيح الانحراف وقاتل الناكثة والقاسطة والمارقة. وأعاد بذلك الحيوية والزخم الديني للإسلام، فثبت في الأمة كدين من عند الله، ودخل عمله في تاريخها وثقافتها، فصار

حكم علي وعدل علي عليه السلام ميزانا بيد عامة الناس، وشعارا للطامحين للإصلاح
والثائرين على الفساد! ولم يكن غيره ليستطيع أن يحقق ذلك!
لقد كشف علي عليه السلام للأمة بعمله خطورة الفتنة الأموية على الإسلام، وفقاً
عينها! وعرف أجيال الأمة مدى الظلامه التي أوقعتها السقيفة بالإسلام والأمة!
قال عليه السلام: (أما بعد أيها الناس، فأنا فقأت عين الفتنة، ولم يكن ليحترئ عليها
أحد غيري، ولو لم أكن فيكم ما قوتل الناكثون، ولا القاسطون، ولا المارقون! ثم قال:
سلوني قبل أن تفقدوني، فإني عن قليل مقتول، فما يحبس أشقاها أن يخضبها بدم
أعلاها، فوالذي فلق البحر وبراأ النسمة لا تسألوني عن شئ فيما بينكم وبين الساعة، ولا
عن فتنة تضل مائة أو تهدي مائة، إلا أنبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها، إلى يوم
القيامة). (نهج البلاغة: ١ / ١٨٢، وتاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٩٣).
فصلوات الله على رسول الله، وعلى وصيه وكبير تلاميذه
وأول عترته علي أمير المؤمنين.
**